بغية الطلب في تاريخ حلب

صنفه

ابن العديم

الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة

الجزء الأول

حققه وقدم له

الدكتور سهيل زكار

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

دار الفكر
بيروت
لبنان

المكاتب : البناية المركزية . هاتف : ٢٤٤٧٣٩ . ص.ب : ١١/٧٠٦١
المطابع والمعمل : حارة حريك . شارع عبد النور . هاتف : ٣٩٠٦٦٣ / ٨٣٨٢٠٢ / ٨٣٧٨٩٨
برقيا : فكسي . تلكس : ٤١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم

عرفت ابن العديم للمرة الاولى عام ١٩٦١ ، وكنت آنذاك طالبا في قسم التاريخ في جامعة دمشق ، وقد عرفته آنئذ من خلال كتابه « زبدة الحلب من تاريخ حلب » ثم مرت الايام فأوفدت لتحضير الدكتوراه في جامعة لندن ، وهناك جعلت موضوع أطروحتي البحث في تاريخ إمارة حلب خلال القرن الخامس للهجرة / الحادي عشر للميلاد ، ولدى شروعي بالعمل وجدت أن أهم مصادري المتوفرة هو كتاب « زبدة الحلب » ، وعدت الى هذا الكتاب فتعرفت من جديد على محتوياته ، وبـدأت معرفتي بابن العديم تتأكد وتتأصل ، ومن خلال البحث عرفت من مقدمة محققـه المرحوم الدكتور سامي الدهان له، ان لا بن العديم عددا من المؤلفات أهمها كتاب اسمه « بغية الطلب في تاريخ حلب » ، وقد تحدث الدكتور الدهان عن هذا الكتاب ونسخه الخطية وجاء في ثنايا هذا الحديث قوله : « ولن نفيض في وصف هـذه النسخ هنا ، ولن نبسط طريقتنا في التعرف اليها وترتيبها ، وانما نحيل القارىء الى الجزء الاول من » « بغيـة الطلب » ، فنحن نطبعه في القاهرة المعزية ، ونصدره بدراسة مطولة يدرك معها القارىء سبب سرورنا ، ومبلغ سعادتنا في تسلمها جميعا في القرن الرابع عشر كما ذكرها السخاوي في القرن العاشر (ص : ٥٥) .

وبحثت عن كتاب بغيـة الطلب في مكتبـة المعهد فلم أجده ، وعجبت للأمر ،

خاصة أن هذا حدث معي عام ١٩٦٧ ، أي بعد مرور ما يزيد على ست عشرة سنة على نشر المجلدة الاولى من كتاب زبدة الحلب •

وبعد بحث طويل تأكد لدي أن الكتاب لم ينشر ، ولم يدفع قط لمطبعة ، وهنا أخذت أبحث عنه فوجدت المرحوم الاستاذ الطباخ يذكره في كتابه « أعلام النبلاء » انما يبين بأمانة أنه لم يره انما سمع بوجوده في استانبول •

وتبعا لهذا يممت وجهي شطر استانبول ، وأخذت أبحث عن الكتاب وعن مصادر اضافية أعود اليها أثناء البحث في موضوع اطروحتي ، وفي استانبول عرفت بوجود عشر مجلدات من هـذا الكتاب جميعها بخط المؤلف ، وهي موزعة على ثلاث مكتبات ، وتمكنت من الحصول على مصورة لهذه المجلدات •

وبعد عودتي الى لندن عرفت أن بين محتويات مكتبة المتحف البريطاني مجلدا من كتاب بغية الطلب ، وان المكتبة الوطنية في باريس تحوي أيضا واحدا من أجزاء الكتاب كما أن مكتبة المرحوم داود جلبي في الموصل فيها أحـد أجزاء الكتاب ، ولدى البحث والمقارنة تبين لي بأن هذه الاجزاء ليست بخط المؤلف وان محتوياتها موجودة بين الاجزاء العشرة التي صورتها من مكتبات استانبول •

وفي لندن قرأت أجزاء كتاب بغية الطلب وتعرفت الى محتوياتها ، فأدركـت مدى أهمية هذا الكتاب وأهمية محتوياته ليس كمصدر لتاريخ شمال بلاد الشام بل كمصدر أساسي لتاريخ بلاد الشام جنوبا وشمالا ثم تاريخ الاسلام بشكل عام ، وانه تبعا لهذا ينبغي نشره •

وبعد عودتي الى دمشق أخذت أخطط لنشر المجلدات العشرة الموجودة مـن كتاب البغية ، وتأكد لدي أنه لا يوجد في العالم غيرها ، ومعروف أن ابن العديـم كان قد وضع خطة لكتابة مصنفه هذا في أربعين مجلدة ، انمـا لا ندري هل تمكن

من كتابة مسودة هذه المجلدات جميعا ، أم أن المنية حالت بينه وبين ذلك ، ثم نحن لا ندري الآن ماذا تحتل المجلدات الموجودة من حجم الكتاب الاصلي ، لانها في وضعها الحالي هي على غير الحال التي كانت عليه حين صنفها ابن العديم : « أوراقها مدشوته » وقد أخذ كل جزء من أجزائها مكانا غير مكانه ، ويعني هذا انها كانت قبل تسفيرها الاخير عبارة عن مجموعة من الاجزاء والاوراق ، وأن الذي تولى تسفيرها لم يكن من ذوي العلم والدراية ...

ليس في نيتي القيام بوصف هذه المجلدات العشر بشكل مسهب في هذا البحث بل أنني سأدع ذلك كله الى بحث متكامل أصنعه عن ابن العديم وعن كتابه بغية الطلب ، وسأقوم ـ بعونه تعالى ـ بالحاق هذا البحث بفهارس الكتاب العامة وذلك بعدما أفرغ من نشره .

ومن حسن الحظ أن الموجود من كتاب بغية الطلب فيه المجلدة الاولى مع المجلدة الاخيرة منه ، وهذا سيمكننا من التعرف على الخطة العامة للكتاب ، وهي خطة اقتبسها ابن العديم من كتاب تاريخ دمشق لابن عساكر ، فقد أوقف ابن العديم المجلدة الاولى من الكتاب على الحديث عن فضائل شمالي بلاد الشام مع وصفها الجغرافي وأخيرا أخبار فتوحها على أيدي المسلمين ، وبعد ذلك أخذ يترجم لاعلام شمال بلاد الشام ممن ولد هناك أو مر أو سكن أو ... ، على حروف المعجم ولم يقتصر على أعلام حقب تاريخ الاسلام بل تناول أعلام ما قبل الاسلام مثل الفيلسوف أرسطو وسواه .

ويختلف عمل ابن العديم عن عمل « أستاذه » ابن عساكر ، كاختلاف مهنتيهما مع سيرة حياتهما ، فابن عساكر كان محدثا أولا وآخرا ، وابن العديم كان سياسيا وريث أسرة عريقة جمعت بين العلم والقضاء والحكم والسياسة والتجارة والنشاط الزراعي .

بعد هذا كله أرى من الاحسن التعرف الى الملامح العامة لحياة ابن العديم ومن ثم نعود الى الحديث عن كتابه بغية الطلب •

ان مصدرنا الاول والاساسي عن حياة ابن العديم مع تاريخ أسرته هو كتاب بغية الطلب ، حيث ضمنه العديد من تراجم أفراد أسرته ، كما تحدث هنا وهناك عن نشاطات رجال أسرته في مجالات الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية للقسم الشمالي من بلاد الشام ، وبالاضافة الى هذا المصدر الاساسي نجد ياقوتا الحموي صديق ابن العديم يذكر انه اعتمد في ترجمته له على كتاب اسمه « الاخبار المستفادة في ذكر بني أبي جرادة » ، وقال ياقوت : « أنا سألته جمعه فجمعه لي ، وكتبه في نحو أسبوع ، وهو عشرة كراريس » •

وابن العديم هو الصاحب كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله ••• بن أبي جرادة ، وقد ولد في مدينة حلب في ذي الحجة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة للهجرة وعندما بلغ السابعة من عمره حمل الى المكتب للدراسة ، وهناك ظهرت استعداداته مما بشر بنبوغه المبكر ، وقد كان نحيف البنية لذلك عني به أبوه عناية كبيرة ، فحدب على رعاية صحته ، وسهر على تربيته وتعليمه ، ونظرا لمنزلة والده ولما تمتعت به أسرته من مكانة نال ابن العديم حظه وافيا من معارف عصره الدينية والدنيوية ، ويروى بأن أباه حضه على اتقان قواعد الخط ، ذلك أنه ــ أي الاب ــ كان رديء الخط ، فأراد أن يجنب ابنه هذه الخلة ، ونجح في هذا المجال نجاحا كبيرا للغاية ، وقد وصف ياقوت اتقان ابن العديم لقواعد الخط العربي بقوله : « وأما خطه في التجويد والتحرير والضبط والتقييد فسواد ابن مقلة ، وبدر ذو كمال عند علي بن هلال » ، ويؤكد شهادة ياقوت هذه المجلدات العشرة من كتاب بغية الطلب التي وصلتنا بخط ابن العديم ، حيث نرى فيه واحدا من ألمع النساخ في تاريخ العربية وأكثرهم ضبطا وبراعة وأمانة ويقظة ودراية •

وفي باب العناية في انشاء ابنه وتثقيفه صحب أحمد بن هبة الله ولده عمر في رحلاته وأسفاره ، حيث زار دمشق أكثر من مرة كما زار بيت المقدس ورحل الى العراق والحجاز .

وعندما بلغ سن الشباب وجد ابن العديم السبل أمامه كلها مفتوحة لمستقبل لامع ، وكان لمواهبه وثقافته وأسرته الفضل الأكبر في تحقيق نجاحاته ، وهنا يحسن التوقف قليلا للتعرف الى أسرة ابن العديم ، وذلك قبل متابعة الحديث عن مراحل حياته :

يعرف الجد الأعلى للصاحب كمال الدين باسم ابن أبي جرادة ، وكان صاحباً لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ، ينتسب الى ربيعة من عقيل احدى كبريات قبائل عامر بن صعصعة العدنانية ، وكان يقطن مدينة البصرة ، وفي هذه المدينة عاش أولاد آل أبي جرادة وأحفادهم ، وفي مطالع القرن الثالث للهجرة قدم أحد أفراد أسرة أبي جرادة الى الشام في تجارة وكان اسمه موسى بن عيسى وحدث آنئذ أن ألم بالبصرة طاعون ، لهذا قرر موسى البقاء في الشام ، واستوطن مدينة حلب ، وفي هذه المدينة التي كانت عاصمة شمال بلاد الشام ، ومفتاح الطريق الى العراق وبلاد المشرق الاسلامي مع آسية الصغرى والأراضي البيزنطية ، فيها خلف موسى بن عيسى أسرة نمت مع الأيام عدداً ومكانة وثروة وشهرة ، وتملكت هذه الأسرة الأملاك ، كما ساهمت في جميع ميادين الحياة في حلب من سياسة وعلم وقضاء وادارة وتجارة وغير ذلك ، وبهذا غدت أسرة آل أبي جرادة من أبرز أسر حلب ، وظلت هكذا حتى حل بحلب الدمار على أيدي جيوش هولاكو ، كما ظلت محتفظة باسمها ذاته طوال تاريخها ، انما في القرن الأخير من حياتها كسبت اسماً اضافياً ، أخذ رويداً يعم في الاستعمال أكثر من الاسم الأصيل ، لكنه لم يلغه ، وكان الاسم الجديد هو « العديم » ، ونحن لا نملك تعليلا لسبب هذه التسمية ، فقد قال ياقوت : « سألته

أولا ثم لم سميتم ببني العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه وقال : هو اسم محدث لم يكن آبائي القدماء يعرفون بهذا » •

ودانت أسرة ابن أبي جرادة بالتشيع حسب مذهب الإمامية ، وظلت هكذا حتى بدأ التشيع بالانحسار في حلب ، وذلك منذ النصف الثاني للقرن الخامس / الحادي عشر ، هذا وان كنا لا نعرف بالتحديد تاريخ أخذ هذه الأسرة بمذاهب السنة أمكننا أن نقدر ذلك ، بحكم سقوط سلطة الشيعة في حلب مع عصـر السلطان السلجوقي ألب أرسلان (وهو أمر بحثتـه بالتفصيل في كتابي مدخـل الى تاريـخ الحـروب الصليبية) ونظراً لعلاقات أسرة آل أبي جرادة الخاصة مـع سلطات حلب ، لابد أن الحال اقتضى المسايرة والتحول الى السنة ، ولربما حسب المذهب الحنفي •

وفي عودة نحو سيرة الصاحب كمال الدين نجده يحدثنا بأن والده خطب لـه وزوجه مرتين ، فقد أخفق في الزواج الأول ، لذلك طلق زوجته وتزوج ثانية بابنـة الشيخ الأجل بهاء الدين أبي القاسم عبد المجيد بن الحسن بـن عبد الله ــ المعروف بالعجمي ، وكان شيخ أصحاب الشافعي ومن أعظم أهل حلب منزلة وقـدراً وثروة ومكانة سياسية ودينية واجتماعية ، ومن زواجه الثاني رزق الصاحب كمال الدين أولاده ، ولم يمت والده حتى كان ابنه أحمد طفلا يدب على الأرض ،ويمكننا التعرف الى هذا الابن من خلال استعراضنا لكتاب بغية الطلب حيث سمع الكتاب على أبيه وقام بعد وفاة والده باستدراك بعض المواد التي حالت المنية بين والده وبين تدوينها في كتابه ، فمن المقرر أن ابن العديم مـات دون أن يقـوم باعادة النظـر في مؤلفـه « بغية الطلب » ، ولم يقم بتبييضه ، والذي وصلنا هو مسودة الكتاب ، انمـا نظراً لبراعة المؤلف وحسن طريقته وجودة خطه ، نرى أن مكانة الكتاب وأهميته هي هي، ذلك أن أهمية الكتاب نابعة مما حواه من مواد تاريخية نهلها ابن العديم من وثائـق ومصنفات غيبها الزمن عنا ، فابن العديم كان مصنفاً ممتـازاً ولم يكن « مؤرخـا »

حسب مصطلحات أيامنا هذه ، فهو قد جمع في كتابه المواد الاخبارية ونسقها ، لكنه لم يحاول تعليلها ومعالجتها كما يفعل الباحث في التاريخ في جامعات أيامنا هذه ...

ومنذ أن بلغ الصاحب كمال الدين سن الشباب أخذ يشارك في الحياة السياسية والعلمية لمدينة حلب ، فقد كان يحضر مجلس الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب ـ فيكرمه ويقربه ويقبل عليه أكثر من اقباله على غيره على الرغم من صغر سنه ، وفي ذي الحجة سنة ست عشرة وستمائة ولي ابن العديم أول عمل رسمي لقد ولي التدريس في مدرسة شاذبخت وكانت من أجل مدارس حلب وأرقاها ، كل « هذا وحلب أعمر ما كانت بالعلماء والمشايخ ، والفضلاء الرواسخ ، الا أنه رؤي أهلا لذلك دون غيره ، وتصدر ، وألقى الدرس بجنان قوي ، ولسان لوذعي ، فأبهر العالم وأعجب الناس » (ياقوت : ١٦ / ٤٤) ، ويبدو أنه تولى بعد هذه المدرسة التدريس بالمدرسة الحلاوية ، التي كانت أجل مدارس حلب ، وهي مدرسة ما زالت قائمة حتى الآن ، تعلو واحداً من جدارنها لوحة حجرية كتبها ابن العديم بخطه .

ومع مرور الأيام علت مكانة ابن العديم ، فسفر عن ملوك حلب الى ملوك الدول المجاورة في بلاد الشام والجزيرة وآسية الصغرى ، والى سلاطين القاهرة وخلفاء بغداد ، وكانت خزائن كتب ووثائق كل بلد زارها تحت تصرفه ، فنهل منها ما لم ينهله سواه ، وأودع جل ذلك في كتابه بغية الطلب ، ومن هذه الزاوية يمكن أن نرى أهمية هذا الكتاب ، ومن ناحية أخرى يمكننا أن نرى المدى الذي وصلت اليه خزائن المشرق العربي قبيل وقوع الطامة الكبرى على يد المغول بسنوات .

وفي كل مكان زاره ابن العديم كان يلقى الحفاوة من رجال السلطة ، وكان في الوقت نفسه يلتقي بالعلماء وشيوخ العصر فيأخذ عنهم ، ولقد أودع ما أخذه عن علماء عصره ، وما رآه من أحداث أو شارك به ، أودعه في كتابه بغية الطلب ، حتى غدا هذا الكتاب أشبه بمنجم للمعلومات لا ينضب معينه .

وظل نجم ابن العديم يصعد في سماء السياسة في حلب وسواها حتى وصل الى مرتبة الوزير ، ولكن مشاغل السياسة والحياة العامة لم توقف العمل الفكري ولم تعطله ، وهكذا صنف ابن العديم عدداً كبيراً من الكتب ، غلب على معظمها سمة التاريخ ، ولعل أشهر كتبه « كتاب زبدة الحلب من تاريخ حلب » و « كتاب الانصاف والتحري في دفع الظلم والتجري عن أبي العلاء المعري » ، وكتابنا الذي نتحدث عنه اليوم ، وقد طبع كتاب الزبدة في أجزاء ثلاثة في دمشق ، أما كتاب « الانصاف » فقد طبعت قطعة منه للمرة الأولى بحلب ثم أعيد طبعها في القاهرة ، وأقول قطعة ذلك أن الكتاب لم يصلنا كاملا بشكل مباشر •

وعندما قلت بشكل مباشر أردت أن أقول بأن الكتاب وصلنا بشكل غير مباشر، فواحد من أحفاد ابن العديم ممن عاش بعد جده في القاهرة ، صنف كتاباً حول القاضي الفاضل دعاه باسم « سوق الفاضل في ترجمة القاضي الفاضل » ، وتوجد من هذا الكتاب نسخة خطية في مكتبة شيخ الاسلام عارف حكمت بالمدينة المنورة ، وفي ثنايا الكتاب ورد في احدى رسائل القاضي الفاضل بيت من شعر المعري ، وأراد حفيد ابن العديم أن يعرف بالمعري ، فقال : قال جدي في كتابه الانصاف والتحري ، وأثبت نص الكتاب بكماله ، ويوجد هذا الكتاب مصورا على شريط في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية بالقاهرة سابقا •

ويعود سبب انتقال ابن العديم الى القاهرة ، الى تعرض مدينة حلب الى الدمار سنة ٦٥٧ هـ على يد جيوش هولاكو ، وكان ابن العديم غادر مدينته الى دمشق ، ثم منها الى غزة فالقاهرة ، ويبدو أنه عاد بعد عين جالوت الى دمشق ، وربما أراد التوجه الى حلب ، أو توجه اليها فعلا ليعاين الدمار الذي لحقها ، وفي أثناء ذلك عرض عليه هولاكو منصب قاضي حلب ، فرفض ، وعاد الى القاهرة ، حيث أمضى بقية حياته ، وقد وافته منيته في مصر في العشرين من جمادى الأولى سنة ستمائة وستين للهجرة •

ان التشتت الذي لحق بابن العديم في سنوات حياته الأخيرة ، ثم ما آلت اليه الحال في بلاد الشام ، قد ترك أبعد الآثار على مكتبة ابن العديم مع مؤلفاته ، وخاصة كتابه « بغية الطلب » ، فاذا قبلنا فرضاً بأن ابن العديم قد أنجز تسويد مؤلفه ، من المؤكد أنهلم يتمكن من تبييضه وبالتالي لم تقم أمام الكتاب الفرصة لنسخه وتداوله.

ان من يقرأ بعض المتبقي من كتاب « بغية الطلب » يدرك عظمة ابن العديم ، فيرى فيه أعظم مؤرخ أنجبته بلاد الشام بلا منازع ، وبلا شك علما بارزاً للغاية بين أعلام فن التأريخ الاسلامي ، ومن هذا المنطلق رأيت من المتوجب العمل في سبيل تحقيق الكتاب ونشره ، وبالفعل فرغت عام ١٩٧٢ من تحقيق المجلدة الأولى من الكتاب وتوزيعه ضمن شروط تصون الكتاب وتبعده عن طرائق الوراقين في النشر ، فلم أوفق ، وكانت القضية بحاجة الى مساعدة من جهة حكومية أو غير حكومية ، ولقد رأيت في المبادرات التي تمت تجاه تاريخ ابن عساكر ما يشجع ، انما بعد اطلاعي على التجربة ، ملت نحو عدم طلب المساعدة الحكومية ، فأنا شخصياً أرى في التراث شيئاً مقدساً ، انه يحوي النتاج الفكري لأمتي خلال أجيال وهذا النتاج جزء من الماضي ، ولا يجوز أن نطلب من الماضي أكثر من الماضي ، وانه لإثم عظيم أن يعبث بتراثنا ، وانه لكفر ما بعده كفر أن يلقي التراث المعاملة التي يلقاها الآن من الوراقين ومن أنصاف المتعلمين فالذي يحل بالتراث الآن على أيديهم أعظم شناعة من جريمة هولاكو وجنده .

ومرت الايام وشغلت بالأعمال الجامعية وباخراج عدد من الكتب لكن بقي كتاب البغية ماثلا أمامي يطالبني بنشره ، وسافرت الى المغرب وحملت الكتاب معي الى فاس حيث تابعت العمل في نسخه ، وبعد عودتي من المغرب شغلت مجددا في اخراج عدد من الكتب ، ومع حلول عيد الاضحى الماضي عقدت العزم مجدداً على

تحريك محاولات نشره فتوجهت نحو الرئيس المناضل حافظ الاسد بالتمني عليه رعاية مشروع احياء هـذا الكتاب ، وتحققت الأمنيـة ، ولا عجب في ذلك فالرئيس الاسد هو باعث أمجاد هذه الأمه والمحامي عن هويتها وتراثها وأصالتهـا والساعي بإيمان راسخ في سبيل وحدتها وتحرير أراضيهـا المغتصبة • فله شـكري وعظيم امتناني وليكتب له الخلود خلود أمتنا العظيمة وتراثها ورسالتها التي هو راعيهـا وأمينهـا •

توجد مخطوطة المجلدة الأولى من كتاب « بغية الطلب » في خزانة جامـع أيا صوفيا باستانبول وهي نسخة فريدة بالعالم ، لا نعرف بوجود نسخة أخرى عنهـا، وجاءت بهذه النسخة ـ كما سلفت الاشارة ـ بخط المؤلف ، وتحوي مائتين واحدى وعشرين ورقة من الكتاب ، ألحق بها بضع أوراق عليها ملاحظات وتمليكات كتبت بشكل أخص من قبل متملك النسخة الأخير في القرن التاسع للهجرة واسمه محمد بن محمد بن السابق الحموي الحنفي ، وسألحق نصوص هـذه الملاحظات والتمليكات بهـذه المقدمـة •

ان النسخة التي بين أيدينا هي بلا شك تشكل المجلدة الأولى من كتاب بغيـة الطلب حسب خطة المؤلف ،وحسب الموجود بين أيدينا الآن ، وهذا أمر لا نستطيـع تقريره بالنسبة للمجلدات الأخرى من الكتاب اللهم الا بالنسبة للمجلدة الثامنـة من مجلدات مكتبة أحمد الثالث باستانبول ، حيث أعتقد أنها تحوي نص المجلد الأخير من الكتاب ، أي المجلدة الأربعين اذا صح خبر تصنيف ابن العديم لكتابه في أربعين مجلـدة •

وقد وصلتنا نسخة المجلدة الأولى ناقصة الأول والآخر ، فقد من أولها جـزء واحد فيه ما لا يقل عن عشر أوراق ، ولا بد أنه حوى خطبة الكتاب مع بداياته ، هذا

ومن الصعب تحديد كمية الأوراق الناقصة من آخر المجلدة ، انما يخيل لي أنها ليست كثيرة ، ربما تماثل مانقص من المطلع تقريباً .

هذا ولم تكن مشكلة النقص هي المشكلة الوحيدة التي أصابت هذه المجلدة ، بل — كما سبق وأشرت — اضطربت أجزاء الكتاب وتداخلت الأوراق ، ولقد قمت باعادة ترتيب أوراق هذه المجلدة بشكل متيقن من صحته ، انما باستثناء ورقة واحدة لم أهتد الى مكانها لذلك ألحقتها بآخر الكتاب ، والذي مكنني من اعادة ترتيب الكتاب هو الترابط بين الموضوعات ، علماً بأن ابن العديم لا يستخدم « الرقاص » في نهاية الصفحات ، يضاف الى ذلك أن ابن العديم سمع الكتاب من أولاده ، وتم السماع عبر عدة مجالس ، وكان من حسن الحظ أن قام المؤلف بتدوين تاريخ كل مجلس سماع ، ولقد مكن وجود التواريخ المتلاحقة من اعادة ترتيب الكتاب ،ويكفي هنا أن نضرب بعض الأمثلة على حالة الاضطراب التي كانت مسيطرة على الكتاب ، فالورقة رقم / ١ / الآن كانت من قبل تحمل رقم / ٤٧ / ورقم / ٢٧ / الآن كانت من قبل تحمل رقم / ٧٣ / والورقة رقم / ١٥٧ / كانت من قبل تحمل رقم / ١٠ / وهكذا ...

وعلى العموم وصلنا كتاب بغية الطلب بحالة لابأس بها ، انما لا بد من أن نشير الى مسألة هامة ، وهي أنه برغم جودة خط ابن العديم وضبطه ، فقد كان من عادته الاقلال من استخدام التنقيط ، وهذا الحال عبارة عن مزلقة كبيرة تقود الى التصحيف ، ان لم يتم العمل بحذر شديد مع الاستعانة بالمصادر اللازمة .

لقد أنجزت تحقيق القسم الأعظم من مجلدات بغية الطلب ، وقمت أثناء عملي باعادة ترتيب أوراق كل جزء منها لأنها كانت « مدشوتة » وها أناذا أدفع بالمجلدة الأولى الى النشر وكلي أمل وعزم بأن ينجز العمل في أقل من عامين ان شاء الله تعالى وأعان ، فقد زالت الآن جميع العوائق في وجه النشر .

ان المنهج الذي اتبعته في تحقيق كتاب بغية الطلب ، استهدف أولا ضبط نصه، واخراجه بالصورة التي ابتغاها مؤلفه ، مع الاقلال الى أكبر الحدود من الحواشي ، وفقط اثبات الضروري منها ، هذا ومن الملاحظ أن ابن العديم نهل جل مواد كتابه من مصادر متوفر بعضها وبعضها الآخر هو في حكم المفقود ، أو من المتعذر الوصول اليه ، ولقد قمت بتخريج النصوص التي تمكنت من الوقوف على أصولها ، ونبهت الى الفوارق ان وجدت ، ولقد تجلى لدي أثناء عمليات التخريج مدى دقة ابن العديم، وعلو أمانته ، وخلصت الى نتيجة هامة مفادها أن « نقول ابن العديم » يمكن اتخاذها مرجعاً للضبط والتصحيح ، ولا شك أن هذا يزيد من قيمة كتاب بغية الطلب وقيمة محتوياته •

ولقد ارتأيت في البداية القيام بالتعريف بأصحاب المصادر التي نقل منها ابن العديم ولكنني أقلعت عن ذلك ، كيما لا أثقل الحواشي وأتجنب عمليات التكرار ، ورأيت الاستعاضة عن ذلك أثناء وضع الفهارس العامة للكتاب ، بوضع فهرس على قاعدة ــ البيلوغرافيا ــ أوضح فيه مصادر ابن العديم بذكر اسم المؤلف وسنة وفاته، مع اسم كتابه أو كتبه المنقول عنها مع موضوعات النصوص المنقولة ، وأخيرا أرقام الصفحات والمجلدات التي جاءت فيها بعد طباعة كتابة البغية ، وأملي كبير بأن يأتي هذا الفهرس كمفتاح عام للكتاب ، وأن يكون فيه بعض التجديد بالنسبة لأعمال تحقيق النصوص خاصة الطويلة منها [1] •

---

١ ــ لقد ألحق بالمجلدة الاولى من الكتاب بضع أوراق فيها ملاحظات وتمليكات، ومعظم الملاحظات كتبت من قبل الجمال بن السابق الحموي ، الذي كان من أصحاب السخاوي ، وقد أتى على ذكره في كتابه الاعلان بالتوبيخ (ص : ١٤٤ ، من طبعة القدسي) ونظرا لاهمية هذه الملاحظات لانها ارتبطت بترجمة لابن العديم ثم لتعلقها بفن التاريخ ولانها حوت ترجمة قصيرة للشريف الادريسي صاحب نزهة المشتاق الذي زار حلب فترجم له الصاحب كمال الدين ابن العديم ، وقام ابن السابق بدوره بالاقتباس من هذه الترجمة كما هو مرجح ، يضاف الى هذا ان ابن السابق ذكر في =

كتب ابن السابق الحموي بخطه على الصفحة الأولى :

١ ــ نوبة جمال غفرانه تعالى محمد بن محمد بن السابق الحنفي عفا الله عنهم أجمعين ، بالقاهرة المحروسة في يوم الأربعاء تاسع عشر ربيع الآخر في سنة ست وخمسين وثمانمائة ، أحسن الله عاقبتها في خير آمين .

٢ ــ يقول كاتب هذه الأحرف فقير عفو الله تعالى محمد بن محمد بن محمد بن الحموي الحنفي عامله الله بلطفه الخفي : انه يروي تاريخ حلب للصاحب كمال الدين عمر بن أحمد المعروف بابن أبي جرادة وبابن العديم عن الشيخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ، مؤرخ الديار المصرية ، عن ناصر الدين محمد الهواري الطبردار عن الحافظ شرف الدين عبد المؤمن بن خلف الدمياطي عن مصنفه الصاحب كمال الدين بن العديم تغمدهم الله تعالى برحمته ورضوانه .

٣ ــ وجاء أيضا على الصفحة الثانية بخط ابن السابق :

١ ــ عمر بن أحمد بن أبي الفضل هبة الله بن أبي غانم محمد بن هبة الله بن قاضي حلب أبي الحسن أحمد بن يحيى بن زهير بن هرون بن موسى بن عيسى بن عبد الله بن محمد بن أبي جرادة عامر بن ربيعة بن خويلد بن عوف بن عامر بن عقيل .

= احدى الملاحظات تلقيه الكتاب من المقريزي مؤرخ مصر الاسلامية . والمقريزي نهل من كتاب ابن العديم ما شاء له القدر ، لكن كما هي عادته لم يشر الى الكتاب ، فهو نادرا ما يشير الى مصادره ، وما يرد أحيانا في نصوصه من ذكر لبعض المصادر ، ينبغي ألا يلتبس على القارىء ، فالمصادر ليست مصادره ، بل مصادر صاحب النص المنقول عنه ، ووضح هذا الامر لدي أثناء عملي في كتاب « المقفى » للمقريزي الذي شرع في تصنيفه أواخر حياته ، وأراد أن يجعله مشابها لتاريخ دمشق وبحجمه ، لكن المنية لم تسعفه ، وعندي الان نسخة مصورة من هذا الكتاب فيها خمس مجلدات ، أربع منها بخط المقريزي وقد عملت في هذا الكتاب ، ونشرت بعض مواده ، وفي نيتي أن أنشر مزيدا من مواده قريبا فأعالج هذه المسألة بشكل أوفى .

لهذا كله رأيت مفيدا الحاق مقدمتي هذه بما دونه ابن السابق .

الصاحب العلامة ، رئيس الشام كمال الدين أبو القاسـم الهواري العقيلي الحلبي ، المعروف بابـن العـديم •

ولد سنة ست وثمانين وخمسمائة وتوفي سنة ستين وستمائة ، وسمع من أبيه ومن عمه أبي غانم محمد ، وابن طبرزد ، والافتخار ، والكندي ، وابن الحرستاني ، وسمع جماعة كثيرة بدمشق ، وحلب ، والقدس ، والحجاز ، والعراق ، وكان محدثا حافظا ، مؤرخا صادقا ، فقيها ، حنفيا ، مفتيا ، منشيا بليغا ، كاتبا مجودا ، درس وأفتى ، وصنف وترسل عن الملوك ، وكان رأسا في الخط المنسوب اليه بالنسخ والحـواشي •

أطنب الحافظ شرف الدين الدمياطي في وصفه ، وقال : ولّي قضاء حلب خمسة من آبائه متتالية ، وله الخط البديع ، والخط الرفيع ، والتصانيف الرائقة ، منها تاريخ حلب ، أدركته المنية قبل إكمال تبييضه ، وروى عنه الدواداري وغيره ، ودفن بسفح المقطم بالقاهرة •

قال ياقوت : سألته لم سميتم ببني العديم ؟ فقال : سألت جماعة من أهلي عن ذلك فلم يعرفوه ، وقال : هو اسم محدث لم يكن آبائي القدماء يعرفون به ، ولم يكن في نساء أهلي من يعرف بهذا ، ولا أحسب الا أن جدّ جدي القاضي أبا الفضل هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير بن أبي جرادة ــ مع ثروة واسعة ، ونعمة شاملة ــ كان يكثر في شعره من ذكر العدم ، وشكوى الزمان ، فان لم يكن هذا سببه ، فلا أدري ما سببه •

قال : ختمت القرآن ولي تسع سنين ، وقرأت بالعشر ولي عشر سنين ، ولم أكتب على أحد مشهور ، الا أن تاج الدين محمد بن أحمد بن البورنطي البغدادي ورد الينا الى حلب ، فكتبت عليه أياما قلائل ، لم يحصل منه فيها طائل ، وله كتاب « الدراري في ذكر الذراري » جمعه للملك الظاهر ، وقدمه اليه يوم ولد ولده

الملك العزيز ، وكتاب «ضوء الصباح في الحث على السماح» صنفه للملك الأشرف، وكتاب « الأخبار المستفادة في ذكر بني أبن جرادة » وكتاب « في الخط وعلومه ووصف آدابه وطروسه وأقلامه » وكتاب « دفع التجري على أبي العلاء المعري » وكتاب « الإشعار بما للملوك من النوادر والأشعار » .

وممن كتب اليه يسترفده سعد الدين منوجهر الموصلي ، وأمين الدين ياقوت المعروف بالعالم ومنوجهر ياقوت الكاتب الذي يضرب به المثل .

وكان في بعض سفراته يركب في محفة تشد له بين بغلين ، ويجلس فيها ويكتب، وقدم الى مصر رسولا ، والى بغداد ، وكان اذا قدم مصر يلازمه أبو الحسين الجزار ، وله فيه مدائح .

٤ ــ وجاء على الصفحة الثالثة بخط ابن السابق أيضا :

١ ــ للادريسي :

اذا عرف الانسان أخبار من مضى	توهمته قد عاش من أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر دهره	الى الحشر إن أبقى الجميل مع الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالما	كريما حليما فاغتنم أطول العمر

٢ ــ محمد بن محمد بن عبد الله بن ادريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عُبيد الله بن عمر بن ادريس (بن ادريس) بن عبد الله بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، الشريف الادريسي ، مؤلف كتاب رُجَّار ، الفرنجي صاحب صقلية ، وكان أديبا ، ظريفا ، شاعرا ، مغوى بعلم جغرافيا ، صنف لرُجَّار الكتاب المذكور ، ومن شعر الادريسي المذكور :

ليت شعري أين قبري	ضاع في الغربة عمري
لم أدع للعين ما تشـ	ـتاق في برٍّ وبحر

وخبـــرت النـــــاس والأر ... ض لـــدى خـــير وشـــر
لـــم أجـــد جـاراً ولا داراً ... كمـــا في طـــيٍّ صـــدري
فكـــأنـــي لـــم أســـر ... ألا بميـــــت أو بقفـــر

٣ ـ لأبي الخطـاب محمد بن محمد بن أحمد البطائحي ـ روى شعره ابن النجار عن ثلاثة عنه :

يا راقد العين عيني فيـك ساهرة ... وفارغ القلب منك منـك مـلآن
إني أرى منك عـذب الثغر عذبني ... وأيقظ الجفن جفـن منـك وسنان

أخذ هذا المعنى شهاب الدين أحمد بن عبد الملك العزازي أحد من روى عنه الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ؛ فقال في قصيدته التي أولها :

دمي بالحلال ذات الخـال مطلول ... وجيش صبري مهـزول ومغلـول

منهـــا :

يا راقد العين عيني فيـك ساهرة ... وفـارغ القلب قلبي منـك مشغول

فغير القافية لا غير .

٥ ـ وجاء على الصفحة الرابعة بخط ابن السابق أيضا :

١ ـ فصل في فوائد التاريخ

منها واقعة رئيس الرؤساء مع اليهودي الذي أظهر كتابا ، زعم أنه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسقاط الجزية عن أهل خيبر ، وفيه شـهادة جماعة من الصحابة ، منهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، فحمل الكتاب الى رئيس الرؤساء ، ووقع الناس في حيرة ، فعرضه على الحافظ أبي بكر خطيب بغداد ، فتأمله ثم ألقاه ، وقال : هذا مزوّر ، فقيل له : من أين لك كل ذلك ؟ فقال : فيه

شهادة معاوية ، وهو أسلم عام الفتح ، وفتوح خيبر قبل ذلك سنة سبع ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وهو مات يوم بني قُريظة قبل خيبر بسنتين ، ففرج ذلك عن المسلمين غمـا .

وروي عن اسماعيل بن عياش أنه قال : كنت بالعراق ، فأتاني أهل الحديث ، فقالوا : ها هنا رجل يحدث عن خالد بن معدان ، فأتيته فقلت : أي سنة كتبت عن خالد بن معدان ؟ فقال : سنة ثلاث عشرة ــ يعني ومائة ــ فقلت : أنت تزعم أنك سمعت منه بعد موته بسبع سنين لأن خالداً مات سنة ست ومائة .

وروي عن الحاكم أبي عبد الله أنه قال : لما قدم علينا أبو جعفر محمد بن حاتم الكشي ــ بالشين والسين معا ــ وحـدَّث عن عبد بن حُميد ، سـألته عن مولده ، فذكر أنه ولد سنة ستين ومائتين ، فقلت لأصحابنا هـذا يزعم أنه سمع من عبد بن حميد بعد موته بثلاث عشرة سنة .

وذكر قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان ، قال : وجدت في كتاب الشامل في أصول الدين لإمام الحرمين ، وذكر طائفة من الثقات الأثبات : إن هؤلاء الثلاثة تواصوا على قلب الدول ، والتعرض لإفساد المملكة ، واستعطاف القلوب واستمالتها ، وارتاد كل واحد منهم قطراً . أما الجنابي فأكناف الأحساء ، وابن المقفع توغل في أطراف بلاد الترك ، وارتاد الحلاج بغداد ، فحكم عليه صاحباه بالهلكة والقصور عن درك الأمنية لبعد أهل العراق عن الانخداع ، هذا آخر كلام إمـام الحرمين .

ثم قال شمس الدين بن خلكان : وهذا لا يستقيم عند أرباب التواريخ ، لعدم اجتماع الثلاثة المذكورين في وقت واحد . أما الحلاج والجنَّابي فيمكن اجتماعهما، ولكن لا أعلم هل اجتمعا أم لا ، وذكر وفاة الحلاج في سنة تسع وثلاثمائة ، وذكر

وفاة الجنابي في سنة احدى وثلاثمائة ، وذكر ابن المقفع فقال : كان مجوسيا ، وأسلم على يد عيسى بن علي عم السفّاح والمنصور ، وكتب له ، واختص به ، وذكر أنه قتل في سنة خمس وأربعين ومائة .

ثم ان ابن خلكان قال : لعل إمام الحرمين أراد المقنع الخراساني ، وانما الناسخ حرّف عليه ، ثم فكرت في أن ذلك أيضا لا يصح ، لأن المقنع الخراساني قتل نفسه بالسم في سنة ثلاث وستين ومائة ، ثم قال : واذا أردنا تصحيح ما ذهب اليه إمام الحرمين فلا يكون الا ابن الشلمغاني لأنه أحدث مذهبا عاليا في التشيع والتناسخ ، وأحرق بالنار سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة .

٢ ــ فائــدة :

رأيت مشايخ الكتابة لا يشكلون الكاف اذا وقعت آخراً ، ولا يكتبونها مجلسة ، أما اذا وقعت أولا وفي بعض الكلمة حشواً فانهم يجلسونها ويشكلونها بردة الكاف ، ورأيتهم لا يجوزون في السطر الواحد أكثر من ثلاث مدّات ، فأما الكلمة نفسها فلا يمدون فيها الا بعد حرفين ، ويعدون ذلك كله من لحن الوضع في الكتابة .

٣ ــ فائــدة أخرى :

لا تنقط القاف ولا النون ولا الياء اذا وقعت أواخر الكلم . برهانه أن الإعجام إنما أتي به للفارق ، فان صورة الباء والتاء والثاء ، والحاء والخاء ، والدال والذال ، متشابهة ، والقاف والنون والياء آخر الكلمة لا تشبهها صورة أخرى ، أما اذا وقعن في بعض الكلمات وجب نقطهن لأن الفارق بطل .

٤ ــ فائــدة اخرى :

لا يكتب المضاف في آخر السطر الأول ، ويبتدأ بالمضاف إليه في السطر الثاني

كعبد الله ، وأبي بكر ، والمغاربة يفعلون ذلك ، وليس بحسن ، وأبلغ من هذا أن يكتبوا الكلمة الواحدة مفصولة الحروف في السطرين ، كالزاي ، والياء ، والدال ، والواو ، في السطر الأول آخراً ، والنون من تتمة زيدون في أول السطر الثاني ، وهو أقبح من الأول •

٦ ــ وجاء على الصفة الخامسة بخط ابن السابق أيضا :

١ ــ فائدة ينبغي للمؤرخ حفظها والعمل بها

ينبغي للمؤرخ أن يقدم اللقب على الكنية ، والكنية على العلم ، ثم النسبة الى البلد ، ثم الى الأصل ، ثم الى المذهب في الفروع ، ثم الى المذهب في الاعتقاد ، ثم الى العلم ، أو الصناعة ، والخلافة أو السلطنة ، أو الوزارة ، أو القضاء ، أو الإمرة ، أو المشيخة ، أو الحج ، أو الحرفة ، كلها تقدم على الجميع ، فتقول في الخلافة : أمير المؤمنين الناصر لدين الله ، أبو العباس السامري ، إن كان ولد بسر من رأى ، البغدادي ، فرقاً بينه وبين الناصر الأموي صاحب الأندلس ، الحنفي الماتريدي ، إن كان يتمذهب في الفروع بفقه أبي حنيفة ، ويميل في الاعتقاد الى أبي منصور الماتريدي ، ثم يقول القرشي الهاشمي •

ويقول في السلطنة : السلطان الملك الظاهر ركن الدين أبو الفتح بيبرس الصالحي ــ نسبة الى أستاذه الملك الصالح ــ التركي ، الحنفي ، البندقدار ، أو السلاح دار •

وتقول في الوزراء : الوزير فلان الدين أبو كذا فلان ، وتسرد الجميع كما تقدم ، ثم تقول : وزير فلان •

وتقول في القضاة كذلك : القاضي فلان الدين ، وتسرد الباقي كما تقدم •

وتقول في الأمراء كذلك : الأمير فلان الدين وتسرد الباقي الى أن تجعل الآخر وظيفته التي كان يعرف بها قبل الإمرة ، مثل الجاشنكير ، أو الساقي ، أو غيرهما .

وتقول في أشياخ العلم : العلامة ، أو الحافظ ، أو المسند ، فيمن عمّر وأكثر الرواية ، أو الإمام ، أو الشيخ ، أو الفقيه ، وتسرد الباقي الى أن تختم الجميع : بالأصولي أو النحوي أو المنطقي .

وتقول في أصحاب الحرف : فلان الدين ، وتسرد الجميع الى أن تقول الحرفة، إما البزاز أو العطار ، أو الخياط .

فان كان النسب الى أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، التيمي ، البكري ، لأن قرشيا أعم من أن يكون تيميا ، والتيمي أعم من أن يكون من ولد أبي بكر رضي الله عنه . وإن كان النسب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، العدوي ، العمري ، وان كان النسب الى عثمان بن عفان رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، الأموي ، العثماني ، وان كان النسب الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، الهاشمي ، العلوي ، وان كان النسب الى طلحة رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، التيمي ، الطلحي ، وان كان النسب الى الزبير رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، الأسدي ، الزبيري ، وان كان النسب الى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، الزهري ، السعدي ، وان كان النسب الى سعيد رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، العدوي ، السعيدي ، إلا أنه ما نسب اليه فيما أعلم . وإن كان النسب الى عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، الزهري ، العوفي من ولد عبد الرحمن بن عوف ، وان كان النسب الى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ، قلت : القرشي ، من ولد أبي عبيدة ، على أنه ما أعقب .

هذا والذي ذكر هو القاعدة المعروفة ، والجادة المسلوكة المألوفة عند أهل العلم،

وإن جاء في بعض التراجم ما يخالف ذلك من تقديم وتأخير ، فانما هو سبق قلم ، وذهول من الفكر ، وانما قررت هذه القاعدة ليرد ما خالف الأصل اليها ، وبالله التوفيـــق .

٢ ـ فائـدة أخرى :

كلما رفع المؤرخ في أسماء الآباء والنسب ، وزاد في ذلك ، انتفع به ، وحصل له الفرق بين المترجمين ، فقد حكم أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، قال : حججت في سنة ، وكنت بمنى أيام التشريق ، فسمعت مناديا ينادي : يا أبا الفرج . فقلت : لعله يريدني ، ثم قلت : في الناس كثير ممن يكنى أبا الفرج ، فلم أجبه ، ثم نادى : يا أبا الفرج المعافى ، فهممت بإجابته ، ثم قلت : قد يكون اسمه المعافى وكنيته أبا الفرج ، فلم أجبه ، فنادى : يا أبا الفرج المعافى بن زكريا ، فلم أجبه ، فنادى : يا أباالفرج المعافى بن زكريا النهرواني ، فقلت : لم يبق شك في مناداته إياي ، إذ ذكر كنيتي ، واسمي ، واسم أبي ، وبلدي ، فقلت : ها أناذا ، فما تريد ؟ فقال : لعلك من نهروان الشرق ؟ فقلت : نعم ، فقال : نحن نريد نهروان الغرب ، فعجبت من اتفاق ذلك . انتهى .

وكذلك الحسن بن عبد الله العسكري أبو أحمد اللغوي صاحب كتـــاب التصحيف ، والحسن بن عبد الله العسكري ، أبو هلال صاحب كتاب الأوائل ، كلاهما الحسن بن عبد الله العسكري ، الأول توفي سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة ، والثاني كان موجودا في سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، فاتفقا في الاسم واسم الأب والنسبة والعلم ، وتقاربا في الزمان ، ولم يفرق بينهما إلا بالكنية لأن الأول أبو أحمد ، والثاني أبو هلال ، والأول ابن عبد الله بن سعيد بن اسماعيل ، والثاني ابن عبد الله بن سهل بن سعيد ، ولهذا كثير من أهل العلم بالتاريخ لا يفرقون بينهما ، ويظنون أنهما واحد .

وكذلك أبو بكر محمد بن علي الشاشي الشافعي ، هذه الكنية ، والاسم ، واسم الأب ، والنسبة الى البلد ، والى المذهب ، الجميع مشترك بين الإمامين المشهورين : أحدهما الفقيه المحدث الاصولي اللغوي الشاعر ، المعروف بالقفال الكبير ، والاخر الفقيه صاحب الطريقة المشهورة ، والاول وفاته سنة خمس وستين وثلاثمائة ، والثاني وفاته سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، الاول محمد بن علي بن اسماعيل ، والثاني محمد بن علي بن حامد : وكذلك محمد بن علي ، كلاهما شرح المقامات الحريرية ، أحدهما محمد بن علي بن أحمد أبو عبد الله ، يعرف بابن حميدة الحلي ، توفي سنة خمسين وخمسمائة ، والاخر محمد بن علي بن عبد الله أبو سعيد الجاواني الحلوي ، توفي سنة أحدى وستين وخمسمائة •

٧ ـ وجاء على الصفحة السادسة بخط ابن السابق أيضا :

١ ـ فائـدة : كانت العرب تؤرخ في بني كنانة من موت كعب بن لؤي ، فلما كان عام الفيل أرخت منه وكانت المدة بينهما مائة وعشرين سنة •

قال أبو الفرج صاحب الاغاني : انه لما مات الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم ، أرخت قريش بوفاته مدة لاعظامها اياه ، حتى اذا كان عام الفيل جعلوه تاريخا ، هكذا ذكر ابن داب •

وأما الزبير بن بكار فذكر انها كانت تؤرخ بوفاة هشام بن المغيرة تسع سنين الى ان كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة ، فأرخوا بها ، انتهى •

وأرخ بنو اسماعيل عليه السلام من نار ابراهيم عليه السلام الى بنائه البيت ، ومن بنائه البيت الى تفرق معد ، ومن تفرق معد الى موت كعب بن لؤي •

ومن عادة الناس أن يؤرخوا بالواقع المشهور والامر العظيم ، فأرخ بعض العرب بعام الختان لشهرته ، وكانت العرب قديما تؤرخ بالنجوم ، وهو أصل قولك نجمت على فلان كذا حتى يؤديه في نجوم •

وقال بعضهم : قالت اليهود : ان الماضي من خلق آدم عليه السلام الى تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف سنة وأربعمائة سنة وثمانية وأربعون سنة ، وقالت النصارى: انها خمسة آلاف سنة ومائة وثمانون سنة .

وأما المدة المحررة من هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى الارض لتاريخ الليلة المسفرة عن صباح يوم الجمعة الذي كان فيه الطوفان عند اليهود ، ألف سنة وستمائة وخمسون سنة ، وعند النصارى ألفا سنة ومائتان واثنتان وأربعون سنة وعند السامرة ألف وثلاثمائة سنة وسبع سنين .

وقال آخر : المدة التي بين خلق آدم ويوم الطوفان ألفا سنة وما ئتان وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما .

وأما تاريخ الاسكندر المذكور في القرآن العظيم (كذا ؟) وتاريخ بخت نصر فمعلومان وتاريخ الطوفان مجهول ، فأردنا تصحيح ذلك وتحريره ، فصححناه بحركات الكواكب وأوساطها ، من وقت كون الطوفان الذي وضع فيه بطليموس من أوساط الكواكب في المجسطي ، فبمقارنة هذين الاصلين صححنا تاريخ الطوفان بحركات الكواكب ، كما تصحح حركات الكواكب بالتاريخ طردا فعكسنا ذلك الى خلف ، وجمعنا أزمنته وحررناه ، فوجدنا بين الطوفان وبخت نصر من السنين الشمسية على أبلغ ما يمكن من التحرير الفي سنة وأربعمائة سنة وثلثي سنة وربع سنة ، ومنه الى تاريخ السريان أربعمائة سنة وست وثلاثون سنة ، وجمعنا ذلك فكان مابين الطوفان وذي القرنين بعد جبر الكسور الفين وتسعمائه واثنتين وثلاثين سنة ، ثم زدنا على ذلك ما بيننا وبين ذي القرنين الى عامنا هذا وهو سنة إحدى وسبعين وستمائة للهجرة ، فبلغ من آدم عليه السلام الى الآن ستة آلاف سنة وسبعمائة وتسعا وسبعين سنة على أبلغ ما يمكن من التحرير .

وقال وهب : عاش آدم ألف سنة ، وفي التوراة تسعمائة وثلاثين سنة ، وكان بين آدم وطوفان نوح ألفا سنة وما ئتان وأربعون سنة ، وبين الطوفان وابراهيم عليه السلام تسعمائة وسبعة وأربعون سنة ، وبين ابراهيم وموسى عليهما السلام سبعمائة سنة ،وبين موسى وداود عليهما السلام خمسمائة سنة، وبين داود وعيسى عليهما السلام ألف سنة ومائة سنة ، وبين عيسى ومحمد نبينا (صلوات الله وسلامة عليهما) ستمائة وعشرون سنة ، والله أعلم بالصواب •

وأقدم التواريخ التي بأيدي الناس :

زعم بعضهم أن أقدم التواريخ تاريخ القبط ، لأنه بعد انقضاء الطوفان ، وأقرب التواريخ المعروفة تاريخ يزدجرد بن شهريار الملك الفارسي ، وهذا هو تاريخ أرخه المسلمون عند افتتاحهم بلاد الاكاسرة ، وهي البلاد التي تسمى بلاد ايران شهرة • وأما التاريخ المعتضدي فما أظنه تجاوز بلاد العراق ، وفيما بين هذه التواريخ تواريخ القبط والروم والفرس ، وبني اسرائيل ، وتاريخ عام الفيل ، وأرخ الناس بعد ذلك من عام الهجرة •

وأول من أرخ الكتب من الهجرة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في شهر ربيع الاول سنة ست عشرة ، وكان سبب ذلك أن أبا موسى الاشعري ، كتب الى عمر (رضي الله عنهما) : انه يأتينا من قبل أمير المؤمنين كتب لا ندري على أيها نعمل ، قد قرأنا صكا منها محله شعبان، فما ندري أي الشعبانين، الماضي أو الآتي فعمل عمر (رضي الله عنه) على كتب التاريخ ، فأراد أن يجعل أوله رمضان ،فرأى أن الاشهر الحرم تقع حينئذ في سنتين ، فجعله من المحرم •

٨ ـ وجاء على الصفحة السابعة ، بغير خط ابن السابق :

١ ـ الحمد لله • من تاريخ ابن العديم ، بخطه ، رحمة الله عليه ، واسمه زبدة الحلب في تاريخ حلب •

٢ ـ وجاء بخط ابن السابق : نوبة فقير عفو الله تعالى محمد بن محمد بن محمد بن السابق الحنفي عفا الله عنهم أجمعين ، بالقاهرة المحروسة في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة ، أحسن الله عاقبتها في خير ، آمين .

* * *

الكتاب سيغدو الآن ملكا للقارىء العربي وسواه ولا شك أن كل مهتم بالتاريخ العربي سيجد فيه فوائد كبيرة جدا .

الامل كبير في أن أكون قد وفقت في عملي ولله الحمد أولا وآخرا والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم .

دمشق في ٢٢ جمادي الاولى ١٤٠٨ — ١١ ـ كانون الثاني ١٩٨٨

سهيل زكار

* * *

الورقة الأولى بخط المؤلف

٩٨

طاهر بن علي الحوزلانا لا يضرهم من خذلهم ولا من نصرهم احد لان الطايفة
والله اعلم هي جند حلب لانه عليه الصلاة والسلام قال لا تزال طايفة
من امتي وانطاكية استولى عليها الروم سنين عدة ثم فتحها سليمن بن
قطلمش ثم استولى عليها الفرنج الى زمننا هذا فلولا ان يكون المراد
بالطايفة المذكورة جند حلب والدنيال حول انطاكيه لنظر في الخلف
الى كلامه صلى الله عليه وسلم وما زالت عساكر حلب ظاهرة على من
جاورها بانطاكية في قديم الزمان وحديثه الا ما ندر وقوعه ٥

باب في بيان ان حلب من الارض المقدسة ٥

اخبرنا ابو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الشافعي قال اخبرنا عمي
الحافظ ابو القاسم علي بن الحسن الشافعي ان لم يكن سماعا فاجازة
قال اخبرنا ابو الحسن بركات بن عبد العزيز بن الحسين النجاد قال
اخبرنا ابو بكر احمد بن علي بن ثابت الخطيب قال اخبرنا ابو الحسن
محمد بن احمد بن رزقويه قال اخبرنا ابو بكر احمد بن سندي بن الحسن
الحداد قال حدثنا الحسن بن علي القطان حدثنا اسمعيل بن عيسى
العطار قال اخبرنا ابو حذيفة اسحق بن بشر القرشي قال اخبرنا
خارجة بن مصعب السرخسي عن ثور هو ابن يزيد الكلاعي الحمصي
عن خالد بن معدان عن معاذ رضي الله عنه قال الارض المقدسة

ما بين العريش الى الفرات ٥ وقد حكينا عن ابي العلاء بن سليمان
المعري انه قال في بعض رسائله والشام خمسة اجناد جند
العواصم منه حلب وقنسرين وجند حمص وجند دمشق والاردن
وفلسطين وهذه الاجناد الخمسة بلاد مقبلة بزعم الانبيا انها
ذرت فيها البركة ويذكرون ان جميعها ارض مقدسة

باب في بيان ان حلب مهاجر ابرهيم صلى الله
عليه وسلم وانها من جملة الارض المباركة فيها ٩٩

اخبرنا الفقيه العالم افتخار الدين ابو منصور بن عساكر الشافعي
قال اخبرنا عمي الحافظ ابو القاسم الدمشقي قال اخبرنا ابو الحسن
علي بن المسلم الفقيه قال اخبرنا ابو الحسن احمد بن عبد الواحد بن محمد
بن احمد بن ابي الحديد قال اخبرنا جدي قال اخبرنا ابو الدحداح قال
حدثنا احمد بن عبد الواحد قال حدثنا محمد بن كثير عن الاوزاعي قال
مهاجر الرعد والبرق الى مهاجر ابرهيم حتى لا يبقى قطرة الا
فيما بين العريش الى الفرات ٥ واخبرنا ابو منصور
عبد الرحمن بن محمد قال اخبرنا علي بن الحسن الامام قال اخبرنا ابو طاهر
محمد بن الحسين بن محمد بن ابرهيم الحنائي في كتابه قال اخبرنا ابو
الحسن احمد بن عبد الواحد بن محمد بن ابي الحديد قال اخبرنا جدي

الورقة الثانية

حسنة ومنازل مزخرفة وسكنها المسلمون واتسع ربضها وصار بها
قاض ومنبر وخطيب (1)

في ذكر عين تاب

وهي قلعة حصينة كانت لجوسلين المذكور فلما جرى عليه ما جرى وصار في
أسر نور الدين محمود رحمه الله سار نور الدين إلى بلاده وقلاعه ففتحها
ومن جملتها عين تاب ورتب فيها الرجال والعدد والذخائر وصارت إلى
...... (2) فعمرها وحصنها وصارت إلى ولده من بعده فلما مات تسلمها
أتابك طغرل الظاهري للملك العزيز محمد بن الملك الظاهر ثم أنه سلمها إلى الملك
الصالح أحمد بن الملك الظاهر فسكنها وبنى بالقلعة آدرا حسنة وتنوع
في زخرفتها بالرخام والذهب وبنى أصحابه في الربض منازل سكنوها وبنى فيها
جوسقا تنوق في بنائه ومجوانه وزخرفه بالرخام والذهب وعمل في بستان
كبير نصب فيه صنوفا كثيرة من الفواكه وصارت الأخشاب تحمل من بلاد
الأرمن ومرعش إليها وتباع بها وتنقل منها إلى البلاد وصار بها قاض
ومنبر وخطيب

في ذكر الراوندان

وهي قلعة صغيرة على رأس جبل عال منفرد في مكانه لا تحكم عليها منجنيق
ولا يصل إليها نبل ولها ربض صغير في سفح جبلها وهي من أقوى القلاع

كان رقم هذه الصفحة /٣٢٩/ وهي الآن /١٢٠/

المال والنفقة ولا في قلوبهم رحمة لوالد ولا ولد ويجمع احناديهم
وحبوشهم كالجراد الذي يطير ويغز البلاد الجميلة ويصل الى
البلاد العامرة ويملكون بلاد النوبة وبلاد مصر ويصعدون
من هناك الى دمشق ويقصدونها ويخربونها ويأتي نهر الاردن
ويتعد على فلسطين وينزل على الاقراب وتأمن مدينة الاحبار الشماه
سا بوع حلب وحبيبد باني الالك بالحران وانت ايضا تكونين في
الامن والسلامة واهل الشماء فلك يسكنون ويرفع شان اهل
حران الى المنزلة العليا ويجاربون ويقهرون البر والبحر بعقد قوى
ويطرد واحد لمائة وعشرين ويطرد عشرة ربوات لاجل امن وكل من لا يقتل
منهم ويسمع كلامهم يفتنونه ۞ وذكر في المقالة السادسة وقال
فصل اذا ما انتهت مملكة الاهواز تكون فتنة عظيم ويسقط في
الارض دم عظيم ويكون في المغرب قتال شديد بعد مدة ايام ومع
هذا فالويل لكم يا مدن بهتيان والويل للقرايا والمدن الصغار من
شعب نجسه ينجسون الارض باعمالهم وهم الذين لا يعرفون الله ولا
يؤمنون باهل الشماء سالكو طريق الشهوات الردية ويراعوا
...... سخط عليهم اهل الشماء الويل لك يا دمشق الشهية باجمعه
...... الملك كيف يخرب اسوارك وتهدم اسواقك الى الارض والويل

الورقة قبل الأخيرة

الى اربعين سنة بابتداء هيكل الشمس كي تبطل قوى الطلسمات التي فيك
[illegible] ثم يبطل السر في حران [illegible] يجوزك عطاردك
وقوانينك وستسرع الى الخراب حتى تسمع اصوات الحديد [illegible] انت
بما شئت وهو حين مدينة الاحجار بان تحل الطالع وعلى تلك
[illegible] اسوارك وجدنا موافقك وحول المعبر الذي بناك وبعدهم
قليل ويحل [illegible] فالمسئول لك وما [illegible] من الفنا واحترق [illegible]
لك [illegible] بما تسقط [illegible] تنسل واتفقه اقوال الزهاء عن
والماء الذي اخذنا يرجع الى حران ويخرب [illegible] والماء الذي يكون
باخذه الى القبلة وقال في هذه المقالة ان حجارة الزهاء
الى حران ويبنى بها حران سور وقصيل وفي الباب الذي بين الشرق
والقبلة [illegible] يبنى للعبادة وذلك بامر من [illegible] سيدنا الاعمى
وهو امرني ان اعرفكم بهذه الاشياء واقول ان ما نوع من [illegible]
[illegible] من الاخبار وتكون الامن والسلامة على جميع العالم
وقد ذكرنا هذا الفصل فيما تقدم وانه يهدم موضع في سور حران
في سنه اثنين وخمسين وثمانية واحتج الى [illegible] نقل هذا اللوح من سور الرها
الى حران بنى بها ما انهدم من سور حران [illegible] خطب حران
[illegible] ما يعلمه [illegible] الكتاب [illegible] اللوح [illegible] الا [illegible]

الورقة قبل الأخيرة

فايده

كانت العرب تؤرخ في بني كنانة من موت كعب بن لؤي فلما كان عام الفيل ارخت به وكانت المدة بينهما مائة وعشرين سنة
قال ابو الفرج صاحب الاغاني ان لما مات الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ارخت قريش بوفاته مدة اعوامها
ايا حتى اذا كان عام الفيل جعلوه تاريخا هكذا ذكر ابن دابه. واما الزبير بن بكار فذكر انها كانت تؤرخ بوفاة
هشام بن المغيرة تسع سنين الى ان كانت السنة التي بنوا فيها الكعبة فارخوا بها اثنتين. وارخ بنو اسمعيل عليه السلام
من نار ابراهيم عليه السلام الى بناء البيت. ومن بناء البيت الى تفرق معد. ومن تفرق معد الى موت كعب بن لؤي
ومن بعده. الناس في بعده ارخوا بالوقائع المشهورة والامر العظيم مثل في بعض العرب بعام المنار لشهرته. وكانت العرب
قديما تؤرخ بالنجوم ومنه اصل قولك نجمت على فلان كذا اي جعلته عليه في نجوم. وقال بعضهم قالت اليهود ان الذي من خلق
آدم عليه السلام الى تاريخ الاسكندر ثلثة الاف سنة واربع مائة سنة وثمانية واربعون سنة. وقالت النصارى انها خمسة الاف
سنة ومائة وثمانون سنة. واما المدة المجهولة من هبوط آدم عليه السلام من الجنة الى الارض الى تاريخ الليل المسفر عن صباح
يوم الجمعة الذي كان فيه الطوفان عند اليهود الف سنة وست مائة وخمسون سنة. وعند النصارى الفا سنة ومائتان
واثنتان واربعون سنة. وعند السامرة الف وثلث مائة سنة وسبع سنين. وقال آخر المدة التي بين خلق آدم
ويوم الطوفان الفا سنة ومائتان وستة وعشرون سنة وثلثة وعشرون يوما. واما تاريخ الاسكندر المذكور في القران العظيم
وتاريخ بخت نصر فمعلومان. وتاريخ الطوفان مشهور فاردنا تصحيح ذلك بتحرير فصححنا بحركات الكواكب واستخرجنا
من وقت كون الطوفان الذي وضع فيه بطلميوس مواضع الكواكب في المجسطي بمقارنة العلويين الاعليين فحققنا تاريخ
الطوفان بحركات الكواكب كما [illegible] حركات الكواكب بالتاريخ طردا وعكسا لكن على [illegible] وجمعنا ازمنة مترتبة
فوجدنا ما بين الطوفان وبخت نصر من السنين الشمسية على البلغ ما يمكن من التحرير الفي سنة واربع مائة سنة وثلث
سنين وربع سنة. ومنه الى التاريخ السرياني اربع مائة سنة وستة وثلثون سنة وجمعنا ذلك فكان ما بين الطوفان
وذي القرنين بعد جبر الكسور الفين وتسع مائة واثنين وثلثين سنة. ثم زدنا على ذلك ما بيننا وبين ذي القرنين
الى عامنا هذا وهو سنة احدى وسبعين وستماية للهجرة فبلغ من آدم عليه السلام الى الآن ستة الاف سنة وسبع مائة وستين
وسبعين سنة على البلغ ما يمكن من التحرير. وقال وهب عاش آدم الف سنة. وفي التوراة تسع مائة وثلثين سنة
وكان بين آدم والطوفان نوح الفا سنة ومائتا سنة واربعون سنة وبين الطوفان وابراهيم عليه السلام تسع مائة سنة واربعون
سنة وبين ابراهيم وموسى عليهما السلام سبع مائة سنة وبين موسى وداود عليهما السلام خمسمائة سنة وبين داود وعيسى عليهما
السلام الف سنة ومائة سنة وبين عيسى ومحمد نبينا صلوات الله وسلامه عليهما ست مائة وعشرون سنة والله اعلم بالصواب.
واقدم التواريخ التي بايدي الناس زعم بعضهم ان اقدم التواريخ تاريخ القبط الا بعد انقضاء الطوفان واقرب التواريخ
المعروفة تاريخ يزدجرد بن شهريار الملك الفارسي وهذا هو تاريخ ارض المطهرة عند انقضاء ملك الاكاسرة وهي البلاد التي تسمى
بلاد ايران شهر. واما التاريخ المعتضدي فالعمل به في بلاد العراق وفيما بين هذه التواريخ تواريخ القبط والروم والفرس

صفحة بخط ابن السابق

صفحة بخط ابن السابق

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

باب في ذكر فضل حلب

أخبرنا القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الجياني بالموصل ، ح .

وأخبرنا المؤيد بن محمد بن علي الطوسي ، ومنصور بن عبد المنعم بن عبد الله ابن محمد الفراوي في كتابيهما إلي من نيسابور قالوا كلهم : أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن الفضل الفراوي قال : أخبرنا أبو الحسن عبد الغافر بن محمد الفارسي قال : أخبرنا أبو أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الجلودي قال : أخبرنا إبراهيم بن محمد ابن سفيان قال : أخبرنا مسلم بن الحجاج القشيري قال : حدثني زهير بن حرب قال : حدثنا معلي بن منصور قال : حدثنا سليمان بن بلال عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لاتقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق ، أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لانخلي بينكم وبين إخواننا ، تقاتلونهم ، فينهزم ثلث لايتوب الله عليهم أبداً ، ويقتل ثلثهم أفضل الشهداء عند الله ، ويفتتح الثلث لاينثنون أبداً ، فيفتتحون قسطنطينية ، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان إن (١ – و) المسيح قد خلفكم في أهليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج ، فبينما هم يعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة ، فينزل

عيسى بن مريم ، فأمَّهم ، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيده ، فيريهم دمه في حربته • [1]

وجه الاستدلال بهذا الحديث على فضل حلب قوله صلى الله عليه وسلم : « ينزل الروم بالأعماق وبدابق ، فيخرج إليهم جيش من المدنية من خيار أهل الأرض » ، ذكره بحرف الفاء وإنها للتعقيب ، والمدينة المذكورة التي يخرج منها الجيش هي حلب لأنها أقرب المدن الى دابق ، وفي تلك الناحية إنما ينطلق اسم المدينة على حلب عند الإطلاق ، لا على يثرب كما في قوله تعالى : « وجاء رجل من أقصى المدينة » [2] ، وفي قوله تعالى « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة » [3] • حيث إنصرف الإطلاق الى المدينة التي يفهم إرادتها عند الاطلاق ،وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أنهم من خيار أهل الأرض ، ومازالت عساكر حلب في كل عصر موصوفة بالمصابرة والغناء ، والثبات عند المقاتلة واللقاء •

ويؤيدذلك مايأتي في فضل أنطاكية من قوله صلى الله عليه وسلم : « لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وما حولها ، وعلى أبواب أنطاكية وما حولها ، وعلى باب دمشق وما حولها (١ ــ ظ) ظاهرين على الحق لايبالون من من خذلهم ولا من نصرهم » • الحديث ، لأن الطائفة ــ والله أعلم ــ هي جيش حلب لأنه عليه الصلاة والسلام قال : « لاتزال طائفة من أمتي » وأنطاكية استولى عليها الروم سنين عدة ، ثم فتحها سليمان بن قُتُلْمِش ، ثم استولى عليها الفرنج الى زمننا هذا ، فلولا أن يكون المراد بالطائفة المذكورة جيش حلب ، وأنه يقاتل حول أنطاكية لتطرق الخلف الى كلامه صلى الله عليه وسلم ، ومازالت عساكر حلب ظاهرة على من مجاورها بأنطاكية في قديم الزمان وحديثه إلا ماندر وقوعه •

---

١ ــ صحيح مسلم ، ط . الآستانه ١٣٣٤ : ١٧٥/٨ ــ ١٧٦ ، وفه (...
٢ ــ القرآن الكريم ــ سورة ياسين الآيه : ٢٠ •
٣ ــ القرآن الكريم ــ سورة الكهف الآية : ٨٢ •

باب في بيان أن حلب من الأرض المقدسه

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الشافعي قال : أخبرنا عمي الحافظ أبوالقاسم علي بن الحسن الشافعي ، إن لم يكن سماعا فإجازة قال : أخبرنا أبو الحسن بركات بن عبد العزيز بن الحسين النجاد قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن محمد بن رِزْقَويه قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن سَنَدي بن الحسن الحداد قال : حدثنا الحسن بن علي القطان حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار قال : أخبرنا أبو حُذَيفة إسحق بن بشر القُرشي قال : أخبرنا خَارجة ـ يعني ـ ابن مُصعب السَرْخَسي عن ثَوْر ـ هو ابن يزيد الكَلاَعي الحمصي ـ عن خالد بن مَعْدَان عن مُعاذ رضي الله عنه قال : الأرض المقدسة (٢ ـ و) مابين العَريش الى الفرات . (١)

وقد حكينا عن أبي العلاء بن سُلَيمْان المَعَرّي أنه قال في بعض رسائله : والشام خمسه أجناد ، جند العواصم منه حلب وقِنَّسرون ، وجند حمص ، وجند جِلق ، والأردن ، وفلسطين ، وهذه الأجناد الخمسة بلاد مُقْبلة يزعم الأنبياء أنها ذُرّت فيها البركة ، ويذكرون أن جميعها أرض مقدسة .

* * *

١ ـ انظر تاريخ مدينة دمشق ، لابن عساكر ، المجلدة الأولى ، ط . دمشق ١٩٥١ ، ص ١٣٩ .

باب في بيان أن حلب مهاجر ابراهيم صلى الله عليه وسلم وأنها من جملة الأرض المبارك فيها

أخبرنا الفقيه العالم فخر الدين أبو منصور بن عساكر الشافعي قال: أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم الدمشقي قال أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه قال: أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أحمد بن أبي الحديد قال: أخبرنا جدي قال: أخبرنا أبو الدحداح قال: حدثنا أحمد بن عبد الواحد قال: حدثنا محمد بن كثير عن الأوزاعي قال يُهاجر الرعد والبرق الى مهاجر إبراهيم حتى لاتبقى قطرة إلا فيما بين العريش الى الفرات .

وأخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد قال: أخبرنا علي بن الحسن الإمام قال: أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسن بن محمد بن إبراهيم بن الحِنّائي في كتابه قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد قال: أخبرنا جدي (٢ ـ ظ) قال: أخبرنا أبو الدحداح قال: حدثنا أبو عامر موسى بن عامر قال: حدثنا الوليد بن موسى قال: حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير عن كعب الأحبار قال: يوشك بالرعد والبرق أن يُهاجر الى الشام حتى لاتكون رعدة ولابرقة إلا بين العريش والفرات .

قال علي بن الحسن وأنبأناه أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي العلاء المصيصي قال: حدثنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال: أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال: حدثنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق قال: قُرىء علي أبي بكر

محمد بن أحمد بن النَّضر قال : حدثنا معاوية بن عمرو عن أبي اسحق عن الأوزاعي عن يحيى قال : قال كعب : يُهاجر الرعد والبرق الى الشام حتى لاتبقى رعدة ولابرقة إلا فيما بين العريش والفرات . (١)

وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد قال : أخبرنا أبو القاسم بن الحسن قال أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن قال : أخبرنا جدي أبو عبد الله قال أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن محمد بن أبي الحديد قال : أخبرنا محمد بن موسى بن الحسن بن السِمْسار الحافظ قال : أخبرنا محمد بن خُرَيم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا معاوية بن يحيى قال : حدثنا سُليمان بن سُلَيْم عن يحيى بن جابر عن يزيد بن شُرَيح عن كَعْب الأحبار قال : إن الله تعالى بارك في الشام من الفرات الى العَريش . (٢)

* * *

١ ـ ابن عساكر ١ / ١٥٢ ـ ١٥٣ .
٢ ـ المصدر نفسه ١ / ١٣٣ .

باب في بيان أن أهل حلب في رباط وجهاد (٣ ــ و)

أخبرنا سُليمان بن الفضل بن سليمان البانياسي فيما أذن لنا فيه، واجتمعت به بحلب، قال: أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ قال: أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن أبي الحديد قال: أخبرنا جدي أبو عبد الله قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عوف أحمد المُزَكي قال: أخبرنا أبو العباس محمد بن موسى بن الحسين السِمْسار قال: أخبرنا محمد بن خُرَيم قال: حدثنا هشام بن عمار قال: حدثنا معاوية بن يحيى قال: حدثنا أَرْطاة عن من حدثه عن أبي الدَرْدَاء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم وإماؤهم الى منتهى الجزيرة مرابطون في سبيل الله، فمن احتل منها مدينة فهو في رباط، ومن احتل منها ثغراً من الثغور فهو في جهاد ».

وقال الحافظ أبو القاسم: وأنبأنا أبو عبد الله محمد بن علي بن أبي العلاء المِصِّيصي، وأبو محمد هِبة الله بن أحمد الأَكْفاني، وأبو القاسم الحسين بن أحمد التَميمى وأبو اسحاق إبراهيم بن طاهر الخُشوعي قالوا: حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن أبي العلاء قال: أخبرنا أبو بكر أحمد بن حُرَيز بن أحمد بن خميس السَلْمَاسي قال: حدثنا أبو الحسن المُظَفر بن الحسن قال: حدثنا أحمد ابن عُمَير بن يوسف ابن جَوْصَاء قال: حدثنا عمرو بن عثمان قال: حدثنا ابن حمير عن سعيد البجلي عن شَهْر بن حَوْشَب عن أبي الدَرْدَاء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « ستُفتح على أمتي من بعدي الشام وشيكاً، فإذا فتحها فاحتلها فأهل (٣ ــ ظ) الشام مرابطون الى منتهى الجزيرة رجالهم ونساؤهم وصبيانهم

وعبيدهم ، فمن احتل ساحلا من تلك السواحل فهو في جهاد ، ومن احتل بيت المقدس وما حوله فهو في رباط » .

أنبأنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي قال : أخبرنا أبو عبد الله بن أبي زَيْد الكَرَاني قال : أخبرنا محمود بن إسماعيل قال : أخبرنا أبو الحسين بن فاد شاه قال : حدثنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطَبَراني قال : حدثنا أحمد بن المُعَلى الدمشقي قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا أبو مطيع معاوية ابن يحيى عن أَرْطَاة بن المُنْذر عن من حدثه عن أبي الدَرْدَاء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أهل الشام وأزواجهم وذراريهم وعبيدهم الى منتهى الجزيرة مرابطون فمن نزل مدينة من المدائن فهو في رباط ، أو ثغراً من الثغور فهو في جهاد » .(١)

أنبأنا أحمد بن أَزْهَر بن عبد الوهاب عن أبي بكر بن عبد الباقي قال : أخبرنا أبو محمد الجوهري إذناً : أخبرنا أبو عمر بن حَيُّوية قال : أخبرنا أحمد بن معروف إجازة قال : حدثنا الحسين بن فهم قال حدثنا محمد بن سعد قال : أخبرنا محمد بن عمر قال : حدثني عبد الله بن عامر قال : سمعت أَبَان بن صالح يقول : سمعت عمر بن عبد العزيز يقول بدابق : نحن في رباط .

* * *

١ ـ ابن عساكر ١ / ٢٦٩ ـ ٢٧٠ .

باب في بيان أن حلب كانت باب الغزو والجهاد ومجمع الجيوش والأجناد

إعلم أن دابق كانت مجمعا لعساكر الاسلام في كل صائفة مـن زمن معاويـة ابن أبي سفيان ، فكانوا يجتمعون بها فاذا تكامل العسكر وقبضوا عطاءهم دخلوا حينئذ من الثغور الى جهاد العدو ، واستمر ذلك في أيام بني أمية ، لاسيما في أيام سليمان بن عبد الملك ، فإنه أقام بدابق سنين ، وسيَّر أخاه مسلمة لغزو (٤ ـ ٥) القسطنطينية ، وكان يمده بالعساكر الى أن مات سليمان بدابق ، وبعد زوال ملك بني أمية تتبع بنو العباس مدن الثغور وحصونها فعمروها وحصنوها ، وغزوا غزوات مذكورة من نواحي حلب من العراق ودابق وغيرهما ، لا سيما أمير المؤمنين الرشيد رحمة الله عليه فإنه اجتهد في إقامة الجهاد ، وأنفق الاموال الوافرة في الثغور وأهلها ، وكان يقدم حلب ويرتب أمر الغزو منها ، وكذلك فعل المأمون بعده ، ومات غازيا بطَرَسُوس ، وجاء المعتصم كذلك وفتح عمورية .

أخبرنا أبو منصور بن محمد بن الحسن الشافعي قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم قال : قرأت على أبي القاسم الخضر بن الحسين بن عبدان عن عبد العزيز بن أحمد الكتاني قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن أبي زروان الحافظ قال : حدثنا عبد الوهاب بن الحسن قال : أخبرنا أحمد بن عمير بن يوسف قال : حدثنا أبو عامر موسى بن عامر قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : وحدثني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر وغيره : أن جند حمص الجند المقدم ، وأن قِنَّسرين كانت يومئذ ثغرا وأن الناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطـاء ، وإقامة

البعوث من أرض دمشق في زمن عمر وعثمان حتى نقلهم الى معسكر دابق معاوية ابن أبي سفيان لقربه من الثغور .

قال : وكان والي الصائفة ، وإمام العامة في أهل دمشق ، لأن من تقدمهم من أهل حمص وأهل قنسرين ، وأهل الثغور مقدمة لهم ، والى أهلها يؤولون إن كانت (٤ ــ ظ) لهم جولة من عدوهم [١] .

وأخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الفقيه قال : أخبرنا علي بن أبي محمد الشافعي قال : أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد وعبد الكريم بن حمزة قالا: حدثنا عبد العزيز قال : أخبرنا تمام وعبد الوهاب قالا : أخبرنا أحمد بن محمد قال : حدثنا أحمد بن المُعَلى ، ح .

قال تمام : وأخبرني أبو إسحق إجازة قال : حدثنا ابن المُعَلى ، ح .

قال تمام : وأخبرني يحيى بن عبد الله قال : حدثنا عبد الرحمن بن عمر قال : حدثنا ابن المُعَلى قال : وأخبرني صفوان بن صالح ، أملاه علي ، قال : حدثنا الوليد ابن مُسْلم قال : حدثنا محمد بن مُهاجر قال : سمعت أخي عمرو بن مُهاجر قال : سمعت عمر بن عبد العزيز ، وذكر مسجد دمشق فذكر الحكاية ومقدم خالد بن عبد الله القسري إليه وقوله له حين هم برفع الزخرفة منه : ما ذلك لك ، حتى قال : فما قولك « وما ذلك لي » ؟ قال : لأنا كنا معشر أهل الشام وإخواننا من أهل مصر وإخواننا من أهل العراق نغزو فيعرض على الرجل منا أن يحمل من أرض الروم قفيزاً بالصغير من فسيفساء ، وذراع في ذراع من رخام ، فيحمله أهل العراق وأهل حلب الى حلب ، ويستأجر على ماحملوا الى دمشق ، ويحمله أهل حمص الى حمص

---

١ ــ انظر تاريخ ابن عساكر ،المجلدة الثانية ،القسم الأول . ط . دمشق ١٩٥٤، ص ١١٩ ــ ١٢٠ ، ولقد أصاب اسناد ومتن هذه الرواية بعض التصحيف والسقط .

ويستأجر على ماحملوا الى دمشق ، ويحمل أهل دمشق ومن وراءهم حصتهم الى دمشق .

وقرأت في كتاب البلدان وفتوحها وأحكامها تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : وحدثني محمد بن سهم الأنطاكي قال : حدثني معاوية (٥ ـ و) ابن عمرو عن أبي إسحق الفزاري قال : كانت بنو أمية تغزو الروم بأهل الشام والجزيرة صائفة وشاتية ممايلي ثغور الشام والجزيرة ، وتقيم المراكب للغزو ،وترتب الحفظة في السواحل ، ويكون الإغفال والتفريط خلال الحزم والتيقظ ، فلما ولي أبو جعفر المنصور تتبع حصون السواحل ومدنها فعمرها وحصنها وبنى ماحتاج الى البناء منها ، وفعل ذلك بمدن الثغور ، ثم لما استخلف المهدي استتم مابقي من تلك المدن والحصون وزاد في شحنها .

قال معاوية بن عمرو : وقد رأينا من اجتهاد هرون في الغزو ، ونفاذ بصيرته في الجهاد أمراً عظيماً ، أقام من الصناعة مالم يقم قبله ، وقسم الأموال في الثغور والسواحل ، وأشجر الروم وقمعهم ، وأمر المتوكل بترتيب المراكب في جميع السواحل ، وأن تشحن بالمقاتله وذلك في سنة سبع وأربعين ومائتين . [1]

* * *

١ ـ فتوح البلدان للبلاذري . ط . القاهرة ١٩٣٢ ، ص ١٦٧ .

باب في ذكر صفة مدينة حلب وعمارتها وأبوابها
وما كانت عليه أولا ، وما تغير منها وما بقي

سور حلب : كان سورا مبنيا بالحجارة من بناء الروم ، ولما وصل كسرى أنوشَرْوان الى حلب واستولى عليها ، شعث سورها عند الحصار ، ثم رمَّ ماهدم منه ، فبني بالآجر الفارسي الكبار ، وشاهدت مرمته بالآجر الكبار في الاسوار التي بين باب الجنان وباب النصر ، وسترها (٥ ـ ظ) السور الثاني الذي ابتناه الملك الظاهر رحمه الله ، فيما بين باب الجنان وباب النصر ، فلا يبين الآن إلا لمن يمر بين السورين ، وأظن أن كسرى أنوشَرْوان فتح حلب من هذه الجهة ، فإنها كانت أضعف مكان في البلد ، فلهذا كانت المرمة فيه دون غيره ، وكان ملكها وملك أنطاكية الذي أخذها أنوشَرْوان من يده يوسطينيانوس ملك الروم [1] .

وفي أسوار حلب أبرجة عديدة جددها ملوك الاسلام بعد الفتوح ، وأسماؤهم مكتتبة عليها ، وبنى نور الدين محمود بن زنكي فصيلا على مواضع من الباب الصغير الى باب العراق ، ومن باب العراق الى قلعة الشريف ، ومن باب اليهود ـ الذي يقال له الآن باب النصر ـ الى باب الجنان ، ومن باب الاربعين الى باب اليهود ، جعل ذلك سورا ثانيا قصيرا بين يدي السور الكبير وأمر الملك الظاهر بتجديد سور من باب الجنان الى برج الثعابين ، وفتح الباب المستجد ، فرفع

(١) See G. Downey, A History of Antioch in Syria, Princeton, 1961, PP 533 — 46. P. Sykes, A History of Persia, London, 1963, vol I, PP 451 — 54. J. B. Bury, Later Roman Empire, Doaver Publication, New York, voll, PP 93 — 100.

الفصيل وجـدد السور والأبرجـة على علو السور الاول ، وكان يباشر العمارة بنفسه ، فصار ذلك المكان من أقوى الاماكن .

ثم إن أتابك طُغْرُل ابتنى برجا عظيما فيما بين باب النصر وبرج الثعابين مقابل أتونات الكلس ومقابر اليهود .

ثـم ان الملـك الناصـر صـلاح الديـن يوسـف بـن محمـد أعـز الله سلطانه أمر بتجديد أبرجة من باب الاربعين الى البرج الذي جدده أتابـك ، فجددت أبرجة عظيمة كل برج منها حصن مفرد ، وسفح من السور والابرجـة في الميل الى الخندق فصار (٦ ـ و) ذلك كله كالقلعة العظيمة في الارتفاع والحصانة وأمر ببناء أبرجة كبار من باب الجنان الى باب قنسرين ، فقويت المدينة بذلك قوة ظاهـرة .

وأما قلعة حلب فلم يكن بناؤها بالمحكم ، وكان سورها أولا منهدما على ماذكره أرباب التواريخ ولم يكن مقام الملوك حينئذ فيها ، بل كان لهم قصور بالمدينـة يسكنونها ، ولما فتح الروم حلب في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة لجأ الى القلعة من لجأ ، وستروها بالأكف والبراذع ، فعصمتهم من العدو لعلوها ، وزحف ابن أخت الملك فألقي عليه حجر فقتله ، ورحل الدمستق عنها ، فاهتم الملوك بعد ذلك بعمارة القلعة وتحصينها .

وعصى فيها فتح القلعي على مولاه مرتضى الدولـة بن لؤلؤ ، ثم سلمها الى نواب الحاكـم ، فعصى فيهـا عزيز الدولـة فاتك على الحاكم ، وقتـل بالمركز ، وكان قصره الذي ينسب اليه خانكاه القصر متصلا بالقلعة ، والحمام المعروفـة بحمام القصر الى جانبه ، فخرب القصر بعد ذلك تحصينا للقلعـة وصار الخندق موضعه . ودخلت أنا هذه الحمام وهي دائرة ، فهدمها الملك الظاهر رحمه الله ، وجعلها مطبخا له .

ولما قتل عزيز الدولة ، صار الظاهر وولده المستنصر يوليان واليا بالقلعة ، وواليا بالمدينة خوفا أن يجري ما جرى من عزيز الدولة . فلما ملك بنو مرداس سكنوا في القلعة ، وكذلك من جاء بعدهم من الملوك[1] وحصنوها لا سيما الملك الظاهر غازي (٦١ ــ ظ) فانه حصنها وحسنها وابتنى بها مصنعا كبيرا للماء ، ومخازن للغلة ، ورفع باب القلعة وكان قريبا من المدينة ، ويصعد منه الى باشورة ، هي موضع باب القلعة الآن .

ولها سور من موضع الباب الآن ، يدور في وسط التل الى المنشار المتصل بباب الاربعين وكان في الباشورة مساكن لاجناد القلعة ، ورأيت في وسطه برجا كبيرا ، مبنيا فوق طريق الماء من القناة الى الساتورة التي للقلعة ، وكان على ذلك البرج اسم الملك الصالح اسماعيل بن نور الدين محمود بن زنكي ، فخرب الملك الظاهر رحمه الله تلك الباشورة ، وسفح القلعة من أسفل الخندق الى سورها الاعلى ، وكان قد بنى بعض السفح بالحجر الهرقلي ، وعزم على تسفيحها بذلك الحجر ، فحالت المنية بينه وبين أمله ، وصده عن مراده ما حضر من أجله [2] ، وكان قد وسع الخندق الذي للقلعة وعمقه ، وبنى حائطه من جهة المدينة ، ورفع باب القلعة الى مكانه الآن ، وعمل له هذا الجسر الممتد ، فجاء في غاية الحسن والحصانة، وعمل بابا آخر كان اذا ركب ينزل منه وحده ويصعد ويغلق فلا يفتح الا له ، وهو باب الجبل الذي هو الى جانب دار العدل ، وبنى الملك الظاهر سورا على دار العدل ، وفتح له بابا من جهة القبلة تجاه باب العراق ، وبابا من جهة الشرق والشمال على حافة الخندق ، كان يخرج منهما اذا ركب ، وبنى دار العدل لجلوسه العام فيها بين السورين ، السور العتيق الذي فيه (٧ ــ و) الباب الصغير ، وفيه الفصيل الذي بناه نور الدين ، وبين السور الذي جدده الى جانب الميدان .

---

(1) See S. ZAKKAR, the Emirate of Alleppo, 392 / 1002 — 497 / 1094 Beirut 1972. PP 105 — 6.

٢ ــ توفي في سنة ٦١٣ هـ ــ ١٢١٦ م .

واهتم الملك الظاهر أيضا بتحرير خندق الروم ، وهو من قلعة الشريف الى الباب الذي يخرج منه الى المقام ، وبنى ذلك الباب ولم يتمه ، فتم في أيام ولده الملك العزيز رحمه الله ، ثم يستمر خندق الروم من ذلك المكان شرقا ، ثم يعود شمالا الى الباب الذي جدد أيضا في أيام الملك العزيز لصيق الميدان ، ويعرف بباب النيرب ، ثم يأخذ شمالا الى أن يصل الى باب القناة الذي يخرج منه الى بانقوسا ، وهو باب قديم ، ثم يأخذ غربا من شمالي الجبل الى أن يتصل بخندق المدينة . وأمر الملك الظاهر برفع التراب والقائه على شفير هذا الخندق فيما يلي المدينة ، فارتفع ذلك المكان وعلا ، وسفح الى الخندق ، وبني عليه سور من اللبن في أيام الملك العزيز محمد رحمه الله ، وولاية الاتابك طغرل ، وأمر الحجارون بقطع الاحجار من الحوارة من ذلك الخندق ، فعمق واتسع وقويت به المدينة غاية القوة .

وأما قلعة الشريف فلم تكن قلعة بل كان السور محيطا بالمدينة ، وهي مبنية على الجبل الملاصق للمدينة وسورها دائر مع سور المدينة على ما هي الآن .

وكان الشريف أبو علي الحسن بن هبة الله الحتيتي الهاشمي مقدم الاحداث بحلب (١) ،وهو رئيس المدينة فتمكن وقويت يده ،وسلم المدينة الىأبي المكارم مسلم ابن قريش ، فلما قتل مسلم انفرد بولاية (٧ ـ ظ) المدينة ، وسالم بن مالك بالقلعة على مانشرحه في ترجمته ، فبنى الشريف عند ذلك قلعته هذه ، ونسبت اليه ،

---

١ ـ كان الاحداث عبارة عن تنظيم بلدي له صفات عسكرية ، وقد قام هذا التنظيم بدور هام في تاريخ بلاد الشام في القرنين الرابع والخامس للهجرة ، وأحسن مادة يمكن تحصيلها حول هذا التنظيم موجودةفي تاريخ دمشق لابن القلانسي ، وزبدة الحلب لابن العديم . كما أن عددا من المعاصرين كتبوا حول هذا التنظيم ، من هؤلاء كلود كاهن في مجله Arabica المجلد الخامس ، وفي الموسوعه الاسلامية بالانكليزية والفرنسية ، ومن قبل سهيل زكار في كتابه عن اماره حلب الذي أشير اليه قبل صفحة .

في سنة ثمان وسبعين وأربعمائة ، خوفا على نفسه من أهل حلب ، واقتطعها عن المدينة ، وبنى بينها وبين المدينة سوراً ، واحتفر خندقا آثاره باقيــة الــى الآن ، ثم خرب السور بعد ذلك في أيام ايلغازي بن أَرْتُق حين ملكها ، واستقل بملكها في سنة ست عشرة وخمسمائة ، فعادت من المدينة كما كانت .

وأما أبواب مدينة حلب فأولها باب العراق ، سمي بذلك لأنه يسلك منه الى ناحيــة العراق .

ثم بعده الى جهة الغرب باب قنَّسرين ، سمي بذلك لأنه يخــرج منه الى ناحيــة قنَّسرين ، وقد جــدد في أيام السلطان الملك الناصــر يوســف بن الملك العزيز أعز الله أنصاره ، وغير عن وضعه ووسع وعمل عليه أبرجة عظيمة ، ومرافق للاجناد حتى صار بمنزلة قلعة عظيمة من القلاع المرجَّلة .

ثم باب أنطاكية سمي بذلك لانه يسلك منه الى ناحية أنطاكية .

ثم باب الجنان ، سمي بذلك لانه يخرج منه الى البساتين التي لحلب .

ثم بعده باب اليهود سمي بذلك لان محال اليهود من داخله ، ومقابرهم مــن خارجه ، وهذا الباب غيرَّه السلطان الملك الظاهر رحمــه الله ، وكان عليــه بابان ، ويخرج منهما الى باشورة يخرج منها الى ظاهر المدينة ، فهدمه وجعل عليه أربعــة أبواب كل بابين بدركاة على حدة ، يسلك من احدى الدركاتين الى الاخرى في قبو عظيم محكم البناء ، وجعل (٨ ــ و) عليه أبراجا عالية محكمة البناء ، ويخرج منه على جسر على الخندق ، وكان على ظاهره تلول عالية من التراب والرمــاد وكنايس المدينة ، فنسفها وأزالها وجعلها أرضا مستوية ، وبني فيها خانات تباع فيها الغلــة والحطب ، وسمي الباب باب النصر ، ومحي عنه اسم باب اليهود ، فــلا يعرف الآن إلا بباب النصر ، وهجر اسمه الاول بالكلية .

ثم بعــده باب الأربعين وكان قد ســد هذا الباب مــدة مديدة ، ثم فتح واختلف في تسميته بباب الأربعين ، فقيل إنه خرج منه مرة أربعون ألفا فلم يعودوا .

وأخبرني والدي رحمه الله أنه بلغه أنه خرج منه أربعون ألفاً فلم يعد منهم غير واحد ، فرأته امرأة في طاق في علو وهو داخل منه ، فقالت له : دُبَيْر جئت ؟ فقال لها : دُبير من لم يجيء .

وقيل انما سمي باب الاربعين لانه كان بالمسجد من داخله أربعون من العُباد يتعبدون فيه ، وكان الباب مسدودا .

وأخبرني عمي أبو غانم رحمه الله أنه بلغه أنه كان به أربعون محدثا ، وقيل كان به أربعون شريفا . والى جانبه أعلى المسجد مقبرة للشراف العلويين ، قيل أنهم من بني الناصر .

والباب الصغير وهو الباب الذي يخرج منه من تحت القلعة من جانب الخندق وخانكاه القصر الى دار العدل ، ومن خارجه البابان اللذان جددهما الملك الظاهر رحمه الله في السور الذي جدده على دار العدل ، أحدهما يفتح على شفير الخندق ويدعى باب الصغير أيضا ، وهو (٨ ــ ظ) مسلوك فيه الى ناحية الميدان .

والآخر القبلي الذي يقابل باب العراق ، وهو مغلق لايخرج منه أحد بعد موت الملك الظاهر الا السلطان في بعض الاحيان ، وكذلك باب الجبل الذي للقلعة أغلق بعده .

وجدد الملك الظاهر رحمه الله الى جانب برج الثعابين فيما بين باب الجنان وباب النصر بابا سماه باب الفراديس ، وبنى له جسر على الخندق ، ومات الملك الظاهر ولم يفتحه ، فسد وتطيروا به ، وفتحه الملك الناصر بعد ذلك ، ورتب فيه أجنادا .

وجدد الملك الناصر أيضاً باباً إلى جانب برج الغَنَم ، وعمل عليه برجان عظيمان وفتحة إلى جهة ميدان باب قِنَّسرين في سنة خمس وأربعين وستمائة وسمي (باب السعادة)[1] .

---

١ ــ جاء هذا الخبر في حاشية الاصل ، وقد طمس معظمه ، وتم تداركه من الاعلاق الخطيرة لابن شداد ، قسم حلب ، ط . دمشق ١٩٥٣ ، ص ٢٢ ــ ٢٣ .

وكان لحلب باب يقال له باب الفَرَج الى جانب حمام القصر ، كان الى جانبه القصر المشهور الذي يلي قلعة حلب ، فخربه الملك الظاهر رحمه الله .

وكان خارج باب أنطاكية على جسر باب أنطاكية على نهر قُويق باب يقال له باب السَّلامة ، وهو الذي ذكره الواساني في قصيدته التي يهجو فيها ابن أبي أسامة، وأولهـا :

يا ساكِني حلبَ العَوا   صم جادها صَوبِ الغَمامه [1]

وسيأتي ذكره بعد هذا .

وعلى خندق الروم أبواب مجددة أولها باب الرَّابية التي تباع فيها الغلَّة والتبن، خارج باب قِنَّسرين ، والسور اللبن المجدد على خندق الروم من حدّه .

والثاني الباب المعروف بباب المَقام خارج باب العراق من القبلة يسلك فيه إلى مقام إبراهيم عليه السلام وغيره .

والثالث باب النَيْرَب خارج باب العراق ، وقد ذكرنا أنه جُدّد في أيام الملك العزيز رحمه الله ثم باب القناة ، وقد ذكرناه أيضاً .

وأما قناة حلب التي تدخل إلى المدينة فقيل هي عين إبراهيم عليه السلام ، وهي تأتي من حَيْلان ، قرية شمالي حلب [2]، وفيها أعين ، جمع ماؤها وسيق إلى المدينة، وقيل إن الملك الذي بنى حلب ، وزن مائها إلى وسط (٩ ــ و) المدينة ، وبنى المدينة عليها ، وهي تأتي إلى مشهد العافية تحت بَعَاذين[3] ، وتركب بعد ذلك على بنـاء

١ ــ من شعراء يتيمه الدهر للثعالبي ٣٥١/١ . ط . القاهرة ١٩٥٦ .
٢ ــ تبعد حيلان عـن حلب مسافة ١٠٥ كم . انظـر التقسيمات الادارية في الجمهورية العربية السورية ط . دمشق ١٩٦٨ ، ص ٢٨٧ .
٣ ــ ذكرها ياقوت في معجم البلدان وذكر فقط أنها : من قرى حلب لها ذكر في الشعر .

محكم رفع لها لانخفاض الأرض في ذلك الموضع ، ثم تمر الى أن تصل الى بابِلى[1]، وهي ظاهرة في مواضع ، ثم تمر في جباب قد حفرت لها إلى أن تنتهي إلى باب القناة ، وتظهر في ذلك المكان ، ثم تمر تحت الأرض إلى أن تدخل من باب الأربعين ، وتنقسم في طرق متعددة إلى البلد •

ولأهل حلب صهاريج في دورهم يخزنون فيها الماء منها ويبردونه فيها ، إلا ما كان من الأمكنة المرتفعة كالعقبة ، وقلعة الشريف فإن صهاريجهم من المطر ، وقد كانت هذه القناة فسد طريقها لطول المُدّة وتقص منابيع عيونها فكراها السلطان الملك الظاهر رحمه الله ، وحرر طريقها إلى البلد وكلّسه وسد مخارج الماء فيه ، فكثر ماؤها وقويت عيونها ، وجدد القنوات في حلب والقساطل ، وأجرى الماء فيها حتى عمت أكثر دور البلد ، واتخذت البرك في الدور ، حتى قال أبو المظفر بن محمد بن محمد الواسطي المعروف بابن سُنَيْنير يمدحه ، وسمعتها من لفظه :

روى ثرى حلب فعادت روضة	أنُفاً وكانت قبله تشكو الظما (٩ـظ)
أحيا رُفات مَوّاتها فكأنّه	عيسى بإذن الله أحيا الأعظُما
لا غَرْو أن أجرى القناة جداولاً	فلطالما بقَناتِه أجرى الدّما

ووصل ماء القناة في أيامه إلى مواضع من البلد لم يُسمع بوصوله إليها ، حتى أنها سيقت الى الحاضر السُليماني ، ووقف عليها أوقافاً لعمارتها وإصلاحها •

قرأت في كتاب المسالك والممالك الذي وضعه الحسن بن أحمد المُهلبي للعزيز الفاطمي المستولي على مصر قال : فأما حَلَب فهي مدينة قِنّسرين العظيمة وهي مستقر السُلطان ، وهي مدينة جليلة عامرة آهلة ، حسنة المنازل ، بسور عليها من حجر ، وفي وسطها قلعة على جبل وسط المدينة لا ترام ، ليس لها إلا طريق لا مقابلة

---

١ ـ جاء رسمها في معجم البلدان لياقوت بالالف الممدودة ، وقال ياقوت : قرية كبيرة بظاهر حلب بينهما فحوميل •

عليه ، وعلى القلعة أيضاً سور حصين ؛ وشرب أهل حلب من نهر علـى باب المدينـة يعرف بقُويق ، ويكنيه أهل الخلاعة أبا الحسن .

وأعمال قِنَّسرين كلها ومدينة حلب فتحت صلحاً .

وقال : فأما الأقاليم التي هي منها ، فإنّ من الإقليم الرابع حلب ، وعرضها أربع وثلاثون درجة .

فأما أهلهـا فهم أخلاط مـن الناس من العرب والموالي ، وكانـت بها خطط لولـد صالح بن علي بـن عبد الله بن عباس ، وتأثلت لهم بهـا نعمة ضخمـة ، وملكوا بها نفيس (١٠ ــ و) الأملاك ، وكان منهم من لحقتُ بقيتهم بنو القاَنْدَر فإنني شاهدت لهم نعماً ضخمة ، ورأيت لهم منازل في نهاية السَّرو .

وكان بها أيضاً قوم من العرب يعرفون ببني سِنان ، كانت لهم نعمة ضخمة .

وسكنها أحمد بن كيْغَلَغ وبنى بها داراً معروفة الى الآن ؛ وملّك بها بدر غلامه ضياعاً نفيسة ، فأتى على ذلك كله الزمان ، وسوء معاملة من كان يلي أمورهم ، لأنه لم يكن بالشام مدينة أهلها أحسن نعماً من أهل حلب ، فأتى على ذلك كلّه ، وعلى البلد نفسه سوء معاملة علي بن حمدان لهم ، وما كان يراه من التأول في المطالبة .

قلت إلى ذلك أشار أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان في قصيدته التي يقول فيها :

أودى علي بن حمدان بوَفْرِهم ... وقدّرت لهم في ملكه المحن[1]

وكان سيف الدولة علي بن حمّدان قبض أملاك جده سعيد وهي مزرعة تعرف بكَفَر صَفرا من كورة قُورس ، ورحى الدينـاري وأرضهـا السقي والعـذي ، وبستان البُقعة بحلب .

١ ــ ليس في ديوانه ، ط . المطبعة الانسية في بيروت .

عدنا إلى كلام العزيزي قال : وحلب من أجل المدن وأنفسها ، ولها من الكور والضياع ما يجمع سائر الغلات النفسية ، وكان بلد مَعَرّة مَصْرين [1] إلى جبل السُماق بلد التين والزبيب والفستق والسُماق ، وحبة الخضراء (١٠ ـ ظ) يخرج عن الحد في الرخص ، ويحمل إلى مصر والعراق ، ويجهز إلى كل بلد ، وبلد الأثارب[2] والأرتاح إلى نحو جبل السُماق أيضاً ، مثل بلد فلسطين في كثرة الزيتون. ولها ارتفاع جليل من الزيت ، وهو زيت العراق ، يحمل إلى الرَقّة إلى الماء ، ماء الفرات ، إلى كل بلد ، وقد اختل ذلك ونهكه الروم .

فأما خِلَقُ أهلها ، فهم أحسن الناس وجوهاً وأجساماً ، والأغلب على ألوانهم الدرية والحُمرة والسُمرة ، وعيونهم سود وشهل ، وهم من أحسن الناس أخلاقاً وأتمهم قامة وكانت إعتقاداتهم مثل ما كان عليه أهل الشام قديما ، إلاّ من تخصص منهم ، وقبلتهم موافقة لقبلة أهل الشام [3] .

يشير بقوله : وكانت إعتقاداتهم مثل ما كان عليه أهل الشام قديما ، إلى مذهب أهل السنة وكذلك كان مذاهب أهل حلب، حتى هجمها الروم في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، وقتلوا معظم أهلها ، فنقل إليها سيف الدولة من حَرّان جماعة من الشيعة مثل الشريف أبي إبراهيم العلوي وغيره ، وكان سيف الدولة يتشيع ، فغلب على أهل حلب التشيع لذلك .

وقوله : وفي وسطها قلعة على جبل وسط المدينة ، ليس كذلك ، بل القلعة في

١ ـ يرسم الآن بوصل التاء بالميم « معر تمصرين » ، وهي الان مركز ناحية من نواحي محافظة ادلب في سورية ، ويصلها بادلب طريق ترابي طوله « ١٠ » كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٢٥٠ .

٢ ـ تعرف الآن باسم أتارب ، ويصلها بحلب طريق مزفت طوله ٢٩ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٣١٢ .

٣ ـ لم يتم العثور بعد على نسخة من كتاب المهلبي .

طرف المدينة ، وسور المدينة يختلط بسورها ؛ والظاهر أنه شاهد القاعة من داخل المدينة فظنها في وسطها ، ولم يشاهدها من خارج .

وقوله : وشرب أهل حلب من نهر قُويق ، ليس كذلك ، إلاّ من كان بالقرب منه ، أو أنه أراد ما يحمله السّقاؤون في الروايا ، بل الغالب في شرب أهلها من قناة حَيْلان .

وقد أنبأنا أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف عن أبي الفتح بن البَطِّي قال : أخبرنا الحُمَيْدي قال : أخبرنا محمد بن هلال بن المُحَسِّن الصابيء (١١ـ و) وقال: كتب المختار بن الحسن بن بَطْلان المُتطبب كتاباً إلى والدي هلال بن المحسن في سنة أربعين وأربعمائة يذكر له فيها خروجه من بغداد وما دخل من البلاد ، قال فيها : رحلنا من الرُصَافة[1] إلى حلب في أربع مراحل ، وحلب بلد مُسوَّر بحجر أبيض ، فيه ستة أبواب ، وفي جانب السور قلعة في أعلاها مسجد وكنيستان ، وفي أحديهما كان المذبح الذي قرب عليه ابراهيم عليه السلام . وفي البلد جامع ، وست بيع ، وبيمارستان صغير ، والفقهاء يفتون على مذهب الإمامية ، ويشرب أهل البلد من صهاريج فيه مملوءة بماء المطر ، وعلى بابه نهر يعرف بالقويق ، يَمُدّ في الشتاء وينضب في الصيف . وفي وسط البلد دار عَلْوَة صاحبة البحتري . وهو بلد قليل الفاكهة والبقول والنبيذ إلاّ ما يأتيه من بلاد الروم ، وفيها من الشعراء جماعة ، وذكر أبا الفتح بن أبي حَصِينة ، وذكر كاتباً نصرانيا هو صاعد بن عيسى بن سمان ، وذكر أبا محمد بن سنان ، وأبا المشكور[2] .

---

١ ــ هي احدى قرى محافظة الرقة في سورية ، يصلها بالرقة طريق ترابي طوله ٦٠ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٤١٤ .

٢ ــ نشر ديوان ابن أبي حصينة في دمشق ١٩٥٦ ــ ١٩٥٧ ؛ وذكر ابن العديم صاعد بن عيسى في زبدة الحلب ط . دمشق ١٩٥١ ، ١/٢٨٣ــ٢٨٤ ، كما أورد شيئا من شعره ، ولابن سنان ديوان نشر في بيروت سنة ١٣٠٩ هـ ، وأبو المشكور هو من شعراء الخريدة ، قسم شعراء الشام ، ط . دمشق ١٩٥١ ، ١/٤٨ .

ثم قال : ومن عجائب حلب أن في قَيْسارية البَزّ عشرين دُكاناً للوكلاء ، يبيعون فيها كل يوم متاعاً قدره عشرون ألف دينار مستمر ذلك منذ عشرين سنة ، وإلى الآن وما بحلب موضع خراب أصلاً .

قلت : الكنيسة التي أشار إليها (١١ ـ ظ) في القلعة أن فيها مذبح إبراهيم عليه السلام ، هي الآن مقام إبراهيم عليه السلام الأسفل ، والكنيسة الأخرى دثرت ، والمسجد الذي في أعلى القلعة هو مقام إبراهيم عليه السلام الأعلى ، وأما البِيَع الست ، فاثنتان باقيتان أحديهما بالقرب من الزَجاجين إلى جانب مسجد ابن زُريق ، والأخرى بالقرب من الرَحْبة ، والبواقي جعلت مساجد في سنة ثمان عشرة وخمسمائة ، حين حصر الفرنج حلب ، وبعثروا الضريح الذي بمشهد الدّكّة ، ويقال إن به سقطاً للحسين بن علي رضي الله عنه ، وكان يدبر أمر البلدة أبو الفضل ابن الخشاب ، لأن صاحبها تَمرتاش بن إيلغازي بن أُرتُق كان بماردين ، فجعل ابن الخشاب كنائس حلب هذه مساجد ، أحديهما الكنيسة العظمى التي يقال إن هيلانة ملكة القسطنطينية بنتها ، فجعل فيها محراب ، وعرفت بمسجد السراجين ، وهي غربي المسجد الجامع وجعلها نور الدين محمود بن زَنْكي مدرسة لأصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، والأخرى جعلت مسجداً بالحدادين ، فوقفت مدرسة للحنفية أيضاً ، وقفها حسام الدين لاجين وهي مدرسة الحدادين ، والأخرى كانت بدرب الخزاف فهدمها عبد الملك بن المقدم ، وبناها مدرسة للحنفية أيضا ، وأما الرابعة (١٢ ـ و) فلا أعلم بها .(١)

قرأت بخط الحسين بن كوجَك العَبْسي الحلبي في كتاب سيرة المُعتضِد

١ ـ يعرف مشهد الدكة الآن باسم الشيخ محسن ، وتعرف كنيسة القديسة هيلانه باسم المدرسة الحلاوية ، وتعرف المدرسة التي بناها عبد الملك بن المقدم باسم مدرسة التوتون . انظر ، الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ، لمحمد أسعد طلس ، دمشق ١٩٥٦ ، ص ٥٦ ـ ٦٢ ، ٦٧ ـ ٦٨ .

بالله تأليف سنان بن ثابت [1] بن قُرّة ، كتب بها إلى أبي الحسين محمد بن عبد الرحمن الرُوذباري الكاتب ، قال ثابت بن سنان في أول الجزء السادس منها : لما انتهيت إلى هذا الموضع ، أمرني أمير المؤمنين أن أُميزّ معه وبحضرته ما في الخزائن القديمة للسلطان من الدفاتر والآلات النُجومية وغيرها مما يجري مجراها فما كان يصلح للأميرين أبي جعفر وأبي الفضل أيدهما الله عزلته لهما على مارسمه لي فيما رغب في إختياري إياه لهما مما يُشاكل سنهما من كتب الفقه ، وكتب اللغة ، وكتب السير القديمة والقريبة العهد وأخبار الملوك وأيام الناس ، وأخبار الدولة العباسية وأشباه ذلك .

قال : فكان فيما أخرج إلينا صناديق كثيرة فيها كتب أحمد بن الطَيِّب التي كان المُعْتَضد قبضها لما نكبه ، وكنت بها عارفاً ، وقد كنت ميزتها للمعتضد في ذلك العصر وعملت لها فهرستاً ، فمر فيها كتاب بخط أحمد بن الطَيِّب بأخبار مسير المعتضد بالله من مدينة السلام الى وقعة الطواحين وأخبار إنصرافه عنها [2] ،فتتبعته نفسي تتبعاً شديداً لصحته ، وأنه أصل لرجل محصل وبخطه ، وكان وقوع هذا الكتاب في يده قبل وقوعه في يدي ، فبدأني بما كان في نفسي ، فرمى به إلي (١٢ ـ ظ) لأتأمله ، ثم قال لي : أحسب هذا مما سبيله أن تقتصه في الكتاب الذي عملته لمحمد بن عبد الرحمن الرُوذ باري ، فقلت : بل أنسخه فيه حرفاً حرفاً ، فقال : إفعل ، ثم اردده ، فنسخه ثابت من خط أحمد بن الطَيِّب كما قال ، وذكر فيه المنازل الى أنْ ذكر وقال : ورحلنا عن بَالِس [3] ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت منه ، فنزلنا على ميلين من بَالِس على صهريج في أول برية خُساف ، ثم رحلنا عن الموضع سحراً فقطعنا برية خساف الى انقضائها ، وبين بالس وبين انقضاء برية

١ ـ كذا في الأصل سنان بن ثابت ، وهو خطأ صوابه ثابت بن سنان ، وقد صححه ابن العديم في سياق الخبر في السطر التالي .

٢ ـ انظر أحداث سنة ٢٨٧ في تاريخ الطبري ، ط القاهرة ـ دار المعارف ـ ١٩٦٩ ، ١٠/٧٩ ـ ٨١ .

٣ ـ بالس هي بلدة مسكنة الحالية ، ويصلها بحلب طريق مزفت طوله ٩٠ كم ، انظر التقسيمات الإدارية ، ٣٩٥ .

خساف خمسة عشر ميلاً بأميال العراق ، وفيها قرى خراب ، ثم يوجد بعد هذه الخمسة عشر ميلا ماء نزر قليل ينصب من ُقني من حد حلب ، حتى ينتهي الى هذا الموضع قليلا يسيراً ، وفي هذا الموضع يجري إليه الماء من قرية لمحمد بن العبَّاس الكِلابي ، تعرف بقرية الثلج ، كانت المنزل ذلك اليوم ، والقُني في هذه القرية غزيرة كثيرة الماء ، قد سيقت من نهر حلب من نهر ُقويق من موضع الى موضع حتى انتهى إليها ، ثم الى الموضع الذي ذكرناه على رأس برية خُسَاف ، وبين بالِس وبين قرية محمد بن العبَّاس الكلابي ثلاثة وعشرون ميلا ، تكون سبعة فراسخ وميلين •

قلت هكذا ذكر أحمد بن الطيِّب ؛ وقد أخطأ في موضعين أحدهما قوله : ينصب من قنّي من حد حلب ، والآخر في قوله : والقني في هذه القرية (١٣ — و) غزيرة كثيرة الماء ، قد سيقت من نهر حلب ، من نهر قُويق ، فإن حـدّ حلب ونهر قُويق بعيد من هذا المكان ، يكون مقدار ستة فراسخ من جهة الغرب ، وهذه القني تأتي من جهة الشمال ، لكن الماء في هذه المواضع التي ذكرها وفي قرى تأتي بعد ذلك فيما بين هذه المواضع وبين الناعورة ، قد حفر له جباب الى منبع الماء ، ومنبع الماء قريب في تلك الارض كلها ، ثم خرق بعض الجباب إلى بعض إلى أن ينتهي الماء إلى أرض يتسلط عليها ، فيسقي أرض تلك القرية ، وهذه القرية التي أشار إليهـا أظنها تعرف الآن بالكِلابية •

قال ابن الطيِّب : ورحلنا عن هذا الموضع يوم الأحـد لثلاث عشـرة ليلـة بقيت منه ، فنزلنا منزلاً يعرف بالناعوره ، بينه وبين المنزل الذي كنا نزلناه ثمانية أميال ، تكون فرسخين وميلين وفيه قصر لمَسْلَمة بن عبد الملك من حجارة صلدة ليس بالكبير ، وماؤه من العيون التي ذكرناها •

قلت : هذا القصر كان مبنياً من الحجارة السود الكبار المنحوتة ، وأدركت أنا قطعة منه ، وهو برج من أبرجة القصر ، وقد انهدم الآن ، وتقسمت حجارته إلاّ القليل منه •

قال ابن الطيِّب : ورحلنا غداة يوم الاثنين لإثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الآخر ، فنزلنا مدينة حَلَب في وقت ارتفاع النهار من هذا اليوم ، وبين المنزلين ثمانية أميال (١٣ ــ ظ) تكون فرسخين وميلين ، وأقمنا بحلب إلى إنقضاء يوم الأربعاء لليلة خلت من رجب .

قال : وعلى حَلَب سور محيط بها وبقلعتها ، كانت الروم بنته ، وبنت الفرس بعضه أيام أنُو شُروان ، والقلعة على جبل مشرف على المدينة ، وعليها سور ، وعليها بابا حديد واحد دون الآخر ، وفي وسطها قد حفر إلى الماء يُنزل إليه على مائة وعشرين مرقاه ، قد خرقت تحت الأرض خروقاً ، وصيرت آزاجا ، ينفذ بعضها الى بعض الى ذلك الماء ، وفيها دير للنصارى ، وفيه امرأة قد سدَّت الباب عليها في وجهها منذ سبع عشرة سنة . ثم ينحدر السور إلى المدينة من جانبي القلعة . ولها ستة أبواب ، تُعرف : بباب العراق ، وباب قِنسرين ، وباب أنطاكية ، وباب الجنان وباب اليهود ، وباب أربعين ، وهو مما يلي القلعة ، ومن جانبها الآخر باب العِراق .

وشرب أكثر أهل حلب من ماء قُويق ، لأنه يجري إلى أبواب الجنان وأنطاكية وقِنَّسرين ، وقُدّام باب أنطاكية رَبَض يعرف برَبَض الدارين في وسطه قنطرة على قُويق ، كان محمد بن عبد الملك بن صالح بناه ، أعني الرَبَض ، ولم يستتمه ، واستتمه سيما الطويل ، ورم ما كان استهدم منه وصيَّر عليه باب حديد حذاء باب أنطاكية ، أخذه من قصر لبعض الهاشميين بحلب ، يسمى قصر البنات (١٤ ــ و) : ويسمى الباب باب السلامة .

قلت والقصر قد كان في الدرب المعروف بدرب البنات بحلب ، بالقرب من الصناديقيين ، وشرقي الدارين بستان ، يعرف ببستان الدار من شمالي ميدان باب قِنِّسرين ، وهو الآن وقف على المدرسة النورية الشافعية المعروفة ببني أبي

غُضْرونْ (1) ، وهو منسوب الى إحدى الدارين اللتين ذكرهما أحمد بن الطَّيِّب •

قال ابن الطَّيِّب : وشرب أهل باب أربعين ، وأهل باب اليهود ، وأهل الأسواق من عيون تجري على وجه الأرض مقدار أربعة فراسخ في موضع هو أعلى من حلب، ثم تجري على باب اليهود على وجه الأرض ، وتسقي بساتين الدور هناك سيحاً ، ثم يكون ماوراء هذا الموضع من حلب أسفل منه فقد عُدل بعبَّارة بنتها الروم في الطريق ، يجري الماء عليها ، فهو في السوق ، وإنما بينه وبين باب أربعين ربع ميل على عشرة أذرع من الأرض •

قلت : يريد بالعيون المذكورة قناة حلب الآتيه من حَيْلان ، وهي تسقي داخل باب الأربعين بُستاناً بطل ، وبني دوراً ، وتسقي بستان اليهود بباب اليهود الذي هو وقف على الكنيسة •

قال : وقُويق نهر يأخذ من وادٍ على أربعة فراسخ من حَلَب مما يلي جبلاً يتصل بوادي العَسَل •

قلت : وادي العَسَل غربي مدينة حَلب ، ونهر قُويق يأتي إلى حَيْلان ، ثم يجري في الوادي بين جبلين ، لايتصل بوادي العسل • (١٤ - ظ) •

وقال أبو إسحق إبراهيم بن الحسن بن أبي الحسن الزَّيَّات الفيلسوف في كتاب نزهة النفوس وأنس الجليس : ذكر مدينة حلب،وهيفي الإقليم الرابع قريباً من أنطاكية ، وبها ينزل الوُلاة العِزَام(٢) ، وهي عامرة ، أهلها كثير ، وبعدها عن خط المغرب ثلاثة وسبعون درجة ، وعن خط الإستواء خمسة(٣) وثلاثون درجة •

وقرأت في كتاب جُغْرافيا تأليف ابن حَوْقَل النَّصيبي ، وهو كتاب حسن في

---

١ - ماتزال تعرف باسم المدرسة العصرونية ، انظر الآثار الاسلامية والتاريخية في حلب ، ٢٢٦ - ٢٢٨ •

٢ - انظر القاموس مادة عزم •

٣ - كذا في الاصل والوجه خمس •

بأبه ، قال : حلب وهي مدينة جُنْد قِنَّسرين ، وكانت عامرة جداً غاصة بأهلها ، كثيرة الخيرات على مدرج طريق العراق إلى الثغور وسائر الشامات ، إفتتحها الروم ، وكان لها سور من حجارة لم يغن عنهم من العدو شيئاً ، بسوء تدبير سيف الدولة وما كان به من العِلَّة ، فأخرب جامعها ، وسبى ذراري أهلها ، وأحرقوها ، وكان لها قلعة غير طائلة ولا حسنة العمارة ، لجأ إليها قوم من أهلها فنجوا ، ونَقَل ما بها من المتاع والجهات [1] للسلطان وأهل البلد وسبى بها ، وقتل من أهل سوادها ما في إعادته إرماض لمن سمعه ووهن على الإسلام وأهله .

وكانت لها أسواق حسنة وحمامات وفنادق ومحال وعراص فسيحة ، ومشايخ وأهل جلَّة ، وهي الآن كالمتماسكة .

ولها وادٍ يعرف بأبي الحسن قُوَيق ، وشرب أهلها منه ، وفيه قليل طَفَسٍ [2] ولم تزل أسعارها في الأغذية وجميع المآكل قديماً واسعة رخيصة .

وعليهم الآن للروم في كل سنة قانون يؤدونه وضريبة تستخرج من كل دار وضيعة معلومة ، وكأنهم (١٥ ـــ و) معهم في هُدنة ، وليست وإن كانت أحوالها متماسكة وأمورها راجية بحال جُزءٍ من عشرين جزءاً مما كانت عليه في قديم أوانها وسالف أزمانها .

أشار ابن حوقل إلى فتح الروم لها وتخريبها في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة وفي ذكر الضريبة التي تؤدّى إلى الروم في كل سنة إلى ما قرره قَرْعُويه السيفي

---

١ ـــ طبع كتاب ابن حوقل باسم صورة الارض ، وفي المطبوع ـــ ط . بيروت دار الحياة ص ١٦٣ : ونقل بها من المتاع والجهاز للسلطان وأهل البلد ، وهو تصحيف لان ما عناه ابن حوقل هو : ونقل الروم ما في حلب وفي الجهات من المتاع للسلطان وأهل البلد .

٢ ـــ في القاموس الطَفِس قذر الانسان . . . وهو طفس قذر نجس .

مع الروم من الأتاوة التي تؤدى في كل سنة عن حلب إلى الروم ، وليس هذا موضع ذكرها[1] .

وقال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفارسي الإصطخري في كتاب صفة الأقاليم: وأما جند قِنسّرين ، فإن مدينتها قنسرين ، غير أن دار الإمارة والأسواق ومجامع الناس والعمارات بحلب .

قال : وهي عامرة بالأهل جداً ، على مدرجة طريق العراق إلى الثغور ، وسائر الشامات[2] .

سمعت أبا عبد الله محمد بن يوسف بن الخضر يقول : بلغني أن حلب كانت من أكثر المدن شجراً ، فأفنى شجرها وقوع الخلف بين سيف الدولة والإخشيد على ما نذكره ، فإن كل واحد منهما كان ينزل عليها ويقطع شجرها ، فإذا أخذها جاء الآخر وفعل مثله .

وأخبرني مكّي بن هرون بن صالح الكَفَرْ بلاطي وكان من كفر بلاط من نُقْرة بني أسد قال : أخبرني هرون عن أبيه صالح يأثره عن سلفه أن الناس كانوا يمشون من مقام إبراهيم عليه السلام الذي على سطح جبل نوائل إلى زُبيدة ، وهي قرية على طرف جبل الأحص ، وهي مشرفة على النُقْرة ، في ظلال شجر الزيتون ، والدليل على صحة ما ذكره أنه ما من قرية في نُقْرة بني أسد إلا وفيها أثر معصرة للزيت والحجر الذي كان يعصر بها .

* * *

١ ــ انظر زبدة الحلب ١/١٦٣ــ١٦٨ .
٢ ــ انظر المسالك والممالك للاصطخري ، ط . القاهرة ١٩٦١ ، ص ٤٦ .

باب في ذكر قنسرين وتسميتها بهذا الاسم ومعرفة من بناها

قد ذكرنا فيما تقدم أن إسم قِنَّسرين كان أولاً صُوبا[1] ، فسميت بعد ذلك قنسرين ، وصوبا بالعبرانية ، قيل إن اسمها في التوراة كذلك ، ويقال فيها قِنَّسرون أيضاً ، ويقال بفتح النونَ بعد القاف وكسرها .

وقرأت بخط محمد بن يوسف بن المُنيرة في حرفية اشتقاق أسماء البلدان : قِنَّسرين من قولهم للشيخ قِنَّسري ، وقيل نزل بها رجل يقال له مَيْسَرة ، فقال : ما أشبه هذه بقُنّ نَسْرين ، فبني منه اسماً للمكان .

وقال محمد بن سهل الأحْول في كتاب الخراج : قِنَّسرين سميت برجل من قيس يقال له مَيْسَرة ، وذلك أنه مرّ به رجل فقال له : ما أشبه هذا الموضع بقُن نَسْرين ، فسميت بذلك .

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد الأوقي بالبيت المقدّس قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر (١٥ ــ ظ) أحمد بن محمد بن إبراهيم السِّلَفي الأصفاني قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن المسبح قال : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن سعيد الحَبال قال : أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن منير الخشّاب قال : أخبرنا علي ابن أحمد بن إسحق البغدادي قال : أخبرنا الوليد بن حماد الرملي قال : أخبرنا الحسين بن زياد عن أبي إسماعيل محمد بن عبد الله البَصْري قال : وحدثني الحسين

١ ــ اي Aram Zobah أو (Sobah) انظر مادة A'RAM في Cyclopaedia of Bublical Literature, by John Kitto, Edinburgh, 1858 .

ابن عبد الله قال : ثم إن أبا عُبيدة دعا مَيْسرة بن مَسْرُوق فسرحه في ألفي فارس، فمر على قِنَّسرين فأخذ ينظر إليها في الجبل ، فقال : ما هذه ؟ فسميت له بالرومية ، فقال : إنها لكذلك ، والله لكأنها قن نسر .

وقال أبو بكر الأنباري : قِنَّسرون أخذت من قول العرب رجل قِنَّسري ، أي مُسن ، وأنشد للعَجَّاج :

أطَرباً وأنت قِنَّسريٌّ(١) والدهر بالانسان دَوّاريُّ

وأنشد غيره :

وقنسرته أمور فاقسأن لها وقد حنى ظَهْره دهرٌ وقد كبرا

وقال أبو بكر بن الأنباري : وفي إعرابه وجهان يجوزان تجريها مجرى قولك الزَّيْدُون ، فتجعلها في الرفع بالواو فتقول : هذه قِنَّسرون ، وفي النصب والخفض بالياء ، فتقول مررت بقِنَّسرين ودخلت قنسرين ، والوجه الآخر أن تجعلها بالياء على كل حال ، وتجعل الإعراب في النون ، فلا تصرفها .

وقال أبو القاسم الزجاجي : هذا الذي ذكره ابن الأنباري من طريق اللغة ، ولم يسم البلد كما ذكر ، ولكنه روى أنها سُميت برجل من عبس يقال له مَيسرة وذلك أنه نزلها فمر به رجل فقال : ما أشبه هذا الموضع بقِنَّسرين فبني منه اسم للمكان،فقيل قِنَّسرين بفتح النون من قِنسرين .

وذكر عبد الله بن علي بن عبد الله بن علي اللَخْمي ثم الرُشَاطي في كتاب إقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار قال : قال آخرون: دعا أبو عبيدة مَيْسَرَة بن مَسْرُوق القيسي فوجهه في ألف فارس ، في أثر العدو

---

١ ـ صحف الى قيسري في المطبوع من كتاب الصحاح للجوهري ـ ط . دار الكتاب العربي بمصر ـ مادة قسر ٧٩١/٢ .

فمر على قِنَّسرين ، فجعل ينظر إليها ، فقال : ما هذه ؟ فسميت له بالروميه ، فقال : والله لكأنها قنسرين فسميت قنسرين بذلك[1] .

قال الرُّشاطي : فهذا الخبر يدل على أن قِنَّسرين إسم مكان آخر عرَّفه مَيْسَرة القَيْسي ، فشبه به هذا ، فسمي به .

قلت : وهذا وهم من الرُّشاطي ، وقد تصحف عليه قِن نَسرين ، أو قن نسر ، على ما ذكرناه بقِنَّسرين ، فقال ما قال ، ولعله بلغة أن حيار بني القَعْقَاع يقال لها قِنَّسرين أيضاً ، فوقع في هذا الوهم ، ولا يمكن الإعتداد بذلك ، فإن من ذهب إلى ذلك جعل مدينة قِنَّسرين هي قنسرين الأولى ، وحِيار بني القعقاع هي قنسرين الثانية ، فلا يمكن تشبيه الأولى بالثانية .

أخبرنا أحمد بن عبد الله ين عُلوان قال : أخبرنا القاضي أبو البركات محمد بن (١٦ ــ و) حمزة العرقي إجازة قال : وأخبرنا أبو محمد عبد الدائم بن عمر بن حسين سماعاً منه قال : أخبرنا أبو البركات بن العرقي قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن جعفر المعروف بابن القطاع قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن البِر اللغوي قال : أخبرنا أبو محمد إسماعيل بن محمد النيسابوري قال : أخبرنا أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قال : وقِنَّسرون بلد بالشام ، بكسر القاف والنون مشددة تكسر وتفتح ، وأنشد ثَعْلَب بالفتح هذا البيت لعِكرشَة العبسي :

سقى الله فِتْياناً ورائي تركتهم بحاضر قِنَّسرين من سَبَل القَطْرِ

قال : والنسبة إليه قِنَّسري ، وإن شئت قِنَّسريني[2] .

وقع إلي كتاب ألَّفه أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المُنادي سماه الحافظ لمعارف حركات الشمس والقمر والنجوم في آفاقها والأقاليم وأسماء

---

١ ــ هناك نسخة ناقصة فريدة من هذا الكتاب في مكتبة القرويين في فاس .
٢ ــ الصحاح للجوهري ط . دار الكتاب العربي بمصر ، مادة قسر ٢/٧٩١-٧٩٢

بلدانها في سياقها ، وهو مسموع عليه ، وأحسبه بخطه ، فقرأت فيه : حدثنا جدي رحمه الله قال : حدثنا روح بن عُبادة قال : حدثنا أشعث وسعيد جميعاً عن الحسن أنه قال : الأمصار : المدينة ، والشام ، ومصر ، والجزيرة ، والكوفة ، والبصرة ، والبحرين .

قال ابن المُنادي : وحدثني جدي قال : حدثنا روح قال : حدثنا سعيد عن قَتَادة أنه كان يجعلها عشرة : المدينة ، ومصر ، والكوفة ، والبصرة ، ودمشق ، والجزيرة ، وحمص ، والأردن ، وفلسطين ، وقِنَّسرين .

وقال ابن المُنادي : الشامات خمس كور : الأولى قِنَّسرين ، ومدينتها العظمى حَلَب ، وقنسرين أقدم منها ، وبينهما أربع فراسخ ، وبها آثار الخليل عليه السلام (١٦ ـ ظ) ومقامه ، وقد نزلها أكابر الملوك كبني حمدان وغيرهم .

قال : ومن رُسْدَاقها (١) مَنْبِج ، وهي مدينة قديمة .

وذكر ابن حَوْقَل النَّصيبي في كتابه قال في ذكر جند قِنَّسرين : هي مدينة تنسب الكور إليها من أضيق النواحي بناء وإن كانت نزهة الظاهر ، معونة في موضعها لما كان بها من الرخص والسعة في الأسعار والخيرات (٢) والمياه ، اكتسحها الروم ، فكأنها لم تكن إلا بقايا دِمَن ، وجميع جُند قِنَّسرين أعذاء ، وشربهم من السماء ، وهي مدينة كثيرة الخير والسعة ، وبها الفُسْتق والتين وما شاكل ذلك .

قوله : وشربهم من السماء ، يعني ضواحي قِنَّسرين وقراها ، أما المدينة نفسها فقُويق يمر بجانبها وكانت القناة من بركة عين المُبارَكة بقرب حلب يأتي ماؤها إلى مدينة قِنَّسرين ، وكانت القناة قد سيقت في لحف الجبل عند الوُضَيْحي إلى

---

١ ـ في المعرب للجواليقي ، ط . القاهرة ١٣٦١ ، ص ١٥٨ ، وكان الفراء يقول : الرسداق : الرستاق . وفي القاموس الرزداق ـ الرسداق ، الرستاق ـ السواد والقرى معرب رستا ، ورستاق في فارسية يومنا قرية .

٢ ـ كتب ابن العديم فوقها ح يعني حاشية ، ووضع في الحاشية : والحيوان نسخة ، وفي المطبوع ص ١٦٤ ، مثل ما جاء في المتن .

صَلْدي ، ثم سيقت تحت الأرض إلى أن انتهت الى القناطر ، وهي قرية من عملها ، فعقدت لها قناطر رفيعة ، ورفع ماء القناة فوقها الى أن انتهى الى مكان مرتفع ، فسيقت تحت الأرض إلى مدينة قِنَّسرين ، فكان شرب أهل قنسرين منها ، وأدركت أنا معظم أسوارها ، وبعض أسوار قلعتها ، وأبواب مدينتها قائمة •

وكان سليمان بن قُطُلْمِش بعد قتله مُسْلم بن قريش قد استولى على قنسرين وعمر قلعتها وتحصن فيها ، وحصر حلب ، فاتفق ما اتفق من قتله على ما نذكره في ترجمته[1] ، فخربت قلعة قنسرين مع المدينة ، وأخذ الناس حجارتها لعمائرهم ، وسكورة الأرحاء •

وبنى محمود بن زَنْكي أولاً خان قنسرين منها ، وزاده أتابك طُغْرِل الظاهري ثانياً •

ونُقل من عمد المدينة إلى حلب شيء وافر ، ونقل أيضاً من حجارتها إلى الجسر الذي جدده (١٧ ـ و) سيف الدين علي بن سليمان بن حُدر في الوطاة ، ورصفه بالحجارة ، وفي الخان الذي جدده بتل السُلطان ، فتداعت أقطارها ، وأمحت أثارها ، ولم يبق منها اليوم غير قرية قنسرين يسكنها الفلاحون والأكره ، ويرى من شاهد آثارها فيها معتبره •

وقال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الإصطخري في كتاب صفة الأقاليم : وقنسرين مدينة تنسب إليها الكور ، وهي من أضغر المدن بها[2] •

وقرأت في بعض كتبي من تواريخ القدماء ، ولم يُسم القائل أن سَلوقُوس ، وهو الملك الأول بعد الاسكندر بنى فامية ، وحلب ، وقِنَّسرين ، وقد ذكرت ذلك ، والله أعلم •

١ ـ انظر : S. ZAKKAR. The Emirate of Aleppo, PP. 213 — 15.
٢ ـ المسالك والممالك ، ٤٦ ، وفيه : الكورة •

قلت : ويقال لقنسرين هذه قنسرين الأولى ،كذا ذكره ابن الطَّيِّب وابن واضح وقال ابن واضح : وقنسرين الثانية ، هي حِيار بني القعقاع •

وقال ابن الطيب السرخسي في رحلة المعتضد : ورحل الأمير نحو قنسرين الأولى وقنسرين مدينة صغيرة لأخي الفُصَيص التَنُوخي ، وعليها سور ، ولها قلعة ، وسورها متصل بسور سائر المدينة •

وقال ابن واضح : وكورة قنسرين الأولى ، وهي مدينة على جادة الطريق الأعظم ، وبها قوم من تَنوخ •

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البَلْخي في كتاب صورة الأرض والمدن: وقنسرين مدينة تنسب الكورة إليها ، وهي من أخصب المدن •

وقال أيضاً : وأما جند قنسرين ، فإن مدينتها قنسرين ، غير أن دار الإمارة والأسواق ومجامع الناس والعمارات بحلب[1] • (١٧ ــ ظ) •



١ ــ لم يعثر بعد على نسخة من كتاب البلخي في الجغرافيا •

باب في فضل قنسرين

واعلم أن لحلب من هذه الفضيلة الحظ الأوفر والنصيب الأكثر ، لان ذكر قِنَّسرين في الغالب عند الإطلاق ينصرف إلى جُند قنسرين ، فيتناول ناحيتها ، وقد بينا فيما تقدم أنّ قصبتها حلب ، وأنها المدينة العظمى ، فشاركتها في هذه الفضيلة المذكورة .

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي فيما أذن لنا فيه قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي زيد بن حَمَد الكراني ، وأبو جعفر محمد بن إسماعيل الطَرَسُوسي قالا : أخبرنا محمود بن إسماعيل الصَيْرَفي قال : أخبرنا أبو الحسين بن فاذشاه ، قال الطرسوسي : وأخبرنا أبو نَهْشَل العنبري قال : أخبرنا أبو بكر بن رِيْذَة قالا : أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطَبَراني قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال : حدثنا الحسين بن حُرَيث قال : حدثنا الفضل بن موسى عن عيسى بن عُبيد عن غَيْلان بن عبد الله العامري عن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير عن جرير عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله عز وجل أوحى إلي أيَّ هؤلاء الثلاث نزلت فهي دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قِنَّسرين »[1] .

وأخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِنْديّ إذناً ، وأبو محمد عبد العزيز (١٨ ـ و) ابن الأخضر مُكاتبة قالا : أخبرنا أبو الفتح عبد الملك بن أبي القاسم الكَروخي قال : أخبرنا أبو عامر محمود بن القاسم الأزدي قال : أخبرنا عبد الجبار ابن محمد الجَراحِي قال : أخبرنا محمد بن أحمد المَحْبُوبي قال : أخبرنا أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي الحافظ قال : حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث قال :

١ ـ انظره في كنز العمال : ١٦/٤٦٢٤٢ .

حدثنا الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غيلان بن عبد الله العامري عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير عن جرير بن عبد الله البجلي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أوحى إلي أي هؤلاء الثلاثة نزلت فهي دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قنسرين » .

قال أبو عيسى الترمذي : غريب لا نعرفه إلاّ من حديث الفضل بن موسى ، تفرّد به أبو عمار[1] . وقد تابع أبا عمار الحسين بن حُرَيث جعفر بن محمد الخراساني ، فرواه عن الفضل بن موسى السِّيْنَاني .

أخبرناه شيخنا الزاهد الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن عُلوان الأسدي الحلبي مُشافهة قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي قال : أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مُقاتل قال : أخبرنا جدي أبو محمد قال : حدثنا أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم قال : حدثنا أبو القاسم حمزة بن عبد الله ابن الحسن الأديب بأطرابلس قال : حدثنا القاضي أبو نصر محمد بن محمد بن عمرو (١٨ ـ ظ) النيسابوري قال : حدثنا محمد بن إبراهيم بن نيروز الأنماطي قال جعفر ابن محمد الخراساني قال : حدثنا الفضل بن موسى عن عيسى بن عبيد عن غَيْلان ابن عبد الله العامري عن أبي زُرْعَة عن جرير بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله أوحى إليّ أيّ هؤلاء نزلت فهي دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قِنَّسرين » .

وقد تابع الفضل بن موسى السِّيْنَاني علي بن الحسن بن شَقيق فرواه عن عيسى بن عبيد الكِنْدي عن غَيْلان بن عبد الله العامري .

أخبرناه زين الأمناء أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بدمشق قال :

---

١ ـ جامع الترمذي مع شرحه تحفة الاحوذي ، ط . مصورة من قبل دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٣٧٥/٤ ، باب ما جاء في فضل المدينة .

أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي إجازة ، إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفَراوي ، ح .

وأخبرنا المؤيد بن محمد الطُوسي ، وزينب بنت الشَعري في كتابيهما إلي من نيسابور عن أبي عبد الله الفَراوي ، ح .

قالت زينب : وأنبأنا أبو المظفر القُشَيري قال : أخبرنا أبو بكر البَيْهَقي قال: أخبرنا أبو عبد الله الحافظ إملاءً قال : أخبرنا أبو العباس القاسم بن القاسم السَيَّاري بمرو قال : أخبرنا إبراهيم بن هِلال قال : حدثنا علي بن الحسن بن شَقيق قال : حدثنا عيسى بن عُبَيد الكِنْدي عن غَيْلان بن عبد الله العامري عن أبي زُرْعَة بن عمرو بن جرير عن جرير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الله (١٩ ــ و) تبارك وتعالى أوحى إليّ أيّ هؤلاء البلاد الثلاث نزلت فهي دار هجرتك : المدينة ، أو البحرين ، أو قِنَّسرين » .

قال أبو عبد الله الحاكم في المُستدرك على الصحيحين : هذا حديث صحيح الإسناد ، ولم يُخرِجاه[1] . (١٩ ــ ظ) .★

* * *

★ ــ كتب ابن العديم في نهاية الجزء الثاني هذا سماعا نصه : قراءة بدر الدين عبد الواحد :.

١ ــ المستدرك ٣/٢ــ٣ وقد صححه الذهبي ايضا .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـه توفيقي

باب في ذكر أنطاكية وتسميتها بهذا الاسم ولقبها ومعرفة من بناها وما قيل فيها

وهي من الإقليم الرابع أيضا ، وكانت دار الملك للروم ، إلى أن كانت وقعـة اليرموك ، ونصر الله المسلمين فلم تقم للروم راية بعدها ، فانتقل الملك عن أنطاكية الى القسطنطينية ، ولما انفصل هرقل عنها ، وخرج طالبا القسطنطينية ، التفت نحو الشام عندما جاوز الدرب وقال : عليك ياسوريـة السلام ، وسوريـة هي الشام الخامسة ، وأنطاكية منها ، وقد ذكرنا أن في طرف الأحص مدينة خربة يقال لهـا سوريـة •

وأنطاكية أعجمية معرّبة ، قيل إنها بتشديد الياء ، وقيل بالتخفيف ، واسمها بالرومية أنطوخيا [1] •

أخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسين الكندي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي قال : في كتابه : فيما تلحن فيه العامة ، ومما يشدد ، والعوام تخففه ، قال : وأنطاكية بتشديد الياء •

وقال أبو منصور في كتابه المُعرّب : وأنطاكية اسم مدينة معروفة ، مشدّدة

---

١ ــ أي : Antiochia

الياء ، وهي أعجمية مُعرّبة ، وقد تكلمت بها العرب قديما ، وكانوا إذا أعجبهم عمل شيء نسبوه اليها . قال زهير :

علون بأنطاكيـــة فـــوق عقمـــة

وراد الحواشي لونها لون عندم [1] (٢٠ ــ و)

قلت : والمشهور من شعر زهير :

وعالين أنماطا عتاقا وكلـة وراد الحواشي ......

البيت . وقد جاء في رواية ، كما ذكره أبو منصور .

أنبأنا زيد بن الحسن قال : أخبرنا أبو الفضل بن ناصر قال : أخبرنا أبو زكريا التبريزي قال : أخبرنا أبو محمد الدهان اللغوي قال : أخبرنا علي بن عيسى الرماني عن ابن مجاهد القاريء عن أبي العباس ثعلب ، ح .

وقال ابن ناصر : وأخبرنا الحميدي سماعا من لفظه قال : أخبرنا الشيخ أبو غالب أحمد بن محمد بن سهل النحوي الواسطي قال : قرأت على أبي الحسين بن دينار قال : أخبرنا أبو بكر بن مقسم قال : حدثنا أبو العباس ثعلب وأنشد بيت زهير .

وعالين أنماطا عتاقا وكلـة وراد الحواشي لونه لون عندم

وقال : ويروى :

علون بأنطاكيـة فوق عقمـة وراد الحواشي لونه لون عندم

وقال في تفسيره : أنطاكية أنماط توضع على الخدور ، نسبها الى أنطاكية ، قال : وكل شيء عندهم من قبل الشام فهو أنطاكي [1] .

قلت : وقال كثير بن عبد الرحمن الخزاعي :

---

١ ــ كتاب تكملة اصلاح ماتغلط فيه العامة ، ٥٣ .
٢ ــ انظر شرح ديوان زهير لثعلب . ط . دار الكتب ١٩٤٤ ، ص ٩ــ١٠ .

أهاجتك سعدى إذ أجد بكورها   وحفت بأنطاكي رقم خدورها [1]

وذكر أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري في اللامع العزيزي ، قيل: انما سميت أنطاكية ، لان الذي بناها يقال له أنطيخنوس الملك (٢٠ ــ ظ) ولاشك أن لفظها قد عرب بعض التعريب ، فلو أنها عربية لوجب أن تكون من النطك ، ولم يذكر ذلك أحد من الثقات .

قال أبو العلاء : أنطاكية بلد قديم ، وقد ذكرته العرب في أشعارها ، وقيل انهم كانوا يقولون لمن جاء من الشام ، ولما جلب من متاعه أنطاكي ، ومنه قول امرىء القيس :

علون بأنطاكية فوق عقمة   كجرمة نخل أو كجنة يترب [2]

أي بثياب أنطاكية .

قال السكري : وهي قرية من قرى الشام ، ويقال لكلما يأتي من الشام أنطاكي

وقرأت في كتاب أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري ، كتاب معجم ما استعجم في ذكر ما جاء في أشعار العرب من الاماكن ، قال : أنطاكية بتخفيف الياء ، مدينة من الثغور الشامية معروفة ، قال اللغويون كل شيء عند العرب من قبل الشام ، فهو أنطاكي ، قال زهير :

وعالين أنطاكية فوق عقمة   وراد الحواشي لونه لون عندم [3]

وقد وجدت بخط علي بن حمران في ديوان شعر زهير هذا البيت ، وكتب بخطه نسبها الى أنطاكية ، وكتب فوقها خف ، وذكر أنه نقله من أصل أبي الحسين علي بن محمد بن دينار ، وهي مقابلة بنسخة أبي الفتح جُخْجح ، وذكر أنه

---

١ ــ انظر ديوان كثير ط . ببيروت ١٩٧١ ، ص ٣١٢ ، وفيه (.. سلمى أم ..) .
٢ ــ ديوانه ، ٤٣ ، وفيه يشرب .
٣ ــ انظر معجم ما استعجم ، ط . القاهرة ١٩٤٥ ، مادة أنطاكية ، ٢٠٠/١ .

قابلْ بها كتاب أبي عمر القطربلي ، وكتاباً بخط أبي موسى الحامض ، ونسخة بخط أبي الحسن محمد بن محمد الترمذي ، ونقوله من أصل أبي بكر بن مجاهد ، وذكر أبو الفتح أنه قابل (٢١ ـ و) نسخته بأصل ابن الخياط ، وقابل أيضا بأصل أبي سعيد بخطه ، قال ابن حمران : وقرأته على أبي أحمد عبد السلام البصري ، وسمعته يقرأ على أبي الحسن علي بن عيسى صاحب أبي علي •

وقال الحسن بن أبي الخصيب الكاتب في كتاب الكارمتهر في علم أحكام النجوم : أقسام الأرض أربعة ، أولها أنطاكية وناحية المشرق ، لها من البروج السرطان والاسد والعذراء ومن السبعة الشمس والمشتري •

وقرأت في تاريخ أبي الثناء حماد بن هبة الله بن حماد الحراني ، بحران ، قال : وقيل ان ابراهيم عليه السلام قال : أخبرني ربي ان أول مدينة وضعت على وجه الارض حران ، وهي العجوز ، ثم بابل ، ثم مدينة تيونه ، ثم دمشق ، ثم صنعاء اليمن ، ثم أنطاكية ، ثم رومية •

وهذا خلاف ما يأتي من أن بنائها كان بعد موت الاسكندر •

قرأت بخط محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي الحافظ : أنطاكية تسميها النصارى مدينة الله ، ومدينة الملك ، وأم المدن ، لانها أول بلد ظهرت فيه النصرانية ، وبها كرسي باطره ، وهو المقدم على التلاميذ ، وهو سمعون [1] ، وقيل انه هو الذي ابتدأ بنيان الكنيسة بأنطاكية ، التي تسمى القسيان •

وقرأت بخط الشريف ادريس بن حسن بن علي الادريسي المؤرخ ما ذكر أنه نقله من تاريخ أنطاكية لبعض النصاري ، أقلو ذنوس ملك ثلاثة عشر [2] سنة

---

١ ـ أي Simeon , Peter . انظر Downey, History, of Antioch. 281 — 284.

٢ ـ كذا بالأصل وصوابه « ثلاث عشرة سنة » .

وتسعة أشهر ، وسمي المؤمنون بالمسيح ـ يعني في أيامه ـ بأنطاكية نصارى ، ومنها كان ابتداء النسبة وانتشر هذا الاسم في سائر البلاد [1] .

وذكر في هذا التاريخ يوسطليانوس ملك تسعا وثلاثين سنة ، وفي السنة (٢١ ـ ظ) الثالثة من ملكه خسف بأنطاكية . وأبصر رجل قديس في نومه قائلا يقول له : تكتب على أبواب المدينة ، الله معنا ، ومن ذلك اليوم دعيت مدينة الله .

وقرأت في بعض تواريخ المسيحية ان مقام الروم بأنطاكية ـ وكانوا يدعونها مدينة الله ، ومدينة الملك ، وأم المدن ، وانما قيل لها أم المدن ، لانها أول بلد ظهر فيه دين النصرانية ، وسميت مدينة الله ، لانه خسف بها في السنة الثالثة من مملكة يوسطليانوس الرومي ، وأبصر رجل صالح في نومه قائلا يقول : يكتب على أبواب المدينة ، الله معنا ، فدعيت من ذلك اليوم مدينة الله [2] .

وأما معرفة من بناها ★

فقرأت بخط يحيى بن جرير التكريتي في كتابه الذي ضمنه أوقات بناء المدن ، وقد قدمنا ذكره قال : بعد دولة الاسكندر وموته باثنتي عشرة سنة بنى سلوقس اللاذقية ، وسلوقية وأفامية ، وباروا وهي حلب وإذا سا وهي الرها ، [3] وكمل بناء أنطاكية ، وكان بناها قبله ، أعني أنطاكية ، أنطيغنوس في السنة السادسة من موت الاسكندر .

---

١ ـ امتدحكم Claudius من سنة ٤١م حتى سنة ٥٤م ، ويذكر داوني في المصدر المشار اليه في الحاشية السابقة ص ٢٧٥ ، بأنه منذ حوالي سنة ٤٠ م ، بدأ أتباع المسيح يحملون اسم النصارى .

٢ ـ امتدحكم الامبراطور البيزنطي جستنيان Jutinian من سنة ٥٢٧م حتى سنة ٥٦٥ . وفي سنة ٥٣١م أصيبت أنطاكية بهزة أرضية ، وهناك اشارات الى أن القديس سمعان العمودي هو صاحب الرؤيا ، انظر ص ٥٢٩ ـ ٥٣٠ من مصدر الحاشيتين السابقتين .

★ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : بلغ قراءة .

٣ ـ أي Edessa , Beraes.

قال يحيى بن جرير : بني أنطيغنوس الملك على نهر أورنطس[1] مدينة سماها أنطوغنيا وهي التي كمل سلوقوس بناءها ، وزخرفها وسماها على اسم ولده أنطيوخوس ، وهي أنطاكية .

وذكر أحمد بن محمد بن اسحق الهمذاني المعروف بابن الفقيه ، فيما قرأته في كتاب البلدان وأخبارها من تأليفه قال : وقال الهيثم بن عدي : (٢٢ ـ و) أنطاكية بناها أنطيخس الملك الثالث بعد الاسكندر[2] وقد ذكرنا عن أبي العلاء أن الذي بناها يقال له أنطيخنوس الملك .

وقرأت في تاريخ قديم وقع الي وعدد فيه ملوك سورية قال : وهي بالشام فذكر سلوقس ، وهو الذي بنى حلب وقنسرين ، ثم ملك بعده أنطياخوس بن سوطر تسعا وعشرين سنة ، وبنى أنطاكية ، وسمي الاله خمسة عشر سنة .

وقرأت في تاريخ سعيد بن بطريق النصراني قال : وملك بطلميوس محب أمه عشرين سنة ، وفي أيامه غلب على الشام وأرض يهوذا أنطياخوس ملك الروم ، فأخرج اليهود من الشام ، ونالهم منه كل شدة وعذاب . وملك بعده أخوه بطلميوس ويلقب أيضا الصائغ ثلاثا وعشرين سنة ، وفي أيامه بنى أنطياخوس ملك الروم أنطاكية ، وسماها باسمه فسميت مدينة أنطياخوس وهي أنطاكية[3] .

وقرأت في بعض ما علقته من الفوائد قيل ان أول من سكن أنطاكية وعمرها أنطاكية بنت الروم بن اليفن بن سام بن نوح ، وهي أخت أنطالية باللام .

---

١ ـ أي Orontes

٢ ـ هناك نسخة مخطوطة واحدة من كتاب ابن الفقيه موجودة في مكتبة مشهد في ايران لم أستطع الحصول على مصورتها ، ومعظم ما ينقله ابن العديم عن ابن الفقيه غير موجود في المطبوع من مختصر كتاب البلدان .

٣ ـ كتاب التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق تأليف البطريق أفتيشيوس المكنى بسعيد بن البطريق ط . بيروت ١٩٠٥ ، ١/٨٦ .

وقرأت في بعض تواريخ القدماء قال أونيناوس [1] : في السنة الثالثة عشر من تاريخ الاسكندر بنى سولوقس أنطاكية [2] .

قرأت بخط غرس النعمة محمد بن هلال بن المحسن في كتاب الربيع ، وأنبأنا به جماعة عن ابن البطي عن محمد بن فتوح الحميدي قال : أخبرنا غرس النعمة أنه نقل من خط ابن بطلان الطبيب رسالة ، كتبها الى والده هلال بن المحسن ، بعد خروجه من بغداد يخبره فيها بأحوال البلاد التي مر بها في سفره ، وذلك في سنة أربعين وأربعمائة قال فيها : وخرجنا من حلب طالبين أنطاكية ، وبين حلب وبينها يوم وليلة ، فوجدنا المسافة التي بين حلب وأنطاكية أرضا عامرة لا خراب فيها أصلا ، لكنها أرض زرع للحنطة والشعير تحت شجر الزيتون ، قراها متصلة ورياضها مزهرة ، ومياهها متفجرة ، يقطعها السفر في بال رخي وأمن ، وسكون .

وأنطاكية بلد عظيم ذو سور وفصيل ، ولسوره ثلاثمائة وستون برجاً (٢٢ ــ ظ) يطوف عليها بالنوبة أربعة آلاف حارس ، ينفذون من القسطنطينية من حضرة الملك يضمنون حراسة البلد سنة ، ويستبدل بهم في السنة الثانية . وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل ، والسور يصعد مع الجبل الى قلته ، فيتم دائرة ، وفي رأس الجبل داخل السور قلعة تبين لبعدها عن البلد صغيرة وهذا الجبل يستر عنها الشمس فلا تطلع عليها إلا في الساعة الثانية ، وللسور المحيط بها دون الجبل خمسة أبواب ، وفي وسطها بيعه القسيان ، وكانت دار قسيان الملك الذي أحيا ولده فطرس رئيس الحواريين عليه السلام ، وهو هيكل طوله مائة خطوة ، وعرضه ثمانون ، وعليه كنيسة على أساطين ، وكان بدور

---

١ ــ لعله المؤرخ الاغريقي للقرن السادس Ioannes Malalas انظر :
Downey, History. of Antioch, PP. 37 — 38.

٢ ــ بحث أمر اقامة أنطاكية من قبل داوني في كتابه المذكور في الحاشية السابقة انظر ص ٥٤ــ٨٢ .

الهيكل أروقة يجلس عليها القضاة للحكومة ، ومعلموا النحو واللغة ، وعلى أبواب هذه الكنيسة بنجام للساعات يعمل ليلا ونهاراً دائما ، اثنتي عشر ساعة ، وهو من عجائب الدنيا، وفي أعلاه خمس طبقات في الخامسة منها حمامات وبساتين، ومعاصر حسنة تخرقها المياه ، وعلة ذلك أن الماء ينزل إليهم من الجبل المطل عليهم ، وهناك من الكنائس مالا يحد كثرة ، كلها معمولة بالفص المذهب ، والزجاج الملون والبلاط المجزع .

قال : وظاهر البلد نهر يعرف بالمقلوب ، يأخذ من الجنوب إلى الشمال ، وهو مثل نهر عيسى ، وعليه رحى ، يسقي البساتين والأراضي [1] (٢٣ — و) .

وقال أبو العباس أحمد بن ابراهيم الفارسي الإصطخري في كتاب صفة الأقاليم : أنطاكية ، وهي بعد دمشق أنزه بلد بالشام ، عليها سور صخر يحيط بها ، وبجبل مشرف عليها ، فيه مزارع ومياه وأشجار ، ومراعي وأرحية ، وما يشتغل به أهلها من مرافقها ، يقال إن دور السور للراكب يومين ، وتجري مياههم في دورهم ، وسككهم ، وبها مسجد جامع ، وبها ضياع وقرى ونواحي خصبة جدا[2] .

وقرأت في كتاب ابن حوقل النصيبي قال : والعواصم اسم الناحية ، وليس بمدينة تسمى بذلك ، وقصبتها أنطاكية ، وهي بعد دمشق أنزه بلد بالشام ، وعليها إلى هذه الغاية سور من صخر يحيط بها ، وجبل مشرف عليها ، فيه لهم مزارع ومراعي وأشجار وأرحية ، وما يستغل بها أهلها من مرافقها .

ويقال إن دور السور للراكب يوم واحد ، وتجري مياههم في أسواقهم

---

١ — لم يصلنا — فيما أعلمه — نسخة كاملة منفردة لرحلة أبن بطلان ، انما يمكن جمع نص هذه الرحلة ، مما نقله ابن العديم في هذا المجلد من بغية الطلب ، ومن مواد حلب وأنطاكية واللاذقية في معجم البلدان لياقوت . ومن ترجمة ابن بطلان في تاريخ الحكماء للقفطي. ط . لايبزغ ١٩٠٣ ، ص ٢٩٤ — ٢٩٨ .

٢ — المسالك والممالك ٤٦ .

ودُورهم وسككهم ومسجد جامعهم ، وكان لها ضياع وقرى ونواحي خصبة حسنة ، استولى عليها الروم ، وكانت قد اختلت قبل افتتاحها ، في أيدي المسلمين ، وهي أيضاً في أيدي الروم أشد اختلالاً ، وفتحها الرومُ في سنه تسع وخمسين وثلاثمائة [1] .

قلت : وبعد استيلاء الروم عليها في هذه السنة فتحها المسلمون ، وذلك أن سليمان قُطَلْمِش بن قاوُر بن سَلْجوق ، وجده قاوُر أخو ألب أرسلان ، أسرى من نِيقيه ، وكتم خبره وجد في السير (٢٣ ــ ظ) فوصل إلى أنْطاكية فيّ مائتي فارس وثمانية فوارس ليلاً ، فتسوروا الأسوار ، وفتحوها ليلا ، وذلك في أول شعبان سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، ثم قتل سليمان بن قُطَلْمِش واستولى يَغي سَيان على أنطاكية ، وأخذها الفرنج خذلهم الله منه في سنة تسعين وأربعمائة ، وبقيت في أيديهم إلى الآن .

والمسجد الجامع الذي كان بأنطاكية للمسلمين ، هو إلى جانب القُسيَّان ، ودخلت أنطاكية في سنة ثلاث عشرة أو أربع عشرة وستمائة ، ودخلت بَيْعة القسيان فوجدت بجانبها محراب المسلمين على حاله ، وفي سقوفه آيات القرآن مكتوبة في النقش ، وهي على ما ذكره ابن بَطْلان من الصورة ، وبيعة القسيان مزخرفة بالرخام والفسيفساء .

وقرأت في كتاب الحافظ لمعارف حركات الشمس والقمر والنجوم في آفاقها ، تأليف أبي الحسين ابن المُنادي ، يقال : ما من بناء بالحجارة أبهأ من كنيسة الرُها ، ولا بناء بالخشب أبهأ من كنيسة مَنْبج ولا بناء بالرخام أبهأ من قُسيَّان أنطاكية .

قال لي الشيخ علي بن أبي بكر الهرَوي في ذكر أنطاكية : وهي من المدن التي كانت يتسلى بها الغريب عن وطنه ، وأما اليوم فلا يعنى لكربها صائم[1] .

---

١ ــ صورة الارض ، ١٦٥ .
٢ ــ كتاب الاشارات الى معرفة الزيارات ، للهروي ، ط . دمشق ١٩٥٣ ، ص ٦ ، ويحوي نص ابن العديم زيادات لم ترد في المطبوع .

ونقلت من كتاب البلدان تأليف أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب : ولجُند قِنَّسرين والعواصم من الكور : كورة أنطاكية ، وهي مدينة قديمة ، يقال إنه ليس في أرض الإسلام ، ولا أرض الروم مثلها ، أجلّ ولا أعجب سوراً ، عليها سور حجارة في داخل السور منازل تسير فيها الركبان • وبلغني أن مساحة دَوْر السور ، وهو يحيط بالمدينة وبالجبل الذي المدينة في سفحه إثنا عشر ميلاً ،وافتتحت مدينة أنطاكية صُلحاً ، صالحهم أبو عبيدة بن الجَرّاح ، وعندهم كتاب الصلح إلى هذه الغاية ، وبها الكف التي يقال أنها كف يحيى بن زكريا عليه السلام في كنيسة يقال لها كنيسة القُسيان[1] • ولها نهر يقال له الأُرنط ، عليه العمارات والأجنة،ولها عيون كثيرة تأتي من الجبل ، ثم تجري في منازل المدينة ، ويُصرف الماء فيها كيف أحب أهلها ، وأهلها الغالبون عليها قوم من العجم ، وبها قوم من ولد صالح بن علي الهاشمي وقوم من العرب من يَمَن •

قرأت في كتاب أبي إسحق إبراهيم بن الحسن بن أبي الحسن الزَيّات الفيلسوف ، المسمى نزهة النفوس وأنس الجايس في ذكر المدن والأقاليم ، فقال : ذكر مدينة أنطاكية ، وهي في الإقليم الرابع ، وبعدها من خط الإستواء ستة وثلاثون درجة ، وهي مدينة قديمة ، وليس في أرض الإسلام ولا في أرض الروم مثلها ، ولها سور من حجارة ، ودَوْرها اثنا عشر ميلاً وبعدها (٢٤ ــ و) عن خط المغرب إثنتان وستون درجة إ فتتحها أبو عُبيدة بن الجَرّاح صلحاً ، وعندهم الآن كتاب الصُلح ، وبها قبر يحيى بن زكريا عليه السلام ، وكنيسة يقال لها القُسيّان ، وبها نهر الأُرنط ، عليه العمارات والضياع والبساتين،وبها عيون كثيرة تأتي من قنوات من الجبال،فتدخل منازلهم ، فيضرب الماء لكل جهة ، وأهلها قوم من العجم ، وبها قوم من العرب •

وقرأت في كتاب المسالك والممالك للحسن بن أحمد المُهلبي العزيزي ، وضعه

١ ــ هو محفوظ الان في متحف طوب قبرسراي في استانبول ، شاهدته هناك •

للعَزيز الفاطمي المستولي على مصر ، قال : فأما مدينة أنطاكية فهي مدينة العواصم ، وهي مدينة جليلة فتحها أبو عُبيدة بن الجرّاح ، وأسكنها المسلمين ، وهي من الإقليم الرابع ، وعرضها خمس وثلاثون درجة ، وهي مدينة عظيمة ليس في الإسلام ، ولا في بلد الروم مثلها ، لأنها في لحف جبل ، هو من شرقها مطل عليها ، لا تقع عليها الشمس إلاّ بعد ساعتين من النهار ، وعليها سور من حجارة يدور بسهلها ، ثم يطلع إلى نصف الجبل ، ثم إلى أعلاه ، ثم ينزل حتى يستدير عليها من السهل أيضاً ، وفي داخل السور عراص" كثيرة في الجبل ومزارع وأجنّة" وبساتين ، ويتخرق الماء من عيون له في الجبل مُقَنّاة إلى المدينة والأسواق والمنازل ، كما يتخرق مدينة دمشق ، وأبنيتها كلها بالحجر ، والفواكه والزهر بها كالمجان ، ومساحة دور السور إثنا عشر ميلاً ، وبها كنيسة القُسيّان ، وهي كنيسة جليلة (٢٤ ـ ظ) عظيمة البناء والقدر عند النصارى ، ويقال أن بها كف يحيى بن زكريا عليه السلام ، وبرسمها بَطْريق ، وتجل النصارى قدره ، لها أعمال واسعة من المشرق إلى المغرب ، وأهلها الغالبون عليها قوم من الفرس ، وقوم من ولد صالح بن علي ومواليه ، وأهلها أحسن خلق الله تعالى وجوهاً ، وأكرمهم أخلاقاً ، وأرقهم طباعاً ، وأسمحهم نفوساً ، والأغلب على خلقهم البياض والحُمرة ، ومذاهبهم على ما كان عليه أهل الشام إلاّ من تخصّص ولها من الكُور ، كورة تِيزين ، وهي ضياع جليلة القدر ، وكورة الجُومة وبها العُيون الكبريتية التي تجري إلى الحمّة ، وكورة جندارس[1] مدينة عجيبة البناء ، مبنية بالحجارة والعمد ، وكورة أَرْتاح ، وهي مدينة جليلة القدر ، وكورة الدُقس ، وهي كورة جليلة ، وكورة قرصيلي ، وهي ضياع جليلة ، وكورة السويديّة وهي مدينة على ضفة البحر المالح ، وكورة الفارسية والعربية ، وهي جليلة القدر ، وكورة يدابيا والقُرشيّة .

---

١ ــ تعرف الآن بالاسم نفسه مع خلاف بسيط في الرسم ، فهي جنديرس . مركز ناحية تابعة لمنطقة عفرين التابعة لمحافظة حلب في سورية ، ويصلها بحلب طريق مزفت طوله ٨٠ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٣٤٧ .

قلت وأهلها الآن هم من أبناء الروم والأفرنج ، وخلقهم في الحسن والجمال على ماذكر . وكورة تيزين وكورة الجُومة ، وكورة جِندارس ، وكورة أَرْتاح في يد المسلمين الآن مضافة إلى ولاة حلب .

وحارم [1] من هذه الناحية لها قلعة عظيمة حصينة ، وهي عامرة ، ولها رَبَض وأسواق ومسجد جامع ، وهي كثيرة البساتين والفواكه نزهــة ، كانت مــن أعمال أنطاكية ، وهي الآن مستقلة (٢٥ ــ و) بنفسها ، مستتبعة لغيرها من أعمال حلــب حرســها اللــه .

نقلت من خط بَنُوسَة في كتاب البلدان تأليف أحمد بــن يحيى بــن جابــر البلاذري مما حكاه عمن حدثه من أهل الشام ، قالوا : ونقل مُعاوية بن أبي سُفيان إلى أنطاكية في سنة اثنتين وأربعين جماعة من الفرس من أهل بعلبك وحمص ، ومــن المِصْرَيْن ، فكان فيهم مُسلم بن عبد الله ، جد عبد الله بن حَبيب بن النُعمان بن مُسلم الآنطاكي ، وكان مسلم قُتل على باب من أبواب أنطاكية يعرف اليوم ببــاب مسلمة ، وذلك أن الروم خرجت من الساحل ، فأناخت على أنطاكية ، وكان مسلم على السور ، فرماه علج بحجر فقتله .

وقال البلاذُري : وحدثني جماعة من مشايخ أهل أنطاكية منهم ابن بُرد الفقيه أن الوليد بن عبد الملك أقطع جند أنطاكية أرض سَلُوقية عند الساحــل ، وصــير الفِلْثِر ، وهو الجريب ، عليهم بدينار ومدي قمح ، فعمروها ، وجرى ذلك لهــم ، وبنى حصن سلوقية .

قال : وحدثني أبو حفص الشامي عن محمد بن راشد عن مَكْحول قال : نقل

---

١ ــ حارم الان هي مركز منطقة من مناطق محافظة ادلب ، ويصلها بادلب طريق مزفت طوله ٥٣ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٢٦٤ .

معاوية في سنة تسع وأربعين أو سنة خمسين إلى السواحل قوماً من زُط البصرة والسيابجه ، وأنزل بعضهم أنطاكية .

قال أبو حفص : بأنطاكية محلة تعرف بالزُط ، وببوقا من عمل أنطاكية قوم من أولادهم يعرفون بالزط ، وقد كان الوليد بن عبد الملك نقل إلى أنطاكية قوماً من زط السند ممن حمله محمد بن القاسم إلى الحجاج ، فبعث بهم الحجاج إلى الشام[1] .

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي مُشافهةً عن أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني قال : أنطاكية هي من احسن البلاد في تلك الناحية وأكثرها خيراً ، استولى عليها الفرنج ، وهي في أيديهم الساعة ، وهي دار مملكتهم ، والدواء المسهل الذي يقال له الأنطاكي منسوب إلى هذه البلدة ، المعروف بالسقَمُونيا ، ولا يكون ببلد إلا بهذه البلدة ، وقيل إن هذه الآية في أنطاكية : « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية ، إذ جاءها المرسلون »[2] . وبها قبر حبيب النجار في السوق كان بها ، ومنها جماعة من العلماء المشهورين قديماً[3] وحديثاً .

قرأت في كتاب أحمد بن محمد بن إسحق الهَمَذَاني الفَقيه في البلدان وأخبارها: لما أن افتتح أنو شروان قِنَّسرين ومَنْبِج وحلب وحمص ودمشق وإيليا وأنطاكية استحسن أنطاكية ، فلما انصرف إلى العراق ، بنى بها مدينة على مثال أنطاكية بأسواقها وشوارعها ودورها ، وسماها رندخُسره ، وهي التي يسميها العرب الرُومية ، وأمر أن يدخل إليها سبي أنطاكية ، فلما دخلوها لم ينكروا من منازلهم شيئاً ، فانطلق كل رجل منهم إلى منزله ، إلاّ رجل أسكاف ، كان على باب داره بأنطاكية شجرة فرصادٍ فلم يرها على بابه ذلك ، فتحير ساعةً ، ثم دخل الدار فوجدها مثل داره[4] .

١ ــ انظر فتوح البلدان ، ١٥٣ ، ١٦٦ .
٢ ــ القرآن الكريم ، سورة ياسين : ١٣ .
٣ ــ انظر مادة الانطاكي في الانساب السمعاني ، ط . لندن ١٩١٢ ، ٥١ ــ ظ .
٤ ــ مختصر كتاب البلدان ، ١١٥ــ١١٦ .

وقرأت في بعض ما علقته (٢٥ ـ ظ) من الفوائد أن كسرى بنى الرومية بالمدائن وهي باذبجان خُسره ، وتفسيرها خير من أنطاكية •

وهذا الذي ذكره ابن الفقيه أحمد بن محمد بن إسحق الهَمَذَاني من أنهم لم ينكروا من منازلهم ، وأن الرجل الأسكاف لم ير شجرة الفرصاد على بابه فتحير ساعة ثم دخل ، بعيد جداً ، بل هو من المستحيلات ، لأن أبنية أنطاكية بالحجر ، وبناء هذه المدينة بالآجر ، بل يحتمل أنه شبهها بها في المنازل والشوارع ، فدخل كل واحد إلى ما يشبه منزله ، لا أن الأسكاف أنكر الموضع لأنه لم ير شجرة الفرصاد ★ •

وذكر أبو عبد الله حمزه بن الحسن الأصبهاني في كتاب تواريخ الأمم : كسرى أنو شروان بن قباذ ، قال : وبنى عدة مدن ، منها مدينة دخلت في عداد مدن المدائن السبع ، وسماها بِه أربذ يو خُسره ومعنى به أربذ يو خسره ، أي خير من أنطاكية وقال : أربذ يو اسم[1] لمدينة أنطاكية ، وبه اسم للخير •

وقع إلي قصيدة من نظم أبي عمرو القاسم بن أبي داود الطَرَسُوسي مزدوجة وَسَمها بقصيدة الأعلام يذكر فيها خروجه من طرسوس سنة ثمان وثلاثمائة ، ويصف فيها المنازل التي نزلها فذكر أنطاكية وفضلها ، وفسر الأبيات ، والنسخة نسخة عتيقة جداً • قال فيها :

ثم وردنا غُدوة أنطاكية — وأهلها في خيرها مُواسيه
أهل عَفاف وأمور عالية — أخلاقهم قدماً عليها جارية
مدينة ميمونةٌ مذ لم تزلْ — النصف في السهل ونصف في الجبلْ
والبق لا يدخُلها ويتَّصل — لكنْ بها فأر عظيم كالوَرَل

★ كتب ابن العديم في الحاشية : بلغ قراءة علي عبد الرحمن •

١ ـ في الاصل اسم لمدينة ، وهو تكرار ـ ربما حدث سهوا ، انظر ص ٥١ من تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، لحمزة بن الحسن الاصبهاني .ط . دار الحياة بيروت .

كـــثيرة الخـــيرات والثمـــار وتينهـــا القِـــلار فـــي الأشـــجار
مثـــل النجـــوم في دجـــى الأسحار حصـــينة كـــثيرة الآثـــار
صـــاحب ياســـين حَبيب فيهـــا وكـــان عنـــد ربِّـــه وجيهـــا
فـــي الخلـــد والثمـــار يجتنيهـــا أكـــرم بـــه مُفتخـــرا نَبيهـــا

وقال في تفسير الأبيات : أما أنطاكية فإن لها حصناً نصف في السهل ونصف في الجبل ولا يدخلها البق ، ومن خرج منها آذاه البق ، وهي كثيرة الفأر ، والتين القِلاّري لا يكون إلا بها ، ويعرف بالعراق بالشامي ، وصاحب ياسين حَبيب النجار قبره بها ، وهو الذي قال : « يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين »[1] .

* * *

١ ـ القرآن الكريم سورة ياسين : ٢٧ ، وقد وقع هذا النص في الاصل في ٣٢ ـ و ، وقد كتب ابن العديم الى جنبه في الحاشية : ينقل الى آخر الباب الذي في أول الجزء . فنقلته .

باب ماجاء في ذم أنطاكية

قيل إن أمير المؤمنين هرون الرشيد رحمة الله عليه كان ورد أنطاكية ، فاستطابها جداً ، وهمّ بالمقام فيها ، وكره ذلك أهلها ، فقال له شيخ منهم ، وصدقه عن الصورة ، : يا أمير المؤمنين ليست هذه من بلدانك ، قال : وكيف ؟ قال : لأن الطيب الفاخر يتغير فيها حتى لا ينتفع به ، والسلاح يصدأ فيها ، ولو كان من قلع الهند ، فتركها ورحل عنها .

ويقال إن أنطاكية كثيرة الفأر ، وقد ذكر ذلك أبو عمرو القاسم بن أبي داود الطرسوسي في أرجوزة له ، فقال في ذكر أنطاكية :

والبق لا يدخلها ويتصل ... لكن بها فأرٌ عظيم كالورل

أنبأنا عبد المحسن بن عبد الله الخطيب عن أبي عبد الله الحسين بن نصر بن (٢٦ ــ و) خميس قال : أخبرنا أبو المعالي ثابت بن بندار بن إبراهيم البقال قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن الحسين بن دوما النعالي قال : أخبرنا أبو علي محمد بن جعفر بن مخلد الباقرحي قال : حدثنا أبو محمد الحسن بن علوية القطان قال : حدثنا إسماعيل بن عيسى العطار قال : حدثنا إسحق بن بشر أبو حذيفة عن ابن سمعان قال : بلغني عمن له علم بالعلم الأول أن كل رجل بعثه سمعون بعد عيسى إلى أناس أو بلدة أقام عندهم حتى مات في بلادهم ، واتبعوه ما خلا يحنى وتومان بعثا إلى أنطاكية فلم يجيبوهما ، وقتلوا من آمن بهما واتبعهما ، وعدوا عليهما ، وأرادوا قتلهما ، وقتلوا حبيب النجار ، فأخذهم الله بالصيحة ، وكانت أول مدينة أهلكها الله بعد عيسى أنطاكية .

قال أبو حُذَيفة إسحق بن بشر : وقال الحسن : إن مدينة أنطاكية من مدائن جهنـم .

قلت ظن أبو حُذَيفة أن الحسـن أراد بقوله إن مدينة أنْطاكية من مدائن جهنم ، أنْطاكية الشام ، فذكر ذلك عقيب ذكر حَبيب النَجّار وأخذ أهل أنْطاكية بالصيحة ، وليس الأمر كذلك ، بل المراد من أنطاكية التي ذكرها الحسن أنْطاكية المُحترقه ، وهي أنْطاكية الروم ، لما نذكره ونبينه ، وأخذ أهل أنْطاكية بالصيحة لعتوهم وتكذيبهم ، لا يَدُلّ على عدم الفضيلة ، فإن مكة أشرف البقاع وقد كذب أهلها رسول الله صلى الله عليه وسـلم ، فانتقم الله منهم ، ونصره عليهم ، بـل عقوبة الجاني في الموضع الشريف أليق بحال الجاني ، ألا ترى إلى أصحاب الفيل كيف انتهكوا (٢٦ ـ ظ) حُرمة الحَرَم ، فأهلكهم الله تعالى كما أخبر في كتابه بقوله تعالى : « وأرسل عليهم طيراً أبابيل . ترميهم بحجارة من سـجيل . فجعلهم كعصف مأكول »(١) ،فكان ذلك زيادة في شرف الحرم ، فهكذا فيما نحن فيه . ألا ترى إلى ماحكيناه فيما تقدم من تسميتها مدينة الله ، أنه لما خسف بها رأى رجـل صالح في نومه قائلاً يقول : تكتب على أبواب المدينة الله معنا ، فسميت مدينة الله .

والدليل على أن المراد بقول الحسن أنْطاكية الروم ، ماأخبرنا الشيخ الإمام أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال أخبرنا عمي أبو القاسم على بن الحسن قال : أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن أبي الحديد قال أخبرنا جدي أبو عبد الله قال : أخبرنا أبو المَعمَّر المُسَدَّد بن علي بن عبد الله بن العباس بن أبي السَحيس الحمصي ، قدم علينا ، قال : حدثنا أبو بكر محمد ابن سليمان بن يوسف الرَبعي قال : حدثنا أبو محمد عبد الرحمن بن إسماعيل الكوفي قال : حدثنا ادريس بن سليمان بالرمله قال : حدثنا عبد الرحمن بن خالد بن حازم قال : حدثنا الوليد بن محمد عن الزُهْري عن سـعيد بن المسَيب عن أبي

١ ـ القرآن الكريم سورة الفيل : ٣ـ٥ .

أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أربع مدائن في الدنيا من الجنة مكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، وأربع مدائن من النار روميه وقسطنطينية وأنطاكية وصنعاء ، قال إدريس : يعني أنطاكية المحترقه .

وقد جاء في رواية أخرى مصرحاً في الحديث (٢٧ ـ و) بأنها أنطاكية المحترقة . أخبرنا بذلك الفقيه العالم شرف الدين أبو منصور عبد الرحمن بن محمد ابن الحسن الدمشقي قال أخبرنا عمي أبو القاسم بن أبي محمد قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن المظفر بن سبط وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الوهاب البارع ببغداد ، وأم البهاء فاطمة بنت علي بن الحسين العكبرية بدمشق قالوا : أخبرنا أبو الغنائم محمد بن علي الدجاجي قال : أخبرنا علي بن عمر بن محمد الحربي قال حدثنا أبو السري سهل بن يحيى ، وقال ابن السبط : ابن يحيى بن سبأ الحداد ، قال : حدثنا سعيد بن عثمان الرازي قال : حدثنا عبد الواحد بن يزيد عن محمد بن مسلم الطائفي عن محمد بن مسلم الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أربع مدائن من مدائن الجنة وأربع مدائن من مدائن النار ، فأما مدائن الجنة فمكة والمدينة وبيت المقدس ودمشق ، وأما مدائن النار فالقسطنطينية وطبريه وأنطاكية المحترقة وصنعاء .»(١)

وذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري أن أنطاكية المحترقة ببلاد الروم ، أحرقها العباس بن الوليد بن عبد الملك (٢) .

وقال أبو عبد الله السقطي ليس هي صنعاء وانما هي صنعاء بأرض الروم . وقد جاء في رواية أخرى بدل طبرية الطوانه وهو الصحيح (٣)

قرأت في كتاب الحافظ لمعارف حركات الشمس والقمر (٢٧ ـ ظ) والأقاليم

١ ـ ابن عساكر ١/٢٠٩ .
٢ ـ فتوح البلدان ١٧٤ .
٣ ـ انظر ابن عساكر ١ / ٢١٠ .

وأسماء بلدانها تأليف أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد اللــه المنادي ، وأظنه بخطه ، والنسخة مقروءة عليه ، قال : بلغنا عن يزيد بن عبد الله الخَوْلاني عن كعب الأحبار أنه قال : خمس مدائن في الدنيا من مدائن الجنة وخمس مدائن في الدنيا من مدائن النار ، فأما مدائن الجنة فحمص ، ودمشق ، وبيت المقدس ، وبيت جبرين ، وظَفَار اليمن ، وأما مدائن النــار فالقُسطنطينيه وعَمورية وأنْطاكيــة وتَدْمُر وصَنعاء اليمــن .

قال أبو الحسين بن المُنادي : هذه ليست أنْطاكية الشام ، ولكنها أنْطاكية الــروم .

أخبرني من أثق به ، وكتبه لي بخطه ، قال : قرأت في مجموع جمعه رشاء بن نظيف ، قال : وأظنه بخطه ، قلت وأخبرنا به إجازة أبو البركات الحسن بن محمد ابن الحسن عن عمه أبي القاسم الحافظ قال : أبنأنا أبو القاسم النَسيب عن رشاء بن نظيف قال : حدثني أبو سعيد محمد بن أحمد بن عُبادة البَيْروتي ، بمدينة دمشق قال : حدثني عبد المؤمن بن المُتوكل قال : حدثنا أبو عبد الرحمن مَكْحول قال : حدثنا العباس بن الوليد بن مَزْيد عن أبيه الوليــد عن عُروة عن ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تثور بنو الأصفر بالعرب فتكون بينهم وقعة في موضع يقال له الرأســ واللفئكة ، فتسيل فيــه دماء حتى تخوض الخيل في الدماء الى أرسانها ، قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله أفمن قلة ؟ قال : إنما تكثر الأعمال السوء ، ولينزع (٢٨ ــ و) الله المهابة مــن صدور أعدائكم منهم ، وتكونوا في عينهم كغثاء السيل ، ويفتحون الملعونتان ، قال ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله وما الملعونتان ؟ قال : أنْطاكيــة وصَيْدا .

وهذه أيضاً أنْطاكية المحترقة أيضا ، والله أعلم ، لانه قد ورد أنها من مدائن النار أما أنْطاكية الشام ، فقد جاء في فضلها من الأخبار والآثار ماندكره إن شــاء الله تعالى .

باب في فضل انطاكية

ذكر الله تعالى أنطاكية في القرآن في موضعين وسماها قرية ، وسماها مدينة في الموضعين ، ذكرها في سورة الكهف في قصة الجدار الذي أراد أن ينقض فأقامه ، وسماها في أول القصة قرية بقوله تعالى : « حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها » وسماها تبارك وتعالى في آخر القصة بالمدينة حيث قال عز من قائل : « وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة » .[١]

جاء في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنه أنها أنطاكية ، وذكر ذلك أبو إسحق الثعلبي وغيره .

وذكرها الله تعالى أيضاً في سورة ياسين في قصة حبيب النجار ، قال سبحانه وتعالى في أول القصة : « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون » . وقال عز من قائل في آخر القصة : « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى »[٣] .

أخبرنا أبو الغنائم محمد بن أبي طالب بن شهريار في كتابة إلينا من أصفهان (٢٨ ــ ظ) قال : أخبرتنا فاطمة بنت أبي الفضل ، المعروفة ببنت البغدادي ، قالت : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمود الثقفي قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم المقرىء قال : حدثنا إبراهيم[٢] بن عبد الله قال : حدثنا عمرو بن علي قال : حدثنا يحيى بن سعيد قال : حدثنا سفيان عن السدي عن عكرمة في قوله تعالى : « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية »[٣] . قال هي أنطاكية .

---

١ ــ القرآن الكريم سورة الكهف الآيتان : ٧٧ ، ٨٢ .

٢ ــ في الاصل قال : حدثنا ابراهيم بن عبد الله قال : حدثنا ابراهيم بن عبد الله ، وهذا كما يبدو تكرر سهوا .

٣ ــ القرآن الكريم سورة ياسين الآيتان : ١٣ ، ٢٠ .

ونقلت من كتاب أبي الحسين أحمد بن جعفر بن المُنادي الذي سماه الحافظ ، وهو مسموع عليه ، قال : حدثنا جدي قال : حدثنا يُونُس قال : حدثنا شيبان عن قَتَادة : « واضرب لهم مثلاً أصحاب القرية » . قال : ذُكر لنا أنها أنْطاكية ، مدينة من مدائن الروم .

قلت : قوله « من مدائن الروم » يعني أنها كانت من مدائن الروم ، والروم يعظمونها .

قال : قصة حَبيب كانت بأنْطاكية الشام ، وقبره بها .

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكِنْدي إذناً ، قال : أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القَزّاز قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : أخبرنا الحسين بن علي بن الحسين بن بَطْحاء المحْتَسب قال : أخبرنا أبو سليمان محمد بن الحسين بن علي الحَرّاني قال : حدثنا محمد بن الحسن بن قُتَيبْه قال : حدثنا أحمد بن مُسْلم الحلَبي قال : حدثنا عبد الله بن السري المدائني عن أبي عمر البَزّاز عن خالد بن سعيد عن الشَعبْي عن تميم الداري قال : قلت يارسول الله مارأيت بالروم مدينة مثل مدينة يقال لها أنْطاكية ، وما رأيت أكثر (٢٩ ـ و) مطراً منها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : نعم وذلك أنّ فيها التوراة ، وعصا موسى ورضراض الالواح ، ومائدة سُليمان بن داوود في غار من غيرانها ، ما من سحابة تشرف عليها من وجه من الوجوه إلاّ أفرغت مافيها من البركة في ذلك الوادي ، ولا تذهب الأيام والليالي حتى يسكنها رجل من عترتي ، اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يشبه خَلْقهُ خلْقي وخُلْقهُ خُلْقي يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً .

وقد روي هذا الحديث عن عطاء عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم وفيه زيادة على ماروه الشعبْي عن تميم الداري ، نقلته من خط القاضي أبي عمرو

عثمان بن عبد الله بن إبراهيم الطَرَسُوسي قاضي معرة النعمان ، وكان فاضلا مُسْنِداً ، قال : حدثنا أبو عُمير عَدي بن أحمد بن عبد الباقي قال : حدثنا يوسف ابن سعيد بن مسلم قال : حدثنا الحجاج عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال : كنت جالساً عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه تَميم الداري ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أين قدمت ؟ قال : من الشام ، فقال تميم : يا رسول الله لم أر بالشام مدينة أحسن من أنْطاكية ولا أطيب إلا أنها كثيرة الأمطار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتدرون ماالسبب في ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : فيها جبل ، وفي (٢٩ ـ ظ) ذلك الجبل غار ، وفي ذلك الغار عصاة موسى صلى الله عليه ، وشيء من ألواحه ، ومائدة سليمان ، ومحبرة إدريس ، ومنطقه شعيب ، وبُرْدا نُوح ، ولا تطلع سحابة شرقية ولا غربية ولاقبلية ولاحَرْبية إلا حط من بركتها عليها وعلى ذلك الغار قبل أن تمطر في الدنيا ، ولا تقوم الساعة ولا تذهب الليالي والأيام حتى يخرج رجل من أهل بيتي ومن عترتي يوافق اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، فيستخرج جميع ما في ذلك الغار ، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً .

أنبأنا عبد العزيز بن الحسين بن هلالة قال : أخبرتنا عفيفة بنت أحمد بن عبد الله الأصبهانية قالت : أخبرتنا فاطمة الجوزدانية قالت : أخبرنا أبو بكر بن رِيذَة قال : أخبرنا أبو القاسم الطَبَراني قال : أخبرنا عبد الرحمن بن حاتم قال : حدثنا نُعيم بن حماد قال : حدثنا عبد الرزاق عن مَعْمَر عن مَطر الورّاق عمن حدثه عن كَعب قال : إنما سمي المَهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي ، ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنْطاكية (١) .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم قال : أخبرنا أبو الفضائل ناصر بن محمود بن علي القرشي ، ح .

١ ـ الفتن لنعيم بن حماد نسخة لندن ٩٨ و ، نسخة استانبول ٥٠ و .

وأخبرنا أبو محمد هبة الله بن الخضر بن هبة الله بن طاوس إجازة قال : أخبرنا أبو الفضائل ناصر بن محمود قال : حدثنا علي بن أحمد بن زهير قال : حدثنا علي بن محمد بن شجاع قال : أخبرنا أبو الحسن فاتك بن عبد الله المزاحمي بصور قال : حدثنا أبو القاسم علي بن محمد بن طاهر بصور (٣٠ ـ و) قال : حدثنا أبو عبد الملك محمد بن أحمد بن عبد الواحد بن جرير بن عبدوس قال : حدثنا موسى بن أيوب قال : حدثنا عبد الله بن قسيم عن السري بن بزيع عن السري بن يحيى عن الحسن عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتزال طائفة من أمتي يقاتلون على أبواب بيت المقدس وماحولها ، وعلى أبواب أنطاكية وماحولها ، وعلى باب دمشق وماحولها ، وعلى أبواب الطالقان وماحولها ، ظاهرين على الحق لايبالون من خذلهم ولا من نصرهم ، حتى يخرج الله كنزة من الطالقان فيحيي به دينه كما أميت من قبل[1] .

وقرأت بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن إبراهيم الطرسوسي القاضي : حدثنا أبو الفضل صالح بن يوسف العجلي قال : حدثنا عبد الله بن علي بن الجارود قال : حدثنا ابن مسرور عن ابن عيينة عن الزهري عن ابن المسيب عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضل الرباط أربعة : عسقلان ، والاسكندرية ، وهما العروسان ، وأنطاكية ثم قال : لاتزال طائفة من الملائكة يقاتلون حول أنطاكية وحول دمشق وحول الطالقان إلى أن يخرج يأجوج ومأجوج » .

وسقط ذكر الرابعة في رواية القاضي أبي عمرو ، وأظنها دمشق .

قرأت بخط القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله بن إبراهيم الطرسوسي حدثنا أبو الحسن علان بن عيسى بن مشكان القاساني سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة

---

١ ـ انظر ابن عساكر ١/٢٤٠ ـ ٢٥٨ .

(٣٠ ــ ظ) قال : حدثنا أبي وعمي قالا : حدثنا إسحق بن راهَوَيه قال : حدثنا روح ابن عبادة قال : حدثنا زكريا بن إسحق عن عمرو بن دينار عن عِكْرمة عن ابن عباس وأبي سعيد الخُدْري وأبي هريرة قالوا : سمعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « ليلة أسري بي إلى السماء رأيت قبة بيضاء لم أر أحسن منها ، وحولها قباب كثير ، فقلت ما هذه القباب ياجبريل ؟ قال : فقال هذه ثغور أمتك ، فقلت : ماهذه القبة البيضاء فإني مارأيت أحسن منها ؟ قال : هي أنطاكية ، وهي أم الثغور ، فضلها على الثغور كفضل الفردوس على سائر الجنان ، الساكن فيها كالساكن في البيت المعمور ، يحشر إليها أخيار أمتك ، وهي سجن عالم من أمتك ، وهي معقل ورباط ، وعبادة يوم فيها كعبادة سنة ، ومن مات بها من أمتك كتب الله له يوم القيامة أجر المرابطين » .

وقرأت في كتاب البلدان وفتوحها وأحكامها تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : حدثني محمد بن سهم الأنطاكي عن أبي صالح الفراء قال : قال مَخْلَد بن الحسين سمعت مشايخ الثغر يقولون كانت أنطاكية عظيمة الذكر والأمر عند عمر وعثمان رحمهما الله تعالى . (١)

أنبأنا أبو الفضل عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن صالح المُعتَزّم قال : أخبرنا أبو بكر هبة الله بن الفَرْخ بن أخت الطويل قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن علي المَحْكَمي قال : حدثنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن سليمان بن كامل (٣١ ــ و) الكَرابيسي البخاري قال : حدثنا أبو عبد الله محمد ابن موسى قال : حدثنا أبو جعفر هرون بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور أمير المؤمنين الهاشمي ببغداد قال : حدثنا إبراهيم بن الحسن الأنطاكي والربيع بن ثَعْلَب قالا : حدثنا ربيع بن جُميع عن الأعمش عن بشر بن غالب قال : قدم أهل أنطاكية على الحسين بن علي فسألهم عن حال بلدهم وعن سيرة أميرهم فيهم ، فذكروا خيراً ،

١ ــ فتوح البلدان ، ١٥٣ .

إلا أنهم شكوا البَرد ، فقال الحسين بن علي : حدثني أبي عــن جــدي رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : أيما بلده كثر أذانـها بالصلاة كسِـر بردها .

وقد رواه الربيع بن ثعلب عن عمرو بن جُميع عن بشر بن غالب .

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله مُشافهــة قال : أخبرنــا أبو القاسم يحيى بن أسعد بن بَوْش قال : أخبرنا أبو طالب عبد القادر بن محمد بــن عبد القادر بن محمد بن يوسف قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بــن محمد الجَوْهَرِي بقراءة أبي بكر الخطيب وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو حَفْص عمر بــن محمد بن علي الصيرفي المعروف بابن الزَيات قراءة عليه ، قال : حدثنا أبو الحســن أحمد بن الحسين بن إسحق الصوفي الصغير قال : حدثنا الربيع بن ثعلب العابد قال : حدثنا عمرو بن جُميع عن بشر بن غالب قال : قدم على الحسين بن علي عليهما السلام ناس من أهل أنطاكية فسألهم عن حال بلادهم ، وعن سيرة أميرهم ، فذكروا خيرا ، إلا أنهم شكوا إليه البرد ، فقال الحسين رضي الله عنه : حدثني أبي عن جدي رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣١ ــ ظ) أنه قال : « أيمــا بلدة كثر أذانهــا بالصــلاة كسر بردهــا » .

وقد روي ذلك عن الحسن بن علي رضي الله عنــه عــن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنذكره في ترجمة أخي بشر بن غالب فيمن لايعرف اسمه .(٣٢ ــ و)

* * *

باب في ذكر منبج واسمها وبنائها ★

وهي مدينة حسنة البناء صحية الهواء كثيرة المياه والأشجار ، يانعة البقول والثمار ، وأهلها خلق حسنة ، ويقال أنها كانت مدينة الكهنة ودورها وأسوارها مبنية بالحجارة ، ولم تزل أسوارها في أكمل عمارة الى أن حصرها الملك الظاهر غازي ابن يوسف بن أيوب في سنة (ثمان وتسعين وخمسمائه)[1] .

ولما فتحها خرب حصنها وكان حصناً مانعاً ،وهو الذي حصره بَلَك بن أَرْتُق وصاحبها إذ ذاك حسان ، فقتل عليها [2] ، وبقي السور على حاله ، وإذا انهدم منه شيء لايعمر ، فلما مات الملك الظاهر جاء كيكاوس ملك الروم وفي صحبته الملك الأفضل علي بن يوسف أخو الملك الظاهر ، فاستولى على المدينة ، ورم ماتشعث من سورها ، وفتح تل باشر من يد ابن دَلْدَرِم ، واستدعى أتابك طُغْرِل الملك الأشرف موسى بن الملك العادل من حمص ليدفع كيكاوس ، فجاء وخرج بعسكر حلب الى الباب ، واتفق للعسكرين وقعة أسر فيها جماعة من أمراء الروم ، فاندفع كيكاوس عن البلاد ، فاستعادها الملك الأشرف ، فشعت أتابك طُغْرُل سور مَنْبج عند ذلك تشعيثاً فاحشاً ، وتداعت أركانه ، وبنى منه الخان الذي جدده أتابك للسبيل ، وهو موضع الحصن (٣٢ ـ ظ) الذي خربه الملك الظاهر ، وأخذ أهل البلد من حجارة السور أحجاراً كثيرة لعمائرهم ، فلم يبق منه إلا ما يمنع الغارة،

★ ـ كتب ابن العديم في الحاشية . بلغ عبد الرحمن قراءة .

١ ـ فراغ في الأصل أكمل من زبدة الحلب ١٥٢/٣ـ١٥٣ .

٢ ـ حدث هذا سنة ٥١٨ هـ ، انظر زبدة الحلب ٢١٨/٢ـ٢١٩ .

وأما البَلَد فإنه عامر آهل كثير الخيرات ومعايشهم وافرة جداً ، لاسيما في استخراج ماء الورد والخلاف الأَبريسم .

وكان اسمها أولا سُرياس ثم سميت أبروقليس [1] ، فسماها كسرى منبه ، وعربت فقيل منبج .

قرأت في تاريخ وقع إلي ذكر جامعه أنه انتسخه من كتب شتى ، ومن التوراة اليونانية والسريانية ، ومن تاريخ للروم وغيرهم ، قال : وفي سنة خمسين من ملكه ـ يعني ملك بُخْتنَصر ـ قتل فرعون الأعرج ملك مصر واسمه يوياقيم ، قال : وكان فرعون قد أحرق مدينة مَنْبِج ، ثم بُنيت بعد ذلك ، وسميت أبروقليس ، وتفسيره مدينة الكهنة .

أخبرنا أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن محمد بن منصور السمعاني في كتابه إلي من مرو قال : أخبرنا أبي أبو سعد إجازه ، إن لم يكن سماعاً ، قال : ومَنْبِج بناها كسرى حين غلب على ناحية من الشام مما كان في أيدي الروم ، وسماها مَنْبِه ، وبنى بها بيت نار ، ووكل به رجلاً يسمى يزدانيار من ولد أزدشير ابن بابك ، وهو جدُّ سليمان بن مُجالد الفقيه ، ومَنْبِه بالفارسيه أنا أجود ، فأعربت العرب مَنْبِه مَنْبِج ، ويقال إنما سميت ببيت نار مَنْبِه ، فغلب على اسم المدينة [2] .

---

١ ـ ان اسم منبج في النصوص الآشورية هو Nappigu وفي النصوص الهلنستيه Hierapolis وورد اسمها في بعض النصوص القديمة Bamby'ce ودعيت من قبل سكانها Magog ، انظر Classical Dictionary في مادة Hierapolis وانظر أيضا Topographie Historique de la Syrie Antique Méolieral, Réné Dissoud, Paris 1927.

٢ ـ انظر ماده المنبجي من الأنساب للسمعاني ٥٤٢ : ط . والرواية التي قدمها ابن العديم هنا غير موجوده في نسخه الأنساب المطبوعة .

أخبرنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكِنْدي إذناً قال : أخبرنا أبو منصور موهوب (٣٣ ـ و) بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي قال : ومَنْبِج اسم البلد ، أعجمي ، وقد تكلموا به ، ونسبوا إليه الثياب المَنْبِجانية (١) .

قلت : ويقال الأَنْبِجانية أيضاً ، وقد جاء في الحديث .... (٢)

وقال : أبو زيد أحمد بن سهل البَلْخي في كتاب صورة الأرض والمدن : وأما مَنْبِج فهي مدينة في برية ، الغالب على مزارعها الأعذاء ، وهي خصبة .

وبقربها سَنْجِه ، وهي مدينة صغيره بقربها قنطرة حجاره ، تعرف بقنطرة سَنْجِه ، ليس في الإسلام قنطرة أعجب منها .

وقرأت في كتاب أحمد بن الطَيِّب السَرْخَسي في المسالك والممالك ، في الطريق من بلاد الروم الى الشام في بعض مسالكه ، قال : ثم ارجع الى الحَوْرَه ، فمنها طريق الى بحيرة سماطي ثم بعقبة بيغاس ، الى علَّو وهي الفرات ، ثم الى شرْياس وهي مَنْبِج .

وذكر أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتاب البلدان في بغداد ، كور جُند قنَّسرين والعواصم ، فقال وكورة مَنْبِج وهي مدينة قديمة ، افتتحت صلحاً صالح عليها عمرو بن العاص وهو من قبل أبي عُبيدة بن الجراح ، وهي على الفرات

---

١ ـ انظر المعرب للجواليقي ، ٣٢٥ .

٢ ـ فراغ في الأصل . وقد نقل ياقوت في معجم البلدان ـ مادة منبج ـ : قد قيل انبجاني وجاء ذلك في بعض الحديث .

وقال : انشد أبو العباس المبرد في الكامل في وصف لحية :

كالأنبجاني مصقولاً عوارضها سوداء في لين خدّ الغادة الرُود

ولم ينكر ذلك ، وليس في مجيئه مخالفاً للفظ منبج مايبطل أن يكون منسوبا اليها ، لأن المنسوب يرد خارجا عن القياس ، انظر الكامل للمبرد . ط . القاهره ١٩٣٩ : ٢ / ٤٧٠ .

الأعظم ، وبها أخلاط من الناس من العرب والعجم ، وبها منازل وقصـور لعبد الملك ابـن صالـح بـن علي الهاشمي •

(قلت) : قوله « وهي على الفرات » خطأ ، لكن جسر مَنْبِج على الفرات •

وقيل إن عياض بن غَنْم فتح مَنْبِج صلحاً على مثل صلح حلب •

وذكر البلاذري قال : ولم تزل قِنَّسرين وانطاكية ومَنْبِج وذواتها جنـداً ، فلما استخلف هرون بن المهدي أفرد قِنَّسرين بكورها فصير ذلك جنداً (٣٣ ـ ظ) واحداً ، وأفرد مَنْبِج ودُلُوك ورَعْبان وقورس وأنطاكية وتِيزين ، وسماهـا العواصم ، لأن المسلمين يعتصمون بها ، فتعصمهم وتمنعهم إذا انصرفوا من عدوهم وخرجوا من الثغور ، وجعل مدينة العواصم مَنْبِج ، فسكنها عبد الملك بن صالح ابن علي في سنة ثلاث وسبعين ومائـه ، وبنى بهـا أبنيته • [1]

وذكر قدامه في كتاب الخراج نحواً من ذلك •

وقرأت في كتاب ابن حوقل النَصيبي : مدينة مَنْبِج ، وهي خصبـه كثيرة الأسواق قديمة عظيمة الآثار ، وهي ذات سور أزلي رومي ، وبقربها أيضـاً مدينـة صَنْجه ، وهي مدينة صغيرة ، بقربها قنطره حجـاره تعرف بقنطره صَنْجه ، ليس على الإسلام أعجب بناء منها ، يقال أنها من عجائب الزمان •

قال : وجسر مَنْبِج مدينة صغيرة لها زرع سقي ومباخس ، وماؤهـا مـن الفرات ، حصينة ، وزروعها سقي ، نزهة ذات مياه وأشجار ، وهي قريبة من الفرات، وقد قاربت أن تختل وتخـرب • [2]

قال البلاذري في كتاب البلدان : وقرية جسر مَنْبِج ، ولم يكن الجسر يومئذ،

---

١ ـ فتوح البلـدان ، ١٣٨ •
٢ ـ صـورة الأرض ، ١٦٦ •

إنما اتخذ في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه للصوائف ، ويقال بل كان له رسم قــديم .

وقال : قالوا : وأتى أبو عـُبيدة حلب الساجور وقدم عِياضاً الى مَـنْبِـج ، ثم لحقه وقد صالح أهلها على مثل صلح أنطاكية ، فأنفذ أبو عـُبيدة ذلك . [1]

قرأت بخط علي بن هلال الكاتب ، المعروف بابن البَواب ، : لما دخل الرشيــد مَنْبِج قال : لعبد الملك بن صالح ، وكان أوطنها ، : هذا منزلـُك ؟ قال : هو لك ، ولي بك ، قال : كيف بناؤه ؟ قال : دون منازل أهلي ، وفوق منــازل الناس ، قال : فكيف طيب (٣٤ ــ و) مَـنْبِـج ؟ قال : عَـذْبَة الماء ، غَـذِيَّه الهواء ، قليلة الأدواء ، قال : فكيف ليلها ؟ قال سحر كله .

وفي رواية أخرى من غير خط ابن البواب ، قال : إنها لطيبة ؟ قال : بك طابت ، وبك جَـمُـلَت .

وقرأت في تاريخ محمد بن الأَزْهر الكاتب : يقال إن الرشيد لما وصل مَنْبِج ، قال : له ، يعني لعبد الملك بن صالح ، : كيف مدينتك ؟ قال عذبة الماء ، باردة الهواء ، صـُلْبَـة الموطأ ، قليلة الأدواء ، قال : كيف ليلها ؟ قال : سحر كله . وقال له يوماً : يا أبا عبد الرحمن ماأحسن بلادكم ! قال : وكيف لايكون ذلك ، وهي برية حمراء ، وشملة صفراء ، وشجرة خضراء ، فيافي فـُيَّح وجبال وُضَّح ! فالتفت الرشيد الــى الفضل بن الربيع فقال له : ضرب السوط أسهل من هذا الكلام .

أنبأنا أحمد بن عبد الله الأسدي عن الحافظ أبي طاهر الأصبهاني عن أحمد بن محمد بن الآبنوسي عن أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن عبيد الله المُنادي قال : يقال : إن ما من بناء بالحجارة أبهأ من كنيسة الرُها ، ولا بناء بالخشب أبهأ من كنيسة مَـنْبِـج ، لأنها بطاقات من خشب العُنَّاب ، ولا بناء بالرخام أبهأ

---

١ ــ فتــوح البلــدان ، ١٥٥ .

من قسيّان أنطاكية ، ولا بناء بطاقات الحجارة أبهأ من كنيسة حمص ، ولا بناء بالآجر والجص أبهأ من إيوان كسرى بالمدائن ، ولا منارة أعجب بناءً من منارة الإسكندرية .

نقلت من خط أبي جعفر أحمد بن جُبيْر في رحلته ، ذكر مدينة مَنْبج حرسها الله ، بلدة فسيحة الأرجاء صحيحة الهواء ، يحويها سور عتيق ممتد الغاية والانتهاء ، (٣٤ ـ ظ) جوها صقيل ، ومختلاها جميل ، ونسيمها أرج النشْر عليل ، نهارها يَنْدى ظله ، وليلها كما قيل فيها سحر كله ، يحف بغربيها وشرقيها بساتين ملتفة الأشجار مختلفة الثمار ، والماء يطرد فيها ، ويتخلل جميع نواحيها[1] .

قرأت في رسالة أبي المظفر ابراهيم بن أحمد بن الليث الأذْري ، بخط أبي طاهر السلفي الحافظ : ورحلنا منه ، يعني من نهر الساجور ، الى منبج ، فرأيته ثغراً قد تشعث سوره ، وبلداً قد اختلت أموره ، إلا أني رأيت له ظاهراً حسناً أديمه ، وجواً طيباً نسيمه ، فلم ألُمْ صديقنا الطائي على قوله :

أوطنتها وأقمتُ في أفيـا ... ئها فكأنني في مَنْبِج[2]

ولأبي فراس الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي يصف منتزهات منبج ، وقد أنشدنا بعض قوله والدي رحمه الله قال : أنشدنا أبو المظفر سعيد بن سهل بن محمد الفلكي قال : أنشدنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد قال : أنشدنا أبو منصور بن طاهر قال : أنشدنا محمد بن عمر المتكلم قال : أنشدنا أبو فراس لنفسه ، فذكر بيتين من شعره ، والأبيات :

قف في رسوم المستجا ... ب وحي أكناف المصلا

---

١ ـ رحلة ابن جبير ، تحقيق حسين نصار ، ط . القاهرة ١٩٥٥ ، ص ٢٣٦ .
٢ ـ ديوان البحتري ط . القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٤٠٥ ، مع بعض التباين في الرواية .

فالجَرْس فالميْموم فالسُّـ قْيا (★) بها فالنهر الأعلى [1]
تلـك المـلاعبُ والمنـــا زل لا أراهـــا الله مَحْــلا
حيث التفتّ وجـدت مـــا ءً ســا يحـا وسكنت ظــلا
تَـــرَ دار وادي عين قــا صرَ منـــزلا رحبـا مطــلا
وتحـلّ بالجســر الجِنَـا نَ وتسكن الحصن المُعـلَّى
يجـلو عرائسُـه لنَـــا مَرْج أحسن العيش سَهــلا
والمـاءُ يفصـل بين زَهـ ـرِ الرّوض في الشطَّين فصلا
كبســاط وشْـيٍ جـرّدت أيدي القيون عليه نصلا[2] (٣٥–و)

قلت : وجسر منبج الآن تحت قلعة نجم [3] ، وهي قلعة صغيرة على الفرات ، والجسر في ذيلها ، وهي قلعة حسنة المنظر محمودة المخبر ، كان لها رَبَض صغير ومسجد لطيف ، فأقطعها الملك الظاهر بدر الدين ايدمر عتيقه عند موته ، وأخذ ولاية قلعة حلب منه ، فعمرها وبنى في الرَبَض مسجداً جامعاً ، وجعل فيـه منبراً وخطيبـاً ، وبنى ســوقاً حسنـاً ، فعظم الربض ، ورغـب الناس في المقام فيـه ، وعوّض عن قلعة نجم باللاذقية ، وجعل في القلعة والٍ من جهة السلطان الملك الناصر أعز الله نصره ، وفي البلد والٍ ، فكثرت العمائر في الربض ، وبنيت فيه منازل كثيرة ، فاتسعت أرجاؤه ، وكثر بناؤه ، وصار مصراً من الأمصار ، مقصـداً للمعاش من سائر الأقطار .

---

١ – كذا في الاصل ، والصواب أعلى حتى يستقيم الوزن .

★ – جاء في حاشية الاصل وبنفس خط ابن العديم : حاشية . السقيا قرية كثيرة المياه والبساتين على باب منبج ، هي وقف على بني البحتري الشاعر ، وهي في أيديهم الان .

٢ – ديوان أبي فراس الحمداني ط . بيروت ١٩٤٤ ، ص ٣٢٦ – ٣٢٨ ، مـع تباين شديد في الرواية .

٣ – ما يزال موقع قلعة نجم يحمل نفس الاسم ، فقلعـة نجم الان هي احـدى قرى منطقة منبج التابعة لمحافظة حلب في سورية ، يصلها بمنبج طريق ترابي طوله ٣٠ كم ، وبحلب طريق ترابي أيضا طوله ١١٥ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٣٨٨ .

والقلعة منسوبة الى نجم غلام جني الصفواني ، وكانت لبني نمير ، وآخر من كان بها منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور النميري من ولد الراعي عبيد بن الحصين الشاعر ، فقتل منصور وأخذت القلعة منهم ، وخلف ولداً اسمه نصر ، فأضر وعمره أربع عشرة سنة ، وقال الشعر ، وانتقل الى بغداد بعد أن تغلب الترك على ديارهم ، فقال ولده يذكر أباه ، وأنشدنيها أبو الحسن المبارك بن أبي بكر بن مزيد الخواص البغدادي بها عنه .

لا تبعدنّ حسام دولة عامرٍ | من ليث ملحمة وغيث عطاء
أنحى على شمل العشيرة بعده | ريبُ الزمان بفرقةٍ وتناء

وسنذكر ترجمة نصر في الأسماء إن شاء الله تعالى .

وقد ذكرها القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي بن الشيباني في بعض رسائله فقال : وجئنا قلعة نجم ، وهي نجم في سحاب ، وعقاب في عقاب ، وهامة لها الغمامة عمامة ، وأنملة إذا خصها الأصيل كان الهلال لها قلامة [1] (٣٥ ــ ظ) .

* * *

٣ ــ لم أستطع الوقوف على نسخة من رسائل القاضي الفاضل .

باب في ذكر رُصافة هشام

وهي من عمل حلب ، واسمها بالرومية قطا ميلا ، وذكر ذلك أحمد بن الطيب السَرْخسي في كتاب المسالك والممالك ، وقال : ومن قطا ميلا الى العُذَيب أربعة أربعة وعشرون ميلاً .

وبناها هشام بن عبد الملك بن مروان ، ولها سور من الحجر ، وفي داخلها مصنع كبير لماء المطر يشرب منه أهلها ، وهي قوية منيعة لأنها في برية ولا ماء عندها إلا ماء المصنع الذي هو داخل السور ، وكان هشام قد اتخذها دار إقامته ، ويجري بها خيل الحَلبة ، وتفد إليه الوفود بها .

وأهلها مياسير وتغلب عليهم التجارة .

نقلت من كتاب ربيع الآداب في محاسن الأخبار وعيون الأشعار ، تصنيف أبي أحمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري ، من نسخة مقروءة عليه ، قال : أخبرني محمد بن يحيى بن العباس ، أخبرنا الحسن بن عُليل العنَزي بها قال : حدثنا علي بن الصباح قال : حدثني هشام بن محمد قال : لما كثر الطاعون في زمن بني أمية وفشا ، كانت العرب تنتجع البر وتبتني القصور والمصانع هربا منه ، الى أن ولي هشام بن عبد الملك ، فابتنى الرصافة .

وكانت الرصافة مدينة رومية بنتها الروم في القديم ، ثم خربت ، وكان الخلفاء وأبناؤهم يهربون من الطاعون ، فينزلون البرية ، فعزم هشام على نزول الرصافة ، فقيل له : لا تخرج فإن الخلفاء لا يطعنون ، لم نر خليفة طُعِن ، قال :

أفتريدون (٣٦ ــ و) أن تجربوا بي ، فخرج الى الرصافة ، وهي برية فابتنى بها قصرين[١] .

وذكر حمزة بن الحسن الأصبهاني في كتاب تواريخ الأمم أن النعمان بن الحارث بن الأيهم بن الحارث بن ماريه ذات القرطين ، وهو أول ملوك غسان هو الذي أصلح صهاريج الرصافة وكان بعض ملوك لخم خربها[٢] .

قلت وفي الرصافة دير مذكور للنصارى ذكره الشمشاطي في كتاب الديارات ، وذكر حكاية الأخطل ، وشدّ راهب الدير إياه على هجوه الناس ، وسنذكر ذلك في ترجمة الأخطل إن شاء الله .

* * *

١ ــ يبعد موقع الرصافة ٦٠ كم عن الرقة ، انظر التقسيمات الادارية ، ٤١٤ .
٢ ــ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء ، ١٠٢ .

باب في ذكر خُناصره[1]

وكانت بلدة صغيرة ولها حصن ، وبناؤه بالحجر الأسود الصلد ، وهي من كورة الأحص ، وبلاد بني أسد ، وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قد تديرها وكان يقيم بها في أكثر أوقاته ، وهي اليوم قرية من قرى الأحص ، يسكنها الفلاحون ، وخرب حصنها وأبنيتها ، ونقلت حجارته .

وسميت باسم بانيها خُناصره بن عمرو بن الحارث ، وقيل بناها أبو شمر بن جبلة بن الحارث .

أنبأنا أبو المظفر عبد الرحيم بن أبي سعد السمعاني عن أبيه أبي سعد قال : وخناصره بناها خُناصِره بن عمرو بن الحارث بن كعب بن الوغى بن عمرو بن عبد ود بن عوف بن كنانة الكَلْبي ، وقيل الخناصره بن عمرو ، خليفة إبراهيم الأثرم صاحب الفيل ، خلفه باليمن بصنعاء إذ سار الى كسرى أنو شروان ، ويوم خناصره أجاروا على العجم ، وقيل بناها أبو شمر بن جبلة بن الحارث[2] .

ونقلت من كتاب البلدان تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : حدثني العباس بن هشام عن أبيه قال : خناصرة نُسبت (٣٦ ــ ظ) الى خناصر ابن عمرو بن الحارث الكلبي ثم الكِناني[3] .

١ ــ تعرف الان باسم خناصر ، ويصلها بحلب طريق ترابي طوله ٧٥ كم ، انظر التقسيمات الادارية ، ٣٠٠ .

٢ ــ الانساب للسمعاني ، ٢٠٧ ظ ــ ٢٠٨ ــ و .

٣ ــ فتوح البلدان ، ١٥٤ .

وقرأت بخط محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب الجوهر المكنون : خناصرة فخذ في عُذْرة كلب ، هم ولد خناصرة بن عمرو أحد بني عبد ود بن عوف بن كنانة بن عُذْرة بن زيد اللات بن رُفَيدة بن ثور بن كلب ، وبه سميت خناصره .

وقرأت في جمهرة نسب اليمن ، ولا أعلم مؤلفه ، في ذكر كعب المعروف بالوَكّاء بن عمرو بن عبد ود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة بن زيد بن كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، قال : فمن بني الوكاء بن عمرو خناصر بن الحارث بن كعب الوكاء ، كان قد ملك الشام وبه سميت خناصرة .

وقال ابن الكلبي : بناها خناصرة بن عمرو بن الحارث بن كعب بن عمرو بن عبد ود بن عوف بن كنانة ، وكان ملك الشام .

وقال غيره : عمرها الخناصر بن عمرو خليفة الأثرم صاحب الفيل .

وقال جِران العَوْد ، وجعلها خُناصرات :

نظرت وصحبتي بخُناصرات	ضحياً بعدما مَتَع النهار
إلى ظعن لأخت بني نُمير	بكابَة حيث زاحمها العقار(1)

يعني الرمل .

وفي خُناصرة يقول عدي بن الرقاع العاملي ، وقد نزل بها الوليد بن عبد الملك ، ووفد عليه .

وإذا الربيع تتابعت أنواؤه	فسقى خناصرة الأحصّ وزادها(٣٧-٥)

١ - ديوان جران العود ط . القاهرة ١٩٣١ ، ص ٤٣ - ٤٤ مع بعض التباين في الروايــة .

نزل الوليد بها فكان لأهلهــا غيثا أغاث أنيسها وبلادها[1]

وقال أبو زيد البلـْخي في جند قِنـَّسرين : والخـُناصرة حصن على شفير البرية كان يسكنه عمر بن عبد العزيز .

وقال ابن حوقل النـَصيبي في جغرافيا : خـُناصرة ، هي حصن يحاذي قنسرين من ناحية البادية ، وهي على شفيرها وسيفها ، وكان عمر بن عبد العزيز يسكن بها ، وهي صالحة في قدرها ، مَعْـُوثة للمجتازين عليها في وقتنا هذا ، لأن الطريق انقطع من بطن الشام بإتيان الروم عليه ، وهلاك مرافقه وبوار ولاته ، واستيلاء الأعراب عليهم بعد هلاك ولاته ، فلجأ الناس الى طريق البادية والبر بالأدلاء والخفــارة[2] .



١ ــ انظر الطرائف الادبية لعبد العزيز الميمني ط . القاهرة ١٩٣٧ ، ص ٨٩ ــ ٩٠ مع بعض التباين في الرواية .

٢ ــ صورة الارض : ١٦٤ ــ ١٦٥ مع بعض التباين في الرواية .

باب في ذكر بالس[1]

وهي مدينة كانت في أول الإسلام عامرة جداً ، وهي أول مدن جند قنسرين وكان لها سور من بناء الروم ، وكانت تفضّل على قنسرين في العمارة ، وخرج منها جماعة من العلماء والرؤساء ، وفي زماننا خرب سورها ولم يبق فيها من العلماء أحد ولا من الرؤساء ، وينسب أهلها الى قلة العقول .

والغالب على أهل البلد بنو كِلاب ، وبريتها نزلها قديما بنو فَزارة .

أخبرنا أبو منصور بن محمد الدمشقي قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي محمد ، أخبرنا أبو القاسم بن طاهر قال : أخبرنا علي بن محمد قال : أخبرنا محمد بن أحمد (٣٧ ـ ظ) قال : أخبرنا أبو حاتم البُستي قال : أول الشام بالس .

وقال أبو زيد البلخي في كتابه : وأما بالس فهي مدينة على شط الفرات صغيرة ، وهي أول مدن الشام ، من العراق إليها عامر ، وهي مدينة فرضة الفرات لأهل الشام .

قلت : وكانت الفرات تلصق بسور المدينة ، فجزرت عنها وبعدت جدا حتى صار بينهما بعد ، وفي زماننا قد قربت منها .

وقرأت في كتاب البلدان لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري قال : وحدثني سفيان بن محمد البهراني عن أشياخه قالوا : فتح عبادة والمسلمون معه أنطرسوس

١ ـ تعرف الان باسم مسكنه ، وتبعد عن حلب مسافة ٩٠ كم ، التقسيمات الادارية ، ٣٩٥ .

وكان حصنا ، ثم جلا عنه أهله ، فبنى معاوية أنطرسوس ومصّرها وأقطع بها القطائع ، وكذلك فعل بمدقية وبالس[1] .

وقال البلاذري ، فيما حكاه عن شيوخ الشام : قالوا : ثم سار أبو عبيدة ـ يعني بعد فتح دلُوك ورُعْبان ـ حتى نزل عراجين وقدم مقدمته الى بالس ، وبعث جيشا عليه حبيب بن مسلمة الى قاصرين وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أقطعا القرى التي بالقرب منهما ، وجعلا حافظين لما بينهما وبين مدن الروم بالشام ، فلما نزل المسلمون بها صالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء ، فجلا أكثرهم الى بلاد الروم وأرض الجزيرة .

قالوا : ورتب أبو عبيدة ببالس جماعة من المقاتلة ، وأسكنها قوما من العرب الذين كانوا بالشام ، فأسلموا بعد قدوم المسلمين من الشام ، وقوما لم يكونوا من البعوث نزعوا من البوادي من قيس ، وأسكن قاصرين قوما ثم رفضوها وأعقابهم[2] .

ونقلت من خط ابن كوجك في سيرة المعتضد تأليف سنان بن ثابت ، وذكر سنان أنه نقله من خط أحمد بن الطَّيِّب السَرخَسي في مسير المُعتضد لقتال خُمارَوَيه ابن طولون في وقعة الطواحين ، على ماذكرناه في وصفه لمدينة حلب ، وذكر أنه رحل من دَوْسر[3] إلى إلى بالِس يوم السبت لتسع ليال خلون منه ـ يعني من شهر ربيع الأول من سنة إحدى وسبعين ـ فنزل في الجانب الشرقي ، ثم عبر في يوم الأحد إلى الجانب الغربي من الفَرات ، وهو جانب المدينة ، وهي مدينة صغيرة (٣٨ ـ و) ولها قلعة وربض ، عليها سور واحد ، بعض بنائها على الفرات وبعضه بينه وبين الفرات رقه .

---

١ ـ في المطبوع ط . بيروت ١٩٥٧ ، ص ١٨٢ ، وط . القاهرة ١٩٣٢ ، ص ١٣٩ ، وكذلك في معجم البلدان لياقوت . ماده أنطرطوس ـ « فبنى معاوية انطرطوس ... وبلنياس » . وهذا أقرب الى الصحة من رواية ابن العديم . هذا ويرجح أن « مدقية » تصحيف « مرقية » القريبة من بانياس .

٢ ـ فتوح البلدان ، ١٥٥ .

٣ ـ هي قلعة جعبر ، وسيرد شرح ذلك وتبيانه عند الحديث عن قلعة جعبر .

وذكر البلاذري في كتابه قال : وكانت بالس والقرى المنسوبة إليها حدها الأعلى والأسفل أعذاء عشريه ، فلما كان مسلمه بن عبد الملك بن مروان توجه غازيا للروم من نحو الثغور الجزرية ، عسكر ببالس ، فأتاه أهلها وأهل توبلس وقاصرين وعابدين وصفين ، وهي قرى منسوبة إليها ، وأتاه أهل الحد الأعلى فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقي أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غلاتهم بعدعشر السلطان الذي كان يأخذه ، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة ووفوا له بالشروط ، ورمّ سور المدينة وأحكمه ، ويقال بل كان إبتداء العرض من مسلمة ، وأنه دعاهم الى هذه المعاملة ، فلما مات مسلمة صارت بالس وقراها لورثته ، فلم تزل في أيديهم إلى أن جاءت الدولة المباركه ، وقبض عبد الله بن علي أموال بني أمية ، فدخلت فيها ، فأقطعها أمير المؤمنين أبو العباس سليمان بن علي ابن عبد الله بن العباس ، فصارت لابنه محمد بن سليمان . وكان جعفر بن سليمان أخوه يسعى به إلى أمير المؤمنين الرشيد ، ويكتب إليه فيعلمه أنه لامال له ولا ضيعه الا وقد إختان أضعاف قيمته ، وأنفقه فيما يرشح له نفسه ، وعلى من اتخذ من الخَوَل (٣٨ ــ ظ) وأن أمواله حِلٌ طلق لأمير المؤمنين ، وكان الرشيد يأمر بالاحتفاظ بكتبه ، فلما توفي محمد بن سليمان ، أخرجت كتب جعفر إليه واحتج عليه بها ، ولم يكن لمحمد أخ لأبيه وأمه غيره ، فأقرّ بها ، وصارت أمواله للرشيد ، فأقطع بالس وقراها المأمون ، فصارت لولده من بعده[1] . (٣٩ ــ و)* .... (٣٩ ــ ظ)[2] .

* كتب ابن العديم في حاشية آخر هذا الجزء ، وهو الجزء الثالث ، السماع التالي : بلغ قراءة ولداي عبد الرحمن ومحمد ، ومحمد بن عبد الواحد الى باب ماجاء في ذم أنطاكية بقراءة محمد ، وباقي الجزء بقراءتي ، وقراه علي بدر الدين عبد الواحد.

١ ــ فتوح البلدان ، ١٥٥ ــ ١٥٦ .

٢ ــ ماكتبه ابن العديم في هذه الورقة لم يتجاوز الخمسة أسطر .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

قرأت في كتاب جغرافيا لابن حَوقل النصيبي قال : بالِس وهي مدينة على شط الفرات من غربيه ، صغيره ، وهي أول مدن الشام على الفرات ، فعَفَت آثارها ودرست قوافلها وتجارها بعد سيف الدولة ، وهي مدينة عليها سور أزلي ، ولها بساتين فيما بينها وبين الفرات ، وأكثر غلاتها القمح والشعير ، ومن مشهور أخبارها أن المعروف بسيف الدولة عند إنصرافه عن لقائه صاحب مصر ، وقد هلك جميع ماله ، أنفذ إليها المعروف بأبي حُصين القاضي ، فقبض من تجار كانوا بها ، توافرت لهم الأوقات ولم يطلق لهم النفور مع خوف بالهم،فأخرجهم عن أحمال بَزّ ، وأطواف زيتٍ الى ما عدا ذلك من متاجر الإسلام في دفعتين بينهما شهور قلائل وأيام يسيرة ألف ألف دينار[1] .

ونقلت من كتاب البلدان تأليف أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب ، وذكر بالِس وقال : وهي مدينة قديمة على شاطىء الفرات في أصل جبل ، ومنها تحمل التجارات التي ترد من مصر وسائر أرض الشام في السفن إلى بغداد ، وخراج بالِس إلى عامل ديار مُضر ، وحربها وصلاتها إلى عامل جند قِنَّسرين والعواصم ، وأهلها أخلاط من العرب والعجم (٤٠ ــ و) .

---

١ ــ صورة الارض ، ١٦٥ ــ ١٦٦ .

باب في ذكر حيار بني القعقاع

ويعرف بحيار بني عَبْسٍ أيضاً . وهي منسوبة إلى بني القَعْقاع بن خُليد بن جَزْءٍ بن الحارث العَبْسي ، وهم أخوال الوليد وسليمان ابني عبد الملك بن مروان . لأن أمهما وَلاّدَة بنت القَعْقاع بن خُليد بن جَزْء ، وقيل هي ولاّده بنت العباس بن جَزْء .

وكان الحيار بلداً قديماً ، فصار الآن منزلاً للأعراب ، ويعرف بقِنَّسرين الثانية ، فإنني قرأت في كتاب البلدان لابن واضح الكاتب في تعداد كُور جند قنسرين والعواصم ، قال : وكورة قنسرين الأولى وهي مدينة على جادة الطريق الأعظم ، وبهاقوم من تنوخ ، وكورة قِنَّسرين الثانية وهي حِيار بني القعْقاع وأهلها عَبْس وَفَزاره وغيرهم من قَيْس .

وذكر أبو الحسين بن المُنادي في كتابه المعروف بالحافظ أن الحِيار من الإقليم الثالث .

وذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب البلدان فيما حكاه عن شيوخه ، ونقلته من خط بَنُوسه ، قال : وقالوا : وكان حِيار بني القَعْقاع بلداً معروفاً قبل الإسلام ، وبه كان مقتل المُنذر بن ماء السماء اللَخْمي ملك الحِيرة ، فنزله بنو القَعْقَاع بن خُليد بن جَزْء بن الحارث بن زُهير بن جَذيمة بن رَواحة ابن رَبيعه بن مازن بن الحارث بن قُطَيْعَه بن عَبْس بن بَغيض ، فأوْطَنوه فنسب إليهم ، وكان عبد الملك بن مروان أقطع القَعْقَاع به قَطيعة ، وأقطع عمه العباس بن جَزْء بن الحارث قطائع أوْغرها له إلى اليمن ، وأوغرت بعده ، وكانت، أو أكثرها (٤٠ ــ ظ) مَواتاً . وكانت وَلاّدة بنت العباس عند عبد الملك بن مروان فولدت له الوليد وسُلَيْمان(١) .

١ ــ فتوح البلدان ، ١٥١ ــ ١٥٢ .

باب في ذكر معرة النعمان

هي مدينة حسنة وكان لها سور من الحجارة ، وأبنيتها أبنية حسنة بالحجر ، وهي كثيرة الأشجار والفواكه ، لاسيما من التين والفستق والزيتون . ويغلب على أهلها الذكاء المفرط ، وخرج منها جماعة من العلماء والشعراء منهم أبو العَلاء بن سُلَيمان ، وكان الفرنج قد هجموها ، وتشتت أهلها في البلاد في سنة ستوسبعين وأربعمائة[1] ، ثم فتحها من أيديهم أتابك زَنْكي بن آقسُنقر ، ورد على أهلها أملاكهم ، فعادوا إليها وسكنوها وعمرت المدينة عمارة حسنة ، لكن سورها خرب ، وبنى بها الملك المُظفر محمود بن ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهانشاه حين كانت في يده قلعة حسنة حصينة ، ونقل حجارتها من سياث ، مدينة خربه كانت قريبا منها ، ومن أبنية الروم التي في الكنائس المنهدمة في بلدها ، وانتزعها من يده عسكر الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيز بن الملك الظاهر أعز الله أنصاره ، فزاد في عمارتها وتقويتها ، فقويت قلوب أهلها بالقلعة ورغبوا في عمارة البلد وسكناه ، وهي اليوم من أعمر البلاد ، وقد صار أكثر عبور القوافل عليها .

أنبأنا أبو محمد وأبو العباس ابنا عبد الله بن عُلوان الأسديان عن أبي عبد الله محمد بن أبي السعادات عبد الرحمن بن محمد بن أبي الحسن المسعودي قال: مَعَرّة النُعمان هي منسوبة (٤١ ـ و) إلى النُعمان بن بَشير من الصحابه رضوان الله عليهم ، كان والي حمص والعواصم وتلك النواحي ، وكانت المَعَرّة قديما تسمى ذات القصور ، فلما مات للنعمان ابن هناك ، قيل لها مَعَرّة النُعمان .

١ ـ كذا في الاصل ، وهو خطأ ظاهر صوابه سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة .

وأخبرني أبو الحسن علي بن أبي بكر الهَرَوي قال : كان اسمها ــ يعني المعرة ــ قديما ذات القصور ، فنسبت إلى النُّعمان بن بَشير من الصحابة رضي الله عنهم ، لأن ابنه مات بها[1] .

وبلغني من غيره أن التي تعرف بذات القُصور هي معرة مَصْرين ، والأول أصح .

وأخبرني القاضي شهاب الدين أبو العباس أحمد بن مُدرك بن سُلَيمان المَعَرّي قاضيها بها ، فيما يأثره عن أهل مَعَرّة النُّعمان أن معرة النعمان إنما نسبت إلى النُّعمان بن بَشير لأن موضعها كان أجمة قصب ، وكان سكنى أهل المَعَرّة بسِياث ، وهي المدينة إذ ذاك ، وآثارها تدل على ذلك فخرج من سِياث ولد النُّعمان يتصيد ، فافترسه الأسد عند الأجمة ، فدفنه في ذلك الموضع ، وبنى منزلاً عند قبره ، وقال لأهل سِياث من كان يَودّني ويحب موافقتي فليبن له موضعاً عند الموضع الذي ابتنيته ، فبنى الناس مَعَرّة النُّعمان ، وسيت بذلك لما لحق النُّعمان من مَعَرّة الحزن على ولده .

قلت : والصحيح أن النُّعمان بن بَشير جدد بناءها وزاد فيه ، واختارها للمقام أيام ولايته فنسبت إليه ، وقد كانت مدينة معروفة قبل ذلك ، فتحها أبو عبيدة رضي الله عنه . وأكثر أهلها من تنوخ . (٤١ ــ ظ) .

وقال البلاذري في كتاب البلدان له : هي منسوبة الى النُّعمان بن بشير[2] .

وقال ابن حَوْقَل النَّصيبي في جغرافيا : مَعَرّة النُّعمان مدينة هي وماحولها من القرى أعذاء ليس بنواحيها ماء جار ولا عين[3] .

---

١ ــ الزيارات ، ٧ .
٢ ــ فتوح البلدان ، ١٣٧ .
٣ ــ صورة الارض ، ١٦٤ .

كذا قال وقد شاهدت عين ماء من قبلي المَعَرّة على الطريق بالقرب منها .

وقال الجَدَلي : هي منسوبة الى النعمان بن بشير الأنصاري ، كان معاوية ابن أبي سفيان أقطعه إياها فنسبت إليه .

وقال ابن واضح الكاتب : ومعرّة النعمان مدينة قديمة خراب وأهلها تنوخ .

وذكر صاحبنا ياقوت بن عبد الله الحموي في كتابه وقال : بمعَرّة النّعمان قبر محمد بن عبد الله بن عمار بن ياسر[1] .

وقرأت بخط محمد بن أحمد بن الحسن الكاتب في روزنامج[2] أنشأه وذكر فيه رحلته من بلاد أذربيجان إلى الحج وعوده منه ، وجعله كالتذكرة لولده قال فيه بعد أن ذكر خروجه من حلب حرسها الله : ونزلنا سَرمين ، فاستقبلني القائد بها بالإكرام والإنعام ، وركب في صحبتي إلى مَعَرّة النّعمان،بل مقر الروح والريحان، بل زهرة العين والجَنَان ، بل معدن البيان واللسان والرجحان في الأدب والشعر والاتقان ، بل محل كل كريم وهجان ، وهي مدينة تَبُل غلة الظمآن ، وتفثأ أكلة الغرثان السغبان[3] .

أخبرنا أبوعلي الأوقي إذناً عن أبي طاهر السِّلفي قال : حدثني محمد بن أحمد ابن إبراهيم الرازي قال : هذه نسخة كتاب الشيخ أبي القاسم عبد العزيز بن الحسين بن علي بن زُبيد المصري وقد رأيته بمعرة النعمان ، ولم أسمعها منه ،وذكر فيها : ثم سافرت منها ــ يعني طرابلس ــ فوصلت معرة النعمان فوجدتها واسعة الأسواق كثيرة الأرفاق ، صحيحة الهواء ، واسعة الفضاء ، مياهها غزيرة ، وفواكهها

---

١ ــ معجم البلدان ، مادة معرة النعمان .

٢ ــ فارسية معربة عن روزنامه ، أي دفتر يوميات ، لأن روز = يوم ، ونامه = دفتر ، سجل .

٣ ــ فثأ = أسكن ، غرثان = جوعان ، سغبان = جوعان ــ القاموس .

كثيرة ، وأهلها يميلون الى الخير والتعفف ، ويعيشون بالقناعة والتكلف ، وفيهم بعض الحمية ، وشيء من العصبية ، ولهم مع هذا معرفة بالشر والخصومة ، وعادة شدة السعاية والنميمة ، غير أن ذلك فيما بينهم لا يتعداهم ولا يتجاوزهم إلى أحد سواهم .

وأنبأنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي عن تاج الاسلام أبي سعد السمعاني قال : وذكر أبو نصر بن هميماه الرامشي أن النسبة الصحيحة إليها مَعَرْنمي لأن ثم معرَّتين (٤٢ ـ و) مَعَرَّة النُّعمان ومَعَرَّة مَصْرين ، فالنسبة الى الأولى معرنمي والى الثانية معرمصي غير أن أكثر أهل العلم لا يعرف ذلك ، والمَعري المطلق منسوب إلى مَعَرَّة النُّعمان .

قال أبو سعد السمعاني : خرج منها جماعة من العُلماء في كل فن ، وقبر عمر ابن عبد العزيز رضي الله عنه في سوادها بموضع يقال له دير سَمْعان[1] .

ومن أحسن ماوقع إلي في وصفها أبيات قالها الوزير أبو القاسم الحسين بن علي بن الحسين بن المغربي ، وقد أخبرنا ببعض قوله أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال : أخبرنا أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور قال : أنشدني أبو صالح قَراطاش بن طَنْطاش الظَّفري إملاءً قال : أنشدني أبو العز أحمد بن عبيد الله بن كادش العُكْبَري ح .

وقد أنبأنا أبو حفص بن طَبَرْزد عن ابن كادش قال : أنشدني أبو عبد الله محمد بن حَرْده قال أنشدني الوزير أبو القاسم المغربي لنفسه والأبيات :

ما على ساكن المَعَرَّة لو أن ... دياراً أنبَتَتْ بهم أو طلولا
يَسْكُنون العُلى معاقل شُما ... وَيرَون الآداب ظلا ظَليلا
مَنْزل شاقني أنيس وماكا ... ن رُسوماً نواحلا وطلُولا

---

١ ـ الأنساب ، ٥٣٦ ـ ظ .

حيث يدعى النسيم فظاً وتلقى | سبُلُ الغاديات شكساً بخيلا
أينما تلتفت تجد ظلَّ طوبى | وتجد كوثراً أغر صقيلا (٤٢ـظ)
تربُها طيب الشباب فما تص | حب إلاّ السرور فيها خليلا
فترى اللهو إن أردت طليقاً | والتُّقى إن أردته مغلولا
وإذا ما اعتزى بها الأدب العذْ | ريُّ جاءوا عمارة وقبيلا
ليت لا يعنف السحاب عليها | ليته جادها عليلا كليلا
وسلام على بنيها ولا زا | ل نعيم الحياة فيهم نزيلا

أنشدنا الحسن بن عمرو بن دهن الخصا قال : أنشدنا الخطيب أبو الفضل عبد الله بن أحمد الطوسي قال : أنشدنا الخطيب أبو زكريا التبريزي إجازة ، ح .

وأنشدنا أبو المحامد إسماعيل بن حامد القوصي قال : أنشدني أبو جعفر محمد ابن المؤيد بن أحمد التنوخي قال : أنشدني جدي أبو اليقظان أحمد بن محمد بن حواري قالا : أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه مما قاله ببغداد يتشوق بلده :

متى سألت بغداد عني وأهلها | فإني عن أهل العواصم سآّل
إذا جَنّ ليلي جُنّ لبي وزائد | خفوق فؤادي كلما خفق الآل
وماء بلادي كان أنجع مشرباً | ولو أن ماء الكرخ صهباء جريال
فيا وطني إن فاتني بك سابق | من الدهر فلينعم لساكنك البال
فإن أستطع في الحشر آتك زائراً | وهيهات لي يوم القيامة اشتغال (١)

* * *

١ ـ شروح السقط ، ١٢٥٣ ـ ١٢٥٨ .

باب في ذكر معرة مصرين[1]

وهي من الجَزْر من عمل حلب ، ويقال فيها معارة مصرين أيضا ، وهي مدينة مذكورة وبلدة مشهوره ، لها ذكر في الفتوح ، وباب الرزق فيها لطالبه مفتوح ، باطنها حسن وظاهرها أغن محفوفة بالأشجار ، وشرب أهلها من ماء الأمطار ، ولها سور قديم مبني بالحجر ، وقد تهدم ، وكاد أن لا يبقى منه إلا الأثر ، وكان الفرنج قد استولوا عليها حين استولوا على الأثارب[2] وزَرْدَنا .

وزَرْدَنا[3] قرية قريبة منها كان لها قلعة خربت ، ففتح إيلغازي بن أرتق مدينة مَعَرّة مَصْرين وزردنا والأثارِب في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بعد أن كسر الفرنج على ما نشرحه إن شاء الله في ترجمته ، وأهلها ذوو يسار وأموال وأملاك ولما هجمها الفرنج دفن أهلها فيها أموالاً ، فظهر بعدهم منها شيء .

ويقال أنها هي التي تعرف بذات القصور ، وكان أكابر حلب وأعيانها (٤٣ـو) يرغبون في إقتناء الأملاك بها ، واتخاذ الدور والمنازل فيها ، وكان فيها لسلفنا أملاك وافرة ، خرج عنا بعضها ، وبقي البعض ، ويجلب منها الزيت الكثير ، وأرضها عذي

١ ـ هي الان مركز ناحية تتبع محافظة ادلب في سورية ، وتبعد عنها مسافة ١٠ كيلو متر ، التقسيمات الادارية ، ٢٥٠ .

٢ ـ تعرف الان باسم أتارب ، ويصلها بحلب عن طريق مزفت طوله ٢٩ كم ، التقسيمات الادارية ، ٣١٢ .

٣ ـ هي الان احدى قرى ناحية معرتمصرين ، ويصلها بمدينة ادلب طريق ترابي طوله ٢٠ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٥٠ .

يزرع فيها البصل والثوم والكسفره والحبّه ، فتأتي على أكمل ما يكون من غير سقي .

وذكر أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب البلدان ما ذكره عن مشايخه في ذكر الفتوح قالوا : وبلغ أبا عبيدة أن جمعاً للروم بين معارة مصرين وحلب ، فلقيهم وقتل عدة بطارقة وفض ذلك الجيش ، وسبى وغنم ، وفتح معارة مصرين على مثل صلح حلب[1] .

وقد عد ابن واضح الكاتب لجند قِنَّسرين والعواصم كوراً فقال : وكورة مَرْتَحوان ، وكورة معرة مصرين .

قلت : وكلتاهما من الجَزْر متلاصقتان ، ومَرْتَحوان قريبة من معرة مصرين .

وقال الحسن بن أحمد المُهلبي في كتابه : وكان بلد معرة مصرين إلى جبل السُّماق بلد التين والزبيب والفُستق والسماق وحبة الخضراء ، يخرج عن الحد في الرخص ، ويحمل إلى مدن العراق ، ويجهز إلى كل بلد .

أنشدني بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن سعيد الخَشَّاب قال : أنشدني بعض أهل معرة مصرين لحَمْدان بن عبد الرحيم .

جادت معرة مصرينٍ من الديم ... مثلُ الذي جَاد من دَمْعي لَبينْهم
وسالمتْها الليالي في تغيُّرها ... وصافحتْها يد الآلاءِ والنِّعَم
ولاتناوحتِ الإعصارُ عاصفةً ... بعرصَتَيْها كما هَبَّت على إرَم
حاكَت يَدُ القَطْرِ في أفنائها حُللا ... من كل نَوْرٍ شَنيب الثَغْرِ مبتسم
(٤٣ ـ ظ)
إذا الصَّبا حرّكتْ أنوارَها اعتنَقت ... وقَبَّلتْ بعضُها بعضاً فماً لفم
كأنما نَشرتْ كفُّ الربيعِ بها ... بَهارَ كسرى مليك الفُرس والعجم

١ ـ فتوح البلدان ، ١٥٤ .

كم وَقْفَةٍ لي بباب السوق أذكرها — مع أسرةٍ ماتَت الدُنيا لموتهم
وكم على تل باب الحصن من أربٍ — أدركتَه عند خلٍّ من بني جُشَم
وكم على الجانب الشرقي لي خُلَس — مع فتيةٍ يدرؤون الهم بالهمم
مُهلهليُّون لا يألُون في كرم — جهداً ويَرعَون حقَّ الجارِ والذمم
عاقرتُهم وجلابيبُ الصِبا قُشُب — وعارضي غير محتاجٍ إلى الكَتَم
يا ليت شعري وليت أصبحت غُصصاً — هل يجمعُ اللهُ شملي بعد بينهم
وما كفى الدهر مني أن نأى بكمُ — عني وغادرني لحماً على وَضَم
حتى أراني حصار الكَفْرِ ثانيةً — بناظرٍ غرق تحت الدموع عم
صبراً لعلي أرى الدهر عاطفةً — تدبُّ فينا دَبيب البُرْءِ في السَّقَم
فاللهُ يُعْقِبُ أهلَ الصَّبْرِ إن صبروا — وصابروا بنعيم غير مُنصرم

الكفر قرية كبيرة من الجَزْر من كورة مَرتَحوان ولها مغائر كان الفرنج إذا أغاروا على البلد دخلوا واحتموا فيها ومعهم أهل يَحمول وبيت رأس وهي ثلاثة قرى مجتمعات يسمع في كل قرية صوت من يصيح في الأخرى ، فكان الفرنج يحصرونهم في المغائر فلا يقدرون عليهم . (٤٤ ـ و) .

أنبأنا أبو القاسم الحسين بن هبة الله بن صَصْرى قال أجاز لنا أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القَيْسراني وقال في معرة مصرين ، ورأيته أنا بخطه في ديوان شعره :

مَعرَّة مِصرين[1] ناهيك مِصرا — مَحَلاً مُحَلَى بهاءً وفخرا
أرق البقاع هواءً وماءً — وأبهى المنازل داراً وقَصْرا
أقَمْت بها يومَ صَدرٍ أغر — يُضاهي وُجُوهاً من القوم غرا
ووالهفتا لو أعان الزمان — خلعت على ذلك اليوم شهرا
(٤٤ ـ ظ)

١ ـ كذا ضبطت في الاصل ، مع أنها ضبطت في المرات السابقة بفتح الميم ، وهكذا ضبطها ياقوت .

باب في ذكر حاضر قنسرين

ويقال له حاضر طيء ، وكان مدينة إلى جانب قنسرين ، ولها قلعة تشبه قلعة قنسرين وبها قوم من طيء ، فلهذا ينسب إليهم . وقيل بأن محمد بن علي بن عبد الله ابن عباس لما تزوج رائطة بنت عبد الله الحارثية ، دخل بها في دار رجل من أهل الحاضر يقال له طلحة بن مالك الطائي ، أو منصور بن مالك الطائي ، فاشتملت على أبي العباس السفاح في داره .

والحاضر الآن قرية كبيرة يسكنها الفلاحون ، وخربت قلعتها وصارت الآن تلاً يزرع فيه القَصيل والأشنان .

قرأت بخط ابن كوجك العبسي الحلبي في كتاب سيرة المُعْتَضد تأليف سِنان ابن ثابت بن قُرَّه مما نقله من خط أحمد بن الطيب السرخسي في مسير المعتضد إلى وقعة الطواحين فقال بعد أن ذكر دخول المعتضد إلى حلب : ورحل الأمير من مدينة حلب يوم الخميس لليلتين خلتا من رجب ــ يعني من ــ سنة إحدى وسبعين نحو قنسرين الأولى ، وبينهما إثنا عشر ميلا تكون أربعة فراسخ ، وقنسرين مدينة صغيرة لأخي الفُصَيْص التنوخي ، وعليها سور ، ولها قلعة ، وسورها متصل بسور سائر المدينة ، وعلى فرسخ من هذا الموضع مما يلي حلب مثل هذه المدينة لطيء ، وهي التي تعرف بحاضر طيء ، وعليها سور أيضاً ، ولها قلعة على بناء قنسرين .

وقرأت بخط بَنُوسَه في كتاب أخبار (٤٥ ــ و) البلدان وفتوحها وبنائها تأليف أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : وكان حاضر قنسرين لتنوخ مذ أول ما تنخوا بالشام نزلوه وهم في خيم الشعر ، ثم ابتنوا به المنازل ، فدعاهم أبو عُبيدة إلى الإسلام ، فأسلم بعضهم ، وأقام على النصرانية بنو سَليح بن حُلْوان بن عِمران بن الحاف بن قُضاعة .

قال : فحدثني بعض ولد يزيد بن حُنين الطائي الأنطاكي عن أشياخهم أن جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة المهـدي ، فكتب على أيديهم بالخضرة قنسريـن .

ثم قال البلاذري : وكان حاضر طيء قديماً نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم حتى نزل الجبلين من نزل منهم ، فتفرق باقوهم في البلاد ، فلما ورد أبو عُبيدة عليهم أسلم بعضهم ، وصالح كثير منهم على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شَذّ عن جماعتهم(١) .

وقال ابن واضح الكاتب : وبإزاء مدينة قنسرين مدينة يقال لها حاضر طيء بها منـازل طـيء .

قلت : وبها الآن جماعة كبيرة عَبْسيون ، وكان عِكْرشة بن أرْبَد العبسي نازلاً بها في أيام هشام بن عبد الملك والوليد بن يَزيد ، فمات بنوه فيها فقال يرثيهم وسنذكرها في ترجمته إن شاء الله تعالى .

سـقى الله أجـداثاً ورائي تركتهـا بحـاضر قنسريـن من سَبَل القَطـر
مضوا لا يريدون الرّواح وغالهـم من الدهر أسباب جرين على قـدر(٢)

(٤٥ ـ ظ)

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر بالمزّة من لفظه قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي أحمد لفظاً قال : أنبأنا محمد بن محمد الصوفي عن أبـي سعد الفقيـه قال : أخبرنا أبو نُعيم الحافظ قال : أخبرنا أبو الشيخ الحافظ قال : قريء على أبي محمد بن عبد الله بن محمد بن يعقوب قال : أخبرنا أبو حاتم الرازي قال : دخلت حاضر قنسرين فرأيت مدينتها وبيوتها وحيطانها وأنهارها قائمة ليس فيها أحد ، فسألت عن أمرهم فقيل لي : إنه كان بينهم وبين أهل حلب قتال ، فكانوا يغدون كل يوم للقتال حتى كان ليلة دخلوا مدينتهم ، فأصبحوا وليسوا في المدينة لا يُدرى أين أخذوا .

١ ـ فتوح البلدان ، ١٥٠ ـ ١٥١ .
٢ ـ انظر معجم البلدان ، مادة حاضر .

باب في ذكر سرمين[1]

وهي مدينة بطرف جبل السماق كبيرة العمل واسعة الرستاق ، ولها مسجد جامع وأسواق . وكان لها سور من الحجر خرب في زماننا هذا ودثر ، وبها مساجد كثيرة داثرة كانت معمورة بالحجر النحيت عمارة فاخرة ، قيل إن بها ثلاثمائة وستين مسجداً ليس بها الآن مسجد يصلى فيه إلا المسجد الجامع ، وأكثرها الآن إسماعيلية ولهم بها دار دعوة .

وكان يسكن بها الحسن بن عِجْل المعروف بالصوفي الذي ينتسب إليه بنو الصوفي رؤساء دمشق ، وكان جد أبي الحسن علي بن مُقَلد بن منقذ صاحب شَيْزَر لأمه ، ولما قوي أمر الإسماعيلية بسَرْمين تحول (٤٦ – و) إلى حلب فسكنها ، وداره بحلب هي الدار التي وقفها شيخنا قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف ابن رافع بن تميم رحمه الله مدرسة لأصحاب الشافعي رحمه الله ، تجاه المدرسة النورية ، وخرج منها فضلاء وشعراء .

وذكرها أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتاب البلدان في تسمية كور جُند قنسرين والعواصم فقال : كورة سرمين وأهلها من قيس .

وكان بقربها في جبل بني عليم حصن منيع يقال له كفر لاثا[2] ، وكان الفرنج قد استولوا عليه وعلى سرمين في سنة ست وسبعين وأربعمائة[3] ، فاستنقذه نور الدين محمود بن زنكي من أيديهم وخَرَّبَه .

---

١ – هي الان احدى قرى محافظة ادلب التي يصلها بها طريق مزفت طوله ٨كم . التقسيمات الادارية ، ٢٤٦ .

٢ – تعرف الآن باسم كفر لاته ، ويصلها بادلب طريق مزفت طوله ٢٠كم ، وجبل بني عليم يعرف الآن باسم جبل الاربعين . انظر التقسيمات الادارية ، ٢٥٢ .

٣ – كذا في الاصل ، وهو خطأ واضح صوابه سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة .

باب في ذكر كفر طاب

وأما مدينة كفر طاب فكانت مدينة مبنية بالمَدر وشربهم من صهاريج من ماء المطر ، وكان بها جماعة من الأعيان المُوسرين ، ومن أهل العلم والدين ، فهجمها الفرنج في سنة ست وسبعين[1] ، فتشتت أهلها في بلاد الشام ، وكان منهم المعروفون ببني قُشام ، ولما استرجعها أتابك زنكي من أيدي الكفار رجع إليها من أهلهامن أحب الرجوع واختار ، وكان بها جماعة من العلماء ، والأدباء والشعراء .

وذكرها أحمد بن أبي يعقوب بن واضح في كتاب البلدان فقال : ومدينة كفر طاب والأطميم وهي مدينة قديمة ، وأهلها قوم من يمن من سائر البطون ، وأكثرهم كِنْدَه .

الأطميم هي المعروفة (٤٦ ـ ظ) الآن بِلَطْمين[2] ، وهي قرية كبيرة جامعة .

قرأت بخط أبي طاهر السِّلَفي في رسالة أبي المظفر إبراهيم بن أحمد الأذري التي ذكر فيها رحلته إلى الشام وغيرها قال : ومنها ـ يعني من معرة النعمان ـ إلى كفر طاب ، وما أحسنها بلدة لو أن لأهلها ماء لشفاههم وشرباً لأفواههم(★) .

أنشدني والدي رحمه الله لبعض الشعراء يصف كفر طاب بقلة الماء :

باللـه يـا حَـادِي المطايـا   بـين حُنـاك وأرْمَنايـا

---

١ ـ خطأ واضح صوابه : سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة .

٢ ـ هي الان احدى قرى حماه ، وتبعد عنها مسافة ٣٦ كم . التقسيمات الادارية ، ١١٧ .

★ جاء هذا النص في الحاشية ، وكتب ابن العديم الى جانبه : ملحق محرم سنة ثمان ، أي سنة ثمان وخمسين وستمائة قبل وفاة ابن العديم بعامين .

عــرِّج على أرض كفـر طـاب وحَيِّهــا أوفــر التحايــا
وأهـدِ لهـا المـاء فهـي ممـن يفـرح بالمــاء فـي الهدايـا

ويروى : يهدى لها الماء في الهدايا .

وقيل بأن هذه الأبيات لأبي محمد عبد الله بن محمد سعيد الخفاجـي الحلبي ، والأمر على ماذكره في قلة الماء بها ، فإن حمامها لها صهريج من ماء المطر ، وما يخرج منها من الماء المستعمل يستعملونه في دباغة الجلود ، ثم يستعملونه في طين الفخار الذي يعمل بها ، ويحمل الى البلاد التي حولها(١) .



١ ـ يقوم موقع كفر طاب على مسافة ما يقارب ٣ كم الى الغرب المباشـر لخان شيخون الواقعة على الطريق العام دمشق ـ حلب ، وتبعد خـان شيخون عـن معرة النعمان مسافة ٢٥ كم . وقد زرت الموقع مؤخرا ، فشاهدت بقايا مدينة كبيرة كلهـا مطمور ، ولاحظت كثرة الصهاريج والاقنية ، وفي احدى البقاع التي اظنها كانت مكـان معامل الفخار دهشت لكثرة بقايا الفخار المطلي بالميناء المتعدد الالوان ، ممـا يؤكد مـا ذكره ابن العديم ويشهد برقي صناعي كبير ، انظر التقسيمات الادارية ، ٢٨٠ ، ولم أجد الابيات في ديوان ابن سنان .

باب في ذكر أفاميه

ويقال فيها فاميه أيضاً بغير ألف ، وهي مدينة قديمة ، وبها آثار روميه عظيمه ولها قلعة منيعة في نهاية القوة ، هي باقية إلى اليوم ،وقد ذكرنا فيما تقدم أن سَلوقس بناها وبنى سلوقيه ، وحلب ، والرُها ، واللاذقيـة .

وقال ابن واضح الكاتب في كتاب البلدان : ومدينة فاميه ، وهي مدينة روميـة قديمة خراب على بحيرة عظيمة ، وأهلها عُذْرَة وبَهْراء .

وشاهدت في طريق حماه بالقرب من العَبَّادي أثر قناة قيل لي : إن هذه قنـاة أفاميه وكانت تأتي إليها من سَلَميه .

وأخبرني والدي رحمه الله قال إذا مدّ نهر قُويق وغاض بالمطخ يحمر ماء بحيرة أفاميه فيقولون إن مغيض الماء يخرج تحت الأرض إلى البحيرة المذكورة .

وبعض الناس يقول : إن سمك البحيرة يحيض فيحمر ماؤها ، وأفاميـه بلـدة وبِئَة" جداً .

ويقال : إن أبا هُريرة صار ألى فاميه فلم يُضيفوه ، فارتحل عنهم ، فقالوا : يا أبا هريرة لم ارتحلت عنا ؟ فقال لأنكم لم تضيفوني . قالوا : ما عرفناك . فقال وإنما تضيفون من تعرفـوا ؟ قالوا : نعم ، فارتحل عنهم .

أخبرنا بذلك أبو الحسن محمد بن علي قال : أخبرنا أبو الفضل إسماعيل بن علي الخزوي قال : أخبرنا أبو محمد هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني قال : حدثنا

أبو محمد عبد العزيز بن أحمد الكتاني قال : أخبرنا أبو المُعَمِر المُسَدَّد بن علي ابن عبد الله بن العباس الأملوكي قال : أخبرنا أبي أبو طالب علي قال أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن سعيد قال : حدثنا عمران بن بَكّار البراد قال : حدثنا عبد السلام بن محمد الحضرمي عن بَقيّة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أن أبا هريرة دخل حمص مجتازا بها حتى صار الى فاميه فلم يضيفوه ، فارتحل عنهم ، وذكر ما ذكرناه إلى آخره .

وقلعة فاميه من القلاع الموصوفة بالحصانة والمنعة[1] .

وأنبأنا أبو القاسم الأنصاري عن الحافظ أبي طاهر السلفي عن أحمد بن محمد ابن الآبنوسي عن أبي الحسين بن المنادي قال : أما القلاع التي اتخذها جباروا الأمم وملوك الأرض عواصم من أعدائهم ، والأبنية التي تحصنوا بها من مخاوفهم فأكثر من أن تحصى ، وإن من أعجبها بنيانا وأمنعها بإذن الله لمن استقطنها قلعة ماردين ، وقلعة بعلبك ، وقلعة فاميه . وذكر غير ذلك .

وكانت أفامية في أيدي نواب المصريين فنزل عليها قسيم الدولة آق سُنْقُر في سنة أربع وثمانين وأربعمائة ، فكاتبه أهلها فخاف الوالي وسلمها إليه ، فسلمها إلى أبي المُرهف نصر بن مُنْقذ ، ثم أخذها منه تاج الدولة تتش، فلما قتل وثب أهلها فيها ، ونادوا بشعار المُستنصر المستولي على مصر ، فسير إليها خَلف بن مُلاعِب في سنة ثمان وثمانين ، إلى أن قتله الباطنيه بها فنزل عليها طنكري الفرنجي فتسلمها في شهر محرم من سنة خمسمائة بعد أن أقام عليها ثمانية أشهر[2] .

---

١ ــ تعرف الآن باسم قلعة المضيق ، وهي تبعد عن مدينة حماه مسافة ٤٥ كم ، التقسيمات الادارية ، ١٣٩ .

٢ ــ سيرد هذا بشكل مفصل في ترجمة خلف بن ملاعب . وطنكري Tancred هو صاحب انطاكية المتوفى سنة ١١١٢ م .

باب في ذكر شيزر

هي مدينة صغيرة وفواكهها كثيرة ولها قلعة حصينـــة ، ومدينة تحت مدينـــة استولى عليها الفرنج [1] حين خرجوا الى الشام وانتزعوها من أيدي ولاة الإسلام وكان لسديد الملك أبي الحسن علي بن المُقَلَّد بن مُنقد قلعة الجسر إلى جانبها فعمرها وحصنها ، وقصد بذلك التضييق على الأسقف الذي كان بشيزر ، فحصل لابن مُنقذ ما قصده ، وضاق بالأسقُف الأمر وكره بلده ، فاشترى شَيْزَر من الأسقُف بمال بذله ، وتسلم منـــه البلد ونزله ، وذلك في سنـــة أربع وسبعين وأربعمائة ، وعمرها ابن مُنقذ وسكنها ، وشيَّد قلعتها وحصنها ، فصارت مذكورة بين البـــلاد •

وأمراؤها السادة بنو مُنْقذ هم الأجناد ، وقصدها أبو المكارم مُسلم بن قريش بالحصار ، فعاد عنها بالخيبة والخسار ، فقال فيه سالم بن المهذب عند عجزه عنها أبياتا ستذكر في ترجمته إن شاء الله ، منها •

قَمِتَ كمـــداً فالجســـرُ لستَ بجـــاسرٍ
عليه وعاين شَيْزراً أبداً شزراً [2] (٤٧ ـــ ظ)

وشَيْزَر بلد موصوف بالوخامة ، وفيه يقول مؤيد الدولة أُسامة :

---

١ ـــ كذا في الاصل ، وهو خطأ صوابه الروم ، ذلك أن شيزر لم تسقط للفرنج انظر زبدة الحلب ١/١٤٣ ـــ ١٤٤ •
٢ ـــ انظر الخريده ـــ قسم شعراء الشام ٢ / ١٢٨ •

وخمت وجاورها العـدو فأهلها شهداء بين الطعن والطاعون (١)

ولم تزل شَيْزَر في أيدي بني مُنقذ يسكنونها ويُحامون عنها ويحفظونها إلى أن جاءت الزلزلة سنة إثنتين وخمسين وخمسمائة ، فهدمت شَيْزَر وحماه ، وقتلت صاحبها محمد بن سلطان بن مُنْقذ ، وهتكت حماه ، وكان قد ابتنى داراً وزخرفها ، وجلس فيها وعنده أولاده وبنوعمة وحاشيته وهم يتفرجون على قرد عندهم ، فجاءت الزلزلة وهدمت الدار عليهم ، فلم ينج منهم غير القرد ، وبادر نور الدين محمود بن زَنْكي إلى شَيْزَر فتسلمها وعمر أسوارها ، ودفعها إلى سابق الدين عثمان ابن دايته ، ولم تزل في عمارة وزيادة الى أن أُخذت من ابن ابنه ، حصره الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر رحمهما الله ، فتشعثت أحوال المدينة ، وقلت معايش أهلها لعدم سكنى العسكر بها ، وأما القلعة فأحوالها منتظمة وأمورها مستقيمة ملتئمة ، ونهر الأرنط يحلء سفح القلعة ، وقد بُني عليه سِكر(١) ليجتمع الماء تحت القلعة ، ويسمى ذلك الموضع الخِرْطله . وقد ذكرها امرؤ القيس في قصيدته الرائية بقوله :

تَقطّعُ أسباب اللُّبانه والهوَى عشية جاوزنا حماة وشَيْزرا(٣)

أخبرنا أبو العباس أحمد بن عبد الله بن عُلوان الأسدي قال : أخبرنا أبو البركات محمد بن حمزة العِرْقي كتابة وأخبرنا عنه سماعاً أبو محمد عبد الدائم ابن عمر بن حسين قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن جعفر السعدي المعروف بابن القطّاع قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن البِرّ اللغوي قال : أخبرنا أبو محمد

١ ـ ليس في ديوان أسامة ، ط . القاهرة ١٩٥٣ .
٢ ـ في الحاشية : تهدم هذا بزيادة الماء في سنة خمس وأربعين وسبعمائة ، كتبه محمد السابق الحموي .
٣ ـ ديوان امرىء القيس ط . القاهرة ١٩٥٨ .

إسماعيل بن محمد النيسابوري قال : أخبرنا أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قال : وشَيْزَر اسم موضع لا أحسبه عربيا صحيحا [1] (٤٨ ــ و) .

وقد ذكرها أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب صوره الأرض والمدن وما تشتمل عليه فقال : فأما شَيْزَر وحماه فإنهما مدينتان صغيرتان نزهتان ،كثيرتا المياه والشجر والزرع .



١ ــ الصحاح للجوهري مادة شزر ٢ / ٦٩٧ ، وفيه وشيزر بلد ، فقط .

باب في ذكر حمـاة

حماة بلدة حسنة نضرة حلوة خضرة ، أطاع حسنها العاصي واستحلاها الداني والقاصي طيبة الفواكه والثمار ، وأهلها خيرة أبرار ، وهي مدينتان والقلعة بينهما، وعلى كل مدينة منهما سور ، وفيها سوق ، والمدينة الغربية تعرف بسوق الأعلى ، والمدينة الشرقية تعرف بسوق الأسفل ، ولكل واحدة منهما مسجد جامع تقام فيـه الخطبة ، ونهر الأرنط يحف بدور المدينتين ، ولم تكن قلعتها بالحصينة ولا المختارة وخربتها الزلزلة سنة إثنتين وخمسين وخمسمائة ، وكانت زلزلة عظيمة هائلة .

ولما ملكها تقي الدين عمر ابن أخي السلطان الملك الناصر حصنها وقواها ،وجاء بعده ولده الملك المنصور محمد بن عمر فجدد أسوار القلعة ، وبناها وشيدها وعلاها فصارت من أحسن القلاع وأبهاها ، ويغلب على أهلها العلم والأدب ، وقد عـدها البشاري كما ذكرناه مـن مـدن حلـب [1] .

وقرأت بخط أبي طاهر السلفي في رسالة أبي المظفر الليثي قال : ومنها ـ يعني من كفرطاب ـ الى حماه ، وهي مدينة نزهة بنيت على النهر المعروف بالعاصـي ، وربما قيل له المقلوب ، وعلى حافتي النهر دواليب يسميها أهلها الحنّانات ، ومـن جملتها الحنانة المعروفة بأم الحسن ، ويقال إن فلكها أربعون ذراعا [2] (٤٨ ـ ظ)

وقد ذكرها امرؤ القيس مع شَيْزَر في شعره كما ذكرنا ، وكذلك عبيـد الله ابن قيس الرقيات في قوله :

---

١ ـ أحسـن التقاسـيم ، ١٥٤ .

٢ ـ ما يزال موقع بستان أم الحسن معروفا في حماة ويحمل الاسم نفسه ، وقد حولت هذه البستان مؤخرا الى حديقة عامة ، ولم يتبدل موقع ناعورة أم الحسن ، انما هي مشهورة الآن باسم ناعورة الجسرية .

قضوا بيَ أنظرْ نحو قوميَ نظرةً فلم يَقفِ الحادي بنا وتَغَشْمرا
فواحَزَنا إذ فارقونا وجاوزوا سوى قومهم أعلى حماة وشَيْزَرا (1)

وقال أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في ذكر حماة : وهي مدينة قديمة وعلى نهر يقال له الأرنط وأهل هذه المدينة قوم من يمنٍ ، والأغلب عليهم بَهْراء وتَنوخ . وعدّها ابن واضح من عمل حمص لكن البِشاري ذكرها وشَيْزَر ورفنيه من مدن حلب .

وذكر أبو العلاء المعري أنها من العواصم .

ورَفَنِيَة مدينة قريبة من حماة خربت ودثرت .

وقيل إنما سميت حماة لأنه نزل بها الحَمَاني بن كنْعان بن حام .

أنشدني أبو الربيع سليمان بن يَنْيمان بن أبي الجيش بن يَنْيمان الإربلي لنفسه :

سقى زمناً بربع حماة ولّى هزيم الوَدْقِ مُنْهَلُّ الرَّبابِ
حتى يستطيرُ البرقُ فيه كمتنِ السَيف سُلَّ من القِرابِ
فكم سلفتْ لنا فيها ليالٍ سرَقْناهُنّ من عَصْرِ التَّصابي
وكم صِدْنا بها من ظَبي إنسٍ رخيم الدلّ مُقتبلِ الشباب
يُريكَ إذا بدا أنوارَ وجهٍ كشمس الأفق تُسفر عن نقاب
وعاصيها يُصَفّقُ حين تشدو الـ حمائم فوق أغصانٍ رطاب
ترى الأنها رَمنها في اصطخاب إذا الورقاءُ أبدتْ في انتحاب
فكم من جدْولٍ ينسابُ فيه على الحصباءِ جرياً كالحباب
وبدرُ التمّ قد ألقى سَناه عليه فهو فضّي الإهاب
فلا تَعْدِلْ بعاصيها قَوَيْقاً فأين الدَّوحُ من تلك الهضابِ

1 ــ ديوانه ، 140 .

باب في ذكر بغراس

هي قلعة مذكورة حصينة وكان الطريق الى الثغور للغزاة عليها ، وكان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب قد استنقذها من أيدي الكفار في ثاني شعبان من شهور سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، فخرب قلعتها •

فجاء الفرنج الديوية [1] وعمروها واستولوا عليها وهي الآن في أيديهم •

وقريب منها حصن الدربساك فتحه الملك الناصر أيضا في ثامن من شهر رجب من السنة المذكورة ، وهو في أيدي المسلمين اليوم •

وقرأت في كتاب أبي زيد أحمد بن سهل البلخي في صفة الارض والمدن (٤٩ ــ و) وما تشتمل عليه قال : وبغْراس على طريق الثغور ، وبها دار ضيافة لزبيدة ، وليس بالشام دار ضيافة غيرها •

وذكر أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب البلدان وفتوحها وأحكامها ونقلته من خط بنوسه وحكاه البلاذري عمن حدثه من أهل الشام قالوا : وكانت أرض بغْراس لمسلمة بن عبد الملك فوقفها في سبل البرّ ، وكانت عين السلور وبحيرتها له أيضا •

قلت : يريد بعين السلور وبحيرتها بحيرة يغْرا من عمل حارم [2] ، وناحية العَمق •

---

١ ــ يعني فرسان المعبد The Knights Templars

٢ ــ تبعد حارم عن حلب مسافة ٥٣ كم ، وهي الان مركز منطقة . انظر التقسيمات الادارية ، ٢٦٤ •

وقال البلاذري : وحدثني بعض أهل أنطاكية وبَغراس أن مسلمة بن عبد الملك لما غزا عموريه حمل معه نساءه وحمل ناس ممَّن معهم نساءهم وكانت بنو أمية تفعل ذلك إرادة الجد في القتال للغيرة ، فلما صار في عقبة بَغْراس عند الطريق المستدقة التي تشرف على الوادي سقط محمل فيه امرأة الى الحضيض ، فأمر مسلمة أن تمشي سائر النساء ، فمشين ، فسميت تلك العقبة عقبة النساء .

قال : وقد كان المعتصم بالله صلوات الله عليه بنى على حد تلك الطريق حائطا قصيرا من حجارة .

قال البلاذري : وقد اختلفوا في أول من قطع الدرب ، وهو درب بَغْراس ، فقال بعضهم لبعض : قطعه ميسرة بن مسروق العبسي ، وجهه أبو عبيدة بن الجراح (٤٩ ــ ظ) فلقي جمعا للروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ وإياد يريدون اللحاق بهرقل ، فأوقع بهم وقتل منهم مقتلة عظيمة ، ثم لحق به الاشتر النخعي مددا من قبل أبي عبيدة وهو بأنطاكية .

وقال بعضهم : أول من قطع الدرب عُمير بن سعد الأنصاري حين توجه في أثر جَبَلَة بن الأيهم .

وقال أبو الخطاب الأزدي : إن أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمر بالمِصِّيصَة وطرسوس ، وقد جلا أهلها وأهل الحصون التي تليها ، فأدرب وبلغ في غزاته زندة .

وقال غيره : إنما وجه ميسرة بن مسروق فبلغ زندة[1] .

* * *

١ ــ فتوح البلدان ، ١٦٨ ــ ١٧٢ .

باب في ذكر المصيصه

وهي الآن في أيدي الأرمن •

وهي مدينة مذكورة من الثغور الشامية وأعمال حلب ، والاقليم الرابع ، وتشتمل على مدينتين بينهما نهر جيحان ، مدينة المصيصة من الجانب الغربي من النهر ، ومدينة كفربيا من الجانب الشرقي ، وكلتاهما كان بها جماعة من أهل العلم •

وقرأت في بعض المجاميع في عجائب طبائع البلدان قال : ومن أطال الصوم بالمِصِّيصَة في الصيف هاجت به المرة السوداء ، وربما جُن •

وقرأت بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي قال : حدثنا أبو محمد وأبو الفضل والقاسم وصالح ابنا أبي القاسم العجْليان قالا : حدثنا أبو عبد الله محمد بن أيوب بن الضُريس الرازي قال : سمعت علي بن عبد الله يقول : تَوسْوس يوسف بن أسباط بالمِصِّيصَة ، وعوفي حتى صار إلى حال الصحة •

وقرأت بخط أبي عمرو حدثني أبو الحسن العدل علي بن الحسين الحذاء وأبو بكر غانم بن يحيى بن عبد الباقي قالا : حدثنا أبو القاسم يحيى بن عبد الباقي قال : وكذلك يحكم أهل الحكمة على من أدمن شرب ماء جَيْحان مع ملازمة الصوم أنه يورث الوسواس •

وقرأت في كتاب أحمد بن محمد بن إسحق الزيات الهمذاني في البلدان وذكر من أعاجيب البلاد وقال : ومن أطال الصوم في المِصِّيصَة هاج به المرار الأسود •

وقال أبو عُبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري في كتاب معجم ماستعجم من أسماء البلاد : المِصِّيصَة بكسر أوله وتشديد ثانيه بعده ياء ثم صاد أخرى مُهملة ، ثغر من ثغور الشام •

وقال أبو حاتم : قال الأصمعي : ولا يقال مَصِّيصَه بفتح أوله(1) •

وقرأت بخط إبراهيم بن محمد الطبري (٥٠ ــ و) المعروف بتُوزون في كتاب الياقوت تأليف أبي عمر محمد بن عبد الواحد صاحب ثعلب في ياقوته البرم ، وذكر أن أبا عُمر أملاه علينا من حفظه في شهور سنة سبع وثلاثمائه وعشرين ، وذكر أنه قرأة على أبي عمر أيضا قال : أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابي قال : هي المِصَّيصَة ، والنسب إليها مِصِّيصي •

وأخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكندي قراءة عليه قال : أخبرنا أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي قراءة عليه فيما تلحن فيه العامة مما يُكسر ، والعامة تفتحه ، وهي المِصِّيصَة بكسر الميم(2) •

وقرأت بخط الحافظ أبي طاهر السلفي ، وأجازه لنا عنه غير واحد من الشيوخ قال : وسمعته ــ يعني أبا الحسن أحمد بن حمزه بن أحمد التنوخي العِرْقي ــ يقول كان أبو القاسم بن القَطاع يقول فلان المِصيصي بتخفيف الصاد وينكر على من يشدده •

وأما معرفة من بناها أولا فاختلف في ذلك ، فقال أحمد بن الطَّيِّب السرخسي في المسالك والممالك : المِصِّيَصة ، قال : وهي مسماة فيما زعم أصحاب السير باسم الذي عمرها وهو المصيصة بن الروم بن اليفن بن سام بن نوح •

---

١ ــ معجم ما استعجم ، مادة مصيصة ١٢٣٥/٤ .
٢ ــ كتاب تكملة اصلاح ما تغلط فيه العامه ، ٤٨ .

وقرأت في كتاب وقع إلي بالقاهرة في جماهير أنساب اليمن وأسماء ملوكها ، قال أبو القاسم الحسن بن علي الكوفي حدثنا أبو سليمان داود بن عبد الله اليماني الصنعاني قال : حدثنا أحمد بن القاسم قال : حدثنا الفضل بن العباس الأنصاري عن أبيه قال : أُتي معاوية بن أبي سفيان بشيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر ، فما ينظر إلا ما رفع باليد ، قال : ما اسمك ؟ قال : عَبيد بن شِرْيه[1] ، قال : المَني ؟ قال : الجُرْهمي ، قال : وهل بقي من جرْهم أحد ؟ قال : أنا من بقيتهم ، قال : فسأله عن مسائل ذكرها ، إلى أن ذكر له ولد يافث بن نوح ، فقال : يافث (٥٠ ــ ظ) بن نوح ولد سبعة ذكور منهم جُومر بن يافث ، ومأجوج بن يافث وماذي بن يافث ، وياوان بن يافث ، وثوبان بن يافث ، وماشج بن يافث وتيراس بن يافث .

قال : وولدياوان بن يافث أياس ، والمصِّيصة وطَرسُوس ، وأَذنه ، والروم من ولد هؤلاء ، وحلّوا بلادهم ، فعرفت بأسمائهم على تخوم الروم ، طَرسُوس وأَذنه والمصِّيصَة وأياس .

وقد ذكر في التوراة ولدياوان كما ذكرناه .

وقال الحسن بن أحمد المُهلبي العزيزي في كتاب المسالك والممالك الذي وضعه للعزيز المستولي على مصر ، وذكر المصيصة : فكانت تسمى بغداد الصغيرة لأنها كانت جانبين على النهر ، وكان بها من أهلها فتيان فرسان ظرفاء شجعان .

قال : فأما خاصيات الثغر فإنه كان يعمل بالبلد الفراء المصِّيصَيَّة ، تحمل إلى الآفاق ، وربما بلغ الفرو منها ثلاثين ديناراً ، ويعمل بها عيدان السروج التي يبالغ

---

١ ــ نشر في سنة ١٣٤٧ هـ في حيدر أباد الدكن كتاب اسمه أخبار عبيد مع كتاب آخر اسمه التيجان في ملوك حمير ، ويحوي كتاب أخبار عبيد المادة التي ينقلها ابن العديم هنا وفي أماكن أخرى ، لكن هناك خلاف في السياق والتفاصيل .

بشمنها إلى هذه الغاية ، ولم يكن على وجه الأرض بلد يعمل فيه الحديد المحزوز للكراسي الحديد واللجم والمهاميز والعَمَدَ والدبابيس كما يعمل بالثغور •

وقرأت في كتاب البلدان تأليف أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب قال : ومدينة المصِّيصَة مدينة بناها المنصور أمير المؤمنين في خلافته ، وكانت قبل ذلك مصلحة ، وأول من قطع جبل اللكام وصار إلى المصِّيصَة مالك بن الحارث الأشتر النخعي ، من قبل أبي عُبيدة بن الجَرّاح ، وكان بها حصن صغير بناه عبد الله بن عبد الملك لما غزا الصائفة •

وقد حكينا (٥١ ـ و) في الباب الذي قبل هذا الباب عن البلاذري قال : وقال أبو الخطاب الأزْدي : إن أبا عبيدة نفسه غزا الصائفة فمر بالمِصيصة وطَرسُوس ، وقد جلا أهلها وأهل الحصون التي تليها فأدرب ، وبلغ في غزاته زَنْدَه •

عدنا إلى كلام ابن واضح قال : وخرج المنصور إلى الثغور ، فبنى مدينة المصَّيصَة العظمى على النهر الذي يقال له جَيْحان ، ونقل الى مدينة المصيصة أهل السجون من الآفاق وغيرهم ، وبنى أمير المؤمنين المأمون مدينة إلى جانبها سماها كفَر بَيَّا ، فصار النهر المعروف بجيحان بين المدينتين ، وعلى النهر جسر عظيم قديم معقود بالحجارة ، ومدينة المصيصة من الجانب الغربي من جيحان ، ومدينة كفر بيا من الجانب الشرقي ، وأهلها أخلاط من الناس •

وذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب البلدان قال : وحدثني محمد ابن سعد عن الواقدي وغيره قالوا : لما كانت سنة أربع وثمانين غزا على الصائفة عبد الله ابن عبد الملك بن مروان ، فدخل من درب أنْطاكية، وأتى المصَّيصَة فبنى حصنها على أساسه القديم ، ووضع بها سكاناً من الجند فيهم ثلاثمائة رجل انتخبهم من ذوي البأس والنجدة المعروفين ، ولم يكن المسلمون سكنوها قبل ذلك ، وبنى فيها مسجداً فوق تل الحصن ، ثم سار في جيشه حتى غزا حصن سِنان ففتحه ووَجه يزيد بن حنين الطائي الأنطاكي فأغار ثم انصرف إليه •

وقال أبو الخطاب الأزدي : وكان أول من ابتنى حصن المصَّيصَة في الإسلام (٥١ ــ ظ) عبد الملك بن مروان على يد ابنه عبد الله بن عبد الملك في سنة أربع وثمانين على أساسها القديم ، فتم بناؤها وشحنتها في سنة خمس وثمانين ، وكانت في الحصن كنيسة جعلت هُريا ، فكانت الطوالع من أنْطاكية تطلع عليها في كل عام ، فتشتوا بها ، ثم تنصرف ، وعدة من كان يطلع إليها ألف وخمسائة إلى الألفين .

قالوا : وشخص ُعمر بن عبد العزيز حتى نزل هُرى المصَّيصَة وأراد هدمها وهدم الحصون بينها وبين أنْطاكية ، وقال : أكره أن يحاصر الروم أهلها ، فأعلمه الناس أنهاعمرت ليَدْفَعَ من بها الروم عن أنْطاكية وأنه إن أخربها لم يكن للعدو ناهية دون أنطاكية ، فأمسك وبنى لأهلها مسجداً جامعاً من ناحية كَفر بَيَّا ، واتخذ فيه صهريجاً ، ثم ان المسجد جُدد في خلافة المُعتصم ، وهو يدعى مسجد الحصن .

قالوا : ثم بنى هشام بن عبد الملك الرَّبض ، ثم بنى مروان بن محمد الخصوص في شرقي جَيْحان وبنى عليها حائطاً ، وأقام فيه باب خشب ، وخندق خندقاً ، فلما استخلف أبو العباس رحمه الله فرض بالمِصيصة لأربعمائة رجل زيادة في شحنتها ، وأقطعهم ، ثم لما استخلف المنصور صلوات الله عليه فرض فيها لأربعمائة رجل ، ثم لما دخلت سنة تسع وثلاثين ومائة أمر بعمران مدينة المصِّيصَة ، وكان حائطها متشعثاً من الزلازل ، وأهلها قليل في داخل المدينة فبنى سور المدينة وأسكنها أهلها سنة أربعين ومائة ، وسماها المَعمْورة وبنى فيها مسجداً جامعاً في (٥٢ ــ و) موضع هيكل كان فيها وجعله مثل مسجد عُمر مرات ، ثم زاد فيه المأمون أيام ولاية عبد الله بن طاهر بن الحسين المغرب ، وفرض المنصور رحمة الله عليه فيها لألف رجل ، ثم نقل أهل الخُصُوص وهم فرس وصقالبه وأنباط نصارى ، كان مروان بن محمد أسكنهم إياها وأعطاهم خططاً في المدينة عوضاً من منازلهم على ذرعها ، ونقض منازلهم وأعانهم على البناء ، وأقطع أرباب الفَرْض قطائع ومساكن ،

١ ــ فتوح البلدان ١٦٨ ــ ١٧١ .

ثم لما استخلف المهدي أمير المؤمنين صلوات الله عليه فرض بالمصّيصة لألفي رجل ولم يقطعهم لأنها قد كانت شحنت من الجنود والمطوعه ولم تزل الطوالع تأتيها من أنطاكية في كل عام ، حتى وليها سالم البُرُنسي ، وفرض معه لخمسمائة مقاتل على خاصة عشرة دنانير عشرة دنانير ، فكثر من بها وقووا ، وذلك في خلافة المهدي رحمة الله عليه .

وقال البلاذري : وحدثني محمد بن سَهم عن مشايخ الثغر قالوا : ألحت الروم على أهل المصّيصة في أول الدولة المباركة حتى جلوا عنها ، فوجه صالح ابن علي جبريل بن يحيى البَجلي إليها فعمرها وأسكنها الناس سنة أربعين ومائة ، وبنى الرشيد صلوات الله عليه كفر بيا ، ويقال بل كانت ابتديت في خلافة المهدي رحمة الله عليه ، ثم غير الرشيد بناءها ، وحصنها بخندق ثم رفع إلى المأمون رضي الله عنه في غلةٍ كانت على منازلها ، فأبطلها ، وكانت منازلها كالخانات ، وأمر فجعل لها سور ، فرفع ، فلم يستتم حتى توفي ، فقام المُعتصم صلوات الله عليه بإتمامه (٥٢ ــ ظ) وتشريفه .

وقال البلاذري : حدثني داود بن عبد الحميد قاضي الرَقّة عن أبيه عن جدّه أن عُمر بن عبد العزيز أراد هدم المِصّيصة ونقل أهلها عنها لما كانوا يلقون من الروم فتوفي قبل ذلك .

أخبرنا أبو جعفر يحيى بن أبي منصور جعفر بن عبد الله الدامغاني البغدادي إذناً ، وقرأت عليه هذا الإسناد بحلب ، قال : أخبرنا أبي قال : أخبرنا الشريف أبو العز محمد بن المُختار بن محمد بن المؤَيد قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المُذهِب قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر القَطيعي قال : أخبرنا أبو عبد الرحمن عبد الله بن أحمد بن حَنبل قال : حدثنا هرون بن مَعْروف قال : حدثنا ضَمْرة عن رجاء بن أبي سَلَمة قال : همّ عُمر بن عبد العزيز بهدم المِصّيصه لِتَغوّثلها في بلاد الروم .

عدنا إلى ما ذكره البلاذري قال : وقال أبو النعمان الأنطاكي : كان الطريق فيما بين أنطاكية والمصيصة مُسْبعة يعترض الناس فيها الأسد، فلما كان الوليد بن عبد الملك شُكي ذلك إليه ، فوجه أربعة آلاف جاموسة وجاموس ، فنفع الله بها ، وكان محمد ابن القاسم الثقفي عامل الحجاج على السِند بعث منها بألوف جواميس ، فبعث الحجاج إلى الوليد منها بما بعث من الأربعة الآلاف ، وألقى باقيها في آجام كَسْكَر، ولما خَلَعَ يزيد بن المُهَلَّب فقُتل، وقبض يزيد بن عبد الملك أموال بني المهلب أصاب لهم أربعة آلاف جاموسة ، كانت بكور دجلة ، فوجه بها يزيد بن عبد الملك إلى المصيصة أيضاً مع زُطها ، فكان أصل (٥٣ ـ و) الجواميس بالمصيصة ثمانية آلاف جاموسة ، وكان أهل أنطاكية وقنسرين قد غلبوا على كثير منها واحتازوه لأنفسهم في أيام فتنة مروان بن محمد ، فلما استخلف أمير المؤمنين المنصور رحمه الله ، أمر بردها إلى المصيصة ، وأما جواميس أنطاكية فكان أصلها ما قدم به الزُطّ معهم ، وكذلك جواميس بُوقا .

وقال أبو الخطاب : بُني الجسر الذي على طريق أذَنَه من المصيصة وهو على تسعة أميال من المصيصة سنة خمس وعشرين ومائة ، فهو يدعى جسر الوليد ، وهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك المقتول .

قالوا : ولما كانت سنة خمس وستين ومائة أغزى المهدي رحمه الله ابنه هرون الرشيد صلوات الله عليه بلاد الروم ، فنزل على الخليج ، ثم خرج فَرَمَّ المصيصة ومسجدها ، وزاد في شحنتها ، وقوى أهلها[1] .

وقرأت في كتاب أبي زيد أحمد بن سهل البَلْخي في صفه الأرض والمدن قال : والمصيصة مدينتان أحديهما المصيصة والأخرى تسمى كَفَر بَيَّا على جانبي جَيْحان

---

١ ـ فتوح البلدان ، ١٧٢ ـ ١٧٣ .

وبينهما قنطرة حجاره حصينة جداً على شَرف من الأرض ، ينظـر منهـا الجالس في مسجد الجامع بها إلى قرب البحر نحو أربعة فراسخ .

وجَيْحان يخرج من بلد الروم حتى ينتهي إلى المصيصة ، ثـم إلى رُسْتاق يعرف بالمُلَوَن ، حتى يقع في بحر الروم .

قلت : فقد يُنْخَل من مجموع ماذكرناه أن بناء المصيصة في الدولة الإسلامية كان ، لأن هرقل لما خرج عن أنطاكية إلى (٥٣ ـ ظ) القسطنطينية استصحب أهل هذه البلاد ، وأجلوا منها ، ونقلهم معه ، وشعث هذه البلاد . فإن البلاذري قـال في كتابه : حدثني مشايخ من أهل أنطاكية وغيرهم قالوا : كانت ثغور المسلمين الشامية أيام عمر وعثمان وما بعد ذلك أنطاكية وغيرها من المدن التي سماها هرون الرشـيد فكان المسلمون يغزون ما وراءها كغزو اليوم ما وراء طَرَسُوس ، وكانت فيما بين إسكندرونه وطرسوس حصون ومسالح للروم ، كالمسالح والحصون التي يمر بهـا المسلمون اليوم ، فربما أجلاها أهلها ، وهربوا إلى بلاد الروم خوفاً ، وربما نقل إليها من مقاتلة الروم من تشحن به ، وقد قيل إن هرقل أدخل أهل هذه المدن معه عند انتقاله من أنطاكية لئلا يسير المسلمون في عمارة ما بين أنطاكية وبلاد الروم ، والله أعلم .

قال البلاذري : وحدثني ابن طَيْبُون البَغْراسي عن أشياخهم أنهـم قالوا : الأمر المتعالم عندنا أن هرقل نقل أهل هذه الحصون معه ، وشعثها ، وكان المسلمون إذا غزوا لم يجدوا بها أحداً ، وربما كمن عندها القوم من الـروم ، فأصابوا غِـرّة المتخلفين عن العساكر والمنقطعين عنها ، فكان ولاة الشواتي والصوائف إذا دخلوا بلاد الروم خلفوا بها جنداً كثيفاً إلى خروجهم[1] .

فكانت المِصِّيصَة وغيرها من الثغور الشامية خراباً بسبب ذلك ، فلما غـزا (٥٤ ـ و) عبد الله بن عبد الملك بنى حصن المصيصة دون مدينتها ، فأراد عمر بـن

---

١ ـ فتوح البلدان ، ١٦٨ .

عبد العزيز هدمه بالكلية ، فلما عرف المصلحة في تركه ، تركه وبنى مسجداً جامعاً للمسلمين من ناحية كفر بيا ، ثم بنى هشام رَبَض الحصن ، ثم بنى مروان بن محمد الخُصُوص من الناحية الشرقية ، لقلة من يعم المدينة بالسكنى ، فيكون ساكنوا الخصوص مستيقظين لأنفسهم ، وجعل عليه خندقاً وحائطاً ، وكثروا في أيام السفاح ، ثم ازدادوا في أيام المنصور ، فرأى أن يجدد عمارة المصيصة ويُسكنها الناس لأنهم كثروا ، فبنى المدينة على الوجه الذي نقلناه ، فلهذا نُسب بناء المدينة إليه ، وكثر الناس بعد ذلك ، فاحتيج في أيام الرشيد إلى بناء كفر بيا ، ولم يكن لها سور ، فبنى المأمون لكفر بيا سوراً ، فلهذا نسب بناؤها إليه ، والله أعلم .

* * *

باب في فضل المصيصة

أخبرنا الفقيه العالم أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا عمي أبو القاسم قال : أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزه قال : حدثنا عبد العزيز ابن أحمد قال : حدثنا تمام بن محمد قال : أخبرنا أبو الحارث بن عمارة قال : حدثنا أبي وهو محمد بن أبي عمارة بن أبي الخطاب الليثي قال : حدثنا محمد بن أحمد بن إبراهيم عن هشام بن خالد عن الوليد بن مسلم عن مَكْحول عن كعب قال : بطرسوس من قبور الأنبياء عشرة ، وبالمصيصة خمسة ، وهي التي يغزوها الروم في آخر الزمان ، فيمرون بها فيقولون إذا رجعنا من بلاد الشام أخذنا هؤلاء (٥٤ ــ ظ) أخذاً ، فيرجعون وقد تحلقت بين السماء والأرض[1] .

قال الحافظ أبو القاسم رواه غيره عن محمد بن هشام والرجل سعيد بن عبد العزيز .

قال أبو القاسم : أخبرنا أبو الفضل ناصر بن محمود بن علي قال : حدثنا علي ابن أحمد بن زهير قال : حدثنا علي بن محمد شجاع قال : حدثنا تمام بن محمد قال : حدثنا أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم الأذرعي قال : حدثنا محمد بن هشام بن خالد عن الوليد ــ يعني ــ ابن مسَلم عن سعيد بن عبد العزيز عن مكحول عن كعب ، فذكره .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مسلم بن سلمان الإربلي قال : أخبرتنا الكاتبة شُهدة بنت أحمد بن الفرج الآبري قالت : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد

---

١ ــ ابن عساكر ١٨٨/٢ .

ابن محمد بن طلحة النعالي قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبيد الله بن يوسف قال : أخبرنا أبو عمرو عثمان بن أحمد السماك قال : حدثنا أبو القاسم إبراهيم بن إسحق بن سنين الختلي قال : حدثني عثمان بن سعيد الأنطاكي قال : حدثنا علي ابن الهيثم المصيصي عن عبد الحميد بن بحر عن سلام الطويل عن داود بن يحيى مولى عون الطفاوي عن رجل كان مرابطاً في بيت المقدس وبعسقلان قال : بينا أنا أسير في وادي الأردن إذ أنا برجل في ناحية الوادي قائماً يصلي فإذا سحابة تظله من الشمس ، فوقع في ظني أنه الياس النبي عليه السلام ، فانتبه ، فسلمت عليه ، فانفتل من صلاته فرد علي السلام ، فقلت له : من أنت رحمك الله ؟ فلم يرد علي شيئاً ، فأعدت القول مرتين ، فقال : أنا الياس النبي ، فأخذتني رعدة (٥٥ ـ و) شديدة خشيت على عقلي من أن يذهب ، فقلت له : إن رأيت رحمك الله أن تدعو لي أن يذهب الله عني ما أجد حتى أفهم حديثك ، فدعا لي ثمان دعوات ، قال : يا بر يا رحيم يا قيوم يا حنان يا منان يأهيا شراهيا[١] ، فذهب عني ما كنت أجد ، فقلت له : إلى من بعثت ؟ قال : إلى أهل بعلبك ، قلت : فهل يوحى إليك اليوم ؟ قال : منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فلا ، قال : قلت : فكم من الأنبياء في الحياة ؟ قال : أربعة ، أنا والخضر في الأرض ، وإدريس وعيسى في السماء ، قلت : فهل تلتقي أنت والخضر ؟ قال : نعم في كل عام بعرفات وبمنى ، قلت : فما حديثكما ؟ قال : يأخذ من شعري وآخذ من شعره ، قلت : فكم الأبدال ؟ قال : هم ستون رجلاً ، خمسون ما بين عريش مصر إلى شاطيء الفرات ، ورجلان بالمصيصة ، ورجل بأنطاكية ، وسبعة في سائر أمصار العرب ، وهم بهم يسقون الغيث ، وبهم ينصرون على العدو ، وبهم يقيم الله أمر الدنيا حتى إذا أراد الله أن يهلك الخلق كلهم أماتهم جميعاً .

وقد رواه أبو حذيفة إسحق بن بشر عن محمد بن المفضل بن عطيه عن داود بن يحيى عن زيد مولى عون الطفاوي نحوه ، والله أعلم .

---

١ ـ أي يا الله يا دائم .

قرأت بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي : حدثنا محمد بن سعيد بن الشيَفق قال : حدثنا محمد بن أحمد أبو الطيّب قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نوح قال : سمعت محمد بن عيسى يقول : قيل لعلي بن بَكّار ، وذكر له جـزع الروم ، فقال : (٥٥ ــ ظ) البطيخ كبير ، والحلو منه قليل ، كنا في هذا الحصن ــ يعنـي حصن المصيصة ــ أربعمائة فتى ، إذا أقلبنا[1] حوافر خيولنا لننعلها للغزو اضطربت رُكَب بطارقة القسطنطينية .

* * *

١ ــ كذا في الاصل ، وقد كتب ابن العديم في الحاشية ، صوابه قلبنا .

باب في ذكر عين زربه

وهي في أيدي الأرمن الآن •

وهي مدينة من الثغور الشامية ، والإقليم الرابع ، بينها وبين المِصِّيصة ثمانية عشر ميلاً ، وهي مدينة مذكورة خرج منها جماعة من العلماء والحكماء •

وقال أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب البلدان : وحدثني أحمد بن الحارث الواسطي عن محمد بن سعد عن الواقدي قال : لما كانت سنة ثمانين ومائة ، أمر الرشيد صلوات الله عليه بابتناء مدينة عين زَرْبَه وتحصينها ، وندب إليها ندبة من أهل خُراسان وغيرهم ، فأقطعهم بها المنازل[1] • هكذا ذكر البلاذري •

وقال أحمد بن يعقوب بن واضح الكاتب : بنى عين زربه أمير المؤمنين المهدي ابن المنصور ، وأتقنها •

فيحتمل أن المهدي حين أغزى الرشيد ابنه الغزاة المعروفة ابتناها الرشيد بأمر أبيه ، فنسبت إليه ، والله أعلم •

وذكر أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في كتابه الذي ذكر فيه صورة الأرض والمدن وما تشتمل عليه ، قال فيه : وعين زربه بلد فيه الغورية ، بها نخل ، وهي خصبة واسعة الثمار والزروع والمرعى ، وهي المدينة التي أراد وصيف الخادم أن يدخل بلد الروم منها ، فأدركه (٥٦ ــ و) المعتضد هناك[2] •

١ ــ فتوح البلدان ، ١٧٥ •

٢ ــ حدث هذا سنة ٢٨٧ هـ • انظر الطبري • ط • دار المعارف ، ١٠/٨٩ــ٨٠

وقيل إن أبا سُلَيمان الخادم التركي بنى عين زربه في أيام الرشيد ، وكان ولاه الثغور ، والصحيح أنه أبو سُلَيم فرج .

قال البلاذري : وقد كان المعتصم بالله نقل إلى زربه ونواحيها بشراً من الزُّطّ الذين كانوا قد غلبوا على البطائح بين واسط والبصرة فانتفع أهلها بهم[1] .

وكانت عين زربه قد خربت في أيام سيف الدولة بن حَمْدان ، فسار سيف الدولة ، وبناها ، وغزا الروم بعد بنائها ، وفي ذلك قال أبو فِراس :

وكل يَوْمٍ تَزُورِ الثَّغْرَ لا ضجِرٌ ... يُثْنيك عنه ولا شُغل ولا مَلَلُ
فالنَّفس جاهدةٌ والعين ساهدةٌ ... والحَبس مُنْتَهك والمالُ مُبتذل[2]

* * *

١ ــ فتوح البلدان : ١٧٦ .
٢ ــ ديوانه : ٢٩٧ ، مع تباين في الرواية .

باب في ذكر أذنه

وهي في أيدي الأرمن .

وهي مدينة قديمة من بناء الروم سميت باسم أَذَنَه ين ياوان بن يافث ، وقد ذكرنا ذلك في باب المِصِّيصَه ، وجددت عمارتها في الدولة العباسية ، كما جدد عمارة غيرها من مدن الثغور ، وحالها في الخراب كحال المصيصه .

قرأت بخط ياقوت بن عبد الله الحموي قال : ولأَذَنَه نهر سَيْحان وعليه قنطرة حجارة عجيبة بين المدينة وبين حصن مما يلي المصيصة ، وهو شبيه بالرَبَض ، والقنطرة معقودة على طاقٍ واحدٍ ، ولأذنه ثمانية أبواب ، وسور وخندق .

وقال : قال ابن الفقيه : عمرت أذنه في سنة تسعين ومائة على يدي أبي سليمان خادم تركي كان للرشيد ولاه الثغور ؛ وهو عمر طرسوس وعين زربه[1] .

قال : وقال البلاذري بنيت أذنه في سنة إحدى أو اثنتين وأربعين ومائة ، وجنود خراسان معسكرون عليها بأمر صالح بن علي بن عبد الله بن العباس[2] .

وقرأت بخط بَنُوسَه في كتاب البلدان للبلاذري فيما حكاه عن شيوخه قالوا : ولما كانت سنة خمس وستين ومائة أغزى المهدي رحمه الله ابنه هرون الرشيد صلوات الله عليه بلاد الروم ، فنزل على الخليج ، وبنى القصر الذي عند جسر أذنه

---

١ ــ ياقوت ، معجم البلدان ، مادة عين زربى ، وجاء في مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه : ١١٣ . فرج بن سليم ، وكذا جاء عند البلاذري ، فتوح البلدان : ١٧٤ ، وهو ما رجحه ابن العديم أعلاه .

٢ ــ فتوح البلدان : ١٧٢ ، ياقوت ، معجم البلدان : مادة أذنه .

على سيحان ، وقد (٥٦ ــ ظ) كان المنصور صلوات الله عليه أغزى صالح بن علي بلاد الروم ، فوجه هلال بن ضَيْغَم في جماعة من أهل دمشق والأردن وغيرهم ، فبنى ذلك القصر ، ولم يكن بناؤه محكماً ، فهدمه الرشيد ، وبناه .

ثم لما كانت سنة أربع وتسعين ومائة بنى أبو سليم فرج الخادم أذنه ، فأحكم بناءها وحصنها ، وندب إليها رجالاً من أهل خراسان وغيرهم على زيادة في العطاء ، وذلك بأمر محمد بن الرشيد ، ورم قصر سيحان ، وكان الرشيد رحمة الله عليه توفي سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وعامله على أعشار الثغور أبو سليم ، فأقره محمد ، وأبو سليم هذا هو صاحب الدار بأنطاكية[1] .

قلت : وهذا أبو سُلَيْم قدم الثغور في أيام المهدي هو وغيره من الخدم ، وسكنوها رغبة في الجهاد ، وكانوا من أولاد الملوك بخراسان ، ولخصائهم سبب أنا ذاكره ، ونقلته من خط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي قال : سمعت أبا نصر محمد بن أحمد بن الحَمال ، قبل أن يصيبه ما أصابه ، يقول : سمعت أبا حفص يقول : سمعت أبا حفص عمر بن سليمان بن الشرابي يقول : سمعت أبا العباس بن المعتز بالله يقول : وردت الكتب من خراسان في أيام أبي جعفر المنصور : إن قوماً من أبناء وجوه خراسان مَنَعوا جانبهم ، وقدر عليهم ، والتمس إذن المنصور فيهم ، فألفى ورود الكتاب أبا جعفر حاجاً ، وتوفي في طريقه ذاك ، واستخلف (٥٧ ــ و) المهدي ، فعُرض عليه الكتاب ، فأمر بكتب الجواب عنه ، وأن يُحصى أولئك الأبناء فيُعمل في بابهم ما يعود بالصلاح ، فسقط من قلم الكاتب على أعلى الحاء مقدار النَقْط ، فقريء بخراسان بالخاء معجمة . فخصوهم خدماً ، أربعة آلاف ، منهم أبو سُلَيْم ، والحُسين صاحب المهدي ، وأبو معروف ، وبَشّار .

ونقلت من كتاب أبي زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب صورة الأرض والمدن

---

١ ــ فتوح البلدان : ١٧٢ ــ ١٧٣ .

وما تشتمل عليه ، قال : وأذنه مدينة خصبة عامرة ، وهي منعطفة على نهر سَيْحان في غربـي النهـر •

وسيحان هو دون جَيْحان في الكبر ، عليه قنطرة حجارة عجيبة البناء طويلة جداً ، يخرج هذا النهر من بلد الروم أيضاً •

وقال أحمد بن أبي يعقوب بن واضح في كتابه : ومدينة أذنه بناها أمير المؤمنين الرشيد ، واستتمها أمير المؤمنين محمد بن الرشيد ، وبها منازل ولاة الثغور في هـذا الوقت لسعتها ، وهي على هذا النهر الذي يقال له سيحان •

وأهلها أخلاط من موالي الخلفاء وغيرهم •

قلت : وكان بأذنه جماعة من الرؤساء والعلماء والمحدثين ، سنذكرهم في الأسماء إن شـاء اللـه •



باب في ذكر الكنيسة السوداء

ويقال لها الكنيسة المُحترقة أيضاً ، وهي مدينة قديمة ، مبنية بالحجر الأسود من بناء الروم ، وأغارت الروم عليها وأحرقتها فقيل لها (٥٧ ــ ظ) الكنيسة المحترقة ، وحالها في الخراب والعمارة حال بقية مدن الثغور .

وقال أبو زيد البلخي في كتابه : والكنيسة حصن فيه منبر ، وهو ثغر في معزل من شاطىء البحر .

وقال أحمد بن الطيب السرخسي في كتاب المسالك والممالك : ومن عوادل الثغور الشامية ، الهارونية ، كنيسة السوداء ، تل جُبير .

وقال أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتابه ، بعد ذكر المِصّيصه وأذنه وطرسوس : وللثغور الشامية غير هذه الثلاث المدن التي قد ذكرناها مدينة عين زربه ، والهارونية ، والكنيسة المُحترقة .

بنى عين زربة أمير المؤمنين ابن المنصور وأتقنها ، وبنى الهارونية الرشيد في أيام المهدي ، وهو ولي عهد ، وبنى الكنيسة المحترقة الرشيد أيضا .

ونقلت من خط بنوسة في كتاب البلدان للبلاذري ، مما حكاه عن شيوخه من أهل الشام ، قالوا : وكانت الكنيسة السوداء من حجارة سود بناها الروم على وجه الدهر ، ولها حصن قديم ، أخرب فيما أخرب ، فأمر الرشيد ببناء مدينة الكنيسة السوداء وتحصينها ، وندب اليها المقاتلة في زيادة العطاء .

قال : وأخبرني بعض أهل الثغر وعزّان بن سعد (٥٨ ــ و) أن الروم أغارت عليهـا ، والقاسم بن الرشيد مقيم بدابق فاستاقوا مواشي أهلها ، وأسروا عـدة منهم ، فنفر إليهم أهل المِصّيصَة ومطوعتها ، فاستنقذوا جميع ما صار إليهـم ، وقتلوا منهم بشراً كثيراً ، ورجع الباقون منكوبين مفلولين ، فوجـه القاسـم مـن حَصَّن المدينة ورمها وزاد في شحنتها [1] .

قلت وهذه المدينة هي الآن أيضا في أيدي الأرمن خذلهم الله . ★ (٥٨ ــ ظ)



★ ــ كتب ابن العديم في حاشية آخر هذا الجزء سماعا نصه : بلغ الولد محمـد قراءة من أول الجزء وسمعه ابن أختـه ، في مستهل ذي الحجـة من سنة خمس وخمسين وستمائة . قراءة بدر الدين وسمعه محمد بن خالد .

١ ــ فتوح البلدان : ١٧٥ ــ ١٧٦ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـه ثقتي

باب في ذكر مدينـة طرسوس

وهي مدينة قديمة من بلاد الثغور الشامية عظيمة ، وبها كان يقوم سوق الجهاد وينزلها الصالحون والعبّاد ، ويقصدها الغزاة من سائر البلاد ، وهي اليـوم في أيدي الأرمن مـن ولد ابن لاون الملعون (١) ، وفيها قبر أمير المؤمنين عبـد الله المأمون ، واسمها بالرومية تارسين ، وسميت أيضا طِرَيسوس ، فعربت ، وقيـل طَرَسُوس بفتح الراء وقيل باسكانها .

أخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكنـدي قراءة عليه بدمشق قال : أخبرنا أبو منصور موهوب بن أحمـد بـن محمـد بن الخضر الجواليقي قال : أخبرنا أبو زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي ، ح .

وأخبرنا أبو محمد عبد اللطيف بن يوسف بن علي قراءة عليـه بحلب قال : أخبرنا محمد بـن خمردكس مولى أبي زكريا التبريزي عـن مولاه أبي زكريا قال: أخبرنا أبو محمد الدهان اللغوي قال : أخبرنا علي بن عيسى الرماني قال : أخبرنا ابن مجاهد القارىء قال : أخبرنا أبو العباس ثعلب ، ح .

قال : شيخنا أبو اليُمن : وأخبرنا سعد الخير بن محمد الأنصاري قال :أخبرنا

---

١ ـ انظر

Philadelphia History of the Crusades, vol 2, P 636 FF.

أبو سعد المطرز قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ أحمد بن عبد الله (٥٩ ــ و) قال : أخبرنا ابن كيسان النحوي قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب في كتاب الفصيح في باب المفتوح أوله من الأسماء قال : وهي طَرَسُوس [١] .

وقرأت في كتاب البهيء فيما تلحن فيه العامة لأبي حاتم السجستاني قال : وتقول هي طَرَسُوس بفتح الطاء والراء جميعا ومثاله أسود حالك وحَلَكُوك . قال أبو زيد : عُقَيل وعامر يقولون طَرْسُوس بضم الطاء وتسكين الراء ، ويزعمون أنهم ليس يعرفون لحَلَكُوك اسما ثانيا .

وقرأت بخط جعفر بن أحمد بن صالح المعري كاتب أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان في فوائد عن أبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه قال : ــ يعني ابن خالويه ــ ومما تخطىء فيه العامة شَغْب الجند ، وثغر طَرْسُوس ، وجبل وَعْر ، ورجل سَمْح ، هؤلاء الأربع سواكن والعامة تحركهن .

وقد ذكرنا في باب ذكر المِصِّيصَة ما قرأته في كتاب جماهير أنساب اليمن من حديث الشيخ الكبير الذي دخل على معاوية بن أبي سفيان وذكر أنه من جُرهم ، وذكر له أن يافث بن نوح ولد سبعة ذكور وعدّ فيهم ياوان بن يافث ، وقال : وولد ياوان بن يافث أياس ، والمِصِّيصَة وطَرَسُوس وأذنه (٥٩ ــ ظ) والمِصِّيصَة وأَياس .

وقرأت في تاريخ وقع الى ذكر جامعة ــ ولم أعرف اسمه ــ أنه نقله من تواريخ شتى قال : في تاريخ بني اسرائيل بعد مائة وخمسة وخمسين سنة بعد الألف الرابع لآدم عليه السلام أنه ملكهم يولع بن هوا من سبط ايسا جار ثلاثة وعشرين سنة ، وفي زمانه بنيت طَرْيَسوس ، وهي طَرَسوس .

١ ــ فصيح ثعلب ــ ط ــ القاهرة ١٩٤٩ ، ص ٤٥ .

وذكر أحمد بن الطيب السرخي في كتاب المسالك والممالك في ذكر طَرَسُوس قالوا : سميت بطَرَسُوس بن الروم بن اليفن بن سام بن نوح . وقالوا : واسم طَرَسُوس بالرومية تارسين .

قال ابن الطيب في رحلة المعتضد : ورحلنا من المِصِّيصَة نريد العراق الى أذنه ، ومن أذنه إلى طَرَسُوس ، وبينها وبين أذنه ستة فراخ ، وبين أذنه وَطَرسُوس فندق بُغا ، والفندق الجديد، وعلى طَرَسوس سوران وخندق واسع ولها ستة أبواب ، ويشقها نهر البردان .

قلت وكانت طَرَسُوس قد خربت وجلا أهلها في صدر الاسلام ، خربها المسلمون حين غزوها وقاتلوا أهلها وهزموهم ، ومضى من مضى منهم الى الروم ، وكان ذلك في السنة التي فتحت فيها حلب وأنْطاكية .

فجدد عمارتها أمير المؤمنين الرشيد رحمه الله ، وقواها وحصنها ، ولم تزل قوتها تزيد وتتضاعف الى أن استولى عليها الروم في شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة (٦٠ ـ و) .

قرأت في كتاب صفة الأرض والأقاليم وما تشتمل عليه تأليف أبي زيد أحمد بن سهل البلخي قال : وطَرَسُوس مدينة كبيرة عليها سوران تشتمل على خيل ورجال وعدة ، وهي على غاية العمارة والخصب ، وبينها وبين حد الروم جبال ، وهي الحاجز بين المسلمين والروم ، ويقال ان بها زهاء ألوف من الفرسان فيما يزعم أهلها ، وليس من مدينة عظيمة من حد سجستان الى كرمان وفارس والجبل وخوزستان وسائر العراق والحجاز واليمن والشامات ومصر الا وبها لأهلها دار وأكثر ، أهلها ينزلونها اذا وردوها .

وقال ابن واضح الكاتب في كتاب البلدان : وطَرَسُوس مدينة بناها أمير

المؤمنين الرشيد في المرج الذي في سفح الجبل الذي يقطع منه الى أرض الروم ، وكان بناؤه اياها سنة سبعين ومائة ، في أول خلافته على يد أبي سليم فرج التركي الخادم ، وبها نهر جارٍ يأتي من جبل الروم ، حتى يشق في وسطها ، وأهلها أخلاط من الناس من سائر الآفاق .

وقال اسحق بن الحسن بن أبي الحسن الزيات الفيلسوف في كتاب نزهة النفوس وأنس الجليس : مدينة طَرَسُوس وهي من الاقليم الرابع ، وبعدها من خط المغرب ثمانون درجة ، وبعدها من خط الاستواء ست وثلاثون درجة ، بناها الرشيد سنة سبعين ومائة ، وبها نهر جار يأتي من بلاد الروم (٦٠ ــ ظ) يشق وسطها ، وأهلها أخلاط من الناس .

وقرأت في كتاب المسالك والممالك الذي وضعه الحسن بن أحمد المهلبي للعزيز المستولي على مصر : فأما مدينة طَرَسُوس فهي من الاقليم الخامس ، وعرضها ست وثلاثون درجة .

وارتفاع الثغور بجميع جباياتها ووجوه الأموال بها مائة ألف دينار على أوسط الارتفاع ، تنفق في المراقب والحرس والقوائين والركاضة والموكلين بالدروب والمخاض ، وغير ذلك مما جانسه ، وكانت تحتاج بعد ذلك لشحنتها من الجند وما يقوم للمماليك وراتب تعاريفها للصوائف والشواتي في البر والبحر وعمارة الصناعة على الاقتصاد الى مائة وخمسين ألف دينار ، وعلى التوسعة الى ثلاثمائة ألف دينار .

فأما ما يلقاها من بلاد العدو ويتصل بها فانها من جهة البر وما يسامت الثغور الجزرية تواجه بلاد الفنادق من بلد الروم ، وبعض الناطليق ، ومن جهة البحر بلاد سلوقية .

وكانت عواصم هذه الثغور من ناحية الشام أنطاكية وبلاد الجومة وقورس .

فأما أهل هـذه الثغور ومن كان يسكنها وأحوال البلاد ومقاديرها ، فان طَرَسُوس كانت أجلها مدينة وأكثرها أهلا ، وأغصها أسواقا ، وليس على وجه الارض مدينة جليلة الا ولبغض أهلها دار حُبس عليها حبس نفيس وغلمان برسم تيك الدار بأحسن العدة وأكمل الآلة ، يقوم بهم الحبس الذي عليهم ، وكان أكثر ذلك لأهل بغداد ، فانه كان لهم بها ولغيرهم (٦١ ــ و) من وجوه أهل البلدان وذوي اليسار منهم جلة الغلمان ، مقيمين عليهم الوقوف السنية ، والارزاق الدارة، ليس لهم عمل إلا ارتباط فرهة الخيل وتخريجها في الطراد والعمل عليها بسائر السلاح ، يعملون ذلك في صدور أيامهم ، ويتصرفون في أعجازها الى منازل فياحة فيها البساتين والمياه الجارية والعيش الرغد .

وكان أهل البلد في نفوسهم على هذه الصفة من ركوب الخيل والعمل بالسلاح ليس فيهم من يعجز عـن ذلك ، ولا يتخلف عنه حتى أن دور [1] المتاجر الدنية والصنائع الوضيعة كانوا يلحقون بالطبقة العليا في الفروسية والشجاعة وارتباط الخيل ، واعداد السلاح .

وكانت غزواتهم تتصل ومن الغنائم والمقاسم لهم معيشة لا تنقطع .

فأما أهل البلد فكانوا من سائر أقطار الارض بخلق حسن وألوان صافية ، وفيهـم رقيق وأجسام عبلـة ، والاغلب على ألوانهم البياض والحمرة والسمرة الصافية وكان في أكثرهم جفاء وغلظة على الغريب ، الا من كان منهم قريب عهـد بالغربـة ، وكذلك الشح كان فيهم فاشيا الا في الغريب ، وغلب على السوقـة والمستخدمين قوم من الخوز وسفلة العجم ، ومن كانت فيه فسولة عن الحرفـة ، وكسل عن طلب المعاش فأظهروا زهدا وورعا ، وأعلنوا بالنصب ، فأخذهم اللـه أخذ عزيز مقتدر .

---

١ ــ كذا في الاصل ، والاصح أن يقال : ذوي .

قال : فأما أهل البلد وأولاد المجاهدين وأولاد الغلمان وأولاد خراسان فكانوا من الاخلاق (٦١ ـ ظ) السمحة ، والنفوس الكريمة ، والهمم العالية والمحبة للغريب على ماليس عليه أحد ، ولكنهم كانوا في تقية من هؤلاء الأوباش ، فهذا الاكثر من حال طَرَسُوس .

وأما ما سوى ذلك من مدن الثغر فعلى هذا الوصف وهذا النعت ، وخاصة المِصِّيصَة .

قال : وكان يعمل بها ـ يعني بالثغور ـ ثياب كان تسمى الشفايا مثل رفيع الدبيقي [١] تحمل الى كل بلد ، وبالثغر زبيب لا عجم فيه كالقشمش ، ويقطع الى الثغور الجارح من بلد الروم ، فتؤخذ فيه البزاة الفُرَّه ، وقد كان في جبال الثغر أيضا أوكار للجارح والكلاب السلوقية الموصوفة من بلاد سلوقية .

فهذه أحوال الثغر ومن فيه ولم تزل أحواله تجري على الانتظام والرخاء والسلامة والغزو متصل والمعايش رغده ، والسبل آمنه ما دام الغزاة اليهم من العراق ومن مصر متصلين ، فلما زهد الناس في الخير ، وقع بينهم في نفوسهم من التنافس والتحاسد والغل ما وقع ، وخاصة بين الغلمان الشمليَّة ، وابن الزيات ، والمعروف بسيف الدولة علي بن عبد الله بن حمدان .

وقرأت بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطَرَسُوسي [٢] في كتاب سير الثغور ، وضعه للوزير أبي الفضل جعفر بن الفضل ، فذكر فيه صفة طَرَسُوس ، فقال : مُدنت طَرَسُوس على سورين في كل سور منها خمسة أبواب حديد ، فأبواب السور المحيط بها حديد ملبس وأبواب السور المتصل بالخندق حديد

١ ـ نسبة الى دبقا من قرى مصر قرب تنيس تنسب اليها الثياب الدبيقه على غير قياس ، معجم البلدان ، مادة دبقا .

٢ ـ ذكره ياقوت في معجم الادباء ، وبين أنه توفي في كفرطاب حوالي سنة ٤٠٠ هـ .

مصمت ، فالسور الاول الذي يلي المدينة مُشَرَّف تعلوه ثمانية آلاف شرافه ، فيها مرتبة عند الحاجة الى الحرب عنها رجال يرمون عن ستة عشر ألف قوس رمية رجل واحد ، وفي هذا السور من الابراج مائة برج سواء ، منها ثلاثة أبرجة للمجانيق الحروري (1) ، وعشرون برجا للمجانيق الكبار ، وعشرون برجا للعرادات ، وسائرها لقسي الرجل ، وهذه الابرجة التي ذكرناها فهي ملك لاربابها ، ومساكن لمتأهلين وعُزّاب ، وبعضها مرسوم بعمل الورق والكاغد ، وهو مما يلي زاوية الحبالين .

قال : فأما برج باب قَلَمْيه المبني عن يمين الخارج منه فموسوم بتفرقة أعشار غلات ضياع طرسوس ، متى ورد منها عشرة أحمال أو رواحل أو عجل ، حط واحد من عشرة وأطلق له تسعه ، يقبل قوله فيه ، فإذا اجتمع أطلق منه لأهل الشرف أبناء المهاجرين والأنصار على رسم جريدة أمر بانشائها المأمون عبد الله بن هرون الرشيد رحمهما الله ، ؛ يتوارث ما ثبت في تلك الجريدة أهل الشرف المقيمون بطَرَسُوس ، ويجري بينهم مجرى الميراث ، يأخذه خلفهم عن سلفهم ، وإن طرأ طرسوس غريب من أبناء المهاجرين والأنصار دُفع إليه مقدار كفايته ، وكفاية جملته إن كان ذا عيال أو ذا جملة شريفة . ويُفض منه على الشيوخ المسجدية رسماً لا ينقطع عنهم في كل سنة عند قبض الأعشار من الغلات ، لكل شيخ منهم ستة أمداء بالمدي الطُغاني الذي يبلغ كل مدي منه أربعة عشر مكوكاً (٦٢ ـ ظ) بالمكوك الطَرَسُوسي ، مبلغ المكوك منه زيادة على المكوكين بالبغدادي المُعَدّل، ويفض منه على الأدلاء المؤلفه قلوبهم من الروم والأرمن وأولادهم بحسب ما يراه السلطان بطَرسوس من حسن النظر لهم ولمن يتجدد منهم ، ويجعل ما يَفْضل عما وصفناه من الحنطة للخباز المقام لقوت الأعلاج المحبوسين في سجن طرسوس ؛ وما ورد من الشعير برسم العشر أطلق للأدلاء المؤلفة قلوبهم رسماً على مقدار كراعهم قضيماً لها في كل سنة ، وحمل سائره لقضيم بغال الساقه أولاً أولاً ، فإن

١ ـ لم أهتد الى ما يساعد على ضبط وشرح هذه الكلمة .

فضل من القمح شيء عما وصفناه وذكرناه من وجوهه بيع بسعر وقته وصرف في مهمات البلد ، وسنذكرها في أماكنها إن شاء الله .

قال : وما وقع في هذا البرج من غلاّت القطاني[1] كلها مع ما ينضاف إليها من زيتون وكمون وبزر فجل وبزر كتان وسمسم وترمس وأرز ، بيع كل صنف منه بسعره وأضيف إلى راتب البلد .

قال : وكان في هذا السور قديماً ، وقد رأيناه رأي عين ، أثر خمسة وعشرين بابا ، منها خمسة أبواب مفتوحة مسلوكة معروفة ، وهي : باب الشام ، وباب الصَفْصَاف ، وباب الجهاد ، وباب قَلَمْية ، وباب البحر ، وسائرها مسدودة .

وقالَ : سمعت أبا الربيع سليمان بن الربيع الجوزاني ،شيخاً كبيراً كان أقام بحصن الجوزات زيادة على أربعين سنة مجاهداً يذكر أن جيشاً لجباً خرج عن طَرَسُوس غازياً في زيادة على عشرين ألف فارس وراجل من باب المسدود (٦٣ ــ و) فأصيبوا عن آخرهم في بلد الروم ، واستشهدوا رحمة الله عليهم ، ولم يعد منهم إلى طرسوس مخبرٌ ، فأجمع رأي أهل طَرَسُوس على سدّه تشاؤماً به .

قال : وقد رأيته مفتوحاً ، وهو مابين زاويه الحَبالين وباب الجهاد عند آخر شارع النَجارين ، تصل به الدار الكبيرة التي بنيت للسيدة أم المُقْتدر بالله رحمهما الله ، وليس بطَرَسُوس ولا بالثغر كله دار أكبر منها ، وبرسم هذه الدار صناع معروفون من أهل سوق السلاح لتدبير جوانبها ، ورم شعث سلاحها وجلاء دروعها وسيوفها في كل سنة مرة أو مرتين .

وكان يركب من هذه الدار إلى الجهاد في سبيل الله مائة وخمسون غلاماً بجنائبهم ومن ضَامَّتهم ، ويروسهم رجل منهم على رأسه مطارد تعرف بهم متى

---

١ ــ القطاني اسم جامع للحبوب التي تطبخ ، وذلك مثل العدس والباقلاء واللوبياء والحمص والارز والسمسم وليس القمح والشعير . (المصباح المنير) .

إحتيج إليهم في الغزو لساقة أو مَيْمَنة أو مَيْسرة أو في تجريد لحادثة سدُّوا أكبر مسد ، وقوفهم بأرض الثغر وأعمال أنطاكية وحلب معروفة مشهورة .

وارتفاعها في السنة الواحدة مائة ألف دينـــار ، يستغرقها الانفـــاق ، وربما اقترضوا إن تعذر وجه مالهم ، وردوه عند حصوله .

قال : وأما شارع باب الصَفْصاف ففيه دار قَبيحة أم المُعتز بالله رحمهما الله ، قد بنيت حجراً مقدره ، لسكنى مائة وخمسين غلاماً في كل حجرة منها بيتان ومرتفق ، وبرسم هذا الوقف رئيس يَركب هــؤلاء الغلمان بركوبه ، ويَسيرون بسيره ، ينشر على رأسه مطـــرد وأعلام كتابتها المُعتز بالله ، وكذلك شعـــارهم (٦٣ ــ ظ) إذا سافروا وغزوا في بلد الروم وغيره .

قال : وللدار خزانه للسلاح تظهر في أيام الأعياد عند ورود الرسل من الروم ، فيها الدروع الحصينة تستر الفارس والفرس ، والعمد المذهبه والجواشن اليبنيّة والخوذ المنيعة ، ومن الأسلحة لكل نوع يحمل لكل غلام ما يعاني العمل به ، وبرسم هذه الدار مُؤدِب لا يُدخِل مكتبه أحــداً ، إلا أولاد مـــوالي المُعْتز بالله ، والرئيس على موالي المُعْتز من الموالي من وجدوه مذكوراً فارساً رئيساً مقدماً فإن تعذر من هذه صورته مـــن الموالي ، نصب لهم رئيس مـــن قواد طَرَسُوس ووجوهها ، يُدبر أمرهم ويكتب العقود والضمانات باسمه ، وقد رأيت أبا حَفْص عُمر بن سُلَيمان الشَرَابي رحمه الله رئيساً عليهم ، ثم رأيت بعده جماعة منهم ومن غيرهم .

قلت وهذا أبـــو حفص عُمر بن سُليمان هو ممدوح أبي الطيب المتنبي بالقصيدة التي أولها .

نرى عِظماً بالصَّد والبينُ أعظم ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ‏ ونتَّهم الواشين والدمع منهم [1]

١ ــ ديوان المتنبي ط . القاهرة ١٩٤٥ ، ص ١٠٣ .

وكان من موالي المعتز وشرابياً لابنه عبد الله بن المعتز ، وسنذكر ترجمته في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى .

ومما نقلته من خط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي : حدثني أبو نصر محمد بن أحمد بن الحمّال قال : حدثني ابن عطيّة قال : أحصينا سنة تسعين ومائتين سكك طرسوس فوجدناها ألفي سكة نافذة ومسدودة ، وأحصينا الدور فوجدناها أربعة (٦٤ ــ و) وثلاثين ألف دار إقتضى التقدير أن يكون ثلثاها للعزّاب أهل البلدان ، حتى لا يعرف من عمائر الإسلام بلد إلا ولهم بطرسوس دار أو داران ، حتى أهل قم ؛ وثلثها للمتأهلين بها ملكاً لأربابها أو وقفاً عليهم .

قلت : ووقفت على كتاب وقف كتبه جد جدي زهير بن هرون بن أبي جرادة بحصة من ملكه بأورم الكبرى من ضياع حلب[1] ، على أن تستغل ويشتري من مغلها فرس تكون مقيمة بثغر طرسوس بدار السبيل المعروفة بزهير بن الحارث ، ويقام لها العلوف وأجرة من يخدمها ، ويقام عليها فارس يكون مقيماً بالدار المذكورة يجاهد عليها عن زهير بن هرون ، ومافضل من المغل يعد لنائبة إن لحقت هذه الفرس .

وقد ذكر هذه الدار أبو عمرو الطرسوسي وقال : وهذه الدار بيوت سفالي وإصطبلات ومخازن وعلالي ؛ فأما الحوانيت فهي وقف على سبعة أفراس تكون في مربط هذه الدار بسروجها وآلاتها وجلالاتها ، ويقام بقضيمها ونعالها ومساميرها وأجرة بياطرتها وأجرة ساستها ، وقد رسمت هذه الأفراس السبعة كل فرس منها بقائد من قواد طرسوس ، متى نودي بنفير أو غزو قاد السائس فرساً برسم

---

١ ــ ماتزال تحمل الاسم نفسه ، ويصلها الآن بحلب طريق مزفت وترابي طوله ١٨كم ، التقسيمات الادارية ، ٣٠٨ .

قائد من القواد إليه بعينه ، بعد القيام بكفايته ، حتى إذا عـاد القائد من نفيره أو غزوه ردّ الفرس إلى مربطه .

وذكر دوراً كثيرة لا يحتمل الحال ذكرها ، ويطول كتابنا بإيراد ماذكره .

قرأت في كتاب البلدان لأحمد بن يحيى بن جابـر (٦٤ ــ ظ) البلاذري ، ونقلته من خط بَنوُسَه قال : وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : لما غزا الحسن بن قَحْطَبَة الطائي بلاد الروم سنة اثنتين وستين ومائة في أهل خُراسان وأهل الموصل والشام وأمداد اليمن ومتطوعـة العراق والحجاز ، خرج ممـا يلي طَرَسوس ، فأخبر المهدي بما في بنائهـا وتحصينها وشحنتها بالمقاتلة من عظيـم الغناء عن الإسلام ، والكبت للعدو والوَقْم[1] له فيما يحاول ويكيد ، وكان الحسن قد أبلى في تلك الغزاة بلاءً حسناً ودوخ أرض الروم حتى سموه التّنين ، وكان معه في غزاته منـدل العَنَزي المحدث الكـوفي ، ومُعْتَمِر بن سُلَيْمان البصري .

قال : وحدثني محمد بن سعد قال : حدثني سعد بن الحسن قال : لما خرج الحسن من بلاد الروم نزل مرج طرسوس فركب إلى مدينتها وهي خراب فنظر إليها وأطاف بها من جميع جهاتها ، وحزر عدة من يسكنها فوجدهم مائة ألف ، فلما قدم على المهدي وصف له أمرها وما في بنائها وشـحنتها من غيظ العدو وكبته وعـزّ الإسلام وأهله ، وأخبره في الحدث أيضاً بخبر رغّبه في بناء مدينته ، فأمر ببناء طرطوس ، وأن يُبدأ بمدينة الحَدَث ، فبنيت ، وأوصى المهدي ببناء طرطوس .

فلما كانت سنة إحدى وسبعين ومائة بلغ الرشيد أن الروم قد ائتمروا بينهم بالخروج إلى طرسوس لتحصينها وترتيب المقاتله فيها ، فأغزى الصائفة في سـنة

١ ــ في القاموس : « وقمه » قهره وأذله ، أوردّه أقبح الرد .

إحدى وسبعين ومائـة هَرثمة بن أعْين ، وأمـره بعمارة (٦٥ ــ و) طرسوس وبنائها وتمصيرها ففعل ، وأجري أمرها على يدي فرج الخادم أبي سليم بأمر الرشيد ،فوكّل ببنائها ، ووجه أبوسُلَيْم الى مدينة السلام،فأشخص النُدبة الأولى من أهل خُراسان وهم ثلاثة آلاف رجل ، فـوردوا طرسوس ، ثم أشخص النُدبة الثانية وهم ألفا رجل ، ألف من أهل المصِّيصَه وألف من أهل أنْطاكية على زيادة عشرة دنانير لكل رجل في أصل عطائه ، فعسكروا مـع النُدبة الأولى بالميدان على باب الجهاد في مستهل المحرم سنة اثنتين وسبعين ومائة ، الى أن استتم بناء طرسوس وتحصينها ، وبناء مسجدها ، ومسح فَرَج مابين النهر إلى النهر فبلغ ذلك أربعة آلاف خِطَّة ، كل خِطَّة عشرون ذراعاً في مثلها ، وأقطع أهل طرسوس الخطط ، وسكنتها الندبتان في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وسبعين ومائة .

قال : وكان عبد الملك بن صالح قد استعمل يزيد بن مَخْلَد الفزاري على طرسوس ، فطرده من بها من أهل خراسان ، واستوحشوا منه للهُبَيْريه ، فاستخلف أبا الفوارس ، فأقره عبد الملك بن صالح ، وذلك في سنة ثلاث وتسعين ومائة(١) .

قرأت بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطَرَسُوسي سمعت أبا زرعـة نعيم بن أحمد المكي سنة ست وثلاثين وثلاثمائة يقول : سمعت عبد الله بن كَلَثُرت يقول : سمعت أشـياخنا رحمهم الله يذكـرون أن خيل خراسـان وردت لعمارة طَرَسُوس في أيام المهدي مع رسله وعساكره ، وأنهم (٦٥ ــ ظ) حطوا بمكان وصفه لنا بباب الجهاد غربي حائط المصلى ، أربعة آلاف راحلة دقيقاً ، مكتوب عليها بَلْخ ، خُوارزم ، هَرَاة ، سمَرَقند ، فَرْغانه ، أسبيجاب ، حمل ذلك كله على البخاتي من خُراسان مع أبي سُلَيم ، وبشار ، وأبي مَعْروف الخدم أبناء الملـوك .

---

(١) فتوح البلدان ١٧٣ ــ ٧٤ .

أبنأنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي عن أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني قال : سمعت أبا علي الحسن بن مسعود الوزير الدمشقي الحافظ يقول : كان المشايخ يقولون زينة الإسلام ثلاثة : التراويح بمكه ، فانهم يطوفون سبعاً بين كل ترويحتين ، ويوم الجمعة بجامع المنصور لكثرة الناس والزحمه ونصب الأسواق ، ويوم العيد بطَرَسُوس ، لأنها ثغر وأهلها يتزيّنون ويخرجون بالأسلحة الكثيرة المليحة والخيل الحسان ، ليصل الخبر إلى الكفار فلا يرغبون في قتالهم [1] .

قرأت بخط أبي عمرو الطَرَسُوسي ، وذكره بإسناده الى وريزه بن محمد بن وريزه الغَسَّاني قال : حدثني الحارث بن هُمام قال : سمعت أبي يقول : استوصف الحجاج ابن القِرِّيَّة [2] البصرة والكوفة وواسط فوصفها ، ثم استوصف منه الشام ، فقال : الشام عروس بين نسوة جلوس .

قالوا أبو عمرو القاضي : قلت أنا : وابن القِرِّيَّة نعت الشام وليس للمسلمين يومئذ طَرَسُوس ، فأما منذ ملكهم الله إياها ، وجعل خطبة خلفاء دينه على منابرها ، ونصبها قبة للجهاد وملجأ وعلماً لأولئك الأخيار البررة ، فما اختلف اثنان سلكا عمائر الإسلام وجابا أفقها أن مدن الشام كالنسوة الجلوس وأن طَرَسُوس تلمع بينها بمنزلة العروس .

* * *

★ ــ جاء في الحاشية سماع بخط ابن العديم نصه : بلغ ولدي محمد قراءة وسمع معه عبد الرحمن ومحمد بن عبد الواحد .

١ ــ الأنساب للسمعاني ، مادة الطرسوسي : ٣٦٩ ــ ظ .

٢ ــ اسمه أيوب بن زيد ، انظر الاشتقاق لابن دريد ، ط . القاهرة ١٩٥٨ ، ص ٣٣٥ .

ذكر كيفية النفير بطرسوس ، وكيف كان يجري أمره

قرأت بخط أبي عمرو القاضي في كتابه قال : يركب المتولي لعمل الحسبة أي وقت وقع النفير من ليل أو نهار ، ورجالته بين يديه يُنادون بأعلى أصواتهم أجمع ، صوتاً واحداً ، يقولون : النفير يا أصحاب الخيل والرَجّاله ، النفير حملكم الله إلى باب الجهاد ؛ وإن أراد إلى باب قَلَمْيه أو الى باب الصاف[1] أو الى أي باب اتفق ، وتغلق سائر أبواب (٦٦ ــ و) المدينة ، وتحصل مفاتيحها عند صاحب الشرطة ، فلا تزال مغلقة حتى يعود السلطان من النفير ، ويستقر في داره ثم تفتح الأبواب المغلقة كلّها .

ويطوف المحتسب ورَجّالته الشوارع الجداد كلها ، فإن كان ذلك نهاراً إنضاف إلى رجالته عدد كثير من الصبيان ، وساعدوهم على النداء بالنفير ، وربما احتاجوا إلى حشد الناس لشدة الأمر وصعوبة الحال ، فأمر أهل الأسواق بالنفير وحَضّهم على المسير في أثر الأمير أين أخذ وكيف سار ، ويكون مركز صاحب الشرطة إذا وقع النّفير مع رجالته الموسومين به عند الباب الأول الذي يلي المدينة الذي يخرج منه الناس إلى النّفير ، وكذلك المحتسب ، إلاّ أن المحتسب يتردد في الأسواق إذا طال أمر النفير ، وتأخر خبره ، ويبعث على اللحوق بمن سار مع الأمير وبمن توجه إلى النفير ، فلا يزال الأمر على هذا حتى يعود السلطان إلى دار الإمارة .

ويخرج إلى النفير قوّاد الرَجّالة ، معروفون متى عقد السلطان لقائد من الفرسان فبعثه للقاء من ورد من ذلك الوجه أضاف إليه قائداً من قواد الرجالة ، وأتبعه

---

١ ــ كتب ابن العديم فوقها ، كذا ، وقد ورد هذا الاسم في النقول السابقه ــ صفصاف ــ .

من أجلاد الرجالة أهل القوة والنشاط والنية من المُطَّوِّعَـةِ المسجديـة ، حتى إذا نزلوا أول منزل ، تَبَتَّل شيخ ، بل شيوخ من الصلحاء معروفون بحفظ من هنـاك من الغلمان المرموقين بالصباحة والوضاءة ، فتنضاف طبقة طبقة إلى ذي معرفتهم وثقتهم وحصلوا تحت (٦٦ ــ ظ) علمه ورايته ، فلو هَمَّ أحدهم بالوضوء لصلاة لما أفرج عنه إلاّ برقيب ثقة أمين شيخ معروف ، يمضي معه لحاجته ، حتى إذا فرغ منها عاد إلى جُملتـه .

وقد رأينا في آخر أيام طَرسوس رجلاً يعرف بُرؤبة يجتمع إليه الصبيان الذين لم يبلغوا الحلم ، يزيد عددهم على ألف صبي كلهم بالسلاح الذي يُمكن مثله حمل مثله ، وبمزاودهم وقد أعدوا فيها من صنوف أطعمة أمثالهم يطـوف جميعهـم بمَطْرَد يحمله رُؤبة ، يسيرون بسيره ويقفون بوقوفه ، فلا يزال ذلك دأبهم حتـى إذا عاد السلطان إلى مقر داره عند رجوعه من نفيره ، دخل أولئك الصبيان أمامه على مراتبهم ، يصفهم قائدهم الأمثل فالأمثل ، رماتهم عن قسي الرجل التي قد عُملت على مقاديرهم ، ثمّ رُماتهم عن القسي الفارسية ، وربما كان فيه من أولاد اليمانية مـن يحمل القسي العربية بنبلها ، فيدخلون فوجاً فوجاً صبيين صبيين ، ثـم من يُحسن الثقاف ، فيُثاقف قرينه ومثله وخدينه وشكله حتى يدخل كل صنف منهم في مرتبته ، ثم يتلوهم رُؤبة قائدهم بمَطْرَده وعلامته ، حتى إذا خرج أحد أولئك الصبيان من حَدّ الطفولة ، واشتد عضده ، وقارب حد البلوغ ، أو بلغ ، أو تجاوز البلوغ قليلاً ، إنضاف إلى قائد من قواد الرجالة الذين ذكرت ، وصحبه في نفيره وغزوه ، وارتـاد لنفسه الرفاق بحسب ما يختار تربه وجاره وقرينه ، فإذا إلتحى ، وخرج عن حد المُرد دخل في جمهور (٦٧ ــ و) الناس ، حاذقاً بما يحتاج إليه ، ماهراً بصيراً بأمر جهاده وتدبير أمره ، نافذاً يقظاً إن شاء اللـه .

وقع إليّ قصيدة الأعلام ، وهي أرجوزه نظمها أبو عمرو القاسم بن أبي داود

الطرسوسي يذكر فيها رحلته من طرسوس ، ويتشوقها ، ويصف أوضاع المجاهدين فيها ، وقد شرحنا في ترجمته من كتابنا هذا صورة القصيدة ، قال فيها في وصف طرسوس :

يذكُر قَومي عَنهم إرتحالي ... وتركُ داري جانباً ومالي
تركي سَجستان من المعالي ... مَالي ودارٌ للغُواةِ مالي
لبئس ما بدلتها مراراً ... زَرَنج من طَرَسُوس لا مختارا
طرسوس أرض الفضل والجهاد ... ومُنتهى الرغبة للعُبَّادِ
تِيكَ بلادي وبها تلادي ... وما لفي ومَعْدن الرشادِ
سكانها أهل البلاء والجَلَدْ ... غلامُهم لدى الحروب كالأسَدْ
وكهلهم في المعضلات مُعْتَمَدْ ... وشيخهم لكُلِ خير مُسْتَنَدْ
أهل فَضيلات وأهل سُنَّةْ ... للعائفين والغريب جُنَّةْ
حُبٌّ النبي فيهمُ ما إنَّهْ ... هَداهم الله طريق الجنَّة
قد دوّخوا بالضرب في الحقائقِ ... بكل قطّاع من البوارق
هامَ العِدى والوَخْزِ بالمزارقِ ... والطعن بالخطّيِّ في الحَمَالِق

(٦٧ ـ ظ)

بالسَّمْهريات من الرِّمَاح ... يختطفون شِكَّةَ الأرواح
وفي الدُّجى يسرُون للتصباح ... سرينةً في الروم لاجتياح
وللثَواب والغِنى والريش ... يرجُون خُلْداً في لذيذ العيش
ليسوا بأطياشٍ غداة الهَيْش ... إذا اغتدوا كانوا أمام الجَيْش
تراهم صَبيحة المغار ... كالأُسْد في أشبالها الضَوَاري
على الجيادِ العُرْبِ والشَهَاري ... كأنّها العِقبان في البَراري
من كُل طرفٍ مارحٍ لدى العمل ... أغرّ كالبَدْر تَدَلَّى ما أفل

مُحَجَّلٌ أرْجُله جَمَّ الكفـل ... ما هاب يَوماً في الوغى لمح الأسلْ
فهم يَحُلُون بها الديارا ... ويَقتُلون عندها الكُفّار
ويَسْتَبُون الخُرّد الأبكارا ... ويحتوون المال والأسارى
قد صَفّدوا في السير في وثاق ... وضُمَّت الأيدي إلى التراقي
لخَشْيَة الفرار والإباق ... وَتلكُم الجوار في استباق
يُسَقْن كالأغنام في الشّغاف ... يُحَزْنَ بالرماح والقذاف
حَوْزَ الرُعاة الشاء في الفيافي ... كم فيهم من ظبية ذلاف
يمنعها من مشيها سحج الربَل[1] ... وثقل ردفٍ مائل لها عَدَل
وأنها ذات دلالٍ وخجلْ ... لو حسها الراهب يوماً لنزلْ
والقَسُ لو أبصرها لما صَبر ... وقبّل الرجلين منها واعتذرْ

(٦٨ – و)

تبكي بعين ذات غُنْج وحَوَر ... وتلْطِم الوجه المُنير كالقمرْ
أبيضَ يَعْلوه كلون الخَمْرْ ... نعم وفي الصدر الوضيء تَفْري
باللكم والخَمْش ونَتْفِ الشعرْ ... من حالك قد حلّ عند الخَصْر
وكل ما يبدو لها مليحُ ... إذا احتواها المُرْد يَسْتَريح
دع ذكرها فذكرها قبيحُ ... على الفتى وخُذْ بما تبُوح

* * *

١ – السجح جري دون الشديد والرباله كثرة اللحم .

ذكـر زهـاد طرسوس

بهـا رجـال بَعْضُهم من بَعْض — فـي الله قامـوا بحُقُوق الفَرْض
فيهـا يعيشـون بكـل خَفْض — يَحْبُـوهم بـركات الأرْض
يَبْـدون من يَلْقَـوَنْ بالتسليم — يَعْفُون عن ذي القدرة الظَلـوم
نهارُهـم صَـوْم بـلا تَعْتيـم — ولَيْلُهـم عبـادة القَيُّـوم
فتـارة يبكـون شجواً دررا — خوف الحساب والخَطايا حَـذَرا
وتـارة يعتبرون السُـوَرا — مستغفريـن علـه قد غفـرا
وتـارة يغـزون أرض الـروم — يرجـون قتـلاً في هوى الكريـم
يا ليتنـي في الارض كالرميـم — عندهُـمُ فقَصِّري أو لومـي

هذا كان حال مدينة طرسوس والشرائع محفوظة ، وأمور الجهـاد ملحوظـة ، وأحوال البدع مرفوضة ، والجفون عن الحرمات مغضوضة ، فحين فسدت الأمور ، وارتكبت الفجور ، وقلت الخيرات ، واشتغل أهـل الجهاد (٦٨ ـ ظ) باللذات ، طمع العدو ومنعه طلب الثأر الهدُوّ فقصد البلاد وأكثر الأمداد ، وهجم حلب وفتح أنطاكية ، وقتل الأبطال ، وسبى الذرية ، ثم استولى على الديار ، وقصد طرسوس ، وألـحّ عليها بالحصار ، فجرى في أمرها العظيم ما ذكره عثمان بـن عبد الله بـن إبراهيم في مقدمة كتابه الموسوم بسِيَر الثغور ، ونقلته من خَطّه مع ما نقلتـه مـن حوادث الأمور .

قال بعد أن حمد الله على نعمه التي تظاهرت فما تحصى وأياديه التـي ترادفت فما تستقصى : نفذت سوابق أقضيته في عالم من بريته أسكنهم حيناً من الدهر ثغراً

بأطراف الشام ، نوّه به وبهم في معالم الإسلام ، متّعهم فيه مدةً من المدد ، وأعزه وأعزهم إلى غاية من الأمد ، ظاهرين على أعدائهم ، مظفرين في قلوب إخوانهم المسلمين ، معظمين مبجّلين ، ضاقت بهم أرض الروم[١] ، ترأى نيرانهم ، وتكافح فرسانهم ، إن دنوا منهم هلكوا ، وإن أمعنوا الهرب عنهم أُدركوا ، لا تحرزهم أرضهم وان اتسعت ، ولا تحميهم معاقلهم وان امتنعت ، تغزى بنودهم[٢] ، وتهزم حشودهم ، وتفل جنودهم ، وتستباح حريمهم ، ويستأصل كريمهم ، وتُروَح أفنيتهم ، وتهدم أبنيتهم ، وتشن الغارات فيهم ، زيادة على مائتي سنة ، حتى نبغ من نقفور بن خاردس الفقّاس[٣] من صمد نحوهم وعندهم ، وأناخ بهم وقصدهم ، وأجمع على استئصالهم واجتياحهم ، وبوارهم ، فغزاهم (٦٩ ـ و) عاماً بعد عام ، ونازلهم في عقر ديارهم ، يُدَوّخ أطرافهم ،ويسوق عَوَامِلهم ، ويتردد إلى زروعهم أوان استحصادهم فيجتثها ويأتي عليها ، وتتوالى لأجل ذلك سنوات الخوف والجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، وضيق الأسعار ، وتأخر المبر والامداد ، وفناء الحُماة من الرجال الكماة، وتلاشي الشجعان والفرسان ، وانحلال الأحوال ،واختلال الأبطال ، وحلول الداء الذي لا دواء له ، والعلة التي لا يرجى بُرؤها ، وهو نبو السلاطين حينئذ عن نُصرتهم ، وتثاقلهم عن إجابة مستصرخهم ، وتخلفهم حين دهمهم ما دهمهم عن معونتهم .

فالنائب بمصر وما ينسب إليها براً وبحراً من أقاصي الصعيد إلى حدود جُوسية راض بمدافعة الأيام وسلامة الشهور والأعوام من صولة ملك الغرب وَمُدَبِّره[٤] ،

١ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : أظنه ، وكثرت فيهم منهم الكلوم .

٢ ـ من أجل البنود البيزنطية أي Themes ، انظر التنبيه والاشراف للمسعودي ط . القاهرة ١٩٣٨ ، ص ١٥٠ ـ ١٦٠ . The Combridage Medieval History, vol IV, Part II, Combridage, 1967. PP 28 — 29.

٣ ـ أي : Niephorus sonof Bardos Phocas.

٤ ـ في هذا اشارة الى الخلافة الفاطمية التي كانت متمركزة في تونس وتطمع بالاستيلاء على مصر .

والرائب المشار إليه بأرض العراق وما يجري مجراها إلى حدود بحر الصين وباب الأبواب ، يتشاغل بأساورة دَيلمان وجيلان ، وملك خراسان في كف غربه كما قال المُساور بن هند العبسي :

وتشعبوا شُعَباً فكل جزيرةٍ فيها أمير المؤمنين ومِنْبَرُ

فحاق لذلك بأهل الثغر ـ جدده الله ـ من قراع الروم ـ وقمهم[1] الله ـ على وفور عَدَدهم وقوة عُدَدهم ، ووفاق أجناس الكفرة إياهم ما ثقل حدّه (٦٩ ـ ظ) وعظم مَرَدّه ، وامتنع مَسدّه ، بما وصفنا من خُلْف سلاطين الإسلام وأمرائه، وتفاوت كل منهم في شتات آرائه، وما خامر أفئدتهم من الوَهَل[2] وران على قلوبهم من الرعب والوجل كما سبق لهم في علم الله العزيز وإرادته ألاّ يجعل لهم حظاً في الآخرة .

فقد حدثني أبو العباس محمد بن نصر بن مُكرم ، أحد عدول بغداد ، في درب الريحان ، أن أحمد بن بويه رحمه الله جلس بمكان أرانيه بباب داره المُعزية ، يعرض خيله متنزها بالنظر إليها ، فقيد بين يديه من دار الدواب إلى ذلك المكان في مدة أربعة عشر يوماً متصلة اثنا عشر ألف فرس ، أغلاها ثمناً بمائة ألف درهم ، وأدناها ثمنا بعشرة آلاف درهم ، لم يطرح قط على فرس منها سَرْج في سبيل الله ولا في غير سبيل الله .

وحدثني أيضا كهل من أهل أَذَنَه يعرف بابن الشِعْراني وقد سألته ببغداد عن منصرفه ، فوصف إشرافا على قضيم حمير برسم فنا خسرو بن الحسن بن بويه

١ ـ أي أذلهم الله .
٢ ـ أي الفزع .

رحمه الله عددها ستة آلاف حمار ، قد رتبها لخدمة الكراع ينقل لها القصيل [1] في حينه ، والقضيم والعلوفات في سائر الاوقات ، وسألته عن عدد هذا الكراع الذي قد رتبت هذه الحمير لخدمته ، فذكر أن المشرف على قضيم جميع الكراع يستوفي كل ليلة قضيما لثمانين ألف رأس ، من ذلك ثلاثون ألف جمل ، وأربعة وعشرون ألف بغل (٧٠ ــ و) وعشرون ألف فرس وستة آلاف حمار .

فهذان رجلان من أمراء الاسلام وصفنا ظاهر نعم الله عليهما ، والجهاد معطل والثغر يباب لا أنيس به خاو من القرآن ، خال من الأذان .

مدارس آياتٍ خلت من تلاوة ومنزل وحيٍ مقفر العرَصَاتِ

فمن قتيل أو جريح ، وعفير من أهلها طريح ، وهارب طامح ، ومتحيز الى وطن نازح ، ومفتون في دينه ، ومغلوب على ملك يمينه ، قد استبيحت منازلهم بجميع ما كانت تحويه الا ما نقله السائر عنها على ظهره بحسب قوته إن كان ذا طاقة لشيء من حمله ، أو على ذي أربعة ان كان واحدا له أو أعوانه ان وجد عونا ، « فلكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه » [2] ، لا يعرج على سواه ولا يعود بعد الى مثواه بذلك سبق فيهم علم الله المكنون الغامض المصون ، « لا يسأل عما يفعل وهم يسألون » [3] .

وقرأت بخط أبي عمرو في كتابه : وجرى من اعتياد الروم طرسوس ما اقتضت الصورة إخراج وفد الى مصر والعراق يستصرخون ويطلبون المدد ، ورسم أبو الحسن ابن الفياض بوفادة مصر ، ووفد أبو بكر الاصبهاني الاسكاف ، وأبو علي

١ ــ القصيل هو الشعير يجز أخضر لعلف الدواب .
٢ ــ القرآن الكريم ، سورة عبس الآية : ٣٧ .
٣ ــ القرآن الكريم ، سورة الانبياء الآية : ٢٣ .

ابن الأصبهاني خليفة القاضي العباس بن أحمد الخواتيمي على طرسوس الى بغداد ، فندب للخطبة أبو صالح عبد الغفار بن الحراني الوراق عوضا منه (٧٠ ـ ظ) فقام مقامه ، وأقام أبو صالح عند خروج الناس بطَرَسُوس لعلة منعته من الحركة بها توفي ، وما زال أبو صالح يخطب مدة أيام مُنازلة نقفور إيَّانا ، فلما انتهينا الى الأيام التي وادعناه فيها للخروج عن طَرَسُوس إعتل أبو صالح علة حالت بينه وبين الصلاة ، واحتاج الناس في آخر جمعة جمعوها بطَرَسُوس إلى خطيب فسئل أبو الحسن بن الفياض الصلاة ، وقد كان عاد من مصر معذرا لم ينل في الوفادة ما تمنى من أرسله لها ، فأبى ، وقال : ما أحب أن أكون آخر خطيب خطب بطَرَسُوس ، وحضرت الصلاة فصلى بالناس يومئذ أبو ذر ، رجل من أبناء طرسوس ، شيخ من أهل العلم كان سافر وغاب عن طَرَسُوس عدة سنين ، وعاد الينا في تلك الأيام ، فهو آخر من خطب على منبر طَرَسُوس يوم الجمعة العاشر من شعبان سنة أربع وخمسين وثلاثمائة ، لأن خروج الناس كان عنها في يوم الاربعاء النصف من هذا الشهر في هذه السنة ، وأقام المؤذنون في ذلك اليوم وأخذوا في الأذان ، فسهوا فأقاموا ، فرد عليهم فأذنوا ، وقام أبو ذر فخطب ، فلما أتى الدعاء للسلطان خطب للمعتضد ، ورد عليه ، فتمم خطبته ونزل ، فأقيمت الصلاة وكبر وقرأ في الركعة الاولى بفاتحة الكتاب ، وسورة والشمس وضحاها (٧١ ـ و) ، وفي الركعة الثانية بسورة الحمد وسورة إذا زلزلت الأرض زلزالها .

فلما سلم قام أبو عبد الله الحسين بن محمد الخواص قائما في قبلة المسجد ، واستقبل الناس بوجهه وقال : يا معشر أهل طرسوس أقول فاسمعوا : هذا المقام الذي كان يتلى فيه كتاب الله العظيم ، هذا المقام الذي كانت تعقد فيه المغازي الى الروم ، هذا المقام الذي كان يصدر عنه أمر الثغور ، هذا المقام الذي كانت تصلى فيه الجمع والأعياد ، هذا المقام الذي يأوي إليه

الملهوف بالدعوات ، هذا المقام الذي يزدحم عليه أهل الستر والسداد ، هذا المقام الذي كان يفد الى الله فيه الوافدون ، هذا المقام الذي كان يعتكف فيه العابدون الزاهدون ، وما يجرى مجرى هذا الكلام .

وقرأت في تاريخ أبي غالب همام بن الفضل المعري أن نقفور لما صالح أهل طَرَسُوس ، وخرجوا منها وتسلمها صعد على منبرها وقال : يامعشر الروم أين أنا ؟ قالوا : على منبر طَرَسُوس ، فقال : لا بل أنا على منبر بيت المقدس ، وهذه البلدة التي كانت تمنعكم من بيت المقدس .

* * *

باب ما جاء في فضل طرسوس * (٧١ ــ ظ)

قرأت بخط القاضي أبي عمرو عثمان بن عبد الله الكرجي ، ونقلته منه ، حدثنا أبو عُمير عدي بن أحمد بن عبد الباقي قال : حدثنا عمي أبو القاسم يحيي بن عبد الباقي قال : حدثنا يحيى بن زكريا أبو زكريا قال : حدثني محمد بن ابراهيم بن مالك الصوري قال : حدثني فتح بن محمد بالغور قال : حدثنا عبد الله بن عيسى العقدي قال : حدثنا نصر بن يونس قال : حدثنا عيسى بن يونس قال : حدثنا السري بن بزيعة عن أبي بكر اليشكري عن الحسن البصري عن أنس بن مالك قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ودموعه تقطر على لحيته قال : فقلنا بآبائنا وأمهاتنا يارسول الله ، من اخواننا هؤلاء الذين ذكرتهم فرققت لذكرهم ؟ قال : قوم من أمتي يكونون في مدينة تبنى من وراء سيحان وجيحان فمن أدرك ذلك الزمان فليأخذ بنصيبه منها ، فإن شهيدهم يعدل شهداء بدر ، والذي نفسي بيده ليبعثن الله يوم القيامة من تلك المدينة سبعين ومائة ألف شهيد يدخلون الجنة بغير حساب ، وان الله عز وجل ينظر الى أهل تلك المدينة كل يوم سبعين مرة ، كلما نظر اليهم ذر عليهم من بره وحنانه، الله عز وجل أرفق بتلك المدينة من الوالدة بولدها ، يغفر الله لأهل تلك المدينة كل يوم عند (٧٢ــو) طلوع الشمس وعند غروبها ، ولا يزالون على الحق والحق معهم حتى يكون آخر الزمان عصابة منهم يحاربون الدجال ، يحشر الله من تلك المدينة اثني عشر ألف زمرة ، في كل زمرة مائة ألف شهيد ، والشهيد منهم يشفع

★ ــ كتب ابن العديم في الحاشية : بلغ عبد الرحمن .

في مائة ألف سوى أهل بيته وجيرانه ، واسمها بالعربية طَرَسُوس ، وفي التوراة أبسوس ، وفي الإنجيل أرسوس ، وهي الصارخة الى الله عز وجل في بيت المقدس حين أخربت ، ولها بابان مفتوحان حول العرش ، من دخلها من أمتي غفر له ما سلف من ذنبه ، ولم يكتب عليه ذنب حادث ، طوبى لمن حشر منها من أمتي ، طوبى له .

ونقلت من خطه حدثني أبو الحسن علي بن وهب الوراق الرملي بطرابلس قال: حدثنا أبو يعقوب العدل العطار الموصلي بالموصل قال : حدثنا ابراهيم بن الهيثم البلدي قال : حدثنا محمد بن إبراهيم الحراني عن قيس بن الربيع عن ابن أبي ليلى عن عبد الكريم عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ستعمر مدينة بين سيحان وجيحان تسمى المنصورة ، من دخلها من أمتي دخلها برحمة ، ومن خرج عنها رغبة عنها خرج بسخطة ، يبنى مسجدها على روضة من رياض الجنة ، يدعى مسجد النور ، الصلاة فيه بألفي صلاة ، النائم فيها كالصائم القائم في غيرها، المنفق فيها على عياله (٧٢ ــ ظ) الدرهم بسبعمائة ، طوبى للمجاهدين فيها ، وطوبى لمن حشر منها ، الميت فيها شهيد ، وشهيدها يعدل عشرة من شهداء البحر .

وقال أبو عمرو القاضي فيما نقلته من خطه : حدثنا أبو هاشم عبد الجبار ابن عبد الصمد السلمي قال : حدثنا أبو يعقوب الأذرعي قال : حدثنا أبو العباس عبد الله بن عبيد الله السليماني قال : حدثنا محمد بن عباد قال : حدثنا إبراهيم ابن صدقة الجهني قال : حدثنا عبد الله بن المبارك قال : حدثنا هشام بن مودود الهجري عن بُرْد بن سنان عن وهب بن منبه قال : لا تذهب الأيام حتى تبنى مدينة من وراء سيحان وجيحان قريبة من العدو غير بعيدة، تخيف العدو من وجهين من برٍ ومن بحرٍ ، ينظر الله عز وجل اليهم في كل يوم سبعين مرة ، كلما نظر اليهم ذرّ عليهم من برّه وحنانه ، الله عز وجل أروف بأهل تلك المدينة من الوالدة الشفيقة بولدها ، يغفر الله لهم في كل يوم مرتين عند طلوع الشمس وعند غروبها ، يحشر

الله منها يوم القيامة اثني عشر ألف زمرة في كل زمرة مائة ألف شهيد ، لا يزالون على الحق ، والحق معهم ، آخر عصابة منهم تقاتل الدجال •

قال ابن منبه : ياطوبى لأهل تلك المدينة هم أولياء الله وأحباؤه •

ومن خطه أيضا حدثنا عدي بن أحمد بن عبد الباقي أبو عمير قال : حدثنا عمي يحيى بن عبد الباقي أبو القاسم قال : حدثنا يوسف بن بحر قال : حدثنا سعيد (٧٣ ــ و) بن هشام الفيومي قال : حدثنا هشام بن مودود قال : سمعت وهب بن منبه يقول : تبنى مدينة من وراء نهر من أنهار الجنة ينظر الله في كل يوم الى تلك المدينة سبعين مرة ، يدر عليهم من بره وحنانه وهو أروف بهم من الوالدة بولدها •

قال سعيد بن هشام : سمعت هشام بن مودود يقول : هي طَرَسُوس •

ونقلت من خطه : حدثنا أبو عمير عدي بن أحمد الأذني بطَرَسُوس إملاءً في داره يوم السبت غرة ذي القعدة سنة ست وثلاثين وثلاثمائة حدثنا عمي أبو القاسم يحيى بن عبد الباقي حدثني أبو القاسم يوسف بن بحر الساحلي قال : حدثنا جُنادة بن مروان بن الحكم الأزدي قال : حدثني الهيثم بن حميد الكندي عن الحكم بن عمرو الرعيني عن كعب الاحبار قال : إن طَرَسُوس خرجت إلى ربها عز وجل من وحشتها وبكت اليه من خرابها ، فأوحى الله عز وجل اليها أيتها الصارخة إليّ أنا أذنت لخرابك ، وأذنت لعمرانك ، وأنزل عليك من بركات سمائي لأُطَهرك من دنس الأرجاس الأنجاس ، ثم أعمرك « بخير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »، (١) وأضع فيك معهم توراة محدثة وخدودا سجوداً يدفعون اليك دفيف (٢) النسور الى أوكارها ، ويحنون اليك حنين الحمامة الى فراخها •

١ ــ القرآن الكريم ، سورة آل عمران الآية : ١١٠ .
٢ ــ الدفيف الدبيب والسير اللين (القاموس المحيط) .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الفقيه قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي (٧٣ ـ ظ) محمد قال : أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة ، ح .

وأنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد عن عبد الكريم بن حمزة قال : حدثنا عبد العزيز بن أحمد قال : حدثنا تمام بن محمد قال : أخبرنا أبو الحارث بن عمارة قال : حدثنا أبي وهو محمد بن عمارة بن أبي الخطاب الليثي قال : حدثنا محمد بن أحمد بن ابراهيم عن هشام بن خالد عن الوليد بن مسلم عن رجل عن مكحول عن كعب قال : بطَرَسُوس من قبور الانبياء عشرة .

أخبرنا أبو الفتوح الحصري وأبو محمد عبد القادر الرهاوي في كتابيهما قالا: أخبرنا أبو الخير القزويني قال : أخبرنا زاهر بن طاهر قال : أخبرنا أبوا عثمان الصابوني والبحيري وأبوا بكر البيهقي والحيري إجازة منهم قالوا : أخبرنا الحاكم أبو عبد الله قال : سمعت أبا الفضل الحسن بن يعقوب العدل يقول : سمعت حمش التريكي الزاهد يقول : سمعت أحمد بن حرب [1] يقول : المقام بطَرَسوس في وقتنا هذا أحب الي من الجوار بمكة .

وقرأت بخط أبي عمرو القاضي في كتابه حدثنا أبو هاشم السلمي قال : حدثنا أبو يعقوب الاذرعي قال : حدثنا أبو العباس عبد الله بن عبيد الله السليماني قال : سمعت يوسف بن عبد الله الهاشمي يقول : قال عبد الله بن المبارك : تكبيرة على حائط طَرَسُوس تعدل فرسا في سبيل الله ، ومن حمل على فرس في سبيل الله حمله الله على ناقة من (٧٤ ـ و) نوق الجنة .

قلت وكان ابن المبارك قد قدم طَرَسُوس فأقام بها وبالمصيصة غازيا سنين

---

١ ـ توفي أحمد بن حرب سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وتوفى حمش سنة خمس وسبعين وما ئتين ، وكان اسمه محمد بن عبد الرحيم . انظر الاكمال لابن ماكولا ٥٣٥/٢ ، ميزان الاعتدال للذهبي ٨٩/١ .

عدة ، فقال له أبو إسحق الفزاري ، ما أخبرنا به القاضي أبو القاسم عبد الصمد ابن محمد إذناً قال : كتب إلينا أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي قال : أخبرنا أبوا بكر أحمد البيهقي ومحمد الحيري ، وأبوا عثمان إسماعيل الصابوني وسعيد البحيري إجازة منهم قالوا : أخبرنا الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله قال : أخبرني محمد بن عمر قال : حدثنا محمد بن المنذر قال : حدثني محمد بن الوليد قال : حدثني أبو عمران الطَرَسُوسي قال : سمعت عبد الله بن محمد بن ربيعة المصيصي يقول : حضرت أبا إسحق الفزاري وابن المبارك ، قال أبو إسحق الفزاري لابن المبارك يا أبا عبد الرحمن تركت ثغور خراسان الوا شجرد وقزوين وقد قال الله تعالى : « قاتلوا الذين يلونكم من الكفار »[1] ، فقال : يا أبا إسحق وجدت آية أوكد من هذه ، قال الله عز وجل : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله »[2] ، قال : ثم قال : هؤلاء يقاتلون على دنيانا ، يعني الترك والديلم ، وهؤلاء يحاربونا على ديننا ، يعني الروم ، فأيما أولى الذّب عن ديننا أو عن دنيانا ؟ قال : لا بل عن ديننا ، لا بل عن ديننا .

وقال الحاكم أبو عبد الله : حدثني أبو أحمد بن أبي الحسين قال : حدثنا محمد بن الفَيْض الدمشقي قال : حدثنا المُسَيَّب (٧٤ ـ ظ) بن واضح قال : أنشدنا عبد الله بن المبارك رحمه الله :

إنّي أُشير على العزّاب إن قَبلوا بأن يكون لهم مَثْوى بطَرْسُوس
الدار واسعة بالأهل رافقةٌ غيظ العَدو وأجر غير محسوس
قوم إذا نابهم في الحرب نائبةٌ حلّوا الرباط فلم يلوا على كوس

قرأت بخط أبي عمر والطَرَسُوسي : حدثنا أبو بكر محمد بن سعيد بن

١ ـ القرآن الكريم ، سورة التوبة الآية : ١٢٣ .
٢ ـ القرآن الكريم ، سورة التوبة الآية : ٢٩ .

الشفق قال : حدثنا محمد بن أحمد أبو الطَّيب قال : حدثنا جعفر بن محمد بن نوح قال : حدثنا يحيى بن عبد الرحمن عن أبيه قال : قــال ابن المُبارك : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام واضعاًيده على سور طَرَسُوس قال : اللهم احفظني فيها وفي أهلها .

ومن خطه : حدثنا عبد الجبار بن عبد الصمد قال : حدثنا أبو يعقوب الأَذرعي قال : حدثنا أبو العباس عبد الله بن عبيد الله السُلَيماني قال : سمعت أبا الطَّيب يقول : حدثني بعض إخواني قال : قال ابن المُبــارك : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو واضع يده على حائط طَرَسَوس وهو يقول : اللهم إخلفني على من فيها .

وقرأت بخطه أيضاً : حدثني محمد بن أحمد أبو نصر بن الحَمَّال قال : سمعت أحمد بن مُضر ، وهو أبو أبي العباس بن مُضر محمد بن أحمد يقول : كنا نسمع شيوخ الثغر قديما يقولون : لم يسكن طرسوس فيما مضى من الدهر والأزمنة في الكفر والاسلام الا أوطاء أهل زمانهم حتى أن قوماً من اليونانية سكنوها ، فكانوا أهل سداد وصلاح .

ونقلت من خطه : حدثنــا أبو بكر محمد بن ســعيد بن الشفق البغدادي بطَرَسُوس سنة خمس وأربعين وثلاثمائه قال : حدثنا أبو الطَّيب محمد بن أحمد البغدادي بطرسوس سنة إحدى وتسعين ومائتين قال : حدثنا أبو الفضل جعفر بن محمد بن نُوح قال : سمعت محمد بن عيسى قال : جـاء رجل إلى ابن المُبارك فقال : يا أبا عبد الرحمن أريد أن أسكن الثغر ، قال : اسكن أنْطاكية ، قال : أريد أن أتقدم،قال : أَذَنَه ، قال : أريد أن أتقدم ، قال : أتريد أن تكون في الطلائع فعليك بطَرَسُوس .

* * *

باب في ذكر حصون مذكورة

مجاورة لطَرَسُوس والمصِّيصَة وانطاكية ، كانت مضافة الى هذه المدن ، وهي من الثغور الشامية التي يفصل جبل اللكام بينها وبين الثغور الجزريه ، نذكرها عقيب ذكر طَرَسُوس لأنها الآن في أيدي الكفار خذلهم الله ، وأعادها إلى أيدي المسلمين . فمنها ذكر اقليقيه ، وهي مدينة بين المصيصة وأذنه داثرة .

قرأت بخط أبي عمرو الطَرَسُوسي : سمعت أبا الحسن علي بن جعفر بن عُقبه الأعرابي صاحب الجيش بطَرسوس سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة قال : سمعت أبي جعفر بن عقبه رحمه الله يقول كان شيوخنا يقولون : إن أول مدينة عرفت في إقليم الثغر أزلية قبل الاسلام مدينة اقليقية ، واليها ينسب علماء الروم الثغر فيقول بند اقليقيه ، قال لنا أبو الحسن بن الأعرابي : وقد بقي أثر هذه المدينة (٧٥ ــ ظ) دمنة فيها آثار أبنية قديمة وهي عن يمين السالك من المصيصة إلى أذنه بينها وبين أذنه نحو ميلين .

* * *

ذكر حصن ثابت بن نصر

وهو كان المشهور قبل الثغور وبنائها •

قرأت بخط أبي عمرو القاضي حدثني محمد بن أحمد الزمام قال : سمعت عبد الله بن كَلثُوْت يقول : ما زال أولونا يقولون لم يعرف الجهاد فيما مضى في شيء من أرض الثغور ، يعني طرسوس وأذنه وعين زربه ، إنما كان حصن ثابت بن نصر بمدينة المصيصة في آخر أيام بني أمية ، وأول أيام بني العباس ، يخرج منه أربعمائة فارس صلحاء إذا أقلبوا[1] حوافر خيولهم لتنعل للغزو ، قلبوا بذلك قلوب بطارقة قُسطنطينية خوفاً منهم وجزعاً •

قال : وقد غزا محمد بن عبد الله أمير المؤمنين المهدي رحمه الله فلم تك هناك طرسوس ولا أذنه ولا عين زربه ، وانما كان هذا الحصن لا غير •

وقرأت بخطه أيضا حدثني أبو الحسن العدل علي بن الحسين الحذاء وأبو بكر غانم بن يحيى بن عبد الباقي قالا : حدثنا أبو القاسم يحيى بن عبد الباقي قال : كان حصن ثابت بن نصر مشحنا بالابدال يجاهدون الروم ، منهم يوسف بن أسباط صاحب سفيان الثوري ، كان أدمن الصوم به فتوسوس •

وقرأت بخطه : حدثني علي بن إسحق صاحب العرض قال : سمعت أبا العباس ابن عبدوس يقول : كان ابتداء أمر الثغر وحصول المسلمين به أن نفراً (٧٦ ـ و)

---

١ ـ كتب ابن العديم في الحاشية ، صوابه قلبوا . وقد تقدم هذا .

صالحين سكنوا حصن ثابت بن نصر بالمصيصة كثرت غزواتهم ، وتشمر الـروم منهم لشدة بأسهم وعظم نكايتهم فيهم ، منهم : يوسف بن أسباط ، وعلي بن بكار ، وبعدهم إبراهيم بن أدهم ، وعبد الله بن المبارك ، وأبو معاوية الأسود وطبقاتهم ، وقتا بعد وقت من لا يحصى عدداً الى أن شحنت طرسوس ، كلهم أهل فضل وجهاد .

قلت : وهذا ثابت بن نصر الذي نسب هذا الحصن إليه ، هو ثابت بن نصر بن مالك بن الهيثم بن عوف الخزاعي ، أخو أحمد بن نصر الشهيد ، وكان فيه دين ، وله حسن أثر في جهاد الروم ، وولي الثغور الشامية ، وسنذكر حاله ونسبـه في ترجمته إن شاء الله تعالى .



ذكر حصن عُجَيْف

وهذا الحصن ينسب إلى عُجَيْف بن عَنْبَسَه من أكابر القواد ، ومن له بأس ونجدة في الجهاد ، وكان من قواد المأمون ، ودخل معه إلى بلاد الروم ، وسنذكره إن شاء الله تعالى .

قرأت بخط أبي عمرو الطرسوسي في ذكر حصون طرسوس ، ذكر حصن عُجَيْف وأبرجته ، رسم هذا الحصن أمير وأربعة فرسان ، وثلاثة حراس ، وثلاثة رَجالة وخطيب ، رزق الأمير عشرة دنانير ، ورسم كل فارس ديناران ، والرّجالة والحرس دينار دينار ، والخطيب ديناران .

بُرج الوصيفي ثمانية رجال ، للرئيس دينار وسدس ، وللرّجاله دينار دينار .

برج المنشا ستة نفر ، رئيس بدينار وسدس ، ولكل راجل دينار .

برج المَقْطع (٧٦ ـ ظ) خمسة عشر رجلا ، الرئيس دينار وسدس ، ولكل راجل دينار .

برج الجزيري سبعة نفر ، الرئيس بدينار وسدس ، ولكل راجل دينار .

* * *

حصـــن شاكـــر

وهو قريب من طَرَسُوس ، ينسب هذا الحصن الى شاكر بن عبـــد الله أبي الحسن المِصِّيصي ، وكان من الغزاة المذكورين والمحدثين المشهوريـــن ، وسنذكر ترجمته في بابـــه إن شـــاء الله .



ذكــر حصن الجَوْزَات

وبينه وبين طَرَسُوس ثمانية فراسخ ، وهو بين البذنــدون وطَرَسُوس ، وبينه وبين البذندون اثنا عشر ميلا ، وهو حصن مذكور موصوف بالقوة .

وقفت على فصل في ذكره بخط أبي عمرو الطرسوسي في سير الثغور ، فنقلته على حاله وصورته : رسم هذا الحصن أمير وخليفة ينوب عنه ، وخطيب وقيم للدار ، وصاحب الحمام ، وكاتب ، ومطرديان ، وبُوقي ، وبواب .

وفي جبل هذا الحصن شجر جوز مثمر مسافته ثلاثة أميال في عرض ميل ، فاذا حان إدراكه ، خرج والي الجوزات وجميع رجالته ، إلا من يضبط الحصن مــن الثقات ، فينفضون الجوز أياما ، وضم كل واحد مانفضه ، وعد بالإحصاء ماحصل ، فدفع إلى الوالي من كل عشرة آلاف جوزة ألف جوزة ، وأمسك لنفسه تسعـة آلاف ، فيجتمع للوالي — أعني والي الجوازات — من ذلك خمسمائة الف جوزة وأكثر ، ومما ينمحق من ذلك بالمسامحة فيه عند نسمه مع ما تعذر نفضــه ، (٧٧ — و) لبعد فروع أشجاره وتعذر وصولُ الناس إليه ، اكثر مما وصفت ، فتمتلىء بيوت الجوزانيين كلهم من الجوز ، يرتفقونَ به مدة أيام الشتاء ، ويتهادونه إلى طَرَسُوس ، الى ذي موداتهم وقراباتهم .

وفي فضاء من عمل الجوزات منبت للأشنان الزبطْري ، فإذا تناهى إدراكه ضموه وارتفقوا به من هدية وبيع واستعمال .

وفي هذا الجبل أشجار مخصوصة بأوكار البزاة يغتادها قوم من الجوزانيين ،

فإذا فرخ في وكره تعهده الطالب له بالتفقد وتردد إليه ، حتى إذا صلح ، تلطف بحيلة في نقل الفراخ ، ودبر تربيتها ، وتكلف حملها الى طرسوس ، وربمـا يبيـع الواحد بمائة وخمسين درهما ، فتستحيل إلى الفراهة إذا عُلم وضري،فبلغ خمسمائة درهم وأكثر (*) (٧٧ ـ ظ) .

* * *

* كتب ابن العديم في حاشية اخر هذا الجزء ـ الجزء الخامس ـ سماعا نصه : سمع هذا الجزء ولداي عبد الرحمن ومحمد بقراءتهما في مجلسين آخرهما الليلـة في الثالث من ذي الحجة من سنة خمس وخمسين وستمائة . وكتب ابن العديم سماعا آخر نصـه : قراءة بدر الدين عبد الواحد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي .

وفي جبلها أيضا عقار يعرف بالغاريقون[1] يحمل منه إلى أكثر الاقاليم .

حدثني أبو محمد عبد الله بن أبي مروان المَعْدَاني ، وهو الأفْطس ، وهو ممن رابط وجاهد في حصن الجوزات ثلاثين سنة ، أنهم أخرجوا في فاثور[2] ، فوجد أحدهم شيئا من الغاريقون ، فرفعه في مئزر معه ، ثم وجدوا ماء ينبع من عين ، فعرّسوا عليها وأخرجوا زادهم ، ورفعوا الغاريقون من المئزر في مزود مع أحدهم وبلوا كعكا معهم بذلك بالماء البارد ولفوه في المئزر ، وسار ثلاثة أو أربعة منهم يتجسّسوا مكانهم لئلا يعلم بمكانهم ، فتناول صاحبهم شيئا من الكعك المبلول فنال منه ، وأبطأ أولئك ، فعمل الغاريقون الملتصق بالمئزر في طبع الرجل ، وتردد واختلف ، فوافاه أصحابه وقد تردد نحو مائتي طريق ، وحيل بينه وبين القوة والحركة ، فرأوا إن قطعوا دِهْقَين[3] ، وجعلوا صاحبهم في عباء ، وحملوه بينهم الى الجوزات ، فعولج وعوفي ، فباع ما كان معه من الغاريقون بجملة جاملة .

وماوطىء هذا الحصن منذ ملكه المسلمون وشيدوه إمرأة ، ولا أطلق لأحد أن

---

١ ـ في القاموس غاريقون أو أغاريقون أصل نبات أو شيء يتكون في الاشجار المسوسه ، ترياق للسموم ، مفتح سهل للخلط والكدر ، مفرح ، صالح للنسا والمفاصل ومن علق عليه لا يلسعه عقرب .

٢ ـ الفاثور الجماعة في الثغر يذهبون خلف العدو . (القاموس) .

٣ ـ الدهق خشبتان يغمز بهما الساق . (القاموس) .

يدخل بغلام أمرد ، إلى أن أخرج عنها المسلمون ، وإنما يختار لها أهل القـــوة والبأس ، ومن يعاني أعمال السلاح المختلفة كالثقاف بالسيف والرمح ، والرمي عن القسي الفارسية ، وقسي الرجل ، من أبناء (٧٨ ــ و) أربعين ومازاد وما نقص ، فإذا حضر الغزو فقد رسم الجوزانيون يوما في ساقة عسكر المسلمين ، ويوما في مقدمته بأحسن الزي ، وأجمل الأحوال ، وأكمل العـُدّة ، شامة في الناس .

* * *

ذكر تل جُبَيْر

وهو من عوادل الثغور الشامية على ماذكره أحمد بن الطَّيِّب السَّرخَسي في كتابه ، وقال : ومن طرسوس الى تل جُبَيْر اثنا عشر ميلا .

وقرأت في كتاب البلدان تأليف أحمد بن يحيى البلاذري فيما نقله عن أشياخ الثغر قالوا : وتل جُبير نسب إلى رجل من فرس أنطاكية ، كانت له عنده وقعة ، وهو من طرسوس على أقل من عشرة أميال (١) .



١ ـ فتوح البلدان ١٧٤ .

ذكــر حصن أولاس

ويقال له حصن الزهاد ، وهو على ساحل البحر ، ومنه أبو الحارث فيض بن الخضر بن أحمد التميمي الأولاسي ، أحد الأولياء المشهورين ، وسنذكر ترجمتــه في بابها إن شاء الله تعالى .

وقال أبو زيد أحمــد بن سهل البلخي في كتاب صــورة الأرض والمــدن وما تشتمل عليه :

وأولاس حصن على ساحل البحر ، بها قوم متعبدون ، وهو آخر ما على بحر الروم من العمارة للمسلمين .

* * *

ذكر الهارونية

قال أبو زيد البَلْخي في كتابه : والهارونية غربي جبل اللكام في بعض شعابه (٧٨ ــ ظ) وهي حصن صغير ، بناها هرون الرشيد ، فنسبت إليه .

وقال أحمد بن الطيب في المسالك والممالك : ومن عوادل الثغور الشامية الهارونية ، كنيسة السوداء ، تل جُبير .

وذكر أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتاب البلدان قال : وللثغور الشامية مدينة عين زَرْبَه ، والهارونية ، والكنيسة المحترقه .

قال : وبنى الهارونيه الرشيد في أيام المهدي ، وهو ولي عهد .

قال البلاذري : ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين ومائة أمر ــ يعني الرشيد ــ ببناء الهارونية فبنيت وشحنت أيضا بالمقاتله ومن نزع إليها من المُطَوِّعة ، ونسبت إليه ، ويقال أنه بناها في خلافة المهدي رحمة الله عليه ، ثم أتمت في خلافته[1] .

* * *

---

١ ــ فتوح البلدان ١٧٥ .

ذكـر الاسكندرونه

وهو حصن بنته أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن المنصور أم الأمين ، وجدد بناءه أحمد بن أبي دؤاد ، وهو على ساحل البحر .

قال ابن واضح الكاتب : تهبط من جبل اللكام إلى مدينة على ساحل البحر الأخضر يقال لها الإسكندرونه ، بناها ابن أبي دؤاد الإيادي في خلافة الواثق .

وقال أبو زيد البلخي : والإسكندرونه حصن على ساحل البحر للروم ، وهي صغيرة بها نخيل .

وقال أبو عمرو القاسم بن أبي داود الطرسوسي في مزدوجته .

والإسكندرون حصن أم جعفر　　وردت يوم الجمعة المطهر
كم من شهيد عندهم في المقبر　　ومن خبايا من طيبات الثمر (١)

وفسره بأن قال : بنته أم جعفر يعني زبيدة .

قال البلاذري في كتاب البلدان : وكانت الإسكندرونه له ـ يعني لمسلمة بن عبد الملك ـ ثم صارت لرجاء مولى المهدي إقطاعا يورثه منصور وإبراهيم ابنا المهدي ، ثم صارت لإبراهيم بن سعيد الجوهري ، ثم لأحمد بن أبي دؤاد الإيادي ابتياعا ، ثم انتقل ملكها الى المتوكل على الله (٢) .

١ ـ كذا في الاصل والصواب : ومن خبايا طيبات التمر . حتى يستقيم الوزن .
٢ ـ فتوح البلدان ١٥٣ ـ ١٥٤ .

ذكر بِياس

وهي مدينة على البحر خرج منها جماعة من الرواة ، وبينها وبين الإسكندرونة عشرة أميال ، وبينها وبين فندق حُسين خمسة عشر ميلا ، وهذا الفندق في مرج يقال له مرج حسين منسوب إلى حسين بن سليم الأنطاكي ، كانت له به وقعة مع العدو ، وسنذكره إن شاء الله .

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البَلْخي : وبَياس مدينة صغيرة على شاطىء بحر الروم ذات نخيل وزروع خصبة .

* * *

ذكــر اياس

قد ذكرنا أن الشيخ الجرهمي ذكر لمعاوية أن ياوان بن يافث ولد أياس ، فعرف المكان الذي حله باسمه .

قلت : وأياس ، مدينة إلى جانب بياس على شاطىء بحر الروم ، من الثغور الشامية ، هي الآن في يد الأرمن أيضا .

* * *

ذكـــر التينات

وهو حصن على شاطىء البحر بين بَياس والمصيصة ، أقام به أبو الخير التيناتي ، فنسب إليه .

قال أبو زيد البلخي : والتينات حصن على شاطىء البحر أيضا ، فيه يُجمع خشب الصنوبر الذي ينقل إلى الشامات ، وإلى مصر ، وإلى الثغور .



ذكـر المثقّب

وهو حصن على ساحل بحر الروم .

قال أبو زيـد البلخي : والمثقب حصن صغير بنـاه عُمر بن عبـد العزيز رحمه الله ، بها منبر ومسجد ومصحف .

قال البلاذري : وكان الذي بنى حصن المُثَقَّب هشام بن عبد الملك على يد حسان بن ماهويه الأنطاكي ، ووجد في خندقه حين حفر عظم ساق مفرط الطول ، فبُعث به إلى هشام(١) .

* * *

١ ــ فتوح البلدان ، ١٧١ .

ذكــر سيسه

ويقال لها سيس ، وهي مدينة قريبة من عين زَرْبَه ، وهي الآن مستقر ملك الأرمن خذلهم الله ، ولم يكن لها فيما مضى كبير ذكر . غير أن أحمد بن يحيى ابن (٧٩ ــ ظ) جابر البلاذري ذكرها في كتاب البلدان وقال : قال محمد بن سعد ، بعد أن أسند عنه فقال : حدثني محمد بن سعد قال : حدثني الواقدي قال : جلا أهل سيسية ، مدينة تلي عين زربه ، وقد عمرت سيسية في خلافة المتوكل على يدي علي بن يحيى الارمني ، فنزلوها ، ثم أخربتها الروم [1] ، ثم عمرها فارس بن بُغا الصغير في خلافة أحمد المعتمد على الله في سنة ستين ومائتين ، أو سنة تسع وخمسين ومائتين ، وأنفق عليها من ماله بسبب نذر كان عليه ، وجرت عمارتها على يدي مكين الخادم .

* * *

---

١ ــ فتوح البلدان ١٧٤ .

ذكر حصن ذي الكِلاع

قال البلاذري ، فيما حكاه عن شيوخ الشام ، قالوا : والحصن المعروف بذي الكِلاع إنما هو الحصن ذو القلاع ، لانه على ثلاث قلاع فحرف اسمه ، وتفسير اسمه بالرومية الحصن الذي مع الكواكب (١) .

* * *

١ ـ فتوح البلدان ١٧٤ ـ ١٧٥ .

حصن قطر غاش

قال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : وبنى هشام حصن قطر غاش على يدي عبد العزيز بن حيان الأنطاكي [1] .

قلت : وهذا الحصن بين أنطاكية والمثقب .

* * *

١ ـ فتوح البلدان ١٧١ .

حصن موره

وهو في جبل اللكام .

قال البلاذري : وبنى هشام ايضا حصن موره على يدي رجل من أهل (٨٠ ـ و) أنطاكية وكان سبب بنائه إياه أن الروم عرضوا لرسول له في درب اللكام عند العقبه البيضاء ، ورتب فيه أربعين رجلا وجماعة من الجراجمة ، وأقام ببغراس مسلحة في خمسين رجلا ، وابتنى لهم حصنا [1] .

* * *

١ ـ فتوح البلدان ١٧١ .

ذكــر حصن بُــوقا

وهو حصن من عمل أنطاكية ينسب إليه بعض أهل الحديث ، وله كورة تنسب إليه .

قال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري : وبنى هشام ـ يعني ابن عبد الملك ـ حصن بُوقا من عمل أنطاكية ، ثم جدد وأصلح حديثا ، وبنى محمد بن يوسف المروزي المعروف بأبي سعيد حصنا بساحل أنطاكية ، بعد غارة الروم على ساحلها في خلافــة المعتصــم (١) .

* * *

١ ـ فتــوح البلــدان ١٧١ .

ذكــر الصخــره

وهي بقرب أنطاكية ، وقيل هي التي ذكرها الله في القرآن بقوله تعالى : « أرأيت إذ أوينا الى الصخرة » [1] . وقد ذكرها أبو زيد البلخي في ذكـــر المــدن والحصون عقيب ذكر أنطاكية فقال : وأما الصخرة فإنها تعرف بصخرة موسى بن عمران في هذا الموضع .

* * *

---

١ ـ القرآن الكريم سورة الكهف الآية ٦٣ .

باب في ذكر الجرجومة

قد ذكر أحمد بن الطيب السَرْخَسي فيما أوردنا عنه إنه عدّ في المسالك والمالك في ذكر المدن والكور بقِنسرين والعواصم وقال : الجَرْجُومة على جبل اللكام •

وقد ذكر أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب البلدان فيها فصلاً نذكره هاهنا بعينه ، قال : حدثني مشايخ من أهل أنطاكية أن الجَراجمة من مدينة على جبل اللكام عند معدن الزاج ، فيما بين بَيّاس وبُوقا يقال لها الجَرْجُومة ، وأن أمرهم كان في أيام استيلاء الروم على الشام وأَنطاكية إلى بطريق (٨٠ ـ ظ) أَنطاكية وواليها ، فلما قدم أبو عُبيدة أَنطاكية وفتحها ، لزموا مدينتهم ، وهمّوا باللحاق بالروم إن خافوا على أنفسهم ، ولم ينتبه المسلمون لهم ، ولم يُنَبَّهوا عليهم ، ثم إن أهل أَنطاكية نقضوا وغدروا ، فوجّه إليهم أبو عُبيدة من فتحها ثانية ، وولاّها بعد فتحها حَبيب بن مَسْلمة الفِهْري ، فغزا الجرْجُومة ، فلم يُقاتله أهلها ، ولكنهم بدروا بطلب الأمان والصلح ، فصالحوه على أن يكونوا أعوان المسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام ، وأن لا يؤخذوا بالجزية ، وأن يُنفّلوا أسلاب من يقتلون من عدو المسلمين إذا حضروا معهم حربا في مغازيهم •

ودخل من كان في مدينتهم من تاجر وأجير وتابع من الأنباط وأهل القرى وغيرهم في هذا الصُلح ، فَسُمّوا الرواديف لأنهم تلوهم وليسوا منهم ، ويقال أنهم جاءوا بهم الى عساكر المسلمين وهم أرداف لهم ، فسموا الرواديف ، فكان الجَراجمة يستقيمون للولاة مرة ، ويَعْوَجّون أخرى ، فيكاتبون الروم ويمايلونهم •

ولما كانت أيام ابن الزبير ، وموت مروان بن الحكم ، وطلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته إياه عهده ، واستعداده للشخوص الى العراق لمحاربة المُصعب بن الزُبير خرجت خيل للروم الى جبل اللكام ، وعليها قائد من قوادهم ثم صارت الى لبنان وقد ضوت إليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد أباق من عبيد المسلمين فاضطر عبد الملك الى أن صالحهم (٨١ ـ و) على ألف دينار في كل جمعة ، وصالح طاغية الروم على مال يؤديه إليه ليشغله عن محاربته ، وتخوفه أن يخرج الى الشام فيغلب عليها ، واقتدى في صلحه بمعاوية حين شغل بحرب أهل العراق ، فصالحهم على أن يؤدي إليهم مالاً وارتهن منهم رهنا وضعه ببعلبك ووافق ذلك أيضا طلب عمرو بن سعيد بن العاص الخلافة وإغلاقه أبواب دمشق حين خرج عبد الملك عنها ، فازداد شغلا ، وذلك في سنة سبعين •

ثم إن عبد الملك وجّه إلى ذلك الرومي سُحَيم بن المهاجر وتلطف حتى دخل عليه متنكرا ، فاظهر الممالأة له ، وتقرّب إليه بذم عبد الملك وشتمه وتوهين أمره حتى أمنه ، واغتر به ، ثم أنه انكفأ عليه بقوم من موالي عبد الملك وجنده ، كان أعَدّهم لمُواقعته ، ورتبهم بمكان عرفه ، فقتله ومن كان معه من الروم ، ونادى في سائر من ضوى إليه بالأمان ، فتفرق الجَراجمة بقرى حمص ودمشق ، ثم رجع أكثرهم الى مدينتهم باللكام ، وأتى الأنباط قراهم ، ورجع العبيد الى مواليهم •

وكان ميمون الجَرجماني عبدا روميا لبني أمّ الحكم أخت معاوية ابن أبي سفيان ، وهم ثقفيون وإنما نسب الى الجَراجمة لاختلاطه بهم ، وخروجه بجبل لبنان معهم ، فبلغ عبد الملك عنه بأس وشجاعة ، فسأل مواليه أن يعتقوه ، ففعلوا ، وقوّده على جماعة من الجند وصيَّره بأنطاكية ، فغزا مع مَسْلمَة بن عبد الملك الطوّانة وهو على ألف من أهل أنْطاكية ، فاستشهد بعد بلاءٍ حسن (٨١ ـ ظ) وموقف مشهود ، فغم عبد الملك مصابه ، وأغزى الروم جيشا عظيما طلبا بثأره •

قالوا : ولما كانت سنة تسع وثمانين اجتمع الجَراجمة الى مدينتهم ، وأتاهم قوم من الروم من قبل الإسكندرونة وروسس ، فوجه الوليد بن عبد الملك إليهم مَسْلَمة بن عبد الملك فأناخ عليهم في خلق من الخلق ، فافتتحها على أن ينزلوا بحيث أحبّوا من الشام، ويجري على كل إمرىء منهم ثمانية دنانير، وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت ، وهو مُديان من قمح وقِسْطار من زيت [1] ، وعلى أن لا يكرهوا ولا أحد من أولادهم ونسائهم على ترك النصرانية وعلى أن يلبسوا لباس المسلمين ، ولا يؤخذ منهم ولا من أولادهم ونسائهم جزية ، وعلى أن يغزوا مع المسلمين فينفلوا أسلاب من يقتلونه مبارزة ، وعلى أن يؤخذ من تجاراتهم وأموال موسريهم ما يؤخذ من أموال المسلمين ، فأخرب مدينتهم ، وأنزلهم جبل الحَوّار ، وشيح اللكّولثون ، وعَمْق تِيزين ، وصار بعضهم الى حمص ، ونزل بطريق الجَرْجُومة في جماعة معه أَنْطاكية ، ثم هرب الى بلاد الروم ، وقد كان بعض العمال ألزم الجَراجمة بأَنْطاكية جزية رؤوسهم ، فرفعوا ذلك الى الواثق بالله ، وهو خليفة ، فأمر باسقاطها عنهم •

وحدثني بعض من أثق به من الكتاب أن أمير المؤمنين المتوكل على الله أمر بأخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة ، وأن تجرى (٨٢ ـ و) عليهم الارزاق ، إذا كانوا ممن يستعان به في المسالح وغير ذلك •

وروى أبو الخطاب الازدي أن أهل الجَرْجُومة كانوا يغيرون في أيام عبد الملك بن مروان على قرى أَنْطاكية والعمق ، واذا غزت الصوائف قطعوا على المتخلف واللاّحق ومن قدروا عليه ممن في أواخر العسكر ، وغالوا في المسلمين ، فأمر عبد الملك ففرض لقوم من أهل أنطاكية وأنباطها جعلوا مسالح ، وأردفت بهم

١ ـ في المعرب للجواليقي ٢٦٣ ، القسطار ... بضم الكاف وكسرها هو الميزان، وليس بعربي •

عساكر الصوائف ليذبوا الجراجمة عن أواخرها ، فسموا الرواديف ، وأجرى على كل امرىء ثمانية دنانير ، والخبر الاول أثبت [1] .

فهذه أخبار الثغور الشامية ، فنشرع الآن في ذكر الثغور الجَزَرية ، وجبل اللكام هو الفاصل بين الثغور الشامية والثغور الجَزَرية .

وقال أبو العباس أحمد بن إبراهيم الفارسي الإصطخري في كتاب صفة الأقاليم : وقد جُمعت الى الشام الثغور الشامية ، وبعض الثغور تعرف بثغور الجزيرة ، وكلاهما من الشام وذلك أن كل ماوراء الفرات من الشام ، وإنما سُمِّي من مَلَطْية إلى مَرْعَش ثغور الجزَيرة لأن أهل الجزيرة بها يرابطون ، وبها يعرفون لأنها من الجزيرة ، وبين ثغور الشام وثغور الجزيرة جبل اللكام وهو الفاصل بين الثغرين . [2]

* * *

١ ــ فتوح البلدان ١٦٣ ــ ٦٦ .
٢ ــ المسالك والممالك للاصطخري ، ٤٣ .

باب في ذكر مرعش (٨٢ ـ ظ)

وهي مدينة من أعمال حلب عامرة ولها مياه وزروع وأشجار ، ولها حصن منيع ، وخرج منها جماعة من أهل العلم والعبادة منهم حُذيفة المَرْعَشي .

وقد ذكرها أبو زيد البَلْخي في كتابه فقال : والحَدَث ومَرْعش هما مدينتان عامرتان ، فيهما مياه وزروع وأشجار كثيرة وهما ثغران .

قلت : وبين مَرَعْش والحدث ثمانية فراسخ ، وهي في زمننا هذا في أيدي المسلمين ، تسلمها نور الدين محمود بن زَنْكي من جوسلين حين أسره [1] ، ثم استولى عليها الأرمن في سنة ست وخمسين وستمائة من أيدي نواب ملك الروم كيكاوس بن كيخسرو بن كيقباذ .

وذكر أحمد بن يحيى البلاذري في كتاب البلدان مما نقله عن مشايخ الشام ، وقالوا : وجّه أبو عُبيدة بن الجراح وهو بمَنْبِج خالد بن الوليد إلى ناحية مَرْعَش ففتح حصنها ، على أن جلا أهله ثم أخربه .

وكان سفيان بن عَوف الغامدي لما غزا الروم سنة ثلاثين دخل من قبل مَرْعَش فساح في بلدالروم ، وكان معاوية بنى مدينة مَرْعش ، وأسكنها جنداً ، فلما كان موت يزيد بن مُعاوية كثرت غارات الروم عليهم فانتقلوا عنها .

---

١ ـ اي جوسلين الثاني Jocelin II صاحب الرها ، وقد أسر سنة ٥٤٦ هـ / ١١٥٠ م فكحل ومات في سجن حلب سنة ٥٥٤ هـ / ١١٥٩ م . انظر زبدة الحلب ٢/٣٠٢ .

قال : ثم إنَّ العباس بن الوليد بن عبد الملك صـار إلى مَرْعَش ، فعمرها وحصنها ونقل الناس إليها ، وبنى لهم مسجداً جامعاً ، وكان يقطع في كل عـام على أهل قِنَّسرين بعثاً إليها ، فلما كانت أيام مروان بن محمد وشُغل بمحاربة أهـل حمص ، خرجت الروم فحصرت مدينة مَرْعَش حتى صالحهم أهلها على الجلاء ، فخرجوا نحو الجزيرة وجند قِنَّسرين بعيالاتهم ، ثم أخربوها ، وكان عامل مروان عليها يومئذ الكَوثر بـن زُفَر بن الحـارث الكِلابي ، وكان الطاغيـة يومئذ قُسطنطين بن اليون ، ثم لما فرغ مروان من أمر حمص وهـدم سورها بعث جيشاً لبناء مَرْعَش ، فبنيت ومُدِّنت ، فخرجت الروم في فتنته فأخربتها ، فبناها صالح ابن علي في خلافة (٨٣ ــ و) أبي جعفر المنصور ، وحصنها وندب الناس إليها على زيادة العطاء ، واستخلف المهدي ، فزاد في شحنتها وقوّى أهلها .

قال البلاذري : وحدثني محمد بن سعد عن الواقدي قال : خرج ميخائيل من درب الحَدَث في ثمانين ألفاً فأتى عَمْق مَرْعش ، فقتل وأحرق ، وسبى من المسلمين خلقاً ، وصار الى باب مدينة مَرْعَش وبها عيسى بن علي ، وكان قد غزا في تلك السنة ، فخرج إليه مواليعيسى وأهـل المدينة ومقاتلتها ، فرشقوه بالنبـل والسهام ، فاستطردلهم حتى إذا نحاهم عن المدينة كرَّ عليهم ، فقتل ثمانيـة نفر مـن موالي عيسى ، واعتصم الباقون بالمدينـة فأغلقوها ، فحاصرهم بعض نهار ، ثم انصرف حتى أتى جَيْحان ، وبلغ الخبر ثُمامة بن الوليد العَبْسي وهو بدابِق وكان قد ولي الصائفة سنة إحدى وستين ومائة ، فوجَّه إليه خيلاً كثيفة ، فأصيبوا إلاَّ من نجا منهم ، فأحفظ ذلك المهدي ، واحتفل لإغزاء الحسن بن قَحْطَبة في العام المقبل ، وهو سنة اثنتين وستين ومائـة (١) .

١ ــ فتوح البلدان ١٩٢ ــ ٩٤ .

وقال سعيد بن كُثَيِّر بن عُفير في تاريخه كانت سنة اثنتين وستين ومائة ، كان فيها خروج الروم على مَرْعَش فخرجت شيئاً كثيراً [1] .

قلت : وخرب الروم مَرْعَش كما ذكرناه فبناها سيف الدولة أبو الحسن علي ابن عبد الله بن حَمْدان ، وجاء الدُمستق ليمنع من بنائها ، فقصده سيف الدولة ، فولى هارباً ، وتمم سيف الدولة عمارة مَرْعَش . وفي ذلك يقول المتنبي :

أتى مَرْعشاً يَسْتَقْرِب البُعد مُقبلاً ... وأدْبر إذا أقْبَلت يَسْتَبْعد القُربا
فأضحت كأن السُور من فوق بَدْؤه ... إلى الأرض قد شق الكواكب والتُربا
تَصُدُّ الرياح الهُوج عنها مخافةً ... وتَفْزع فيها الطير أن تَلقط الحبَّا
وتَرْدي الجيادُ الجُرْد فوق جبالها ... وقد نَدَف الصِّنَّبْرُ في طرْقها العُطبا
كفى عجباً أن يعجب الناس أنه بنى ... مَرْعَشاً تبًّا لآ رائهم تبًّا
وما الفرق ما بين الأنام وبَيْنَه ... إذا حذر المحذُورَ واستصعب الصعبا؟ [2]

* * *

---

١ ــ كان سعيد بن عفير قاضيا للديار المصرية ، روى عن مالك والليث ، وكان فقيها نسابة أخباريا شاعرا كثير الاطلاع ، ولد سنة ست وأربعين ومائة ومات سنة ست وعشرين ومائتين . انظر حسن المحاضره للسيوطي ــ ط . القاهرة ١٣٢٧هـ ، ١/١٢٣ــ٤ ، النجوم الزاهرة ٢/٢٤٨ ، الاعلان بالتوبيخ للسخاوي ــ ط . بغداد ١٩٦٣ ، ٦٤٦ ، ٦٨٥ .

٢ ــ ديوانه ٣٢٠ ــ ٣٢١ .

باب في ذكر الحدث

وتعرف بالحَدَث الحمراء لحمرة أرضها ، وهي مدينة كثيرة الماء والزرع ، وحولها أنهار كثيرة وخرب حصنها وبقيت المدينة ، وساكنوها في زمننا هذا أرمن أهل ذمة ، وهي في أيدي المسلمين ، وكان ينزل في مروجها الأكراد بأغنامهم ، وتسميتها الأرمن كَيْنُوك ، وتسميها الأكراد الهَتة ، والعرب تُسميها (٨٣ـظ) الحَدَث ، وكانت تسمى قديما المُحمدية ، والمَهديّة ، لأنها بنيت في أيام المهدي محمد بن المنصور رحمه الله ، وتحول اليها أبو محمد عيسى بن يُونُس السبَيعي من الكوفة ، فنزلها مرابطا الى أن مات ، وبقي ولده بها بعده • والجبل المعروف بالأُحَيْدِب من قبليها مطل عليها ، شاهدتها ونزلت في أرضها عندما توجهت إلى الروم •

وفتحها حَبيب بن مَسلمة من قبل عِياض بن غَنْم •

وقرأت في كتاب البلدان تأليف أحمد بن يحيى البلاذري مما رواه عن شيوخ الشام قالوا : كان حصن الحَدَث مما فتح أيام عمر فتحه حَبيب بن مَسْلمة من قبل عِياض بن غَنْم ، وكان معاوية يتعهده بعد ذلك ، وكان بنو أمية يسمون درب الحدث درب السلامة للطيرة ، لأن المسلمين كانوا أصيبوا به ، فكان ذلك الحدث فيما يقول بعض الناس •

قال : وقال قوم : لقي المسلمين على الدرب غلام حدث ، فقاتلهم في أصحابه فقيل درب الحدث •

قال : ولما كان زمن فتنة مروان بن محمد خرجت الروم فهدمت مدينة الحدث، وأجلت عنها أهلها ، كما فعلت بمَلَطْيَّة ، ثم لما كانت سنة احدى وستين ومائة خرج ميخائيل الى عمق مَرْعَش ، ووجه المهدي الحسن بن قَحْطبة ساح في بلاد الروم ، فثقلت وطأته على أهلها حتى صوروه في كنائسهم ، وكان دخوله من درب الحدث ، فنظر الى موضع مدينتها فأخبر أن ميخائيل أخرج منه ، فارتاد الحسن موضع مدينة هناك (٨٤ ـ و) فلما انصرف كلم المهدي في بنائها ، وبناء طرسوس فأمر بتقديم بناء مدينة الحدث ، فأنشأها علي بن سليمان بن علي ، وهو على الجزيرة وقنسرين وسميت المُحمدية ، وتوفي المهدي مع فراغهم من بنائها ، فهي المهدية والمُحمدية ، وكان بناؤها باللبن ، وكانت وفاته سنة تسع وستين ومائة ، واستخلف موسى الهادي ابنه ، فعزل علي بن سليمان ، وولى الجزيرة وقنسرين محمد بن ابراهيم بن محمد بن علي ، وقد كان علي بن سليمان فرغ من بناء مدينة الحدث ، وفرض محمد لها فرضا من أهل الشام والجزيرة وخراسان في أربعين دينارا من العطاء ، وأقطعهم المساكن ، وأعطى كلَ امرىء منهم ثلاثمائة درهم ، وكان الفراغ منها في سنة تسع وستين ومائة .

قال : وقال أبو الخطاب : فرض علي بن سليمان بمدينة الحدث لأربعة آلاف فأسكنهم اياها ، ونقل اليها من ملطية ، وشمشاط ، وسميساط ، وكيسوم ، ودلوك ورعبان ألفي رجل .

قال الواقدي : ولما بنيت مدينة الحدث هجم الشتاء والثلوج ، وكثرت الامطار ولم يكن بناؤها بمتوثق منه ولا محتاط فيه ، فتثلمت المدينة ، وتشعثت ، ونزل بها الروم فتفرق عنها من كان فيها من جندها وغيرهم ، وبلغ الخبر موسى ، فقطع بعثا مع المسيب بن زهير ، وبعثا مع روح بن حاتم ، وبعثا مع حمزة بن مالك ، فمات

(٨٤ ـ ظ) قبل أن ينفذوا ، ثم ولي الرشيد رحمة الله عليه الخلافة فأمر ببنائها وتحصينها وشحنتها ، واقطاع مقاتلتها المساكن والقطائع .

قال : وقال غير الواقدي : أناخ بطريق من عظماء بطارقة الروم في جمع كثيف على مدينة الحدث حتى بنيت ، وكان بناؤها بلبن قد حمل بعضها على بعض ، وأضر به الثلوج ، فهرب عاملها ومن فيها ، ودخلها العدو فحرق مسجدها وأخربها ، واحتمل أمتعة أهلها ، فبناها الرشيد حين استخلف [1] .

قال : وحدثني بعض أهل منبج قال : حدثني شيخ لنا أن الرشيد رحمة الله عليه كتب الى محمد بن ابراهيم باقراره على عمله ، فجرى أمر مدينة الحدث من قبل الرشيد على يده ثم عزله .

وقيل : ان المهدي بنى الحدث لمنام رآه ، أنبأنا عبد اللطيف بن يوسف بن علي عن أبي الفتح بن البطي عن أبي عبد الله الحميدي قال : أخبرنا غرس النعمة أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابيء قال : وذكر الرئيس أبو الحسن رضي الله عنه يعني والده هلال بن المحسن في كتاب المنامات الذي صنفه قال : ذكر أبو بكر بن دقة مولى بني هاشم قال : لما عزم المهدي على الخروج الى قنسرين والعواصم رأى في منامه كأن آتيا أتاه وقال له : انك تمضي الى مدينة يقال لها منبج ، وهناك شيخ كبير له ثمانون سنة يؤذن في بعض المساجد ،فادع به واضرب رقبته ، واذا خرجت من هذه المدينة فسترى آثار خطوط فابن عليها مدينة وسمها الحدث .

قال : فلما وصل المهدي الى منبج وحضره أهلها سألهم وقال : هل عندكم شيخ كبير مؤذن ؟ قالوا : نعم عندنا شيخ له مائة سنة وأربع سنين يؤذن منها ثمانين

١ ـ فتوح البلدان ، ١٩٣ ـ ١٩٥ .

سنة في بعض المساجد ، فأمر باحضاره ، فلما حضر تقدم بضرب رقبته ، فارتاع الشيخ ، وناشده الله تعالى في أمره وأذكره بالله في دفعه عن دمه ، وعرفه كبر سنه وكثرة عياله ، فقال له دع هذا عنك ، ولا بد مما أمرت به فيك ، ولكن ان صدقتني عن أمرك حفظتك في مخلفيك ، وإلا أسأت اليهم بعدك ، فقال : أما على ذاك فاني منذ ثمانين سنة أقول في أذاني : أجحد أن محمد رسول الله ، فأمر به وقتل .

قال ابن دقة : وهذا الشيخ جد البحتري الشاعر [1] .

قلت وجاء ملك الروم الدمستق في أيام سيف الدولة ابن حمدان ونزل على حصن الحدث ليحصره ، وكان سيف الدولة قد بناه وأحكم بناءه ، فخرج سيف الدولة ، فتركه ومضى ، وجرت له وقعة مع الروم أيضا ، وقد خرج سيف الدولة لبناء الحدث فواقعهم وقتل منهم وأسر ، وكان أهل الحدث سلموه بالامان الى الروم قبل ذلك فخربوه .

أخبرنا عبد العزيز بن محمود بن الاخضر البغدادي كتابة قال : أخبرنا الرئيس أبو الحسن علي بن علي بن نصر بن سعيد قال : أخبرنا أبو البركات (٨٥ ــ و) محمد بن عبد الله بن يحيى قال : أخبرنا علي بن أيوب بن الحسين قال : أنشدنا أبو الطيب المتنبي لنفسه يمدح سيف الدولة ، ويذكر بناءه ثغر الحدث ، بعد أن كان أهلها أسلموها عن الامان الى الروم ، ومنازلة ابن الفقاس اياه وهزمه لابن الفقاس ، وكان أسر قودس [2] الاعور بطريق سمندو وابن ابنة الدمستق ، وأنشده اياها بعد الوقعة في الحدث .

---

١ ــ انظر قول البحتري في ديوانه ، ٣٦٦ .
جدي الذي رفع الاذان بمنبج وأقام فيها قبلة الصلوات .
٢ ــ أي Théodose انظر زبده الحلب : ١ / ١٢٥ .
Cambridge Medieval Histor y. vol, 4. Part I, PP. 719 — 20.

على قَــدر أهل العَزْم تأتي العزائم وتأتي على قــدر الكـرام المَكـارم
وتعظُــم في عين الصغـير صغَارُهــا وتصغــر في عــين العظيــم العظائــم
يُكلِّف سيف الدولــة الجيش هَمّه وقــد عجزت عنــه الجيوش الخضارم

قال فيهــا :

هل الحَدث الحَمْراء تعرف لونَها وتَعْلَــم أيّ السَاقــين الغمائــم
سَقَتْها الغَمــامُ الغُرْ قبل نزُولــه فلمــا دنــا منهــا سَقَتْها الجماجُم
بناهــا فأعلى والقَنا يقــرع القَنــا ومَوْجُ المنايا حَوْلهــا مُتــلاطمُ
وكان بها مثــل الجُنُون فأصبَحَت ومــن جُثث القتلــى عليها تمائــم
طريــدةُ دهــرٍ ساقَهــا فرَدَدْتها على الدّين بالخَطّي والدهــرُ راغم
وكيفَ يُرجى الرّوم والروس هدمها وذا الطعــن أساسٌ لهــا ودعــائــم
وقــد حاكموهــا والمنايا حَواكــمٌ فمامــات مظلومٌ ولا عــاش ظالــم
نَثَرْتَهمُ فــوق الأُحَيْدِب كُلّه كما نُثِرت فوقَ العَروس الدراهم[١]

وفي ذلك يقول أبو فراس :

وحسبــي بهــا يــوم الأحَيْدِب وقعــة
علــى مثلهــا في الحَرْب تُثنــى الخَناصرُ
عَــدَلنــا بهــا في قسمــة الموت بينهـــم
وللسيف حكـــمٌ في الكتيبـــة جائـــر
إذِ الشيـــخُ لا يلــوي ونقفُــور مجحــرٌ
وفي القيــدّ ألــف كالليُــوث قَســـاور
ولـــم يبـــق إلاّ صهــره وابــن بنتــه
وثوّر بالباقين من هو ثائرُ[٢] (٨٥ ــ ظ)

١ ــ ديوانه ، ٣٧٤ ــ ٣٧٨ ، مع شيء من التباين في الرواية .
٢ ــ ديــوان أبي فــراس ٢ ــ ١١٨ ــ ١١٩ .

وأنبأنا عبد العزيز بن الاخضر قال : أخبرنا أبو الحسن قال : أخبرنا أبو البركات قال : أخبرنا علي بن أيوب قال : أنشدنا أبو الطيب المتنبي لنفسه يمدح سيف الدولة ، وقد ورد عليه خبر آخر ساعة نهار يوم الثلاثاء لست خلون من جمادى الاولى سنة أربع وأربعين وثلاثمائة أن الدُمستق وجيوش النصرانية قد نازلت ثغر الحدث ونصبت مكائد الحصون عليه ، وقدرت أنها فرصة لما تداخلها من القلق والانزعاج والوَصْم في تمام بنائه على يد سيف الدولة ، ولان ملكهم ألزمهم قصدها ، وأنجدهم بأصناف الكفر من البلغر والروس والصقلب وغيرهم ، وأنفذ معهم العدد ، فركب سيف الدولة لوقته نافرا ، وانتقل الى موضع غير الموضع الذي كان به ، ونظر فيما وجب أن ينظر فيه في ليلته ، وسار عن حلب غداة يوم الاربعاء لسبع خلون ، فنزل رعبان ، وأخبار الحدث مستعجمة عليه لضبطهم الطرق وتقديرهم أن يخفى عليه خبرهم ، فلما أسحر لبس سلاحه وأمر أصحابه بمثل ذلك ، وسار زحفا ، فلما قرب من الحدث عادت اليه الطلائع بأن عدو الله لما أشرفت عليه خيول المسلمين على عقبة يقال لها العبراني ، رحل ولم تستقر به دار، وامتنع أهل الحدث من ا لبدار بالخبر خوفا (٨٦ ـ و) من كمين يعترض الرسل، فنزل سيف الدولة بظاهرها ، وذكر خليفته بها أنهم نازلوه وحاصروه ، فلم يخله الله من نصر عليهم الا في نقوب نقبوها في فصيل كان قديما للمدينة ، وأتتهم طلائعهم بخبر سيف الدولة في اشرافه على حصن رعبان ، فوقعت الصيحة وظهر الاضطراب وولى كل فريق على وجهه ، وخرج أهل الحدث ، فأوقعوا ببعضهم وأخذوا آلة حربهم فأعدوها في حصنهم ، فقال أبو الطيب في ذلك .

ذِي المعالي فليَعْلُوَنْ من تعالى ... هكذا هكذا وإلا فلا ، لا
شرفٌ ينطح النجوم بِرَوْقَيْه (١) ... وعزٌ يقلقل الأجبالا

١ ـ بروقيه ـ بقرنيه .

حالُ أعدائنا عظيمٌ وسيفُ الـ ـدولة ابن السيوف أعظم حالا
لا ألوم ابن لاون ملك الرو م وان كان ما تمنى محالا
أقلقته بنيّة بين أذنيه وبانٍ بغى السماء فنالا
كلما رامَ حطّها اتسع البَنْي فغطى جبينَه والقذالا
يجمع الروم والصقالب والبلـ ـغر فيها ويجمع الآجالا
ويوافيهمُ بها في القنا السمـ ـر كما وافت العطاش الصلالا
قصدوا هدم سورها فبنوه وأتى كي يقصروه فطالا

قال فيها :

إنّ دون التي على الدَّرْب والأحـ ـدب والنهر مِخْلَطاً مِزْيالاً(★)(٨٦ـظ)
غضبَ الدَّهْرُ والملوك عليها فبَنَاها في وجنة الدهر خالا
وحَماها بكل مُطرد الأكـ ـعب جَوْرَ الزَمان والآجالا
فهي تمشي مَشْيَ العروس اختيالاً وتَثَنَّى على الزمان دَلالاَ (١)

* * *

★ ـ كتب ابن العديم في حاشية الاصل : المخلط المزيال هو الكثير المخالطه للامور والمزايلة لها .

١ ـ ديوانه ٤٠٣ ـ ٤٠٦ ، مع شيء من التباين في الرواية .

باب في ذكر زبطرة

وهي مدينة هي الآن في أيدي المسلمين ، وهي مذكورة ، وفيها معدن حديد ، يُجلب منها الحديد الى البلاد ، وهي الآن قرية ، وبينها وبين الحَدَث ثمانية عشر فرسخاً .

وذكرها أبو زيد أحمد بن سهل البَلْخي في كتابه وقال : وأما زَبَطْرَة فإنها حصن كان من أقرب هذه الثغور الى بلد الروم ، خربها الروم .

قلت : وقد كانت الروم في صدر الإسلام تنتابه وتطرقه لقربه من بلادها فتخربه ويعمره المسلمون مرة بعد أخرى ، فإن أبا جعفر أحمد بن يحيى البلاذري ذكر فيما نقله في كتاب البلدان عمن حدثه من أهل الشام فقال : قالوا وكانت زَبَطْرَة حصناً قديماً روميا ، ففتح مع حصن الحَدَث القديم ، فتحه حَبِيب بن مَسْلَمه الفِهْري وكان قائماً الى أن أخربته الروم في أيام الوليد بن يزيد ، فبني بناءً غير محكم ، فأناخت الروم عليه في أيام فتنة مروان فهدمته ، فبناه المنصور ، ثم خرجت إليه فشعثته فبناه الرشيد أمير المؤمنين على يد محمد بن إبراهيم ، وشحنه .

فلما كانت خلافة المأمون طرقه الروم فشعثوه ، وأغاروا على سرح أهله فاستاقوا (٨٧ ــ و) لهم مواشي ، فأمر المأمون رحمه الله بمرمته وتحصينه ، وقدم وفد الطاغية في سنة عشر ومائتين يسأل الصلح ، فلم يجبه الى ذلك ، وكتب الى عمال الثغور ، فساحوا في بلاد الروم فأكثروا فيها القتل ، ودوّخوها وظفروا ظفراً حسناً ، إلا أن يَقْظان بن عبد الأعلى بن أحمد بن يزيد بن أُسيد السُلَمي أصيب .

ثم خرجت الروم الى زِبَطْرَة في خلافة المعتصم أبي إسحق بن الرشيد فقتلوا الرجال وسبوا النساء وأخربوها ، فأحفظه ذلك وأغضبه ، فغزاهم حتى بلغ عَمورية، وقد أخرب فيها حصونا ، فأناخ عليها حتى فتحها ، فقتل المقاتله وسبى النساء والذُرية ثم أخربها وأمر ببناء زِبَطْرَة ، وحصنها وشحنها ، فرامها الروم بعد ذلك ، فلم يقدروا عليها (١)

* * *

١ ـ فتوح البلدان ١٩٥ ـ ١٩٦ .

باب في ذكر حصن منصور

وهو في أيدي المسلمين ، تولى بناءه بعد أن كان الروم خربوه منصور بن جَعْوَنه بن الحارث العامري من بني عامر بن صَعْصَعَة ، وكان هو وأبوه يغزون الروم ، وقتله المنصور في خلافته ، وسنذكر حاله في ترجمته إن شاء الله تعالى .

وذكره أبو زيد أحمد بن سهل البَلْخي في كتابه فقال : وحصن منصور حصن صغير فيه منبر وزروعه عذي .

وقال أحمد بن يحيى البلاذري : وحدثني أبو عمرو الباهلي وغيره قالوا : نُسب حصن منصور الى منصور بن جَعْوَنه بن الحارث (★) (٨٧ ـ ظ) العامري، من قيس ، وذلك أنه تولى بناءه ومرمته وكان مقيماً به أيام مروان ليرد العدوّ ،ومعه جند كثير من أهل الشام والجزيرة .

قال : وكان الرشيد بنى حصن منصور وشحنه في خلافه المهدي . (١)

* * *

★ ـ كتب ابن العديم في الحاشية سماعا نصه : بلغ الولد عبد الرحمن قراءة ، وسمع أخوه محمد ومحمد ابن اختهما في الخامس من ذي الحجة سنة خمس وخمسين وستمائة .

١ ـ فتوح البلدان ١٩٦ .

باب في ذكر ملطية

وكانَ اسمها بالروميه مَلَطْيَا ، وقيل كان اسمها مَلَدْني فعُرّب وجعل مَلَطْيَّة .

ويقال : إن الإسكندر بناها ، والعامة يقولون : مَلَطِيَّة بكسر الطاء وتشديد الياء .

كذلك ضبطها أبو نصر الجَوْهَري في كتاب الصحاح في اللغة ، أخبرنا بذلك أبو العباس أحمد بن عبد الله بن علوان قال : أخبرنا أبو البركات بن العِرقي في كتابه ، وأخبرنا أبو محمد عبد الدائم بن عمر قال : أخبرنا ابن العِرقي قال : أخبرنا أبو القاسم بن القَطّاع قال : أخبرنا أبو بكر بن البرء قال أخبرنا إسماعيل بن محمد قال : أخبرنا أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري قال : ومَلَطِيَّة بلد . [1]

ولما قرأت المقامات الحَريرية على شيخنا أبي اليُمن الكِنْدي فقرأت عليه : أزمعت عن مَلَطِيَّة مطيَّة البين [2] ، وكانت مضبوطه في نسختي كذلك بخط أبي المُعَمَّر الأنصاري وعليها خط الحَريري ، فقال لي شيخنا أبو اليُمن : مَلَطْيَّة لاغير لايجوز غيرها .

ثم قرأت عليه بعد ذلك : أخبركم أبو منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقى ، فأقرّ به ، قال : فيما تلحن فيه العامَّة مما يخفف ، والعامة تشدده ، وهي مَلَطْيَة .

---

١ ـ الصحاح للجوهري مادة ملط ٣ / ١١٦٢ .
٢ ـ انظر مطلع المقامة السادسة والثلاثون (الملطية) من مقامات الحريري .

وأخبرنا شيخنا أبو اليُمن إذناً قال : أخبرنا أبو منصور القَزّاز قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب قال : حدثني محمد بن علي الصُّوري قال : قال لي عبد الغني بن سعيد الحافظ : ليس في المَلَطْيين ثقه •

وكتب إلينا أبو المُظفر عبد الرحيم السمعاني من مرو يذكر عن أبيه أبي سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني أنه قال ، في ذكر مَلَطْيَّة : بنى هذه المدينة الإسكندر •

قال : وسمعت أن أكثر من خرج منها من المحدثين كانوا ضعفاء • (١)

قلت وقد خرج منها جماعة من المحدثين ، وهي الآن في أيدي المسلمين (٨٨ — و) وهي مدينة عامرة كبيرة حصينة •

وقد ذكرها أبو زيد أحمد بن سهل البَلْخي في كتاب صفة الأرض والأقاليم والمدن وما تشتمل عليه قال : ومَلَطْيَّة مدينة كبيرة من أكبر الثغور التي دون جبل لُكام ، ويحتف بها جبال كثيرة الجوز ، وسائر الثمار ، مُباح لامالك له ، وهي من قرى بلد الروم على مرحلة •

نقلت من كتاب البلدان تأليف أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب قال : وللثغور الجزرية من المدن مَرْعَش والحَدَث وَزَبَطْرَة وسُمَيْساط وحصن منصور وحصن زياد ومَلَطْيَّة ، وهي المدينة العظمى ، وكانت مدينة قديمة فأخربتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور سنة تسع وثلاثين ومائه ، وجعل عليها سوراً واحداً بلا فصيل ، ونقل إليها عدة قبائل من العرب ، فهي سبعة أسباع ، سُبع لسُلَيْم وسائر قيس ، وسُبع الهواسيه ، وسُبع الراعية والجعاونة ، وسُبع تيم ، وسُبع ربيعة ، وسُبع اليمن ، وسُبع هوازن •

ومَلَطْيَّة في مستوى من الأرض تحيط بها جبال الروم ، وماؤها من عيون وأودية ومن الفرات •

١ — انظر الانساب — مادة الملطي — ٥٤١ — ظ •

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن أبي القاسم قال : أخبرنا أبي أبو القاسم علي بن الحسن قال : أخبرنا أبو غالب الماوردي قال : أخبرنا محمد بن علي قال : أخبرنا أبو عبد الله النهاوندي قال : أخبرنا أحمد بن عمران قال : حدثنا موسى قال : حدثنا خليفة قال : وفيها ــ يعني سنة أربعين ومائه ــ وجه أبو جعفر عبد الوهاب بن إبراهيم بن محمد بن علي لبناء مَلَطْيَّة ، فأقام عليها سنة حتى بناها وأسكنها الناس . (١)

قرأت في كتاب البلدان تأليف أبي جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، وحكاه عمن حدثه من أهل الشام قالوا : وجه عياض بن غَنْم حَبيب بن مَسْلَمه الفِهري من سُمَيْساط الى مَلَطْيَّة ففتحها ، ثم أُغلقت ، فلما ولي معاوية (٨٨ ــ ظ) الشام والجزيرة وجه إليها حَبيب بن مُسْلَمه ففتحها عَنْوةً ورتب فيها رابطة من المسلمين مع عاملها ، وقدمها معاوية وهو يريد دخول الروم ، فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرها ، وكانت طريق الصوائف ، ثم إن أهلها انتقلوا عنها في أيام عبد الله بن الزُبير ، وخرجت الروم فشعثتها ثم تركتها ، فنزلها قوم من النصارى من الأرمن والنبط .

فحدثني محمد بن سعد عن الواقدي في إسناده قالوا : كان المسلمون نزلوا طُرَنْده بعد أن غزاها عبد الله بن عبد الملك سنة ثلاث وثمانين ، وبنوا بها مساكن وهي من مَلَطْيَّة على ثلاث مراحل واغلة في بلاد الروم ، ومَلَطْيَّة يومئذ خراب ليس بها إلا ناس من أهل الذمة من الأرمن وغيرهم ، فكانت تأتيهم طالعة من جند الجزيرة في الصيف فيقيمون بها الى أن ينزل الشتاء وتسقط الثلوج ، فإذا كان ذلك قَفَلوا ، فلما ولي عمر بن عبد العزيز رَحَّل أهل طُرَنْدة عنها وهم كارهون ، وذلك لاشفاقه عليهم من العدو ، فاحتملوا فلم يدعوا لهم شيئاً حتى كسروا خوابي

١ ــ انظر تاريخ خليفة بن خياط (ط . دمشق ١٩٦٨) ٢ / ٦٤١ .

الخل والزيت ، ثم أنزلهم مَلَطْيَّة وأخرب طُرَنْدة ، وولى على مَلَطْيَّة جَعْوُنه ابن الحارث أحد بني عامر بن صَعْصَعه •

قالوا : وخرج عشرون ألفاً من الروم في سنة ثلاث وعشرين ومائة ، فنزلوا على مَلَطْيَّة ، فأغلق أهلها أبوابها ، وظهر النساء على السور عَلَيهن (٨٩ ـ و) العمائم يقاتلن ، وخرج رسول لأهل مَلَطْيَّة مستغيثاً ، فركب البريد وسار حتى لحق بهشام بن عبد الملك وهو بالرُصَافة ، فندب هشام الناس الى مَلَطْيَّة ، ثم أتاه الخبر بأن الروم قد رحلت عنها ، فدعا الرسول فأخبره ، وبعث معه بخيل لترابط عليها ، وغزا هشام نفسه ، ثم نزل مَلَطْيَّة وعسكر عليها حتى بنيت ، وكان ممره بالرَقَّه دخلها متقلدا سيفاً ، ولم يتقلده قبل ذلك في أيامه •

قال الواقدي ولما كانت سنة ثلاث وثلاثين ومائه أقبل قسطنطين الطاغية عامداً لمَلَطْيَّة ، وكَمْخ يومئذ في أيدي المسلمين وعليها رجل من بني سُلَيم ، فبعث أهل كَمْخ الصريخ الى أهل مَلَطْيَّة ، فخرج الى الروم منهم ثمانمائة فارس ، فواقعتهم خيل الروم فهزمتهم ، ومال الرومي فأناخ على مَلَطْيَّة فحصر من فيها ، والجزيرة يومئذٍ مفتونه ، وعاملها من قبل بني العباس موسى بن كعب بحران ، فوجهوا رسولاً لهم ، فلم يمكنه إعانتهم وبلغ ذلك قسطنطين الطاغية ، فقال لهم : ياأهل مَلَطْيَّة إني لم آتكم إلا على علم من أمركم وشاغل من سُلْطانكم ، إنزلوا على الأمان ، وأخلوا المدينة أهدمها وأمضي عنكم ، فأبوا عليه ، فوضع عليها المجانيق فلما جهدهم البلاء واشتد عليهم الحصار ، سألوه أن يوثق لهم ، ففعل ، ثم استعدوا للرحلة وحملوا ما استدف [1] لهم ، وألقوا كثيراً مما ثقل عليهم في الآبار والمخابيء ، ثم خرجوا ، وقام لهم (٨٩ ـ ظ) الروم صفين من باب المدينة الى منقطع آخرهم مخترطي السيوف ، طرف سيف كل إمرىء منهم مع طرف سيف الذي يقابله حتى

١ ـ في القاموس : خذ مااستدف لك أي ماأمكن وتسهل •

كأنها عقد قنطرة ، ثم شيعوهم حتى بلغوا مأمنهم ، وتوجهوا نحو الجزيرة ، فتفرقوا فيها ، وهدم الروم مَلَطْيَّة ، فلم يبقوا منها إلا هريها ، فإنهم شعثوا منه شيئا يسيرا وهدموا حصن قلوذية .

فلما كانت سنة تسع وثلاثين ومائه كتب المنصور الى صالح بن علي يأمره ببناء مَلَطْيَّة وتحصينها ، ثم رأى أن يوجه عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام والياً على الجزيرة وثغورها ، فتوجه في سنة أربعين ومائه ومعه الحسن بن قَحْطَبَه في جنود أهل خراسان ، وقطع البعوث على أهل الشام والجزيرة ، فتوافى معه سبعون ألفاً ، فعسكر على مَلَطْيَّة ، وقد جمع الفَعَلَة من كل بلدة ، فأخذ في بنائها ، فكان الحسن بن قَحْطَبَة ربما حمل الحجر حتى يناوله البناء ، وجعل يغذي الناس ويعشيهم من ماله مبرزا مطابخه ، فغاظ ذلك عبد الوهاب ، فبعث الى أبي جعفر يعلمه أنه يطعم الناس ، وأن الحسن يطعم أضعاف ذلك إلتماساً لأن يطوله ويفسد مايصنع ويهجنه بالإسراف والرياء ، وأن له منادين ينادون الناس الى طعامه ، فكتب إليه أبو جعفر رحمة الله عليه : ياصبي يطعم الحسن من ماله ، وتطعم من مالي فيفضلك ، ماأتيت (٩٠ ــ و) إلا من صِغَر خَطَرك وقصر همتك وَسَفَه رأيك، وكتب الى الحسن أن أطعم ولاتتخذ منادياً ،وكان الحسن يقول : من سبق الى شرفةٍ فله كذا ، فجد الناس في العمل حتى فرغوا من بناء مَلَطْيَّة ومسجدها في ستة أشهر وبنى للجند الذين أسكنوها لكل عِرافَةٍ بيتان سفليان وعليان فوقهما واصطبل ، والعرافة عشره نفر الى الخمسة عشر ،وبنى لها مسلحة على ثلاثين ميلا منها ، ومسلحة على نهر يدعى قُبَاقِب يدفع في الفرات ، وأسكن المنصور مَلَطْيَّة أربعة آلاف مقاتل من أهل الجزيرة ، لأنها من ثغورهم ، على زياده عشرة دنانير في عطاء كل رجل ، ومعونة مائة دينار سوى الجعل الذي تتجاعله القبائل ، ووضع فيها شحنتها

من السلاح ، وأقطع الجند المزارع ، وبنى حصن قلوذيه ، وأقبل قسطنطين الطاغية في أكثر من مائة ألف ، فنزل جَيْحان ، فبلغه كثرة العرب ، فأحجم عنها .

قال : وفي سنة إحدى وأربعين ومائة غزا محمد بن إبراهيم مَلَطْيَّة في جند من أهل خراسان وعلى شرطته المُسَيَّب بن زهير ، فرابط بها لئلا يطمع فيها العدو فيراجع إليها من كان باقيا من أهلها ، وكانت الروم عرضت لمَلَطْيَّة في خلافة الرشيد فلم تقدر عليها ، وغزاهم الرشيد فأشجاهم وقمعهم ، وقد سمعت من يذكر أنه كان مع عبد الوهاب بن إبراهيم نصر بن مالك ، وكان نصر بن سعد الكاتب مولى الأنصار معه أيضا ، وقال :

تَكنفك النَصْران نصر بن مالك ونَصْر بن سعد عَزَّ نصْرك من نَصْر[1]

* * *

1 ـ فتوح البلدان ـ 189 ـ 192 .

باب في ذكر سميساط

وهي مدينة صغيرة على الفرات ، ولها قلعة حصينة ، وهي مذكورة وخرج منها جماعة من العلماء .

وقال أبو زيد أحمد بن سهل البلخي في ذكر صفة الأرض والمدن وما تشتمل عليه : وأما سُمَيْساط فهي على الفرات ، وكذلك جسر منبج ، وهما مدينتان صغيرتان خصبتان لهما زروع سقي ومباخس ، وماؤهما من الفرات .

وذكر أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتاب البلدان قال : وكورة سُمَيْساط وهي مدينة على الفرات بها أخلاط من الناس .

وقد ذكرها ابن واضح في كور ديار مُضر ، وليست منها ، بل إنما ذكرها فيها لأنها من جملة الثغور الجزرية ، وقد ذكرنا أنها من ثغور الشام ، وانما تعرف بثغور الجزيرة لأن أهلها يغزون منها وبها يرابطون ، وخراجها الى عامل ديار مضر ، وأما حربها وصلاتها فانه ما زال الى عامل جند قنسرين والعواصم .

وذكر البلاذري في كتاب البلدان قال : وحدثني أبو أيوب الرَّقي المؤدِّب قال : حدثني الحجاج بن أبي منيع الرصافي عن أبيه عن جده قال : فتح عياض الرقة ، ثم الرها ، ثم حران ، ثم سميساط على صلح واحد .

وقال فيما حكى عن شيوخ الشام وغيرهم : قالوا : ثم أتى عياض ففتح حران ، ووجه صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة الفهري الى سميساط فصالح عياض أهل حران على مثل صلح الرها ، وفتحوا له أبوابها وولاها رجلا ، ثم سار

الى سميساط فوجد صفوان بن المعطل وحبيب بن مسلمة مقيمين وقد غلبا على قرى وحصون من قراها وحصونها ، فصالحه أهلها على مثل صلح الرها .

قال : ثم إن أهل سميساط كفروا ، فلما بلغه ذلك رجع اليهم فحاصرهم حتى فتحها(١) .

قلت : وصلح الرها على أن يؤدوا عن كل رجل دينارا ومدي قمح ، وعليهم إرشاد الضال وإصلاح الطرق والجسور ، ونصيحة المسلمين(٢) .

وقرأت في تاريخ سعيد بن بطريق النصراني قال : وكان في عصر إبراهيم عليه السلام ملك في الشرق واسمه كموس وهو الذي بنى (٩١ ــ و) مدينة سوميساط وقلوذيا والعراق(٣) .

وقلوذية حصن قريب من مَلطْية قد ذكر البلاذري أن المنصور بناه(٤) ، وبين ملطية وسميساط ستة عشر فرسخا . وهي في أيدي المسلمين في زمننا هذا .

* * *

١ ــ فتوح البلدان ١٧٩ ــ ١٨٠ .
٢ ــ انظر فتوح البلدان ١٧٨ .
٣ ــ تاريخ سعيد بن البطريق ٢٢/١ ، وفيه اسمه كوش ، ويلاحظ بأن العديم رسمها أولا بالالف المدودة كما وجدها مرسومة فيما يبدو في نسخة تاريخ ابن البطريق ثم رسمها بالتاء المربوطة على عادة عصره ، وصحيح العربية ، وهكذا رسمها ياقوت في معجمه .
٤ ــ فتوح البلدان ١٩١ .

باب في ذكر رعبان

وهي مدينة صغيرة قديمة البناء ولها قلعة حسنة ، وهي الآن في أيـدي المسلمين ، وكان لسيف الدولة ابن حمدان بها وقعة مع الروم . وبينها وبين الحدث سبعة فراسخ وبها آثار أبنية قديمة ، وينسب إليها جماعة منهم بنو الرَعْباني بحلب من أكابر الحلبيين منهم الوزير سديد الدولة أبو القاسم هبة الله بن محمد بن عبد البـاقي بن الرعباني كاتب معز الدولة ثمـال بن صالح ، وتولى الوزارة للمستنصر المستولي على مصر ، وسنذكر ترجمته وترجمة غيره ممن ينسب إليها في كتابنا هذا إن شاء الله .

وذكر ابن واضح في كتابه ، في ذكر كور قنسرين والعواصم فقال : وكورتا دلوك ورعبان وهما متصلتان .

وذكر قدامة في كتاب الخراج أن الرشيد لما استخلف أفرد قنسرين بكورها فصير ذلك جنداً ، وأفرد منبج ، ودلوك ، ورعبان ، وقورس ، وأنطاكية ، وتيزيـن وسماها العواصم ، لأن المسلمين يعتصمون بها في ثغورهم فتعصمهم[1] .

وكانت الزلازل قد أخربت رعبان ، وجلا أهلها واندرس أثرها ، وملكها العدو في أيام سيف الدولة ، فأنهض إليها العساكر والصناع ، وأنفق عليها الأموال

١ ــ انظر نبذ من خراج قدامة (طبع في مجلد واحد مع المسالك والممالك لابن خرداذبه) ص ٢٥٣ .

الجسيمة حتى بناها في مدة شهر وعساكر الروم جامعة والحرب واقعة ، وكان خليفته على الجيش أبا فراس ، وبعد أن بناها قصدها الدمستق ونزل عليها ، فسار إليه سيف الدولة فأوقع به وهزمه وقتل وأسر خلقا من عسكره ، وخلف أسلحتهم في المدينة قوة لأهلها ، وبصدد ذلك يقول أبو فراس :

وسوف على رغم العدو يعيدها ... مُعوَّد رَدِّ الثغر ، والثغر داثر[1]

* * *

١ ـ ديوانه ١١٠ .

باب في ذكر دلوك

وهي مدينة قديمة لها ذكر ، وخرج منها بعض العلماء ممن نذكره في كتابنا هذا ، وكانت مدينة عامرة ولها قلعة من بناء الروم عالية مبنية بالحجارة من بناء الروم ، وكان الرشيد قد أفردها مع غيرها ، وجعلها من (٩١ ـ ظ) العواصم ، لأنها كانت تعصم ما يليها من الثغور الجزرية من جهة الشمال ، وكان لها قناة قد ركبت على قناطر يصعد الماء عليها الى القلعة ، وحولها أبنية عظيمة حسنة منقوشة في الحجر ، وحولها مياه كثيرة وبساتين ، وهي كثيرة الفواكه والكروم ، وقيل إن مقام داود عليه السلام كان بها ، وأنه جهز الجيش منها الى قورس ، فقتل فيه أوريا بن حنان ، وقد خربت المدينة والقلعة ، وبقيت الآن قرية مضافة الى عين تاب ، وبها فلاحون وأكره .

وذكر البلاذري في كتاب البلدان قال : وبعث ـ يعني أبا عبيدة ـ عياض بن غنم إلى ناحية دَلُوك ورَعْبان فصالحه أهلها على مثل صلح مَنْبِج ، واشترط عليهم أن يبحثوا عن أخبار الروم ، ويكاتبوا بها المسلمين[1] .

وصلح منبج كان على الجزية أو الجلاء .

وخربها نور الدين محمود بن زَنْكي بعد ما تسلمها من الجوسلين بعد أن أسره على ما نذكره بعد إن شاء الله .

---

١ ـ فتوح البلدان ١٥٥ .

باب في ذكر قورس(١)

وهي مدينة كانت قديمة من بناء الروم ، وبها آثار عظيمة ، ويقال أن بها قبر أوريا بن حَنّان ، وخرج منها جماعة من الرُواة ، ولها ذكر في الفتوح .

وذكرها أحمد بن أبي يعقوب بن واضح في كور جند قِنّسرين والعواصم فقال : وكورة قُورس مدينة قديمة وأهلها قوم من قيس وكان الغالبون عليها آل العباس بن زُفَر الهلالي .

وذكر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري فيما حكاه في كتاب البلدان عن مشايخ الشام قالوا : وسار أبو عُبيدة يريد قورس ، وقدّم أمامه عياضاً ، فتلقاه راهب من رهبانها يسأل الصلح عن أهلها ، فبعث به الى أبي عبيدة وهو بين جِبرين(٢) وتل عَزّاز فصالحه ، ثم أتى قورس فعقد لأهلها عهداً وأعطاهم (٩٢ — و) مثل الذي أعطى أهل أنطاكية ، وكتب للراهب كتاباً في قرية له تُدعى سَرْقِينا ، وبث خيله فغلب على جميع أرض قورس الى آخر حدّ نَقَابلُس .

قالوا : وكانت قورس كالمسلحة لأنطاكية ، يأتيها في كل عام طالعة من جند أنطاكية ومقاتلتها ، ثم حُوّل إليها رُبع من ربع أنطاكية ، وقطعت الطوالع عنها .

وقال البلاذري : ويقال إن سلمان بن ربيعة الباهلي كان في جيش أبي عبيدة مع

---

١ — لعلها المعروفة الان باسم كويرى ، وتبعد عن حلب مسافة ٣٣ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٣٣ — ٣٢ .

٢ — تبعد جبرين عن حلب مسافة ٥ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٢٨٧ .

أبي أمامة الصُّدَي بن العَجْلان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل حصناً بقورس ، فنسب إليه فهو يعرف بحصن سلمان .

قال : وقيل إن سلمان بن ربيعة كان غزا الروم ـ بعد فتح العراق ، وقبل شخوصه إلى أرمينية ـ بعسكر عند هذا الحصن ، فنسب إليه .

قال : وسمعت من يذكر أن سلمان هذا رجل من الصَّقالبة الذين رتبهم مروان ابن محمد بالثغور ، وكان فيهم زياد الصَّقْلبي ، فنسب إليه هذا الحصن ، والله أعلم [١]



١ ـ فتوح البلدان ، ١٥٤ ـ ١٥٥ .

باب في ذكر كيسوم

وكانت مدينة كبيرة قديمة ، وولاية واسعة عظيمة ، وكان حصنها حصيناً وبناؤه قوياً ركيناً ، وكان بها في أيام المأمون نصر بن شَبَثْ العُقَيْلي ، وكان من قواد بني العباس ، فعصى فيها على المأمون ، فسير إليه طاهر بن الحسين ، فلقيه نصر وكسره ، فعاد طاهر مفلولاً الى الرَّقَّة ، وبقي نصر على عصيانه ، فسير المأمون إليه عبد الله ابن طاهر بن الحسين ، فحصره بها إلى أن فتحها ، وخرب الحصن ، وبقيت المدينة ، وهي الآن قرية كبيرة عامرة بها الفلاحون ، وهي في أيدي المسلمين .

وقد ذكرها أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتابه فقال : وهي مدينة جليلة حصينة كان بها نصر بن شبث متحصناً لما خالف ، وقد صار إليها المأمون .

قلت : وقد رأيتها في طريقي إلى الروم ، وبينها وبين الحدث سبعة فراسخ .

* * *

باب في ذكر عزاز[1] (٩٢ ـ ظ)

وهي الآن مدينة عامرة ، ومحاسنها في هذا العصر سائره ، قد كثر بناؤها ، واتسعت أرجاؤها ، وعمرت قلعتها ، وكثرت منفعتها ، وكانت قلعتها مبنية باللبن والمدَر ، فعمرها الملك الظاهر[2] رحمه الله بالحجر ، فصارت من أحصن القلاع ، ومدينتها من أحسن البقاع ، وكانت تعرف في صدر الإسلام بتل عَزَاز ، ولا ذكر لها إلاّ بالعبور بها والاجتياز ، ولإسحق بن إبراهيم الموصلي قصة فيها مع بنت قَسٍ يقال لها حَنَّه ذكرها أبو الفرج الأصبهاني ، وقال فيها إسحق الموصلي أبياتاً وهي :

إن قلبي بالتَّل ِ تل ّ عَزَاز — عند ظَبْيٍ من الظِباء الجَوازي
شادنٌ يسكن الشآم وفيه — مع شكل العراق ِ ظَرْفُ الحجاز
يا لَقومي لبنت ِ قسٍ أصابَتْ — منك صَفْوَ الهَوَى وليست تجازي
حَلَفَتْ بالمسيح أن تُنْجز الوعْـ — ـدَ وليست تَهُمُّ بالإنجاز[3]

وكان الفرنج خذلهم الله قد استولوا على عزاز في شهر رمضان من سنة اثنتي عشرة وخمسمائه ، ولقي أهل حلب منهم شدة عظيمة ، إلى أن فتحها نورالدين محمود ابن زنكي بن آق سُنْقُر رحمه الله في سنة خمس وأربعين وخمسمائة ، وتسلمها من يد جوسلين .

---

١ ـ يصل عزاز بحلب طريق مزفت طوله ٢٦ كم . التقسيمات الادارية ، ٣١٦ .

٢ ـ جاء في الحاشية بخط مخالف لخط الاصل : الملك الظاهر هو غازي بن يوسف بن أيوب .

٣ ـ انظر الاغاني . ط . دار الكتب ١٣٥١ / ١٩٣٢ : ٥ / ٣٧٣ .

وحكى لي والدي رحمه الله أن نور الدين كان على حصارها ، فسمعنا بحلب أنها قد فتحت ، وكان ذلك في ساعة من نهار ، ولم تتحقق الخبر فوقع كتاب نور الدين على جناح طائر بأنها فتحت في تلك الساعة التي أُخبر بفتحها فيها .

وكان محمود بن نصر بن صالح (٩٣ ـ و) أمير حلب قد ولى فيها أبا محمد عبد الله بن محمد الخفاجي الحلبي ، فعصى بها ، فاحتال محمود حتى سمه فمات بها ، وسنذكر القصة في ترجمة أبي محمد الخفاجي[1] .

وقال أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القَيْسراني ، وقد اجتاز بعزاز ، فرأى فيها نساء الفرنج ، وأجازها لنا شيخنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِنْدي عنه ، وقرأتها بخطه في ديوان شعره :

أين عِزّي من رَوحتي بعَزاز ... وجَوازي على الظّبَاء الجوازي
واليعافير ساحبات الغفافيـ ... ـر علينا كالرَّبْرَب المُجتاز
بعيونٍ كالمرهفات المواضي ... وقدودٍ مثل القنا الهزهاز
ونحور تَقلَّدتْ بثغور ... ريقها ذَوب سكر الأهواز
ووجُوه لها نُبوّة حسن ... غير أن الإعجاز في الأعجاز
كل خَمْصَانة ثنت طرفَ الزُنّـ ... ـار من سُرةٍ على هزّاز
ذات خَصْر يكادُ يخفى على الفا ... رس منه مواقِع المِهْماز
لاحظتني فانقَضّ منها على قلـ ... ـبي طرفٌ له قوادِمُ باز
وسَبَتْني لها ذوائب شعرٍ ... عقدَتْها تاجاً على ابراز
من مُعيني على بنات بني الأ ... صفر غزواً فإنني اليوم غازِ

١ ـ لم يصلنا المجلد الذي يحوي ترجمة الخفاجي ، وقد اورد ابن العديم قصة مقتله في زبدة الحلب ٣٦/٢ ـ ٤٠ .

٢ ـ من شعراء الخريدة ، انظر ـ قسم شعراء الشام ـ ١٥٦/١ .

باب في ذكر بزاعا والباب(١)

وهما قريتان عظيمتان ، بل مدينتان صغيرتان ، وفي كل واحدة منهما (٩٣ـظ) منبر وخطيب وبساتين تلذ للنازل بها وتطيب ، ولكل منهما والٍ يقطع الخصام ، وقاض يفصل الأحكام ، وبينهما وادي بُطْنان ومَرْجُه ، وإلى محاسن هذا الوادي عُمرة كل متنزه وحجّه ، وهو من أصح البقاع ماء ، وأرقها هواء ، وفيه نزل أبو نصر المنازي وقال ، وقد تَفَيأ في ظلاله من الحرّ وقال :

وقانا لَفْحَةَ الرَّمْضاء وادٍ غَذَاه مُضاعَفُ النبْتِ العميم
نَزلنا دَوحهُ فحنا علينا حُنُوّ الوالدات على الفَطيم
وأرشَفَنا على ظمأ زُلالاً ألذَّ من المدامة للنديم
يَصُدُّ الشمس أنّى واجَهَتنا فيَحجبها ويأذن للنَسيم
يَروُع حَصاه حاليةَ العذارى فتلمَسُ جانب العِقد النَظيم (٢)

وقد خرج من الموضعين جماعة من الأدباء وعصابة من الشعراء ،وأعيان الموضعين عباسيون ، من بني العباس بن الوليد الكِلابي ، وكان والي جند قِنِّسرين ، ونسله وعقبه ومواليهم بوادي بُطْنان .

---

١ ــ يصل الباب بحلب طريق مزفت طوله ٣٧ كم ، ويصل بزاعه طريق مزفت أيضا طوله ٤٠ كم ، التقسيمات الادارية ، ٣٢٣ .

٢ ــ المنازي هو أحمد بن يوسف ، كان من وزراء الدولة المروانية في ميا فارقين وديار بكر ، كان من مدينة مناز كرد ، وقد ذكره العماد في الخريده ــ قسم شعراء الشام ، وأورد له هذه المقطوعة ، وروى أنه توفى سنة سبع وثمانين وأربعمائة ، في حين أن ابن خلكان ، وابن كثير ١٢ / ٥٤ ــ ٥٥ وسواهما أوردوا أنه توفي سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، انظر ايضا تاريخ الفارقي ١٣٠ ــ ١٣١ .

فأما بُزاغا فكان لها حصن مانع وعليه خندق وآثاره باقية إلى يومنا هذا ، وكان الروم قد استولوا على هذا الحصن في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ، فتحه ملك الروم بالسيف ، ثم اندفع وعاد في سنة اثنتين وثلاثين وفتحه بالأمان ، ثم غدر بهم ونادى مناديه من تنصر فهو آمن ، ومن أبى فهو مقتول أو مأسور ، فتنصر منهم أكثر من خمسمائة إنسان ، منهم القاضي والشهود ، وانقطعت الطرقات على طريق بُزاغا وصارت على طريق بالِس ، وضاق بالمسلمين الخناق ، فاستنقذه أتابك الشهيد زنكي من أيديهم في محرم سنة ثلاث وثلاثين (٩٤ ــ و) وخرب الحصن والبلد عامر .

وأما الباب فهي أكثر عمارة من بزاغا ، وكان فيها مغائر تعصمهم من الغارات ، وكان بها طائفة كثيرة من الإسماعيلية ، فاجتمع النبويه في ... ،[1] وزحفوا إلى الباب فاعتصموا في المغائر فاستخرجوهم منها بالدخان ، وقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وليس بها في زمننا هذا منهم إلا القليل ، وقد كثرت عمائر الباب ، واتسعت وصارت مصراً من الأمصار ، وعمر فيها الأتابك طُغْرِل الظاهري خاناً للسبيل ، ومدرسة لأصحاب أبي حنيفة رضي الله عنه ، وكنت في أيام الصِّبى أتردد إليها ، فازدادت عمارتُها على الضعف مما كانت ، ولأبي عبد الله محمد بن نصر القَيْسَراني فيها أبيات شاهدتها بخطه ، وأخبرنا بها أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِنْديّ إجازة عنه قال : ومررنا بسقي الباب وهي ضيعة حسنة الظاهر كثيرة المياه والشجر فقلت ارتجالاً :

١ ــ فراغ بالاصل يمكن ملؤه بعبارة « سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة » وذلك اعتمادا على ما جاء في زبدة الحلب ٣٢/٣ . والنبويه هو التنظيم الشعبي السني الذي خلف جماعة الاحداث ، وقد وصفهم ابن جبير في رحلته ص ٢٦٩ فقال : « هم سنيون يدينون بالفتوة وبأمور الرجولة كلها ، وكل من الحقوه بهم لخصلة يرونها فيه يحزمونه السراويل ، فيلحقوه بهم ، ولا يرون أن يستعدى أحد منهم في نازلة تنزل به ، لهم في ذلك مذاهب عجيبة ، واذا أقسم أحدهم بالفتوه برقسمه ،وهم يقتلون هؤلاء الروافض ــ الاسماعيلية ــ أينما وجدوهم ، وشأنهم عجيب في الانفة والائتلاف » .

أما لكَ رقي سَرْح الطرف غاديـاً على أهـل بُطْنان سقتها سحابُها
حدائـق للأحـداق فيهـا لُبانـةٌ يُـعيد لنا شرخَ الشباب شبَابُهـا
وإنْ كنت تَبغـي بالك الخير مدخلاً إلى جنـة الفردوس فالباب بابهـا [1]

والوادي ينسب إلى بطنان حبيب ، وهي قرية تعرف ببطنان حبيب (٩٤ـظ) ولها تل عليه دير يقال له دير حبيب .

قال البلاذري في كتاب البلدان : وبطنان حبيب نسب إلى حبيب بن مَسْلَمة الفِهري ، وذلك أن أبا عبيدة ، أو عياض بن غَنْم وجهه من حلب ، ففتح حصناً بها ، فنسب إليه[2] . وإلى جانب بطنان مرج كان ينزله عبد الملك بن مروان إذا توجه لقتال مصعب بن الزبير . وبوادي بطنان مواضع نزهة كثيرة المياه والأشجار ، منها تاذِف[3] ، وبو طَلطل والفين . وقال إمرؤ القيس في قصديته الرائيـة يذكر تاذف وباطلطل :

ألا رُبَّ يَوْمٍ صالح قد شَهِدتُه بتاذِفَ ذات التَّلِّ من فوق طَرْطَرا
ولا مثـل يـوم في قـذاران ظلته كأني وأصحابي على ظهـر أعفرا [4]

وقذاران قرية شمالي الباب .

قرأت بخط توزُون ابراهيم بن محمد الطبري في كتاب الياقوت املاء أبي عمر الزاهد قال توزون : أملاه علينا من حفظه في شهور سنة سبع وعشرين وثلاثمائة

---

١ ـ لم يورد العماد هذه الابيات ضمن ما اختاره من شعر القيسراني . الخريده ١/٩٦ـ١٦٠ ، ولم أستطع الوقوف على مخطوطة ديوانه .
٢ ـ فتوح البلدان ، ١٥٤ .
٣ ـ تكتب الآن بالدال المهملة ، وهي تبعد عن حلب مسافة ٤٠ كم ، التقسيمات الادارية ، ٣٢٦ .
٤ ـ ديوانه ، ٧٠ .

وذكر أنه قرأه أيضا عليه ، قال : فيما رواه عن أبي عمرو بن الطوسي ونقله عن ابن الاعرابي ، وقال ـ يعني أبا عبد الله بن الاعرابي في بيت إمرىء القيس •

.... بتاذف دون التل من جنب طرطرا

فقال له بعض من حضر : أفيروى تاذفَ ؟ (فقال)[1] : هو حرف أعجمي يصنعون به ماشاءوا •

قال : وقال أبو عمرو الطوسي : وأما طرطر فأخبرني (٩٥ ـ و) الوليد بن عبيد البحتري الشاعر قال : هي قرية عندنا بناحية منبج يقال لها باطرطل ، باللام •

قلت : واليوم يقال لها بوطلطل بلامين[2] •

وفي هذا الوادي يجري نهر الذهب ، ويخرج على قرى يسقيها ، وتمده عيون بالوادي الى أن ينتهي الى الجبّول[3] ، وتجتمع اليه عيون أخر من قرى نقره بني أسد ، فيجتمع الماء في الشتاء في أرض سبخةٍ ، الى جانب الجبّول ، لاستغناء الناس عن السقي بالمياه في الشتاء ، فلا يزال الماء في السبخة الى فصل الصيف ، فيهب الهواء الغربي ، فيحمل ذلك الماء شيئا فشيئا الى الارض التي يجمد الماء فيها ، فيصير ملحا ، ويجمع الاول فالأول ، ويعبّى ويباع ، وتمتار منه البلاد ، وربما ثقل ماء السبخة في بعض السنين ، فيستقون ماء من أبار حفرت في تلك الارض ، ويجرونه الى مساكب قد سكبوها فيجمد فيها ويصير ملحا ، فيجمعونه منها ويرفعونه ويصنعون غيره ، وهذا الملح الذي يصنع يكون أشد بياضا من الاول

---

١ ـ اضيفت كي يستقيم المعنى .

٢ ـ ماتزال تحمل هذا الاسم ، وهي احدى قرى منطقة الباب التابعة لمحافظة حلب في الجمهورية العربية السورية، وهي تبعد عن الباب مسافة خمسة كيلو مترات وعن حلب مسافة واحد وأربعين كيلو مترا ، والطريق الذي يربطها بكل من الباب وحلب هو طريق ترابي • انظر التقسيمات الادارية ، ٣٢٣ .

٣ ـ تبعد الجبول عن حلب مسافة ٣٥ كم ، التقسيمات الادارية .

ويقال ان عجائب الدنيا ثلاث : قلعة حلب ، وجُبّ الكلب ، ونهر الذهب .

فأما قلعة حلب فلعلوها وارتفاعها وأنها في وطأة ليس الى جانبها جبل يحكم عليها

وأما جُبّ الكلب فانه بئر في قرية تعرف بجب الكلب في طرف الحبل من قرى حلب الى جنب قبتان الجبل هي الآن خربة ، كان الذي يعضه الكلب الكلب (٩٥ـ ظ) يأتي الى هذه البئر فيغتسل فيها فيبرأ ، وقد بطل الآن فعلها لما نذكره ان شاء الله في باب يأتي .

وأما نهر الذهب فقال لي والدي رحمه الله : انما سمي نهر الذهب لأن أوله بالقبان وآخره بالكيل ، لان أوله يزرع على مائه القطن ، والبصل ، والثوم والكسفره ، والكراويا ، والخشخاش ، والحبة السوداء ، والحبة الخضراء ، وبزر البقلة وغير ذلك ، ويباع ذلك كله بالقبان وآخره يجمد فيصير ملحا ، فيباع بالكيل ولا يضيع من مائه شيء ، ولهذا سمي نهر الذهب ، لانه ذهب كله باعتبار ما يؤول اليه .

أنشدني بعض الاخوان لحمدان بن يوسف بن محمد البابي الضرير ، وكان من أهل الباب ، وأدركته وسمعت منه شيئا من شعره غير هذه الابيات ، ثم حمل الى بعض أهل الباب ، وأنابها ، شعر حمدان المذكور ، فنقلت منه هذه القصيدة ، يصف فيها وادي بطنان ، وما على نهر الذهب من القرى الى الجبول ويمدح فيها الملك الظاهر وهي .

سل وميض البروق حمّل التحيه ... من مُحبٍ أشواقه عذريّه
أظهرت لوعةُ الغرام شجوناً ... منه كانت بين الضلوع خفيّه
وبرى جسمه النحولُ فأمسى الـ ... ـهمّ في حِنْدِس الظلام نجيّه
وأبى البينُ أن يُبقّي من الصبـ ... ـر عليه بعد الفراق بقيّه (٩٦ ـ و)

أيها السائق الـذي لم يـزل يطـــ ـــرب شجـواً بشَدْوه الشـدَنيَّه

لاتسـل عـن قُبـا وسل عن نواحي قُبَّيـا فهـي جنـَّـة عدنيـه

حبـذا تاذِفُ الأنيقـة والأنهـــ ـــهـار تجري تحت الغصون البهيَّه

وبسـاتينهـا إذا جـاوبـت ور قـاء فيهـا بسجعهـا قُمْريَّـه

وبَنَشُونا ياليت لي كل يوم غـرفاً فوق مائهـا مبنيـه

ولكم قد شممت في مرقونا نسمـاتٍ مثل العبير ذكيَّه

رشقتنشي على عُوينـاتٍ زكيٌّ طيبـاتٍ بأعـين بابليَّه

هذه كلها مزارع بين الباب وبُزاعا :

سفـح الوابـل الملث علـى وا دي بُـزاعا وسميه ووليه

وسمـا بـارق الغمـام علـى بُطْــ ـنان بالغيث بكرةً وعشيه

وغدت بالحيا وراحت على البا ب غـوادي السحائب الوسميه

قـف علـى عينهـا تجد كل حورا ء تثنـى كأنهـا حـوريه

وعلـى تيمـر وقيـت مـن الخطـ ـب فقف بي بالله عند الوقيه

تَيْمر الجبل المشرف على الباب من غربية ، والوَقَيه حجر كبير في هذا الجبل يعرف بالوقيـة .

آخر الجزء السادس . ويتلوه في أول السابع

وانظـر العين من شماليه والرا هب تزهو أنواره قبليَّه (٩٦-ظ)★

* * *

★ — كتب ابن العديم في آخر هذا الجزء سماعا نصه : بلغ بدر الدين عبد الواحد قراءة .

بسم اللــه الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

وانظـر العـين مـن شماليـه والرا ... هـب تـزهـو أنـواره قبليـه
وأرمـق السقي عندمـا تتثنـي ... برباهـا أشجـاره شرقيـه
لاتكلنـي إلـى اللِـوى فلقـد غا ... درتُ مـن دونَ وصفـه لي أليّـه
لست ممن تثنيـه عن وصف إقليـ ... ـم بُزاعـا ذكـر الحمـى والثنيّه
فلكـم ظلـت في ربـوع أبي طلـ ... ـطل أقضـي أوقـات لهو هنيـه
ومساع كانت إلـى السيعـة الفيحـ ... ـحـاء أنوارهـا لـدي مضيـه
وبألفـين لـي وبـيرة خفـا ... ن شجـون" طـول الزمـان شجيه
قف بأعـزان لـي ومحـان والبر ... ج وأيشـى إن شئـت والحصفيـه
وتأمـل زهـور نجـارة الفيـ ... ـحاء تزهـو كالأنجـم الدُريـّه
فبـأكنـاف عـين أرزة لهـوي ... والمـروج الأنيقـة الشربعيـه
(منسوبة الى شربع قريـة على النهر)
طالمـابتُ بالقبيبـة أفنـي ... جلـدي باكيـاً علـى الجلديـه
وتأمـل بلحـظ عينـك ياصـا ... ح مـروج الجشّـول والنجيبيـّه
كـم بذاك الحمـى ظبـاء" بأطـرا ... ف العـوالي وبالظبـى محميـه
كل سمراء في التماثيـل تهتـز (٣) ... دلالاً كالصعـدة اليزنيـه
غازلتنـا قبـل السفـور بعيـ ... ـنيـها فخلنـا بأنهـا تركيـه

أي قاض يعدي لمكتئب غـ … ـرته تلك الغريرة العدوية (٩٧ـو)
مستهام تبيتُ أحشاؤه منـ … ـهما على لاعج الأسى محنيه
وانسكاب الدموع من جفنه ينـ … ـشر طي السرائر المطويه
يا خليلي خليا ذكر سلع … وربوع المعالم الحاجريه
واذكرا لي أكناف ساحة بطنا … ن وتلك المشاهد التيمريه
وصفا لي أنهار تاذف مع أشـ … ـجارها لا الحدائق الجلقيه
بتّ أسري وهنا من الباب والليـ … ـل علينا ستوره حندسيه
أنا أعمى وقائدي في دجاه … أعور والأتان لي مهريه
وهو مما تغشرم البيد يسعى … أعرجاً فاعجبوا لها من قضيه
من يرانا يظل يطرب بالسا … ئق عُجبا والمتطي والمطيه
يالنا من ثلاثةٍ يعجز الطا … لب عن رابعٍ لنا في البريه
سرت حتى طويت أرض معير ثـ … ـيا وتلك المعالم الغوريه
واتساع الميدان مع سطح ربا … ثا وتلك الحفيرة النشزينه
ورُبا البقعة التي نشر الغيـ … ـث عليها ملابساً سندسيه
وترتبت بالمرتب في ظهـ … ـر أتاني لأدرك الأمنيه
وتجشمت بالصُخير وشِحْنجـ … ـار وعراً تهابه الشدْقميه
وفليت الفلا إلى نحو بابلى … بعزم أمضى من المشرفيه
وعلى هضب بانقوسا بدا الصبـ … ـح ولاحت أنواره المخفيه (٩٧ـو)
وأتى الدهر مُقلعاً إذ رأى … أن ملاذي بالقلعة الظاهريه
فحططنا لما حططنا عن الدهـ … ـر بها كل زلةٍ وخطيه
ياذوي البؤس يمموها تحلوا … كعبة الجود والندى والعطيه
فبها مالك أقل أياديـ … ـه تفوق الأيادي الطائيه

قلعة سامت السماء وضاهت في المعالي أفلاكها العلويه
شرفت بالغياث حتى غدت فو ق الثريا أركانها مبنيه

ثم أطال في مدح الملك الظاهر رحمه الله فاختصرته خوفا من الاطالة .

أنشدني والدي رحمه الله وقال : خرج أبو عبد الله القيسراني مع والدي الى وادي بُزَاعا فمرا بتاذف فراقهم حسنها ، فقال القيسراني فيها :

مازلت أخدع عن دمشق صبابتي بالغوطتين
حتى مررت بتاذفٍ فكأنني بالنيربين
فرأيت ما قد كنت آ مله بأشواقي بعيني (★)

* * *

★ ـ كتب ابن العديم في الحاشية سماعا نصه : بلغ الولد محمد قراءة وسمع أخوه عبد الرحمن وابن أخته محمد في سابع ذي الحجة .

باب في ذكر صفين وبقعتها وحكم من شهدها من الجانبين ووقعتهـا

ويقال فيها صفون وصفين ، وهي من أعمال حلب وجند قنسرين ، وقـد قال بعض أصحاب علي عليه السلام ، وقد رأى شدة القتال بها ، فأتى أهله : (٩٨ـو):

إن أبـاك فـر يـوم صفـين لمـا رأى عكـا والآشعـريـن
والخمس قد أجشمتـك الأمـريـن جمزا إلـى الكوفـة من قنسرين
وحابسـا تشـك بالطائيـين وقيـس عيـلان الهـوازنيـين
لاخمس إلا جنـدل الأحرين

والكلام في صفين يقع في فصول .

* * *

الفصل الاول في ذكر بقعتها

وهي قرية كبيرة عامرة على مكان مرتفع على شط الفرات ، والفرات في سفحه وفيها مشهد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ، وقيل بأنه موضع فسطاطه ، وموضع الوقعة من غربيه في الأرض السهلة ، وقتلى علي رضي الله عنه في أرض قبلي المشهد وشرقيه ، وقتلى معاوية من غربي المشهد ، وجثثهم في تلال من التراب والحجارة ، كانوا لكثرة القتلى يحفرون حفائر ويطرحون القتلى فيها ، ويهيلون التراب عليهم ، ويرفعونه عن وجه الأرض ، فصارت لطول الزمان كالتلال.

وفي حديث محمد بن إسحق قال : أقبل معاوية حتى نزل صفّين ، والصفّين مدينة عتيقة من مدائن الأعاجم في أرض قنسرين على شاطىء الفرات فيما بين منبج والرقة ، على نجفة مشرفة الجذل ، وبين النجفة وبين الفرات غيضة آسنة ذات ماء آجن ، لا يقدر على الفرات إلا من شرائع الغيضة ، فمن قدر على الشريعة استقى ، ومن لم يقدر على الشريعة استقى من الجرف بالدلاء ماءً آجناً غليظاً لا يشرب إلا بالشن[1] .

أنبأنا أبو الحسن بن أبي عبد الله البغدادي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن أحمد بن أحمد بن الخشاب قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد الفرّاء

١ ــ أجن الماء أجنا وأجونا .. تغير الا انه يشرب . الشن : الجلد البالي (المصباح المنير) .

قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن إسحاق بن نِنْجاب قال : حدثنا إبراهيم بن الحسين بن دَيزيل قال : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : حدثنا صفوان بن غمرو عن ضمضم أبي المثنى الأملوكي عن كعب أنه رأى صفين والحجارة التي على الطريق (٩٨ ـ ظ) فقال : لقد وجدت نعتها في الكتاب أن بني اسرائيل اقتتلوا فيها تسع مرات حتى تفانوا ، وأن العرب ستقتتل فيها العاشرة حتى يتفانوا ويتقاذفوا بالحجارة التي تقاذفت بها بنو اسرائيل ، فاقتتل فيها أهل الشام مع معاوية وأهل العراق مع علي عليهما السلام حتى تفانوا وتقاذفوا بتلك الحجارة .

قال صفوان : وكان أهل الشام ستين ألفا ، فقتل منهم عشرون ألفا ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفا ، فقتل منهم أربعون ألفاً .

وقرأت في كتاب صفين تأليف أبي جعفر محمد بن خالد الهاشمي ، المعروف بابن أمه ، قال : حدثني الوليد بن مسلم قال : حدثنا اسماعيل بن عياش أن كعب الأحبار مر بصفين قافلا من غزاةٍ ، فسأل حراثاً يحرث ، ما يقال لهذه الأرض ؟ قال : صفين ، قال : والذي نفسي بيده إنها لفي كتاب الله صفوّا ، إقتتلت فيها بنو إسرائيل تسع مرار ، وستقتتل فيها أمة محمد صلى الله عليه وسلم العاشرة .

قال : وبنحو ذلك حدثني سهل بن زيد الأنصاري عن سعيد بن عبد الرحمن الزُرَقي عن نافع بن عوف الزرقي عن كعب .

قال أبو جعفر الهاشمي : حدثني أبو عامر عبد الملك بن عمرو العَقَدي البصري عن سليمان بن بشير عن قدامة بن موسى قال : حدثني إسحق بن أبي قَبيصة بن ذؤَيب سأل كعب الذماري من أين كان كعب يعلم ملحمة صفين ؟ قال : أما ملحمة

صفين فإنها في كتاب الله تبارك وتعالى : إني حابس الأميين حيث حبست بني إسرائيل ، قال : وكانت قبل صفين تسع ملاحم كانت صفين العاشرة .

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم ابن بَوْش قال : أخبرنا أبو طالب عبد القادر بن يوسف قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الملك بن بشران قال : أخبرنا أبو عمرو محمد بن العباس بن محمد ابن حيَّويه قال : أخبرنا أبو اسحق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الكنْدي قال : حدثنا محمد بن المثنى (٩٩ ــ و) قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا الأعمش قال : قيل لأبي وائل شهدت صفين ؟ قال : نعم ، وبئست الصِفون كانت .

أنبأنا أبو الغنائم محمد بن أبي طالب بن أبي الرجاء بن شهريار قال : أخبرتنا أم البهاء فاطمة بنت محمد بن أحمد بن الحسن المعروفة ببنت البغدادي قالت : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمود بن أحمد بن محمود الثقفي قال : حدثنا أبو بكر محمد بن ابراهيم بن المُقريء قال : حدثنا صدقة قال : حدثنا محمد بن بكار قال : حدثنا فرج بن فُضالة عن اسماعيل عن سعيد بن أبي سعيد عن أبي هريرة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أربعة أنهار من أنهار الجنة وأربعة جبال من جبال الجنة ، وأربعة ملاحم في الجنة ، فأما الأنهار فَسيْحان وَجيحان والنيل والفرات ، وأما الجبال فطور ، ولبنان ، وورقان ، وأُحد ، وأما الملاحم فصفين والحرَّة ويوم الجمل » . قال : وكان يكتم الرابعة .

أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد بن طَبرْزَد قال : أخبرنا أبو القاسم إسماعيل ابن أحمد السمرقندي ، إجازة إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن المُحسَّن بن محمد بن الحسن بن الخلاّل قال : أخبرنا أبو محمد الحسن ابن الحسين بن علي بن العباس النوبخْتي قال : حدثنا أبو الحسن علي بن عبد

الله بن مبشر قال : حدثنا أحمد بن النضر بن ِمهْران قال : حدثنا سورة قال : حدثنا أبو معشر عن سعيد عن أبي هريرة ، ح .

قال : وحدثنا فرج بن فُضالة عن إسماعيل (٩٩ ـ ظ) بن أمية عن سعيد عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة ملاحم في الجنة : الجمل في الجنة ، وصفين في الجنة ، وَحرّة في الجنة ، وكان يكتم الرابعة »[1] .

* * *

١ ـ انظر ابن عساكر ١/٣٢٨ .

الفصل الثـــاني

في بيان أن عليا عليه السلام على الحق في قتاله معاوية رحمه الله

لا خلاف بين أهل القبلة في أن علياً رضي الله عنه إمام حق منذ ولي الخلافة الى أن مات ، وأن من قاتل معه كان مصيباً ، ومن قاتله كان باغياً ومخطئاً ، إلا الخوارج فإن مذهبهم معلوم ، ولا اعتبار بقولهم ٠

أخبرنا أبو المظفر عبد الرحيم بن عبد الكريم السمعاني في كتابه إلينا مـــن مرو قال : أخبرنا أبو البركات عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي قراءة عليه،ح٠

وأنبأنا أبو بكر القاسم بن عبد الله بن عمر بن الصفار قال : أخبرنا الشيخان أبو الأسعد هبة الرحمن بن عبد الواحد بن أبي القاسم القشيري قراءة عليه ، وأبو البركات عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي إجازة ٠ قال أبو الأسعد : أخبرنا أبو محمد عبد الحميد بن عبد الرحمن البحيري قراءة عليـــه ، وقال أبو البركات : أخبرنا أبو عمرو عثمان بن محمد بن عبد الله المحمي ، قالا : أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفراييني قال : أخبرنا خالي الإمام الحافظ أبو عوانه يعقوب بن إسحق الأسفراييني قال : حدثنا أبو الأزهر قال : حدثنا أســـد بن موسى ، ح٠

قال أبو عوانه : وأخبرنا حمدان بن علي قال : حدثنا (١٠٠ ــ و) محمد بن محبوب ، ح٠

قال : وحدثنا أحمد بن يحيى بن أبي زنبر الصوري قال : حدثنا الهيثم بن جميل ، ح٠

قال : وحدثنا الصَّغاني قال : حدثنا عفان ، كلهم عن أبي عوانــة عن قتــادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكون في أمتي فرقتان يخرج بينهما مارقه يقتلهم أولاهما بالحق » .

وقال أبو عوانه الأسفراييني : حدثنا ابن أبي رجاء قال : حدثنا وكيع ، ح.

وقال : وحدثنا ابن المبارك قال : حدثنا يونس بن محمد قال : حدثنا القاسم ابن الفضل ، ح.

وقال : وحدثنا أبو الأزهر قال : حدثنا عبد الملك الحري ، ح.

قال : وحدثنا يونس بن حبيب قال : حدثنا أبو داود ، ح .

قال : وحدثنا الصغاني قال : حدثنا يونس بن محمد وعفان ، ح.

قال : وحدثنا أبو أمية قال : حدثنا أبو نُعيم وعبيد الله قالوا : حدثنا القاسم ابن الفضل الحُدّاني عن أبي نضره عن أبي سعيد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تمرق مارقة عند فرقة من المسلمين يقتلهم أولى الطائفين بالحق » . معناهم واحد .

وقال أبو عوانه : روى أبو أحمد الزبيري عن سفيان عن حبيب بن أبي ثابت عن الضحاك المِشْرقي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم في حديث ذكر فيه قوما يخرجون على فرقة مختلفة يقتلهم أقرب الطائفتين من الحق .

قال : رواه مسلم عن القواريري عن أبي أحمد[1] .

قال أبو عوانه في هذا الحديث دليل أن علياً كان الحق له فيما كان بينـه (١٠٠ ــ ظ) وبين معاوية ، وأن أصحابهما كانوا على الاسلام ، ولم يخرجوا من الاسلام بمحاربة بعضهم بعضا .

---

١ ــ صحيح مسلم ١١٣/٣ ، (ط الآستانة ١٣٣١ هـ) .

أنبأنا أبو العلاء أحمد بن شاكر بن عبد الله بن سليمان المعري عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن الخشاب قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد ابن الفراء قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن الحسن الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن اسحق بن نجاب الطيبي قال : حدثنا ابراهيم بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن عبد الله الكرابيسي قال : حدثنا أبو كُريب قال : حدثنا أبو معاوية عن عمار بن رُزيق عن عمار الدهني عن سالم بن أبي الجعد قال : جاء رجل الى عبد الله بن مسعود فقال : إن الله قد آمنا أن يظلمنا ولم يؤمنا أن يفتنا ، أرأيت إذا نزلت فتنة كيف أصنع ؟ قال : عليك بكتاب الله ، قال : قلت : أرأيت إن جاء قوم كلهم يدعو الى كتاب الله ؟ فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « إذا اختلف الناس كان ابن سُميَّة مع الحق » .

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف الأوْقي بالبيت المقدس قال : أخبرنا أبو طـاهر أحمـد بن محمد بن أحمـد السلفي قال : أخبرنا أبو بكر الطُّريثيثي ، ح.

وأخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن أزَرْتق قال : أخبرنا أبو الفتح بن السبطي، وأبو المظفر الكاغدي ، قال أبو الفتح : أخبرنا أبو الفضل بن خيرون ، وقال أبـو المظفر : أخبرنا أبـو بكر (١٠١ ــ و) الطريثيثي قالا : أخبرنا أبـو علي بن شاذان قال : أخبرنا أبو محمد بن جعفر بن دُرُستويه قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثنا أبو عمرو أحمد بن حازم الغفاري قال : حدثنا اسماعيل بن أبان قال : حدثنا فاصح عن سماك عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تقتل عماراً الفئة الباغية » .

فبان بهذين الحديثين أن الحق مع علي رضي الله عنه ؛ لأنه قال في الحديث

الأول : « إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق » ، وهو عمار بن ياسر ، وكان مع علي رضي الله عنه ، وقال في الحديث الثاني « تقتل عماراً الفئة الباغية » ، وقتله أصحاب معاوية رحمه الله .

وقد أنبأنا عمر بن محمد بن طبرزد قال : أنبأنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البناء قال : أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن بشران إجازة قال : أخبرنا أبو الحسين المراعيشي وأبو العلاء علي بن عبد الرحمن بن غيلان الواسطي قال : أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة نِفْطَوَيه قال : نسخ لي من كتاب محمد بن عبد الملك عن يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب قال : حدثني أسود بن مسعود عن جبلة بن خويلد قال : كنت عند معاوية بن أبي سفيان فأتاه رجلان يختصمان في رأس عمار بن ياسر رحمه الله ، كل واحد منهما يقول : أنا قتلته ، فقال عبد الله بن عمرو : لتطب نفس أحدكما لصاحبه فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « تقتله الفئة الباغية » . فقال (١٠١ ــ ظ) معاوية : ألا تغني مجنونك يا عمرو عنا ، فما بالك معنا ؟ فقال : إن أبي شكاني الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي : « أطع أباك ما دام حيا ولاتعصه » ، فأنا معك ولست أقاتل .

أنبأنا أبو الحسن بن أبي عبد الله بن المُقيَّر عن أبي محمد عبد الله بن أحمد ابن الخشاب قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن بن ننجاب قال : حدثنا ابراهيم بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن سليمان حدثني نصر بن مزاحم قال : حدثنا محمد بن سعد عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعُم وذكر أهل صفين فقال : كانوا عربا يعرف بعضهم بعضا في الجاهلية ، فالتقوا في الاسلام معهم تلك الحمية ونية الاسلام ، فتصابروا واستحيوا من الفرار ، وكانوا إذا تحاجزوا

دخل هؤلاء في عسكر هؤلاء ، وهؤلاء في عسكر هؤلاء فيستخرجون قتلاهم فيدفنونهم .

فلما أصبحوا يوما وذلك يوم الثلاثاء خرج الناس الى مصافهم ، فقال أبو نوح الحميري : وكنت في خيل علي ، فبينا أنا واقف إذ نادى رجل من أهل الشام من دلني على أبي نوح الحميري ، قال أبو نوح : فقلت : أيهم تريد ؟ فقال : الكلاعي . فقلت : قد وجدته ، فمن أنت ؟ فقال : أنا ذو الكلاع فسر إلي ، قال أبو نوح : فقلت : معاذ الله أن أسير (١٠٢ ـ و) إليك إلا في كتيبة ، فقال : سر ولك ذمة الله وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وذمة ذي الكلاع حتى ترجع ، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم ، فسار إليه أبو نوح ، وسار إليه ذو الكلاع حتى التقيا ، فقال له ذو الكلاع : إنما دعوتك أحدثك حديثا حدثناه عمرو بن العاص في إمارة عمر ، فقال أبو نوح : وما هو ؟ فقال ذو الكلاع : حدثنا عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يلتقي أهل الشام وأهل العراق في إحدى الكتيبتين الحق » . أو قال « الهدى ومعها عمار بن ياسر » ، فقال أبو نوح : نعم والله إن عمارا لمعنا وفينا . وقال : أجادٌ هو على قتالنا ؟ فقال أبو نوح : نعم ورب الكعبة ، لهو أجدّ على قتالكم مني ، ولودّ أنكم خلق واحد فذبحه[1] .

أخبرنا أبو الحسن علي بن محمود الصابوني كتابة قال : أنبأنا أبو محمد بن محمد قال : أخبرنا أحمد بن الحسن قال : أخبرنا الحسن بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن اسحق قال : حدثنا ابراهيم بن الحسين قال : حدثنا سعيد بن كثير بن عفير قال : حدثنا ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن حنش الصنعاني قال : جئت الى أبي سعيد الخدري وقد عمي فقلت : أخبرني عن هذه الخوارج ؟ فقال : تأتوني فأخبركم ثم ترفعون ذلك الى معاوية فيبعث الينا بالكلام الشديد (١٠٢ ـ ظ)

---

١ ـ صفين لنصر بن مزاحم ، ط . القاهرة ١٣٦٥ هـ ، ص ٣٧٧ ـ ٣٧٨ .

فقال له : حنش ؟ تعال مرحبا بك ياحنش المصري سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج ناس يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، تنظر في نصله فلا ترى شيئا ، وتنظر في قذذه [1] ، فلا ترى شيئا سبق الفرث والدم ، يصلى بقتالهم أولى الطائفتين بالله .

قال حنش : فان علي بن أبي طالب عليه السلام صلي بقتالهم ؟ قال : وما يمنع عليا أن يكون أولى الطائفتين بالله عز وجل .

وقال : حدثنا ابراهيم بن الحسين قال : حدثنا عمرو بن الربيع قال : حدثنا السري عن عبد الكريم أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا أصحاب محمد تناصحوا ، فانكم ان لم تفعلوا غلبكم عليها عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان .

أخبرنا أبو الحسن بن المقير اذنا عن أبي محمد بن أحمد النحوي قال : أخبرنا أبو الحسين بن الفراء قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن بن نتجاب قال حدثنا ابن ديزيل قال : حدثنا يحيى ابن سليمان الجعفي قال : حدثنا أبو معاوية عن الاعمش عن موسى بن طريف يذكر عن أبيه أو عن عبد الله بن ربعي قال : قال علي عليه السلام : أنا قسيم النار

قال أبو معاوية :قال الاعمش : وانما يعني بقوله أنا قسيم النار أن من كان معي فهو على الحق ، ومن كان (١٠٣ ــ و) مع معاوية فهو على الباطل .

أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي عن كتاب زاهر بن طاهر الشحامي أن أبوي عثمان الصابوني والبحيري وأبوي بكر البيهقي والحيري كتبوا اليه : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ قال : حدثني محمد بن الحسن القاضي ببغداد قال : حدثنا الحسن بن أحمد بن الحسن السبيعي قال :

---

٢ ــ القذه بالضم ريش السهم ، جمعها قذذ (القاموس) .

حدثنا أبي قال : حدثنا قيس بن الربيع عن الصلت بن بهرام عن حبيب بن أبي ثابت عن ابن عمر قال : ما آسي على شيء كما آسي على أني لم أقاتل الفئة الباغية مع علي .

قرأت في كتاب صفين تأليف أبي جعفر محمد بن خالد الهاشمي المعروف بابن أمه قال : حدثني أبو إسماعيل أسد بن سعيد النَخْعي وعلي بن أبي بكر العَرْزَمي عن صباح المُزَني عن الحارث بن حَصيرة عن أبي صادق قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « تنزلون صِفين على ثلاث أمم ، أمة على الحق لاينتقص الباطل منهم شيئاً ، وأمة على الباطل لاينتقص الحق منهم شيئاً ، وأمه مُلْبِدَة يقولون هؤلاء أهدى من هؤلاء ، بل هؤلاء أهدى ، مثلهم كمثل شاة باتت في ربيض غنم فاغترت من الليل وقد سُرِّح قطيعها الذي هي منه ، فخرجت فلقيت قطيعاً آخر، فاغترت به فأنكرته ، فبينا هي كذلك إذ جاء الذئب فأكلها ، كذلك من مات من أمتي ليس عليه إمامٌ عامّة ، فهو ميت مِيتة جاهلية يحاسب (١٠٣ ــ ظ) بأعمال الإسلام ، ثم ترتحلون منها وأنتم على أربع أمم أمة على الحق لاينتقص الباطل منهم شيئاً ، مثلهم كمثل الذهب إذا أدخل النار فنفخ عليه لم تزده النار إلا جودة ، وأمة على الباطل لاينتقص الحق منهم شيئا ، مثلهم كمثل خبث الحديد إذا أدخل النار فنفخ عليه صار رمادا ، فذلك مثل أعمالهم كرماد إشتدت به الريح في يوم عاصف لايقدرون مما كسبوا على شيء ، ذلك هو الضلال البعيد ، وأمة مُلْبِدَة ، وأمة مارقة يلتمسون الدين فيمرقون منه كما تمرق السهم من الرمية ، لايرجع فيه حتى يرجع السهم في رميته » . قال : قيل : يارسول الله وأين المؤمنون يومئذ ، أما يُقَاتِلون ؟ قال : « بلى ويُزلزَلون زلزالاً شديداً » .

أخبرنا السلار بَهْرَام بن محمود بن بِخْتيار الأتابكي إذنا ، وسمعت منه بالمزة من غوطة دمشق قال : أخبرنا الحافظ عبد الخالق بن أسد بن ثابت قال :

أخبرني أبو المعالي عبد الخالق بن عبد الصمد بن البَدَن ببغداد قال : أخبرنا قاضي القضاة أبو بكر محمد بن عبد الله بن الحسين إجازة قال : أخبرنا أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي قال : أخبرنا الحاكم أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله قال : حدثنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن جعفر بالري قال : حدثنا أبو بكر الجعابي قال : حدثنا أبو سعيد قال : حدثنا أحمد بن يحيى قال : حدثنا الوليد بن حماد عن عمه الحسن بن زياد عن أبي حنيفة (١٠٤ ـ و) أنه قال : ماقاتل أحد علياً إلا وعلي أولى بالحق منه ، ولولا ماسار علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين .

قال : وروى سالم بن سالم عن أبي حنيفة أنه قال : ماجازيت أحداً بسيئة قط ، ثم قال : أتدرون لم يبغضنا أهل البصرة ؟ قلنا : لا ، قال : لأن قولهم في القدر ماقد علمتم ، ونحن نخالفهم ، ولذلك لم يُحبونا ، ثم قال : أتدرون لم يبغضنا أهل الشام ؟ قلنا : لا ، قال : لأنا لوحضرنا صِفين كنا مع علي على معاوية ، فلذلك لايحبونا .

أخبرنا بَهْرَام إذناً قال : أخبرنا عبد الخالق بن أسد قال : أخبرنا الفقيه أبو الحسن علي بن أحمد بن الحسين بن مَحْمُوَيه اليَزْدِي ببغداد قال : أخبرنا ابو عبد الله محمد بن الحسين بن الحر بن بُلُوك ، ح .

وقال : أخبرنا عبد الخالق قال : وأخبرنا الفقيه أبو الخير مسعود بن الحسين ابن سعد بن علي بن بُنْدار ببغداد قال : أخبرنا أبي قال : أخبرنا أبو محمد الحسن ابن الحسن قال : حدثنا أبو سعيد الحسن بن محمد بن الحسين بن أَشْتُويه قال : حدثنا إبراهيم ـ هو ابن أحمد بن إبراهيم المُسْتَملي ـ ، قال : أخبرنا فارس ـ هو ابن محمد بن علي بن عبد الله بن يحيى ـ قال : حدثنا سعيد قال : سمعت أبا نعيم يقول حدثني علي بن قادم قال : سمعت سفيان يقول : ما قاتل علي أحداً إلا كان أولى بالحق منه .

قرىء على شيخنا أبي اليُمن زيد بن الحسن بن زيد الكِنْدي أخبركم أبو منصور (١٠٤ ــ ظ) عبد الرحمن بن محمد القزّاز قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرني الحسن بن علي بن عبد الله المُقريء قال : حدثنا أحمد ابن محمد بن يوسف قال : أخبرنا محمد بن جعفر المَطِيري قال : حدثنا أحمد بن عبد الله المؤدب بسر من رأى قال : حدثنا المُعَلى بن عبد الرحمن ببغداد قال : حدثنا شَريك عن سليمان بن مِهْران الأعمش قال : حدثنا إبراهيم عن عَلْقمه والأسود قالا : أتينا أبا أيوب الأنصاري عند منصرفه من صِفين فقلنا له : ياأبا أيوب إن الله أكرمك بنزول محمد صلى الله عليه وسلم وبمجيء ناقته تفضلا من الله وإكراماً لك حتى أناخت ببابك دون الناس ، ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله ! فقال : ياهذا إن الرائد لايكذب أهله ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا بقتال ثلاثة مع علي ، بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين ، فأما الناكثون فقد قاتلنا ، هم أهل الجمل طَلحة والزُبير ، وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم ، يعني معاوية وعَمْراً ، وأما المارقون فهم أهل الطَرْفاوات وأهل السُعَيْفات وأهل النُخَيْلات وأهل النَهْروانات ، والله ما أدري أين هم ، ولكن لابد من قتالهم إن شاء الله .

قال : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعَمار : ياعَمار تقتلك الفئة الباغية ، وأنت إذ ذاك مع الحق والحق معك (١٠٥ ــ و) ، ياعَمار بن ياسر إن رأيت عليا قد سلك واديا وسلك الناس واديا غيره ، فاسلك مع علي فإنه لن يُدَلّيك في ردىً ، ولن يُخْرِجَك من هدىً ، ياعَمار من تقلد سيفاً أعان به عليا على عَدُوّه قلده الله يوم القيامه وشاحين من دُرّ ، ومن تقلد سيفاً أعان به

عدو علي عليه قلده الله يوم القيامه وشاحين من نار ، قلنا ياهذا حسبك رحمك الله، حسبك رحمك الله .

قال الخطيب أبو بكر أحمد بن علي : المعلى بن عبد الرحمن ضعيف جداً ، قيل إنه كان يكذب [1] .

* * *

١ ــ انظر تاريخ بغداد ١٣ / ١٨٦ ــ ١٨٨ .

الفصل الثالث

في بيان أن معاوية ومن كان معه بصِفين لم يخرجوا عن الإيمان بقتال علي عليه السلام .

أنبأنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الهَرَوِي قال : أخبرنا أبو القاسم تميم بن أبي سعيد الجُرْجَاني قال : أخبرنا الحاكم أبو الحسن علي بن محمد البَحاثي قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن هرون قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبَان البُسْتي قال : أخبرنا أحمد بن محمد الحيري قال : حدثنا عبد الله بن هاشم قال : حدثنا يحيى القَطان عن عَوْف قال : حدثنا أبو نَضْره عن أبي سعيد الخُدْري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكون في أمتي فرقتان تفرق بينهما مارقه تقتلها أَوْلى الطائفتين بالحق » .

وقد ذكرنا في الفصل المتقدم عند فرقة من المسلمين ، فجعل الفرقة من المسلمين وهم أصحاب علي ومعاوية (١٠٥ ـ ظ) وفي هذه الرواية جعل الفرقتين من أمته ، فلم يخرج واحدة منهما عن كونها من أمته صلى الله عليه وسلم ، ولا عن كونها من المسلمين بهذه الفُرْقَة التي وقعت ، والمارقة هم الخوارج الذين قتلهم علي رضى الله عنه يوم النهر ، فبان بذلك أن معاوية وأصحابه لم يخرجوا بقتال علي عن الإسلام ، عن كونهم من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وكون علي أَوْلى بالحق لقتله المارقة تبيّنْ أن من قاتله من المسلمين كان باغياً عليه .

والذي يوضح ماذكرناه ماأخبرناه أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال : أخبرنا أبو الفتح أحمد بن الحسين الشاشي قال : أخبرنا أبو

المَعالي محمد بن زيد الحُسيني في كتابه قال : أخبرنا طَلْحة بن علي بن الصَّقر الكِتَّاني قال أخبرنا محمد بن عبد الله البَزَّاز قال : حدثنا بشر بن موسى قال : حدثنا الحُميدي قال : حدثنا سفيان قال : حدثنا أبو الزناد .

وأخبرنا أبو الحسن المبارك بن أبي بكر بن مَزْيَد الخَوَّاص وأبو عبد الله محمد بن نصر بن أبي الفُتوح البغداديان بها قال محمد : وأنا حاضر ، قالا : أخبرنا أبو محمد عبد الغني بن الحسن بن أحمد قال : أخبرنا سعيد أبي الرجاء الصَّيرفي قال : أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن النُّعمان قال : أخبرنا أبو بكر بن المُقرىء قال : أخبرنا أبو محمد الخُزاعي قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يحيى العدني قال : حدثنا وَكيع قال : حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعْرج عن أبي هُريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة » .

وأنبأنا أبو القاسم عبد الصَّمد بن محمد القاضي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الكريم بن حمزة بن الخضر السُّلَمي قال : حدثنا أبو محمد عبد العزيز بن أحمد بن علي الكِتَّاني الصوفي قال : حدثنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله بن جعفر بن الجُنَيد الرازي الحافظ قال : حدثنا أبو عبد الله جعفر (١٠٦ ـ و) بن محمد بن جعفر بن هشام الكِنْدي قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن نصر بأنطاكية قال : حدثنا سُلَيْم بن منصور بن عمَّار قال : حدثنا أبي قال : حدثني ابن لَهيعة عن يزيد بن أبي حُبيب عن أبي الخير مَرْثَد بن عبد الله اليَزَني عن حُذَيْفة بن اليَمان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يكون لأصحابي من بعدي زلة يغفرها الله عز وجل بسابقتهم معي ، يعمل بها قوم من بعدهم يكبهم الله عز وجل في النار على مناخرهم » .

وأنبأنا أبو الحسن علي بن محمود بن أحمد الصابوني قال : أخبرنا أبو محمد

عبد الله بن أحمد بن أحمد النحوي إجازة قال : أخبرنا أبو الحسين بن الفرّاء قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن بن نِيَنْجاب قال : حدثنا إبراهيم بن الحسين قال : حدثنا الحكم بن نافع قال : حدثنا شعيب بن أبي حَمْزة عن الزُهْري قال : حدثنا الحسن بن مالك عن أم حَبيبة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت ماتلقى أمتي من بعدي وسفك بعضهم دم بعض ، سبق ذلك من الله عز وجل كما سبق في الأمم قبلهم ، فسألته أن يُوليني شفاعةً فيهم ففعل » .

أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن عُلوان الحلبي بها قال : أخبرنا أبو جعفر أحمد بن محمد بن عبد العزيز المكي العباسي النقيب ببغداد قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن (١٠٦ ـ ظ) عبد الرحمن بن الحسن بن محمد الشافعي المكي بها قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن فراس العَبْقَسَي قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن الفضل الدّيْبلي قال : حدثنا أبو صالح محمد بن أبي الأزهر المعروف بابن زُنْبور قال : حدثنا أبو بكر بن عَياش عن أبي سعد عن رجل عن علي رضي الله عنه قال : من كان يريد وجه الله منا ومنهم نجا ، يعني صفين .

أخبرنا أبو حَفْص عمر بن محمد بن طَبَرْزَد البغدادي إذناً قال : أخبرنا أبو البركات عبد الوهاب بن المُبارك قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الله الصّريفيني قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن إسحق بن حَبابة قال : حدثنا أبو القاسم البَغَوي قال : حدثنا علي الجَعْد أخبرنا فُضَيل بن مَرْزوق عن عَطية عن عبد الرحمن بن جُنْدب قال : سئل علي عن قتلاه وقتلى معاوية قال : يؤتى بي وبمعاوية يوم القيامة فنجتمع عند ذي العرش فأينا فَلج فَلج أصحابه .

وأخبرنا أبو البركات الحسن بن محمد بن الحسن بن هبة الله إذناً ، وقرأت

عليه إسناده قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن خُسْرُو البَلْخي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين بن أيوب حدثنا أبو إسحق إبراهيم بن الحسين بن علي الكسائي الهَمَذَاني قال : حدثنا (١٠٧ ــ و) يحيى بن سليمان أبو سعيد الجُعْفي قال : حدثنا عبد الله بن إدريس قال : سمعت أبا مالك الأشْجعي ذكر عن رجل من أَشْجع يقال له سالم بن عبيد الأشْجعي قال : رأيت عليا بعد صِفين وهو آخذ بيدي ونحن نمشي في القتلى فجعل علي يستغفر لهم حتى بلغ قتلى أهل الشام ، فقلت له : ياأمير المؤمنين إنا في أصحاب معاوية ، فقال علي إنما الحساب علي وعلى معاوية .

وخبرنا أبو البركات إذنا قال : أخبرنا عمي قال : وأخبرنا أبو عبد الله البَلْخي قال : أخبرنا أبو الحسن بن أيوب قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : أخبرنا أبو الحسن الطَّيبي قال : حدثنا إبراهيم الكسائي قال : حدثنا يحيى بن سليمان قال : حدثني زيد بن الحُباب قال : أخبرني إسحق بن أبي بكر مولى حُوَيطب المدني قال: حدثني عبد الرحمن بن نافع القاري عن أبيه قال : قدمت العراق فدخلت دار علي بن أبي طالب التي كان يسكن فإذا الموالي حلقتان يتحدثون ، فجلست معهم ، فخرج علي وهم يذكرون قتلى علي ومعاوية فقالوا : قبلتنا واحدة ، والهنا واحد ونبينا واحد فأين قتلانا وقتلاهم ؟ فأقبل علي ، فلما رآهم قصد إليهم فسكتوا ، فقال علي : ماكنتم تقولون ؟ فسكتوا ، فقال علي : عزمت عليكم لتخبرني ، فقالوا : ذكرنا قتلانا وقتلى معاوية ، وأن قبلتنا واحدة ، وإلهنا واحد وديننا واحد ، فقال علي : فإني أخبركم عن ذلك ، إن الحساب عَلَيّ وعلى معاوية [1] .

أخبرنا أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل (١٠٧ ــ ظ) بن عبد المطلب الهاشمي أخبرنا أبو الفتح أحمد بن جعفر الخَلْمى ببلخ قال : أخبرنا أبو اليسر محمد بن

١ ــ ابن عساكر ١ / ٣٢٩ .

محمد بن الحسين اليزدوي إملاء ببخارى قال : أخبرنا الحاكم أبو الحسين ابراهيم بن علي بن أحمد الاسماعيلي قال : أخبرنا ابو محمد عبد السلام بن موسى بن عيسى قال : أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن المرزبان قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن البلخي قال : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن صفوان قال : قال رجل يوم صفين : اللهم إلعن أهل الشام ، قال : فقال علي رضي الله عنه : لا تسبوا أهل الشام جما غفيراً ، فان بها الابدال ، فان بها الابدال ، فان بها الابدال .

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله فيما أذن لنا فيه قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي زيد الكَرَاني قال : أخبرنا محمود بن اسماعيل الصَّيرفي قال: أخبرنا أبو الحسين بن فاذشاه قال : أخبرنا ابو القاسم الطبراني قال : حدثنا محمد ابن عبد الله الحضرمي قال : حدثنا عبد الله بن أبي زياد القطواني قـال : حدثنا أبو داود الطيالسي قال : حدثنا عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن عبد الواحد بن أبي عون قال : مر علي بن أبي طالب رضي الله عنه يوم صفين وهـو متكيء على الاشتر ، فمر حابس اليماني ، وكان حابس من العبّاد ، فقال الأشتر : ياأمير المؤمنين حابس (١٠٨ ــ و) معهم ، عهدي به والله مؤمن ، فقال علي : وهو اليوم مؤمن .

قلت : وهذا حابس اليماني هو حابس بن سعد ، وقيل حابس بن ربيعة ، قيل إن له صحبة .

أنبأنا عمر بن محمد بن طَبَرْزَد عن أبي غالب بن البَناء قال :أخبرنا أبو محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو الفضل عبيد الله بن عبد الرحمن بن محمد الزهري قال : حدثنا أبو عمر حمزة بن القاسم بن عبد العزيز الهاشمي قال : حدثنا محمد بن عثمان قال : حدثنا أبو بلال الاشعري قال : حدثنا أبو معاوية محمد بن خازم عن محمد بن قيس عن سعد بن ابراهيم قال : خرج علي بن أبي طالب ذات يوم ومعه

عدي بن حاتم الطائي ، فاذا رجل من طيء قتيل قد قتله أصحاب علي ، فقال عدي : ياويح هذا كان أمس مسلما واليوم كافرا ، فقال علي : مهلا كان أمس مؤمنا ، وهـو اليـوم مؤمـن .

وأنبأنا تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ ، ونقلته أنا من خط الحافظ أبي القاسم ، قال أخبرنا أبـو سعد اسماعيل بن أحمد بن عبد الملك الفقيه قال أخبرنا القاضي أبو الفضل محمد بن أبي جعفر الهاشمي قال : أخبرنا القاضي أبو بكر أحمد بن محمد بن ابراهيم الصدفي المَرْوَزِي قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن محمد بن حليم المروزي الحليمي قال: أخبرنا أبو المُوَجه محمد بن عمرو بن الموجه الفزاري المَرْوَزي قال : أخبرنا الحكم (١٠٨ ــ ظ) بن موسى قال : حدثنا شُعيب بن إسحق عن محمد بن راشد عن مَكْحُول قال : سُئل علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن من قُتل بصفين ماهم ؟ قال : هم المؤمنون .

أنبأنا أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد القاضي قال : أخبرنا أبو القاسم بـن أبي محمد بن هبة الله قال : أنبأنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن أبي الحديد قال : أخبرنا جدي أبو عبد الله قال أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الربعي قال : أخبرنا أبو الحسين عبد الوهاب بن الحسن قال : أخبرنا محمد بن عبد الله بن عبد السلام قال : حدثنا محمد بن عمرو قال : حدثنا بَقِيَّة قال : حدثنا محمد بن راشد عن مكحول أن أصحاب علي سألوه عـن مـن قتلوا مـن أصحاب معاوية ، قال هم المؤمنون[1] .

وأخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد مشافهة عن أبي البركات عبد الوهاب بن المبارك الانماطي الحافظ قال : أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الطيوري ، قال : أخبرنا أبو بكر عبد الباقي بن عبد الكريم بن عمر قال : أخبرنا أبو الحسين عبد الرحمن بن عمر الخلال قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب

---

١ ــ ابن عساكر ١/٣٣٠ .

ابن شيبة قال : حدثنا جدي قال : حدثنا عبد الله بن محمد قال : حدثنا يحيى بن آدم قال : حدثنا أبو بكر بن عياش قال : حدثنا صلهب ، أبو أسد الفقعسي عن عمه قال : قال رجل يوم صفين من دعا إلى البغلة يوم كفر أهل الشام ؟ قال : فقال علي : من الكفر فروا .

أنبأنا القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الدمشقي ، وسمعت منه بها ، (١٠٩ ـ و) قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه ، إجازة إن لم يكن سماعا قال : حدثنا أبو محمد بن عبد العزيز بن أحمد الكتاني لفظا قال : أخبرنا أبو محمد ابن أبي نصر قال : أخبرنا أبو الميمون عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن راشد قال: حدثنا أبو زرعة عبد الرحمن بن عمرو النصري قال : حدثنا أبو نعيم قال : حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : سمع علي يوم الجمل أو يوم صفين رجلا يغلو في القول يقول : الكفره ، قال : لا تقولوا ، فانهم زعموا أنا بغينا عليهم ، وزعمنا أنهم بغوا علينا [1] .

وأخبرنا القاضي أبو القاسم إذنا قال : كتبت إلينا أبو بكر وجيه بن طاهر الشحامي قال : أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسن بن محمد الازهري قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن احمد بن محمد بن الحسن المخلدي قال : حدثنا أبو نعيم عبد الملك بن محمد بن عدي قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم قال : أخبرنا سعد بن سعيد قال : حدثنا سفيان عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : ذكر عند علي يوم صفين أو يوم الجمل ، فذكرنا الكفر قال : لا تقولوا ذلك ، زعموا أنا بغينا عليهم ، وزعمنا أنهم بغوا علينا ، فقاتلناهم على ذلك .

أنبأنا أبو الحسن بن المقير البغدادي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن أحمد ابن الخشاب قال : أخبرناأبو الحسين بن الفراء قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن بن ننجاب قال : حدثنا

---

١ ـ ابن عساكر ١ / ٣٢٨ ـ ٣٢٩ .

إبراهيم بن الحسين قال : حدثنا يحيى ــ يعني ابن سليمان ــ قال : حدثني سفيان (١٠٩ ــ ظ) ابن عُيينة عن عمرو بن دينار عن أبي فاختة قال : أتيت علياً يوم صفين بأسير ، فقال له الاسير : لا تقتلني ، فقال له علي : لا أقتلك صبرا « إني أخاف الله رب العالمين »[1] ، ثم قال له علي : أفيك خير ، أتبايع ؟ فقال الرجل : نعم ، فقال علي للذي جاء به : خذ سلاحه وخل سبيله .

وقال : حدثنا إبراهيم بن الحسين قال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : حدثنا الوليد بن بُكير التميمي عن سيف بن عمر عن مُجالد عن عامر الشعبي قال : سئل عن أهل الجمل وأهل صفين فقال : أهل الجنة لقي بعضهم بعضا ، فاستحيوا أن يفر بعضهم عن بعض .

أنبأنا عمر بن محمد بن طبرزد قال : أخبرنا أبــو القاسم بن السمرقندي ــ إجازه ان لم يكن سماعا ــ قال : أخبرنا أبو الحسين بن النقور قال : أخبرنا أبو طاهر المخلص قال : أخبرنا محمد بن هارون الحضرمي قال : حدثنا أبو هشام الرفاعي قال: حدثنا النضر بن منصور العبدي قال : حدثنا أبو الجنوب عُقبة بن علقمه اليشكري قال : شهدت مع علي صفين ، فأتي بخمسة عشر أسيرا من أصحاب معاوية ، فكان من مات منهم غسله وكفنه وصلى عليه .

وقد رواه إبراهيم بن الحسين ، فيما أجيز لنا بالاسناد المتقدم إليه ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر بن أبان قال : أخبرنا النضر بن منصور عن أبي الجنوب قال : شهدت مع علي صفين ، قال : فاسر علي من أصحاب معاوية خمسة عشر رجلا جرحى فلـم يزل يُداويهم يموت واحد بعد واحد ، يكفنهم ويصلي عليهم ويدفنهم (١١٠ ــ و).

أنبأنا ابن طبرزد قال : أنبأنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البنّاء قال : أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن بشران إجازة قال : أخبرنا أبو الحسن المراعيشي وأبو

---

١ ــ القرآن الكريم ، ســورة الحشــر ــ الآية : ١٦ .

العلاء علي بن عبد الرحمن بن غيلان الواسطي قالا : أخبرنا أبو عبد الله ابراهيم بن محمد بن عَرَفه نِفْطوَيه قال : حدثنا العباس بن محمد قال : حدثنا كثير بن هشام عن جعفر بن بُرقان عن عمرو بن ميمون عن أبي أُمامه قال : شهدت مع علي بن أبي طالب صفين ، فكانوا لا يجهزون على جريح ولا يتبعون مولياً .

قلت : وهذا كله حكم أهل البغي ، ولهذا قال أبو حنيفة : لولا ماسار علي فيهم ما علم أحد كيف السيرة في المسلمين .

أنبأنا أحمد بن أبي اليسر بن أبي المجد التنوخي قال : أخبرنا أبو محمدالنحوي كتابة ، قال : أخبرنا محمد بن محمد بن الحسين قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان أخبرنا أبو الحسن أحمد بن اسحق بن تنجاب الطيبي قال : حدثنا أبو إسحق إبراهيم ابن الحسين بن علي الهمذاني قال : حدثنا يحيى بن سليمان قال : حدثنا هُشيم بن بشير عن العوام بن حوشب عن بعض أشياخه قال : لما كان الموادعه بين علي ومعاوية توادعا الى رأس الحول بدومة الجندل .

قال : وكان أصحاب علي يصلون خلف أصحاب معاوية ، وكان أصحاب معاوية لا يصلون خلف أصحاب علي ، فذكر ذلك أصحاب علي لعلي ، فقال لهم : إذا استقبلوا بكم القبلة ، وقرأوابكم القرآن ، فصلوا خلفهم .

أخبرنا القاضي أبو القاسم بن الحرستاني إجازة (١١٠ ــ ظ) قال : أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي كتابة قال : أخبرنا أبو محمد أحمد وأبو الغنائم محمد ابنا علي بن الحسن بن أبي عثمان ، وأبو القاسم علي بن أحمد البُسْري ، وأبو طاهر أحمد بن محمد بن إبراهيم الغضاري ، وأبو الحسن علي بن محمد بن محمد الأنباري الخطيب قالوا : أخبرنا أبو عمر عبد الواحد بن محمد بن عبد الله بن مهدي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن يعقوب بن شيبة قال :حدثنا جدي يعقوب قال :حدثنا عثمان بن محمد قال : حدثنا أبو أسامة قال : حدثنا هشام بن عروة قال : أخبرني

عبد الله بن عروة قال : حدثني رجل شهد صفين قال : رأيت علياً خرج في بعض تلك الليالي فنظر إلى أهل الشام فقال : اللهم إغفر لي ولهم .

قال : فأتي عمار فأخبر فقال : جروا له الحصير فأجره لكم .

قال : وحدثنا جدي قال : حدثنا عثمان بن محمد قال : حدثنا وكيع عن حنش ابن الحارث عن رياح بن الحارث قال : قال عمار بن ياسر : لا تقولوا كفر أهل الشام ، قولوا ظلموا ، فسقوا .

قال : وحدثنا جدي قال : حدثنا ابن الاصبهاني وهو محمد بن سعيد قال : أخبرنا شريك عن حنش عن رياح بن الحارث قال : سمع عمار رجلا يقول : كفر أهل الشام ، قال : لم يكفروا ، إن حجتنا وحجتهم واحدة ، وقبلتنا وقبلتهم واحدة ، ولكنهم قوم مفتونون جاروا عن الحق ، فحق علينا أن نردهم إلى الحق .

قرأت في كتاب صفين تأليف أبي جعفر محمد بن خالد الهاشمي المعروف (١١١ ـ و) بابن أمه ، قال : حدثني الوليد بن مسلم قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز قال : لقي أبو قرّة حُدير السُلَمي كعب في فجٍ معلولا فقال : حدثني حديثا ينفعني الله به ، قال كيف بكم إذا قاتلتم أهل العاقول ؟ قال : قلت أمن المسلمين أم من المشركين ؟ قال : لا بل من المسلمين ، قلت أمن العرب أم من العجم ؟ قال : من العرب ، قلت لا يكون ذلك أبدا ، قال : بلى ، ثم عسى أن لا تنفك حتى تعور فيها عينك ، ويهدم فيها فوك ، فلما كان بصفين أصيبت عينه وهدم فوه ، حُصبت ورمي بجلمودة فذهب فوه .

أخبرنا ثابت بن مُشرف بن أبي سعد البغدادي كتابة ، وسمعت منه الكثير ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله بن الزاغوني قال : أخبرنا أبو الغنائم محمد ابن علي الدقاق قال : أخبرنا أبو الحسين بن بشران قال : أخبرنا أبو علي بن صفوان

قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا القرشي : قال : حدثنا عباد بن موسى قال : حدثنا علي بن ثابت الجزري عن سعيد بن أبي عروبة عن عمر بن عبد العزيز قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر جالسان عنده فسلمت وجلست، فبينا أنا جالس إذ أُتي بعلي عليه السلام ومعاوية رحمه الله ، وأُدخلا بيتاً وأجيف عليهما الباب ، وأنا أنظر ، فما كان بأسرع من أن خرج علي عليه السلام وهو يقول : قضي لي ورب الكعبة ، وما كان بأسرع أن خرج معاوية وهو يقول : غفر لي ورب الكعبة .

وقال : حدثنا (١١١ ـ ظ) ابن أبي الدنيا حدثني الحسين بن علي العجلي قال: حدثنا الحسين بن علي الجعفي قال : حدثنا سعيد بن عبد الرحمن الزبيري قال : رأيت في المنام كأن الناس حُشروا فأرى سواداً عظيماً ينطلقون ، فقلت : من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء المقتتلون من أصحاب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلت : فأين ينطلقون ؟ قالوا : إلى الجنة ، قلت : سبحان الله ، وبينما هم يتطاعنون بالرماح إذ صاروا إلى الجنة ! قال : فقالوا : وما تنكر من رحمة الله تعالى .

وأنبأنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد الصابوني قال : أنبأنا أبو محمد ابن أحمد النحوي قال : أخبرنا أبو الحسين بن الفراء قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن بن نجاب قال : حدثنا إبراهيم بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن سليمان قال : حدثنا يحيى بن اليمان قال : حدثنا سفيان الثوري عن الأعمش عن أبي وائل شقيق بن سلمة عن أبي ميسرة عمرو بن شرحبيل الهمداني قال : رأيت عمار بن ياسر وذا الكلاع في المنام في ثياب بيض بأقبية الجنة ، فقلت : ألم يقتل بعضكم بعضاً ؟ فقالوا : بلى ، ولكنا وجدنا الله واسع المغفرة .

وقال : حدثنا إبراهيم بن الحسين قال : حدثنا يحيى قال : حدثنا يزيد بن

هرون قال : أخبرنا العوام بن حوشب عن عمرو بن مرة عن أبي وائل قال : رأيت أبو مَيْسَرة ـ وكان من أفاضل أصحاب ابن مسعود ـ قال : رأيت في المنام كأني دخلت (١١٢ ـ و) الجنة فإذا قباب مضروبة ، فقلت لمن هذه ؟ فقالوا : لذي الكَلاع وحَوْشَب ، قال : وكانا ممن قتل مع مُعاوية بصِفِّين قال : فقلت فأين عَمَّار وأصحابه ؟ قالوا : أمامك ، قلت : قد قتل بعضهم بعضاً فقيل لي : إنهم لقوا الله فوجدوه واسع المغفرة ، قال : قلت : فما فعل أهل النَّهر ـ يعني الخوارج ـ قال : لقوا تَرحاً .

وأخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن محمود بن الأخضر في كتابه إلي من بغداد قال : أخبرنا أبو بكر بن عبيد الله قال : حدثنا محمد بن علي قال : أخبرنا علي ابن محمد قال : أخبرنا أبو علي البَرَدعي قال : حدثنا أبو بكر القرشي قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح قال : حدثنا أبو بكر بن عَيَاش عن عاصم بن بَهْدَله عن أبي وائل قال : قال عمرو بن شُرَحْبيل ليلة صِفِّين : رأيت في المنام البارحة كأنا وهؤلاء القوم جميعاً ، فَتَقَصَّ من بعضنا لبعض ، ثم أُدخلنا الجنة جميعاً .

قال : فكان أبو وائل يقول : إن صَدَقت رؤيا أبي مَيْسَرة .

* * *

الفصل الرابع

في ذكر ما جاء في الكف عن الخوض في حديث صفين

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن عبد الله بن رَواحة قراءة عليه ،قال أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الحافظ ــ إن لم يكن سماعاً فإجازة ــ قال : أخبرنا أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال : أخبرنا (١١٢ ــ ظ) محمد بن علي الصوري قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن حامد بن الحسن قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن سعيد المَوْصلي قال : حدثنا الحسن بن عُلَيْل قال : كتب إليّ يُونس بن عبد الأعلى في كتابه إليّ ، وحدثنا موسى بن أبي موسى قال : حدثنا يُونُس أنه سمع محمد بن إدريس قال : قيل لعمر ابن عبد العزيز ما تقول في أهل صِفّين ؟ قال : تلك دماء طهر الله يدي منها ، ولا أحب أن أخضب لساني فيها .

أخبرنا عَتيق بن أبي الفضل بن سَلامة السَلماني قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن إبراهيم النَسيب قال : أخبرنا رِشاء بن نظيف قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن اسماعيل بن محمد الضَرّاب قال حدثنا أبو بكر أحمد بن مروان المالكي قال : حدثنا محمد بن موسى قال : حدثنا محمد بن الحارث عن المدائني عن الحسن بن دينار قال : سُئل عمر بن عبد العزيز عن قتلى صِفّين فقال : تلك دماء طهر الله يدي منها ، فما لي أخضب لساني فيها ؟!

أنبأنا أبو الحسن بن أبي عبد الله بن المُقَيِّر عن عبد الله بن أحمد بن الخَشّاب قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن الفراء قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن الطّيبي قال : حدثنا إبراهيم بن الحسين ابن دَيْزيل قال : حدثنا عبد الله بن عمر قال : حدثنا الوليد بن بُكير التميمي عن سُفيان عن فُضيل بن غَزْوان عن أبي مَعْشر عن أن تميم قال : : كان إذا سئل عن أهل الجمل وأهل صِفّين قال : تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ، ولا يُسألون عما كانوا يعملون .

وأخبرنا عبد الله بن أبي علي الحَمَوي الأنصاري قراءة عليه قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ ـ إجازة إن لم يكن سماعاً ـ قال : أخبرنا أبو الحسين بن الطّيُوري ، بانتخابي عليه من أصول كتبه ، قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد العِتقي قال : حدثنا سهل قال : حدثنا محمود قال : حدثنا أبو شَريك قال : حدثنا يعقوب (١١٣ ـ و) ابن عبد الرحمن عن عُبَاية بن سُلَيْمان عن عثمان بن عمر التَيمي قال : بلغني أنه قدم ناس من أهل المشرق المدينة فاستدلوا على من يسألونه فأشاروا لهم إلى عبد الله بن عُتْبة ، فجلسوا إليه فقالوا : يا أبا محمد : ما تقول في أهل صِفّين ؟ فقال : أقول فيهم ما قال من هو خير مني لمن هو شر منهم ، عيسى بن مريم عليه السلام : « إن تعذبهم فإنهم عبادك وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم »(١) .

أخبرنا السلار بَهْرام بن محمود بن بختيار الأتابكي ، إجازة غير مرة ، وقد سمعت منه بظاهر مدينة دمشق ، قال : أخبرنا عبد الخالق بن أسد بن ثابت قال : أخبرني أبو العلاء أحمد بن محمد بن الفضل بأصبهان قال : أنبأنا أبو شجاع بن شَهردار الدّيلمي كتابة قال : سمعت أبا ثابت الديلمي يقول سمعت الإمام خالي أبا

١ ـ القرآن الكريم ، سورة المائدة ـ الآية : ١١٨ .

حاتم أحمد بن الحسن يقول : سمعت أحمد بن عبد الله بن الخضر المُقرِيء بباب الشام يقول : سمعت أبا علي الصَّواف يقول : سمعت عبد الله بن أحمد بن حنبل يقول : كنت جمعت شيئاً من حديث الصفين ــ صوابه صفين ــ والجمل ، فرأيت أبي رحمه الله في المنام عاضاً على إصْبَعِه يُهددني ويقول : جمعت حديث الفتنة ، فانتهيت عنه .



الفصل الخامس

في ذكر نبذة من حديث وقعة صفين

أنبأنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِنْدي شيخنا رحمه الله عن أبي بكر محمد ابن (١١٣ ــ ظ) عبد الباقي الأنصاري قال : أخبرنا أبو غالب محمد بن أحمد بن بِشران إجازة قال : أخبرنا أبو الحسين المراعيشي ، وأبو العلاء علي بن عبد الرحيم ابن غَيْلان الواسطي قالا : أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عَرفَه نِفْطَويه قال : وكانت وقعة صفين أول سنة سبع وثلاثين .

أنبأنا ابن طَبَرْزَد عن أبي القاسم بن السَّمرقندي قال : أخبرنا عمر بن عبيد الله قال : أخبرنا أبو الحسين بن بِشران قال : أخبرنا عثمان بن أحمد قال: حدثنا حَنْبَل ابن إسحق قال : حدثنا أبو كُريب قال : حدثنا وَكيع عن علي بن صالح عن أبيه عن أبي بكر بن عمرو قال : كان بين الجمل وبين صفين شهران أو نحوه ، وكانت صفين في سنة سبع وثلاثين .

وأنبأنا أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسن البغدادي عن أبي محمد عبد الله بن أحمد بن الخَشَّاب قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن محمد ين الحسين بن الفرّاء قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن الحسن بن أحمد بن الحسن الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد بن إبراهيم بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن أحمد ابن إسحق بن نِنْجاب الطيبي قال : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن الحسين بن ديزيل الهمذاني قال : حدثنا أبو نُعَيم الفضل بن دُكَين قال : حدثنا شريك بن عبد الله

النَخَعي عن مُجالد عن عامر عن مَسْروق عن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رحى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة ، فإن يصطلحوا فيما بينهم يأكلوا الدنيا سبعين عاماً رغداً ، وإن يقتتلوا يركبوا سنن من كان قبلهم » .

قال : وأخبرنا أبراهيم — يعني ابن ديزيل — قال : حدثنا أبو نُعيم قال : حدثنا شَريك عن منصور عن رَبعي بن خِراش عن البَراء بن ناجيه قال : قال عبد الله قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن رحى الإسلام ستزول بعد خمس وثلاثين سنة أو ست وثلاثين أو (١١٤ — و) سبع وثلاثين ، فإن يهلكوا فسبيل من هلك ، وإن يقم لهم دينهم يقم سبعين عاماً » . قال عثمان : يا نبي الله مما مضى أو مما بقي ؟ قال : مما بقي .

وقال : حدثنا إبراهيم — يعني ابن ديزيل — قال : قالوا : وسار معاوية حتى ورد صفين في النصف من المحرم ، فسبق إلى سهولة المنزل ، وسعة المناخ وقرب الماء من الفرات ، وبنى قصراً لبيت ماله .

وقال إبراهيم حدثنا يحيى — يعني ابن سليمان — قال : حدثنا إبراهيم عن أبي يوسف عن المُجالد عن عامرٍ أن علياً قدم صفين في المحرم سنة سبع وثلاثين ، لسبع أو ثمان بقيت من المحرم ، فأقاموا سلخ المحرم ، ثم اقتتلوا .

وذكر أبو يوسف أيضاً عن أبي بكر الهُذَلي أنهم التقوا في المحرم .

وقال إبراهيم بن ديزيل : حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : حدثنا صفوان ابن عمرو قال : وكان أهل الشام ستين ألفاً ، فقتل منهم عشرون ألفاً ، وكان أهل العراق مائة وعشرين ألفاً ، فقتل منهم أربعون ألفاً .

وقرأت في كتاب صفين تأليف أبي جعفر محمد بن خالد الهاشمي ، قالوا بأسنادهم عن أبي مِخْنَف لُوط بن يحيى : قال : حدثني الحارث بن كعب الوالبي

عن عبد الرحمن بن عبيد أبي الكَنُود قال : نزل معاوية بن أبي سفيان صفين في ثلاثة وثمانين ألفاً .

قال : وحدثني أبو مُسْهِر قال : سمعت المشايخ يقولون ذلك أيضاً أن معاوية ابن أبي سفيان في ثلاثة وثمانين ألفاً .

قال محمد بن خالد : قلت للوليد بن مُسْلم : إن أبا مسهر حدثني أن معاوية نزل صفين في ثلاثة (١١٤ ـ ظ) وثمانين ألفاً ، فقال : صدق لم أزل أسمع الجند يقولون ذلك .

وقرأت بخط بَنُوسَه وراق بني مُقْلة عن أبي الحسن المدائني أن أبا الحسن ابن أبي نعيم الفضل بن دُكَيْن قال : حدثنا جرير بن حازم عن يُونُس بن خَبَّاب قال : شهد مع علي بن أبي طالب يوم صفين ثمانون بدرياً .

وأنبأنا أبو العلاء أحمد بن شاكر قال : أخبرنا أبو محمد بن أحمد النحوي قال: أخبرنا محمد بن محمد قال : أخبرنا أبو طاهر الباقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : أخبرنا أبو الحسن الطَّيِّبي قال : حدثنا أبو إسحق الكِسائي قال : حدثنا يحيى ـ يعني ابن سُلَيْمان ـ قال : حدثنا محمد بن عَميرة النخعي قال : حدثنا أبو إسرائيل العبسي عن الحكم بن عُتَيبة قال : شهد صفين مع علي رضي الله عنه ثمانون بدرياً ، وخمسون ومائة ممن بايع تحت الشجرة .

وقال أبو إسحق : حدثنا يحيى قال : حدثني سيف الضَّبي قال : أقام علي ومعاوية بصفين سبعة أشهر أو قال : تسعة أشهر ، وكانت بينهم قبل القتال نحواً من سبعين زحفاً ، وقتل في ثلاثة أيام من شهر أيام البيض ، ثلاث عشرة ، وأربع عشرة، وخمس عشرة ، ثلاثة وسبعون ألفاً من الفريقين .

وقال أبو إسحق حدثنا يحيى قال : حدثنا ابن زياد قال : حدثنا أبو عبد الله

الثُمالي عن مَعْمر عن الزُهْري قال : إلتقى علي ومعاوية بصفين فاقتتلوا زماناً ، فلقد بلغني أنه كان يُدفن في القبر خمسون إنساناً .

قال مَعْمر : فلقد رأيتها مَدَّ البصر ، يعني قبورهم .

وقال أبو إسحق : حدثنا عُقبة بن مُكْرم الكوفي قال : حدثنا يونس عن عمرو ابن شَمر عن جابر عن محمد بن علي ومحمد بن المطلب وزيد بن حسن قالوا : شهد مع علي بن أبي طالب في حربه من أصحاب بدر سبعون رجلاً ، وشهد معه ممن بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل (١١٥ – و) فيما لا يُحصى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد معه من التابعين ثلاثة بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد لهم بالجنة ، أُويس القَرَني ، وزيد بن صُوحان ، وجُندب الخير ، فأما أويس القرني فقتل في الرَجَّالة يوم صفين ، وأما زيد بن صوحان فقتل يوم الجمل .

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن طَبَرْزَد المؤدب إذناً قال : أخبرنا أبو غالب أحمد بن الحسن بن البنّاء إجازة قال : أخبرنا أبو غالب بن بِشران إجازة قال : أخبرنا أبو الحسين المَراعيشي وأبو العلاء الواسطي قالا : أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم ابن محمد بن عرفه نِفْطَوَيه قال : أخبرني محمد بن عيسى الأنصاري عن عبيد الله بن محمد التيمي عن إسماعيل بن عمرو البَجَلي عن حبان بن علي عن سعد بن طريف عن الأصبغ بن نُباته عن علي بن أبي طالب رحمه الله أنه قال : يوم صفين : من يبايعني على الموت ؟ فقام تسعة وتسعون رجلاً فبايعوه ، فقال : أين التمام الذي وُعدت ؟ فقام إليه رجل من أخريات الناس محلوق الرأس ، عليه أطمار من صوف فبايعه ، فإذا هو أويس القرني ، فقاتلوا فقتلوا .

أنبأنا أبو الحسن بن المُقَيَّر قال : أخبرنا محمد بن ناصر إجازة ، قال : أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الله الأنماطي المعروف بابن اللاعِب قال : أخبرنا أبو حامد أحمد بن الحسين المَرْوَزي الحاكم

قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن الحارث بن محمد بن عبد الكريم المروزي قـال : حدثنا جدي أبو جعفر محمد بن عبد الكريم قال : حدثنا الهيثم بن عدي (١١٥ــظ) قال : أخبرنا يونس بن أبي إسحق قال : حدثني أبي قال : قلت لأبي : أي أبة أشهدت صفين ؟ قال : نعم ، لقد رأيت عجباً ، لقد شهدتهم يوماً ، وشجرونا بالرماح وشجرناهم بها حتى لو شاء رجل أن يمشي عليها لمشى ، أسمع من ها هنا لا إله إلا الله والله أكبر ، ومن ها هنا لا إله الا الله والله أكبر ، ثم رأيتهم يوماً آخر ، ودلفوا إلينا ودلفنا إليهم فإذا رجل قد نذر[1] بين الصفين على رأسٍ أحوى ذنوب ، حتى إذا كان بين الصفين لا يُدرى أهو إلينا أقرب أم إلى أهل الشام ، إستدبر أهل الشام ، واستقبلنا ، فـإذا هو الأشتر ، فقال : أيها المسلمون أقَدْكُم من ربكم ، لقـد أسأتم الضِّراب أمس ، عَضٌ من ها هنا بِهَن[2] أمه ، استقبلوا القوم بالهام وخـذوا قوابـع سيوفكـم بأيمانكم وعَضوا على النواجذ واطعنوا في الشَراشيف اليسرى فإنهـا مقاتل ، ثـم إلتقى القوم ، فقتلوا منا صفوفاً خمسة وقتلنا منهم مثلها ، فأفضينا إلى الصف السادس أو السابع وقد عقلوا أنفسهم بالعمائم ، فو الله الذي لا إله غيره ما كان عندهم ولا عندهم إلاّ العناق والكدم ، فقلت : أي أبة لقد صبرتم ، قال : أي بني إنها واللـه كانت العرب ليس فيها شائبة (١١٦ ــ و) ★ .

* * *

١ ــ اي طلــع .

٢ ــ الهــن : الفــرج .

★ ــ نهاية الجزء السابع وقد كتب ابن العديم في الحاشية سماعا نصه : بلغ بدر الدين عبد الواحد قراءة .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـه ثقتي

أخبرنا أبو محمد أحمد بن الأزهر بن عبد الوهاب السباك في كتابه الينا من بغداد أن القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي أخبرهم كتابة عن أبي غالب محمد ابن أحمد بن بشران قال : أخبرنا أبو الحسين المراعيشي وأبو العلاء علي بن عبد الرحيم بن غيلان الواسطي قالا : أخبرنا أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة قال: أخبرني محمد بن عيسى الأنصاري عن ابن عائشة قال : لما ورد أصحاب معاوية صفين بادأهم أصحاب علي بالقتال ، فقتلوا منهم جماعة ، فكتب معاوية الى علي رحمه الله .

أُزْجُر حمارك لايرتع بروضتنا إذاً يُردّ وقيد العَير مكروب
إن تقبلوا الحق نُعط الحق سائله والدرع مُحقبة[1] والسيف مقروب

فكتب إليه علي عافانا الله واياك ، فكان أول من كتب بها ، فلما ورد عليّ صفين قيل له : يا أمير المؤمنين جاءتك كتائب الشام كأنها موج البحر وقطع السحاب وظلمة الليل ، يسوقها معاوية ، ويحدوها أبو الأعور ، ويقدمها عمرو بن العاص وهو يقول :

لا تحسبنّي ياعلي غافلاً لأُصبحَنّ الكوفة القنابلا
والخيل والخطيّة الذوابلا من عامنا العام وعاماً قابلا

١ ـ الحقب : الحزام (القاموس) .

فقال علي : ما يقول ابن النابغة ؟ (١١٦ ـ ظ) .

لأصبحن العاصي بن العاصي سبعين ألفاً عاقدي النواصي
مستحقبين حلق الدلاص مجتنبين الخيل بالقلاص [١]
أشبال غيل حين لامناص

فبادر أبو الاعور السلمي الى ماء الفرات ، فصف خيله عليه ومنعه أصحاب علي ، فشاور معاوية أصحابه ، فقال له عمرو بن العاص : خل لهم عن الماء فان ابن أبي طالب لا يعطش وبيده أعنة الخيل ، فبعث علي الى معاوية إنا وإياك جئنا لأمر فخل لنا عن الماء وإلا تجالدنا عليه ، فبعث معاوية الى أبي الأعور خل لهم عن الماء ، فبعث إليه والله لا شربوا منه شربة وفي شيء من الروح ، وقال له ابن أبي سرح : اقتلهم عطشا قتلهم الله كما قتلوا أمير المؤمنين عثمان عطشا ، فقال معاوية : إن عمرا أعلم منكما ، وأبى أبو الأعور أن يخلي لهم عن الماء ، فحمل الأشعث بن قيس في إثني عشر ألفا ، فكشفهم عن الماء ، فقال علي : هذا يوم نصرتنا فيه الحمية، فقال رجل ممن كان في عسكر علي :

ألا تتقون الله إذ تمنعوننا الـ ـفرات وتروى بالفرات الثعالب
وقد وعدونا الأحمرين فلم نجد لهم أحمراً إلا قراع الكتائب [٢]

وخرج علي يستعرض عسكر معاوية على بغل له قصير، وفرسه تحت غلام له وراءه، فهموا به ، فقال علي لغلامه : انزل عن الأدهم لا أبالك ، ثم بعث الى هاشم بن عتبة ، وهو المرقال ، وكان صاحب لواء علي يوم (١١٧ ـ و) صفين ، أن إحمل بلوائك ، فحمل به ، وسطع الغبار حتى حال بينهم وبين السماء ، وثبت العسكران فقال هاشم بن عتبة : والله ان لهؤلاء القوم لشأنا والله ماحملت بلوائي هذا على

١ ـ انظر صفين لنصر بن مزاحم ، ١٥٣ .
٢ ـ انظر صفين لنصر بن مزاحم ، ١٨٧ .

عسكر قط إلاّ زعزعته ، وتجالد العسكران بالسيوف ، وحمل المرقال وهو يقول :

أعور يبغـي أهلـه محـلاّ قد عالج الحياة حتى مـلاّ

لابـد أن يقتـل أو يفـلاّ (١)

وأخبرنا أبو الحسن علي بن محمود بن أحمد اجازة قال : أنبأنا أبو محمد عبد الله بن أحمد قال : أخبرنا أبو الحسين بن الفراء قال : أخبرنا أبو طاهر البـاقلاني قال : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : حدثنا أبو الحسن بن نجاب قال : حدثنـا ابراهيم بن الحسين قال : حدثنا يحيى بن سليمان حدثني نصر بن مزاحم قـال : حدثني عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بـن علي وزيـد بـن الحسن بن علي ، ورجل منهم آخر قد سماه ، قالوا : استعمل علي على مقدمتـه الأشتر النخعي ثم سار في خمسين ومائة ألف ، وسار اليه معاوية في نحو من ذلك من أهل الشام ، واستعمل على مقدمته أبا الأعور السلمي سفيان بن عمرو حتـى توافقا بقناصرين الى جانب صفين ، فأتى الأشتر وأبو الأعور قد سبقه الى المعسكر وكان الأشتر في أربعة آلاف من مستنصري أهل العراق ، فأزالوا أبا الأعور عـن معسكره ، وأقبل معاوية في جمع الفيلق ، فلما رأى ذلك (١١٧ ـ ظ) الأشتـر إنحاز الى علي ، وغلب معاوية ، وأقبل معاوية على الماء وحـال بين أهل العراق وبينه ، وأقبل علي حتى اذا أراد المعسكر حالوا بينه وبين الماء .

وقال ابراهيم بن الحسين حدثنا يحيى قال : حدثنا نصر بن مزاحم قال : حدثنا عمر ـ يعني ابن سعد الأسدي ـ في اسناده الاول ـ يعني عن رجل من الانصار عن الحارث بن حصيرة عن أبي الكنود وعن غيره ـ أن علياً أقبل يومئذ يطلـب موضعا لمعسكره ، وأمن الناس فوضعوا أثقالهم ، وهم مائة ألف أو يزيدون ، فلما

١ ـ نفس المصـدر ٣٧١ .

نزلوا أسرع فوارس من فرسان علي على خيلهم الى أصحاب معاوية ، وكانوا في ثلاثين ومائة ألف فناوشوهم القتال فاقتتلوا هويا [1] .

قال ابراهيم بن الحسين حدثنا يحيى قال : حدثنا ابراهيم عن أبي يوسف عن أبي بكر الهذلي أن معاوية لما قدم عليه علي وأصحابه بصفين اقتتلوا على الإبل يجنبون الخيل ، فقال معاوية لعمرو ويحك ياعمرو لقد وفى علي بن أبي طالب بقوله :

مُجنَّبين [2] الخيل بالقلاص

وقال ابراهيم بن الحسين قال : حدثنا يحيى قال : حدثنا نصر قال : حدثنا عمرو بن شمر عن جابر الجعفي عن أبي الطفيل قال : لما انسلخ المحرم من سنة سبع وثلاثين واستهل صفر بعث علي عليه السلام نفرا من أصحابه حتى اذا كانوا من عسكر معاوية حيث يسمعونهم الصوت قام يزيد بن الحارث الجشمي فنادى يا أهل الشام : ان أمير المؤمنين عليا وأصحاب رسول الله صلى الله (١١٨ـ و) عليه وسلم يقولون لكم : إنا والله ما كففنا عنكم شكاً في أمركم ولا بقيا عليكم وإنما كففنا لدخول المحرم ، وقد انسلخ ، وقد نبذنا اليكم على سواء « إن الله لا يحب الخائنين [3] » فتحاجز الناس وثاروا الى أمرائهم [4] .

وقال : حدثنا يحيى قال : حدثنا نصر قال : حدثنا عمرو بن شمر عن أبي الزبير قال : كانت وقعة صفين في صفر [5] .

١ ـ المصدر نفسه ١٧٤ ـ ٧٦ .

٢ ـ كذا في الاصل ولقد سبق لابن العديم أن أوردها : مجتنبين .

٣ ـ القرآن الكريم ، سورة الانفال ، الآية واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين : ٥٨ .

٤ ـ صفين لنصر بن مزاحم ٢٢٨ .

٥ ـ المصدر نفسه ٢٢٩ .

وقال : حدثنا يحيى بن سليمان الجعفي قال : حدثني ابن وهب قال : أخبرني يونس عن ابن شهاب قال : لما خرج علي بمن معه يؤم معاوية وأهل الشام ،وخرج إليه معاوية بأهل الشام حتى التقوا بصفين فاقتتلوا قتالا شديدا لم تقتتل الأمة مثله قط .

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد المؤدب اذنا عن أبي غالب أحمد بن الحسن ابن البناء عن أبي غالب محمد بن أحمد قال : أخبرنا أبو الحسين المراعيشي وأبو العلاء الواسطي قالا : أخبرنا أبو عبد الله نفطويه قال : وقال عوانه بن الحكم كانت وقعات صفين أربعين وقعة كلها لاهل العراق على أهل الشام ، فلما خاف عمرو على أهل الشام أشار على معاوية برفع المصاحف ، ففتر أهل العراق ، ودعوا الى حكم المصاحف ، وحكم الحكمان .

أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين الانصاري قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد ابن محمد الحافظ ــ اجازة ان لم يكن سماعا ــ قال : أخبرنا أبو الحسين (١١٨ ــظ) المبارك بن عبد الجبار الصيرفي قال : حدثنا أبو عبد الله الصوري قال : أخبرنا أبو الحسين الغساني قال : حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الهزاني قال : حدثنا العباس بن الفرح الرياشي عن الاصمعي عن شيخ من أهل الكوفة قال : قال زبيد اليامي ــ وهو حي من همدان ــ خرج من همدان الى صفين اثنا عشر ألف رجل فما رجع منهم الا خمسة أو ستة .

أنبأنا أبو العلاء بن سليمان المعري أن أبا محمد عبد الله بن أحمد بن الخشاب أخبرهم اجازة قال : أخبرنا أبو الحسين بن محمد قال : أخبرنا أحمد بن الحسين قال : أخبرنا أبو علي بن أحمد قال : حدثنا أحمد بن اسحق قال : أخبرنا أبو اسحق الهمذاني قال : حدثنا يحيى بن سليمان قال : حدثني نصر بن مزاحم عن

عمر بن سعد باسناده قال : افترقوا على سبعين ألف قتيل ، فلما صدر علي والناس من صفين أنشأ علي يقول :

وكم قد تركنا في دمشق وأرضها ... من أشمط موتور وشمطاء ثاكل
وغانيةٍ صاد الرماح حليلها ... فأضحت تُعدُّ اليوم إحدى الأرامل
تبكّي على بعلٍ لها راح غازياً ... فليس الى يوم الحساب بقافل
وإنا أُناسٌ ما تصيب رماحنا ... إذا ما طعنا القوم غير المقاتل (١)

* * *

١ ـ صفين لنصر بن مزاحم ، ٥٦٤ .

باب في ذكر حصون لم يقع لها ذكر في الفتوح

ولا ورد في كتب الممالك والبلدان عنها خبر مشروح (١١٩ — و)
وهي زماننا معدودة من البلاد موصوفة بالحصانة مشحونة بالاجناد ، وهي من أعمال حلب وبقاعها وحصونها المتعلقة بها وقلاعها . فمن ذلك .

تـل باشر

وهي بلدة مشهورة ، ولها قلعة معمورة وبساتينها كثيرة ، ومياهها غزيرة ، وأجاصها موصوف مذكور ، وشرب بلدها جميعه من نهر الساجور ، وهو نهر أصله من عين تاب ، تجتمع اليه عيون ببلد عين تاب ، ويجري الى قرية تعرف بالنفاخ ، وتجتمع اليه عيون أخر من بلد تل باشر ، ثم ينتهي الى الفرات ويصب فيه ، وللساجور ذكر في الفتوح ، ونزله أبو عبيدة رضي الله عنه عند فتح منبج ، واياه عنى البحتري بقوله :

ياخليلي بالسواجير من عمـرو بن وُدٍّ وبحتـر بن عتـود
إطلبا ثالثاً سواي فإنـي رابعُ العيس والفلا والبيد [٣]

جمعه على السواجير لأنه جعل كل نهر يجتمع الى الساجور مسمى بالساجور .

وتل باشر كانت قلعة للجوسلين الارمني فعمرها وحصنها ، وكان أهلها أرمن وخرج يوما متنزها ومتصيدا في خف من أصحابه ، فصادفه التركمان فأحاطوا به

٣ — ديوانه ، ٦٣٣ ، مع بعض التباين في الرواية .

وبمن معه وحملوه الى نور الدين ، فأعطاهم عشرة ألاف دينار ، وسير الأمير حسان المنبجي فتسلمها وذلك في سنة ست وأربعين وخمسمائة ، وصارت بعد ذلك للامير بدر الدين دلدرم بن ياروق فحصنها وبناها وعمر فيها أبنية (١١٩ـظ) حسنة ومنازل مزخرفة ، وسكنها المسلمون واتسع ربضها ، وصار بها قاض ومنبر وخطيب [1] .



١ ـ اظنها تعرف الآن باسم تل تاجر ، وتل باجر هي قرية تابعة لمحافظة حلب في الجمهورية العربية السورية ، ويصلها بحلب طريق ترابي طوله ـ ٤٠ ـ كم انظر التقسيمات الادارية ، ص ٣١٠ .

في ذكر عين تاب

وهي قلعة حصينة كانت لجوسلين المذكور ، فلما جرى عليه ما جرى ، وصار في أسر نور الدين محمود رحمه الله ، سار نور الدين إلى بلاده وقلاعه ففتحها ومن جملتها عين تاب ، ورتب فيها الرجال والعُدَد والذخائر ، وصارت إلى . . . . . [1] فعمرها وحصَّنها وصارت الى ولده من بعده ؛ فلما مات تسلمها أتابك طُغْرِل الظاهري للملك العزيز محمد بن الملك الظاهر ، ثم أنه سلمها إلى الملك الصالح أحمد ابن الملك الظاهر ، فسكنها وبنى بالقلعة آدراً حسنه وتنوع في زخرفتها بالرُخام والذهب ، وبنى أصحابه في الرَبَض منازل سكنوها ، وبنى فيها جَوْسقاً تنوق في بنائه ومنجوره وزخرفته بالرخام والذهب ، وعمله في بستان كبير نصب فيه صنوفاً كثيرة من الفواكه ، وصارت الأخشاب تحمل من بلاد الأرمن ومَرْعَش إليها ، وتباع بها وتنقل منها إلى البلاد وصار بها قاض ومنبر وخطيب .

* * *

١ ــ فراغ في الاصل ، وعندما أتى ابن العديم على ذكر هذا الحادث في كتابه زبدة الحلب ٢/٣٠٢ـ٣٠٣ لم يقدم ما يساعد على ملأ هذا الفراغ ، انما ذكر في ١٣٨/٣ أن صاحبها زمن الملك الظاهر سنة ٥٩٢ كان يدعى حسام الدين بن ناصر الدين .

في ذكر الراوندان

وهي قلعة صغيرة على رأس جبل عالٍ منفرد في مكانه لا يحكم عليها منجنيق ولا يصل إليها نبل ولها رَبَض صغير في لحف جبلها وهي من أقوى القلاع (١٢٠ـو) وأحسن البقاع ، ويحف بالقلعة واد من جهة الغرب والشمال هو كالخندق ، وفيه نهر جار ، وصعدت إلى هذه القلعة راكباً فوجدت مشقة عظيمة ، لعلوها وضيق المسلك إليها .

أنبأنا أبو عبد الله محمد بن أحمد القُرطبي عن مؤيد الدولة أسامة بن مرشد ابن علي بن مُنقذ قال : تل هَراق والراوندان هذان المركزان من أعمال حلب وكان فيهما ولاة الملك رضوان بن تاج الدولة ، فكان يلي تل هراق عِزّك بن الوزير أبي النجم ، وكان الملك رضوان ينادمه ويضحك من حكاياته فشرب عنده ليلة فعربد عليه الملك رضوان وضربه ، فخرج من المجلس وسار من حلب ووصل إلى شَيَزر وعليه آثار العربدة وعيناه مخضرتان ، فحكى يوماً قال : بلغني أن بالراوندان أُسارى أفرنج وقد وثبوا في حصنها وملكوه ، فسرت من تل هراق إلى الراوندان نزلت عليه وراسلت الأفرنج الذين ملكوه وتلطفت في أمرهم الى أن استقر أني أحلف لهم أنهم آمنون وأني أسيرهم إلى أنطاكية ويسلموا لي الحصن ، فحلفت لهم ، وخرجوا وأطلقتهم وتسلمت الحصن واعتقدت أنني قد خدمت الملك رضوان خدمةً يراها لي لاستخلاص الحصن مع قربه من الفرنج ، فلما وصلت حلب بلغني أن الملك رضوان قال لما بلغه الخبر قد ضيَّع علي عِزّك ألف دينار ثمن الأسارى ، فجلست من الغد في الدركاه والأمراء فيها مجتمعون وقلت : سمعت أن مولانا قال : ضيع علي عزك من ثمن الأسارى ألف دينار[1] . . . . .

١ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : تمامه في الورقة الزائدة ، وقد ضاعت هذه الورقة ، ولم أجد الخبر في أي من كتب أسامه المنشورة .

ذكر المرزبان واسمها الصحيح البرسمان

فغيّر ، وغلب هذا الاسم عليها ، ولها قلعة قد تشعثت وتهدمت، وهي قرية كبيرة وأهلها أرمن أهل ذمة ، وكانت في يد قِلِيج أَرْسلان بن مسعود بن قليج أرسلان السلجوقي ، فاستولى عليها نور الدين محمود بن زنكي وأخذها من يده ، والسبب في ذلك أن الملك المسمى ذُو النُّون بن الدانشمند كانت مَلَطْيَّه وسِيواس وغيرهما في يده ، فضايقه قليج أرسلان وقوي عليه فأخذ بلاده من يده ، فقصد نور الدين محمود بن زنكي وتعلق به ، فأكرمه وأحسن إليه وشفع فيه إلى قليج أرسلان فلم يشفعه ، فدخل إلى بلاده واستولى على البلاد الشامية منها مثل المَرْزبان وكَيْسُوم ومَرْعَش وبَهَسْنى ، وعجز قليج أرسلان عن مقاومته، وتحرك الفرنج بنواحي حمص فعاد نور الدين بسببهم .

* * *

ذكـر بهسنى

وهي قلعة عظيمة حصينة مانعة ، ولها رَبَض كبير يسكنه جماعة من المسلمين والأرمن ، وبلدها بلد حسن كثير الخيرات ، وبها قاضٍ ومنبر وخطيب وحولها أنهار وبساتين كثيرة ، وهي على تخم بلاد الروم الإسلامية (١٢٠ ــ ظ) وهي من جملة ما انتزعه نور الدين محمود بن زنكي من البلاد الشامية من يد قليج أرسلان للسبب الذي ذكرناه وكان ذلك في سنة ثمان وخمسين وخمسمائة .

ولما توفي الملك الظاهر غازي رحمه الله خرج ملك الروم كِيكاوس بن كِيخُسرو بن قليج أرسلان ، فقصد بلاد الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر فافتتح منبج ورَعْبان والمَرْزُبان ، وكان قد نزل إليه الطنبُغا الظاهري ، وكان ببهسنى ، فعصى على الملك العزيز وانضوى إلى كيكاوس وصار في عسكره ، وفتح تل باشِر من يد ولد دُلدرم ، فاستدعى أتابك طغرل الملك الأشرف موسى بن الملك العادل في سنة خمس وعشرة وستمائة ، فوصل إلى حلب ودفع كيكاوس عنها على ما نذكره فيما يأتي من ترجمتهما إن شاء الله .

وعاد الطنبغا مع كيكاوس فطلب منه تسليم بهسنى فامتنع من ذلك ، فأحضر تحت القلعة وعُذّب بأنواع العذاب ، فأمر الولاة بها بالتسليم إليه ، فلم يفعلوا ، فمات تحت العقوبة ، ورحل كيكاوس عنها وكان بها والدة الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر ، وهي زوج الطنبغا وأولادها منه ، فاتفق الأمر معها ومع ولاة بهسنى على أن عوضهم أتابك طغرل بقلعة عَزاز ومواضع من بلدها ، وتسلم منهم بهسنى للملك العزيز رحمه الله .

ذكر الشغر وبكاس

وهما قلعتان قويتان من أعمال حلب من النواحي الغربية ، والشُغْر قلعة (١٢١ – و)★ صغيرة قريبة من بَكَاس يُعبر من أحديهما إلى الأخرى بجسر ،وهما على جانب نهر الأُرنط المعروف بالعاصي ، ولِبَكَاس نهر يخرج من تحتها ، وهما في غاية المنعة والقوة .

وكانت هاتان القلعتان في يد الفرنج ففتحهما الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب رحمه الله على ما أخبرني به القاضي بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال : وسرنا حتى أتينا بكاس ، وهي قلعة حصينة على جانب العاصي ، وكان النزول بذلك المنزل يوم الثلاثاء سادس جمادى الآخره ، وكان المنزل على شاطىء العاصي ، وصعد السلطان الملك الناصر إلى القلعة جريدة ، وهي على جبل يطل على العاصي ، فأحدق بها من كل جانب ، وقاتلها قتالاً شديداً بالمنجنيقات والزحف المضايق إلى يوم الجمعة أيضاً تاسع جمادى الآخره ، ويسر الله فتحها عنوة ، وأسر من فيها بعد قَتل من قُتل منهم ، وغَنم جميع ما كان فيها ، وكان لها قُليعة تسمى الشُغْر قريبا منها ، يُعبر إليها منها بجسر ، وهي في غاية المَنْعَة ليس إليها طريق ، فسلطت عليها المنجنيقات من الجوانب ، ورأوا أنهم لا ناصر لهم ، فطلبوا الأمان وذلك في يوم الثلاثاء ثالث عشره ، وسألوا أن يُؤخَّروا ثلاثة أيام لإستئذان من بأنطاكية يسر الله فتحها ، فأذن في ذلك ، وكان تمام فتحها وصعود العلم السلطاني على قلتها يوم الجمعة سادس عشره (١) .

★ – كتب ابن العديم في الحاشية سماعا نصه : بلغ الولد محمد قراءة ، وسمع أخوه عبد الرحمن وابن أخته محمد ، في الثاني عشر من ذي الحجة من سنة خمس وخمسين وستمائة .

١ – انظر النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية (سيرة صلاح الدين الايوبي) للقاضي بهاء الدين المعروف بابن شداد . ط . القاهرة ١٩٠٣ ، ص ٦٠ – ٦١ .

ذكر حصن برزويه والآن يعرف بحصن برزيه (١٢١ ــ ظ)

وهو حصن منيع يضرب المثل بحصانته ومنعته فيقول الناس : كأنه في حصن بُرْزَيه ، وكان الفرنج قد استولوا عليه ففتحه الملك الناصر يوسف بن أيوب من أيديهم كما أخبرني به شيخنا بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال بعد ذكر فتح بكاس : ثم سار السلطان رحمة الله عليه جريدة إلى قلعة بُرْزَيه وهي قلعة حصينة في غاية القوة والمنعة على سن جبل شاهق يضرب بها المثل في جميع بلاد الفرنج والمسلمين ، يحيط بها أودية من سائر جوانبها ، وذَرَع علو قلتها فكان خمسمائة ذراع ونيفاً وسبعين ذراعاً ، ثم حرر عزمه على حصارها بعد رؤيتها ، واستدعى الثَقَل ، فكان وصول الثقل وبقية العسكر يوم السبت رابع عشري جمادى الآخرة ، ونزل الثقل تحت جبلها ، وفي بكرة الأحد خامس وعشرين منه صعد السلطان رحمه الله جريدة مع المقاتلة والمنجنيقات وآلات الحصار إلى الجبل ، فأحدق بالقلعة من سائر نواحيها ، ورَكَّب القتال عليها من كل جانب وضرب أسوارها بالمنجنيقات المتواترة الضرب ليلاً ونهاراً ، وقاتلها فقسم العسكر ثلاثة أقسام ، كل قسم يقاتل شطراً من النهار ثم يستريح ، وضرس الناس من القتال وتراجعوا عنه ، وتسلم النوبة الثانية السلطان رحمه الله بنفسه وركب وتحرك خطوات عدة وصاح في الناس فحملوا عليها حملة الرجل الواحد ، وصاحوا صيحة الرجل الواحد (١٣٢ ــ و) وقصدوا السور من كل جانب فلم يكن إلاّ بعض ساعة وقد رقى الناس على الأسوار وهجموا القلعة واستغاثوا الأمان ، وقد تمكنت الأيدي منهم « فلم يك

ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا »[1] ، ونهب جميع ما فيها وأسر جميع من كان فيها ، وكان قد أوى إليها خلق عظيم ، وكانت من قلاعهم المذكورة[2] .

قلت وقد بقي حصون لحلب وأعمالها خربت بالكلية وأمحي رسمها وبقي اسمها مثل زَرْدنا من بلد الجزْر والأثارِب ، وقد خرج منها بعض الرواة ، وكفر لاثا من جبل بني عُليم وغيرها لم أذكرها لعدم الفائدة في ذكرها .

فإن جاء في أثناء كتابنا هذا ذكر لشيء منها أو اسم يُنسب إلى شيء منها نبهت عليه في موضعه ، وكذلك لها حصون صغيرة وليست مشهورة ولا مذكورة لم أذكرها خوفاً من الإطالة ، وتحامياً عما يفضي إلى الملاله .

* * *

١ ــ القرآن الكريم ، سورة غافر ، الآية « فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون » ، : ٨٥ .
٢ ــ النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية ، ٦١ ــ ٦٢ .

باب في ذكر عربسوس

وهي مدينة قد ذكر أنها من ثغور الشام ، وبعضهم لم يثبتها فيها لأنها من وراء الدرب داخلة في بلاد الروم ، ولهذا أخرت ذكرها لوقوع الإختلاف في كونها من الثغور الشامية ، ولم أر إسقاط ذكرها بالكلية لأنه قد نقل أنها منها ، ويقال لها أَبْسُس وأَفْسُس وأرب سُوس وعَربسُوس ، وهي مدينة دِقيانوس ، ودخلت هذه المدينة وقد اجتزت إلى زيارة أصحاب الكهف ، وهم في جبل قريب منها ،والمدينة قد خربت أسوارها (١٣٢ ــ ظ) وبقيت آثارها وبعض حيطانها قائم وبعضها قد هدمه الهادم ، وبها الآن سكان من الأرمن وأسواق دائرة ، والناحية المسكونة من هذه المدينة قرية عامرة .

وذكر يحيى بن معين في التاريخ قال الأصمعي : سألت عبد الملك بن صالح عن عَذب سُوس ، فقال : إنما هي عَرَب سُوس قرية من قرى الشام أنا بها عارف .

وذكر ابن خُرْدَاذَبه أن أصحاب الرقيم في عمل من أعمال الروم يسمى تَرقسيس وفيه من الحصون أفسيس في رستاق الأواسي ، وهي مدينة أصحاب الكهف وذكر أنه قد قرىء في مسجدهم كتاباً بالعربية بدخول مَسْلَمة بلاد الروم [1] .

كتب إلينا أبو الفتوح نصر بن أبي الفرج بن علي الحِصري من مكة شرفها الله أن أبا عبد الله محمد بن العباس بن عبد الحميد الحَرّاني أخبرهم قال : أخبرنا

١ ــ المسالك والممالك لابن خردازبه ، ١٠٦ .

النقيب أبو الفوارس طَرّاد بن محمد بن علي الزَيْنَبِي قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن علي بن الحسن بن البادا قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن إسحق الخراساني قال : أخبرنا عم أبي علي بن عبد العزيز قال : أخبرنا أبو عُبيد القاسم بن سَلاّم قال : حدثنا يزيد بن هرون عن هشام بن حسان عن ابن سيرين أن عمر بن الخطاب استعمل عُمَير بن سعيد أو سعد ، شك أبو عبيد ، على طائفة من الشام ، فقدم عليه قدمةً فقال : ياأمير المؤمنين إن بيننا وبين الروم مدينة يقال لها عَرب سُوس وإنهم لا يخفون على عدونا من عوراتنا شيئاً ، ولا يظهرونا على عوراتنا ، فقال له عمر : فإذا قدمت فخيرنهم بين أن تُعطيهم مكان (١٢٣ — و) كل شاة شاتين، ومكان كل بعير بعيرين ، ومكان كل شيء شيئين ، فإن رضوا بذلك فأعطهم وخربها، فإن أبوا فانبذ إليهم ، وأجلهم سنة ثم خربها ، فقال : إكتب لي عهداً بذلك ، فكتب له عهداً ، فلما قدم عمير عليهم عرض عليهم ذلك ، فأبوا فأجلهم سنة ثم أخربها .

قال أبو عبيد فهذه مدينة بالثغر من ناحية الحَدَث يقال عرب سوس وهي معروفة هناك ،وقد كان لهم عهد فصاروا الى هذا ،وإنما عمر عرض عليهم ماعرض من الجلاء وأن يُعطوا الضعف من أموالهم لأنه لم يتحقق ذلك عنده من أمرهم ، أو أن النكث كان من طوائف منهم دون إجماعهم ، ولو أطبقت جماعتهم عليه ما أعطاهم من ذلك إلا القتال والمحاربة .

وقد وقع في غير هذه الرواية عن طراد قال : أخبرنا أبو الحسن بن البادا قال : أخبرنا أبو علي حامد بن أحمد الهَرَوي قال : أخبرنا علي بن عبد العزيز أخبرنا بذلك أبو إسحق إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سُرور المقدسي وأبو الفرج عبدالرحمن ابن نجم بن عبد الوهاب الحنبليان فيما أجازاه لي ، وقد سمعت من كل واحد منهما بدمشق قالا : أخبرتنا الكاتبة شُهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الآبري قالت : أخبرنا النقيب أبو الفوارس طراد بن محمد بن علي الزينبي قال : أخبرنا أبو الحسن

أحمد بن علي بن الحسن المعروف بابن البادا قال : أخبرنا أبــو علي (١٢٣ ــ ظ) حامد بن أحمد الهروي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز البَغَوي قــال : أخبرنا أبو عبيد القاسم بن سلام فذكره بإسناده مثله ، وإنما وقع الإختلاف من أبي الحسن بن البادا لأن أبا علي الهروي المذكور في هذا الإسنــاد الثانــي وأبا محمد الخراساني المذكور في الإسناد الأول[1] لأبي عبيد الذي هذا الحديث منــه عن علي ابن عبد العزيز ، وسمعه أبو الحسن بن البادا عنهما جميعاً ورواه لطراد الزينبي عنهما فرواه طراد عن ابن البادا عن أبي علي ، ومرة عن ابن البادا عن أبي محمد والله أعلم .

وعُمير المذكور في الحديث هو عُمير بن سعد بن شُهَيد بن قَيس بن النعمان الأوسي الأنصاري ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه حمص وقنسرين ، وكــان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسنذكره في حرف العين في موضعه مــن كتابنا هذا إن شاء الله تعالى .

أنبأنا عبد الصمد بن محمد القاضي عن أبي الحسن علي بن المُسَلِّم السُلَمي قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء قال : أخبرنا أبو نصر بن الجَندي قال: أخبرنا أبو القاسم بن أبي العقب قال : أخبرنا أبو عبد الملك القرشي قال : حدثنا محمد بــن عائذ قال : قال الوليد : حدثنا غير واحد ممن سمع هشام بن حسان أن محمد بــن سيرين حدثه أن عمير بن سعد كان يعجب عمر بن الخطاب ، فكان من عجبه به يسميه نسيج وحده ، وبعثه مرة على جيش من قبل الشام (١٢٤ ــ و) فقدم مــرة وافــداً فقال : يا أمير المؤمنين إن بيننا وبين عدونا مدينة يقال لها عربسوس يُطلعون عدونا على عوراتنا ويفعلون ويفعلون ، فقال عمر : إذا أتيتهم فخيرهم أن ينتقلوا من مدينتهم إلى كذا وكذا ، وتعطيهم مكان كل شاة شاتين ، ومكان كل بقرة بقرتين ومكان كــل شيء شيئين ، فإن فعلوا فأعطهم ذلك ، وإن أبوا فانبذ إليهم ، ثم أجلهم سنة ، فقال :

---

١ ــ الامــوال لابي عبيــد القاسم بن سلاّم ، ط . القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٤٦ ــ ٢٤٧ .

يا أمير المؤمنين اكتب لي عهدك بذلك ، فكتب له عهده ، فأرسل إليهم فعرض عليهم ما أمره به أمير المؤمنين ، فأبوا فأجلهم سنة ، ثم نابذهم ، فقيل لعمر : إن عميرا قد خرّب عرب السوس وفعل وفعل ، فتغيظ عليه عمر ، ثم إنه قدم بعد ذلك وافدا ومعه رهط من أصحابه ، فلما قدم عليه علاه بالدِرّة ، وقال : خربت عرب السوس ، وهو ساكت لا يقول له شيئاً ، ثم قال لأصحابه : مُبرنسين مُبرنسين ضعوا برانسكم ، قال عمير برانسكم ثكلتكم أمهاتكم ، إنكم والله ما أنتم بهم ، فوضعوا برانسهم ، فقال عمر : مُعممين مُعممين ضعوا عمائمكم ، قال عمير : ضعوا عمائمكم فإنا والله ما نحن بهم ، فقال مُكممين مكممين ضعوا كمائمكم ، فقال عمير : ضعوا كمائكم فإذا عليهم جِمام ، فقال عمر أما والله الذي لا إله إلا هو لو وجدتكم مُحلّقين لرفعت بكم الخشب ، ثم إن عمر دخل على أهله فاستأذن عليه عمير ، فدخل فقال :(١٢٤ـظ) يا أمير المؤمنين إقرأ عهدك إلي في عرب السوس ، فقال عمر : رحمك الله فهلا قلت لي ذلك وأنا أضربك ، قال كرهت أوبخك يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : غفر الله لك ، ولكن غيرك لو كان .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد القاسم ابن علي بن الحسن قال : أنبأنا الفقيه أبو الحسن السلمي ، وأخبرنا أبي عنه قال: حدثنا علي بن محمد الفقيه قال : أخبرنا أبو نصر محمد بن أحمد بن هرون قال : أخبرنا علي بن يعقوب بن ابراهيم قال : أخبرني أحمد بن ابراهيم قال : حدثنا محمد بن عائذ قال : قال الوليد : ورأيت خلف درب الحدث مدينة حين أشرفنا على قُباقب ناحيةً ، فسألت عنها مشيخة من أهل قنسرين فقالوا : هذا عرب السوس مدينة أنسطاس التي غدرت ، فأتاها عمير بن سعد ، فقاتلهم وخربها ،فهي خراب الى اليوم .

وقريب من هذه المدينة جبل فيه الكهف الذي ذكره الله في كتابه ، وجاء في

التفسير أن عربسوس هي المدينة التي قال الله تعالى فيما قصّه في كتابه الكريم : « فابعثوا بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما فليأتكم برزق منه وليتلطف » [1] .

وزرت هذا الموضوع فوجدته على الصفة التي أخبر الله تعالى في كتابه الكريم : « وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه » [2] وقد بني على الموضع بناء عظيم حسن واسع لمن يقصده من الزوار ، ووقف عليه وقف ، ورتب لهم ضيافة بناه صاحب مرعش .

وأنبأنا أبو القاسم بن رواحة عن أبي طاهر الحافظ عن أحمد بن محمد بن الآبنوسي عن أبي الحسين بن المنادي قال : ومدينة أصحاب الكهف من عمل الروم في رستاق الأواسي ، والكهف في جبل بانجلوس ، وقرىء في مسجدهم كتاب بالعربية : يدخل مسلمة بلاد الروم ، ويفتح أربع حصون . (١٢٥ — و) .



١ — القرآن الكريم ، سورة الكهف الآية : ١٩ .
٢ — القرآن الكريم ، سورة الكهف الآية : ١٧ .

باب في ذكر فضائل الشام

ولحلب وبلادها منها أوفر الاقسام

وقد ذكر الحافظ أبو القاسم الدمشقي في تاريخ دمشق من فضلـه ما كفى ، وأورد في ذلك من الاحاديث والآثار ما أشبع القول فيه وشفى ، فانه أطال فيما ذكره وأطنب ، وأكثر النقل فيما أورده وأسهب ، ومد عنان قلمه فيما سطره وأطلقه وأوسع المجال في كل حديث أسنده وبين طرقه، فاكتفينا بما نقله وأورده ،واستغنينا بما رواه في فضل الشام وأسنده ، إلاّ إنا لم نر اخلاء كتابنا هذا عن ايراد شيء من فضله ، ولا استحسنا ترك التنبيه على ما ورد فيه وفي أهله ، فاقتصرنا من ذلك على القليل ، واكتفينا بالاشارة الى وجه الدليل .

أخبرنا الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب بقراءتي عليه بقلعة حلب حماها الله ، والقاضي أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد بن الشيرازي ، وولده أبـو المعالي أحمد ، قراءة عليهما بدمشق ، قالوا : أخبرنا القاضي أبو المجد الفضل بن الحسين بن ابراهيم البانياسي قال : أخبرنا الاخوان أبو الحسن وأبو الفضل ابنا الحسين الموازيني قالا : أخبرنا أبو عبد الله بن سلوان قال : أخبرنا أبـو القاسم الفضل بن جعفر التميمي قال : أخبرنا عبد الرحمن بـن القاسـم الهـاشمي قال : حدثنا أبو مسهر عبد الاعلى بن مسهر الغساني قال : حدثنا (١٢٥ـظ) سعيـد ابن عبد العزيز عن ربيعة بن يزيد عن أبي ادريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة الازدي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إنكم ستجندون أجناداً : « جنـد بالشام ، وجند بالعراق ، وجند باليمن » فقال الحوالي : خر لي يارسـول ، قال :

« عليكم بالشام ، فمن أبي فليلحق بيمنه ، وليسق من غدره ؛ فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » . فكان أبو ادريس الخولاني اذا حدث بهذا الحديث التفت الى ابن عامر فقال : من تكفل الله به ، فلا ضيعة عليه .

وقد روي من طريق آخر أن ابن حواله كان يقول ذلك ، أخبرناه أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا عمي أبو القاسم بن أبي محمد ، الحافظ ، قال : أخبرنا أبو الفتح أحمد بن عقيل بن محمد بن رافع الفارسي البزاز الدمشقي ببغداد ، وبدمشق ، قال : أخبرنا أبي أبو الفضل . ح .

وقال الحافظ أبو القاسم : وأخبرناه أبو القاسم اسماعيل بن أحمد ببغداد قال : أخبرنا أبو محمد عبيد الله بن ابراهيم بن كبيبة النجار . ح .

قال أبو القاسم : وأخبرناه أبو محمد طاهر بن سهل بن بشر قال : أخبرنا أبو القاسم الحسين بن محمد بن ابراهيم بن الحنائي قالوا : أخبرنا أبو بكر محمد ابن عبد الرحمن بن عبيد الله بن يحيى القطان قراءة عليه ، ونحن نسمع قال : أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان بن حيدرة قال : حدثنا العباس بن الوليد بن مزيد قال : أخبرني أبي وعقبة بن علقمة قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز ، حدثني مكحول عن أبي ادريس الخولاني عن عبد الله بن حوالة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (١٢٦ - و) « انكم ستجندون أجنادا ، جندا في الشام ، وجندا في العراق ، وجندا باليمن » قال : قلت : يارسول الله خرلي ، قال : «عليكم بالشام ، فمن أبى ، فليلحق بيمنه وليسق من غُدُره ، فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » . قال سعيد : وكان ابن حوالة رجلا من الازد ، وكان مسكنه الاردن ، وكان اذا حدث بهذا الحديث قال : وما تكفل الله به ، فلا ضيعة عليه .[1] .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد الشافعي قال : أخبرنا أبو محمد

١ - انظر ابن عساكر ١ / ٤٧ - ٧٤ .

عبد الرحمن بن أبي الحسن ابن ابراهيم الداراني قال : أخبرنا أبو الفرج سهل ابن بشر بن أحمد الاسفراييني قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد ابن الطفال قال : أخبرنا أبو الطاهر محمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر الذهلي قال : حدثنا موسى بن هرون قال : حدثنا أبو طالب قال : حدثنا بقيه بن الوليد عن بحير بن سعد عن خالد بن معدان عن أبي قتيلة عن ابن حوالة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيصير الامر الى أن يكون جنودا مجندة ، جندا بالشام ، وجندا باليمن ، وجندا بالعراق » . فقال ابن حوالة : خِرْ لي يارسول الله إن أدركت ذلك ، فقال : عليكم بالشام ، فانها خيرة الله من أرضه ، يجتبي اليه خيرته من عباده ، فان أبيتم فعليكم بيمنكم ، واسقوا من غدركم ،فان الله قد تكفل لي بالشام وأهله » .

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف الصوفي بالبيت المقدس قال :أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الحافظ قال : أخبرنا أبو بكر الطُرَيْثيثي (١٢٦ ــ و) وأخبرنا أبو اسحق ابراهيم بن عثمان الكاشغري قال : أخبرنا أبو الفتح بن البطي ، وأبو المظفر الكاغدي ، قال أبو الفتح : أخبرنا ابن خيرون ، وقال الكاغدي : أخبرنا أبو بكر الطُرَيْثيثي ، قالا أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : أخبرنا ابن درستويه قال : حدثنا يعقوب الفسوي قال : حدثنا يزيد ابن مهران قال : حدثنا أبو بكر بن عياش عن داود بن أبي يزيد عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أول الناس هلاكا فارس ، ثم العرب ، وسائر الناس هاهنا » . وأشار بيده الى الشام .

أخبرنا أبو منصور الفقيه قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن قال :أخبرنا أبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبد الله بن عبدان الازدي بدمشق قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن موسى بن السمسار قال : أخبرنا محمد بن ابراهيم بن مروان

قال : أخبرنا أبو عبد الملك قال : حدثنا محمد بن أبي السري قال : حدثنا فضالهبن حصين قال : حدثنا عبد الله بن عمر عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستخرج نار من حضرموت ، فتسوق الناس الى المحشر ، تقيل اذا قالوا ، وتسير اذا ساروا » : قالوا : يارسول الله فماتأمر من أدرك ذلك منا ؟ قال : « عليكم بالشام » .(١)

أخبرنا أبو منصور قال : أخبرنا أبو القاسم قال : وأخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد الشحامي قال : أخبرنا أبو الحسن عبيد الله بن محمد بن اسحق ابن محمد بن يحيى بن (١٢٧ ــ و) مَنْدَه قال : أخبرنا أبي قال : حدثنا جمح بن القاسم بن عبد الوهاب بن أبان بن خلف المؤذن بدمشق قال : حدثنا أحمد بن بشر بن حبيب الصوري قال : حدثنا عبد الحميد بن بكار قال : حدثنا عقبة بن علقمة قال : حدثنا الاوزاعي عن عطية بن قيس عن عبد الله بن عمرو قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « أريت عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي ، فذهب به الى الشام ، فأولته الملك » (٢) .

أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد اللطيف بن الحسين بن علي بن خطابالدينوري ــ عرف بابن الحُسَمي ــ ببغداد قال : أخبرنا أبو الفتح عبيد الله بن عبد الله بن محمد بن شاتيل قال : أخبرنا الحاجب أبو الحسن بن العلاف قال : أخبرنا أبو القاسم ابن بشران قال : أخبرنا أبو بكر النجار قال : حدثنا أبو الليث يزيد بن جمهور بطرسوس قال : حدثنا أبو توبة الربيع بن نافع عن يحيى بن حمزة عن ثور بن زيد عن بسر بن عبيد الله عن أبي إدريس الخولاني عائذ الله ، عن أبي الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بينا أنا نائم رأيت عمود الاسلام

١ ــ ابن عساكر ١/٧٩ ــ ٨٠ . وقد اورد ابن عساكر مايشابه هذا في ١/٨٤ ــ ٨٠
٢ ــ ابن عساكر ١/ ٩١ .

احتمل من تحت رأسي ، فظننت أنه مذهوب به ، فأتبعته بصري ، فعمد به الى الشام ألا وان الايمان حين تقع الفتن بالشام » [1] .

أخبرنا ثابت بن مشرف بن أبي سعد قال : أخبرنا عبد الأول بن عيسى قال : أخبرنا أبو الحسن الداؤدي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حموية السرخسي قال : أخبرنا عيسى بن عمر السمرقندي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي قال : أخبرنا زيد بن عوف قال : حدثنا أبو عوانه عن عبد الملك بن عمير عن ذكوان أبي صالح ، عن كعب : في السطر الاول محمد رسول الله عبدي المختار ، لافظ ، ولا غليظ ، ولا صخاب في الاسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطيبه ، وملكه بالشام .

وفي السطر الثاني محمد رسول الله ، أمته الحمادون ، يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كل منزلة ، ويكبرونه على كل شرف ، رعاة الشمس يصلون الصلاة اذا جاء وقتها ، ولو كانوا على رأس كناسة ، ويأتزرون على أوساطهم ، ويوضئون أطرافهم وأصواتهم بالليل في جو السماء كأصوات النحل .

وقال أبو محمد الدارمي : أخبرنا مجاهد بن موسى قال : حدثنا معن — هو ابن عيسى — قال : حدثنا معاوية بن صالح عن أبي فروة عن ابن (١٢٧ — ظ) عباس أنه سأل كعب الأحبار ، كيف تجد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة ؟ فقال كعب : نجده محمد بن عبد الله ، يولد بمكة ، ويهاجر الى طابة ، ويكون ملكه بالشام ، وذكر تمام الحديث .

أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي عن أبي مسعود الأصبهاني قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن أحمد الحداد ، قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا سليمان بن أحمد قال : حدثنا الحسين بن إسحق قال : حدثنا مَخْلَد

---

١ — المصدر نفسه ١ / ٩٦ .

ابن مالك قال : حدثنا إسماعيل بن عياش عن عبد العزيز بن عبيد الله عن أبي أُمامة قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « صفوة الله من أرضه الشام ، وفيها صفوته من خلقه وعباده ، وليدخلن الجنة من أمتي ثُلَّة لا حساب عليهم ولا عذاب »[1] .

أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم قال : أبو القاسم زاهر بن طاهر الشحامي قال : أخبرنا أبو بكر البيهقي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحافظ قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب قال : حدثنا ابراهيم بن عبد الله السعدي قال : حدثنا وهب بن جرير قال : حدثنا أبي قال : سمعت يحيى بن أيوب يحدث عن يزيد بن أبي حبيب عن عبد الرحمن بن شماسة عن زيد بن ثابت قال : كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « طوبى للشام » . قلنا لأي شيء ذاك ؟ قال : « لأن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم »[2] .

أخبرنا عبد الرحمن قال : أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي ، ح .

وأنبأنا به عمر بن محمد بن طبرزد عن ابن السمرقندي (١٢٨ ــ و) قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن هبة الله الطبري قال : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثنا عبد الله بن يوسف قال : حدثنا يحيى بن حمزة قال : حدثني أبو علقمة نصر بن علقمة الحضرمي من أهل حمص أن عُمير بن الأسود وكُثير بن مُرة الحضرمي قالا : إن أبا هريرة وابن السمط كانا يقولان : لا يزال المسلمون في الأرض حتى تقوم الساعة ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تزال من أمتي عصابة قوّامة على أمر الله لا يضرها من خالفها ، تقاتل أعداء الله ، كلما ذهب حزب نشب حزب قوم

---

١ ــ ابن عساكر ١ / ١٠٧ .
٢ ــ نفس المصدر ١/١١٢ ــ ١١٣ .

آخرين ، يزيغ الله قلوب قوم ليرزقهم منه ، حتى تأتيهم الساعة كأنها قطع الليل المظلم ، فيفزعون لذلك حتى يلبسوا لذلك الدروع » . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « هم أهل الشام » . ونكت رسول الله صلى الله عليه وسلم بإصبعه يومىء بها الى الشام ، حتى أوجعها . رواه البخاري في التاريخ عن عبد الله بن يوسف[1] .

أخبرنا أبو منصور قال : أخبرنا عمي الحافظ قال : أخبرنا أبو القاسم الخضر بن الحسين بن عبد الله عن عبدان قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن أبي الحديد قال : أخبرنا أبو الوليد الحسن بن محمد الدربندي قال : أخبرنا أبو نصر أحمد بن المظفر بن محمد الموصلي بها قال : حدثنا عبد الله بن حيان بن عبد العزيز بن حيان قال : حدثنا الحسن بن علوية القطان قال : حدثنا إبراهيم بن يزيد بن مصعب الشامي قال : حدثنا ابن خُلَيد (١٢٨ ـ ظ) الدمشقي عن الوضين بن عطاء عن مكحول عن عبد الله بن عمرو قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الخير عشرة أعشار ، تسعة بالشام ، وواحد في سائر البلدان ، والشر عشرة أعشار ، واحد بالشام ، وتسعة في سائر البلدان ، وإذا فسد أهل الشام فلا خير فيكم »[2] .

أخبرنا أبو منصور قال : أخبرنا عمي قال : قرأت بخط شيخنا أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام الخطيب قال : قرأت بخط عبد الله بن علي بن أبي العجائز الأزدي حدثنا علي بن محمد بن أبي سليمان الصوري قال : حدثنا يزيد ابن عبد الصمد الدمشقي عن سلمة بن أحمد قال : حدثنا إسحق بن عبد الواحد

---

١ ــ ليس في المطبوع من تاريخ البخاري ، ولم أستطع الوقوف على القسم المخطوط . انظر ابن عساكر ١/٢٤٤ .

٢ ــ ابن عساكر ١/١٤٣ .

القرشي الموصلي قال : حدثنا عمرو بن رُزيق ــ وهو موصلي ــ عن ثور بن يزيد عن حفص بن بلال بن سعد عن أبيه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إذا وقعت الفتن فهاجروا الى الشام ، فإنها من الله بمنظر وهي أرض المحشر »[1] .

أخبرنا أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله الدمشقي قال : أخبرنا أبو مُسلم المؤيَّد بن عبد الرحيم بن الأخوة وصاحبته عين الشمس قالا : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي الأصبهاني ــ قالت إجازة ــ ، ح .

وأنبأنا أبو القاسم القاضي عن أبي الفرج بن أبي الرجاء ، ح .

وأخبرنا أبو منصور الفقيه قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن أبي محمد قال : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الأصبهاني بها قال : أخبرنا أحمد بن محمود الثقفي ومنصور بن الحسين الكاتب قالا : أخبرنا أبو بكر بن المُقريء (١٢٩ــو) قال : حدثنا محمد بن علي الحسن بن حرب ، قاضي الطبرية ، بطبرية قال : حدثنا سليمان بن عمر بن خالد الأقطع قال : حدثنا اسماعيل بن ابراهيم ــ هو ابن عُليَّة ــ قال حدثنا زياد بن بيان حدثنا سالم عن عبد الله بن عمر قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : صلاة الفجر ثم انفتل ، فأقبل على القوم فقال : « اللهم بارك لنا في مدينتنا ، وبارك لنا في مُدّنا وصاعنا ، اللهم بارك لنا في حرمنا ، وبارك لنا في شامنا ويمننا » . فقل رجل : والعراق يا رسول الله ، ثم عاد فقال مثل ذلك ، فقال الرجل :والعراق يا رسول الله ، فسكت ثم قال : « اللهم بارك لنا في مدينتنا وبارك لنا في مُدّنا وصاعنا ، اللهم بارك لنا في حرمنا ، وبارك لنا في شامنا ويمننا » . فقال رجل : والعراق يارسول الله،قال : « ثم يطلع قرن الشيطان وتهيج الفتن »[1].

أخبرنا أبو منصور قال : أخبرنا عمي قال : أخبرنا أبو الفضائل ناصر بن

---

١ ــ المصدر نفسه ١ / ١٧١ .
٢ ــ ابن عساكر ١ / ١٢٢ .

علي بن محمود قال : حدثنا علي بن أحمد بن زهير قال : حدثنا علي بن أحمد بن شجاع قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن بَيْهس بمصر قال : حدثنا أحمد بن ثابت بن زيد قال : حدثنا أبو حُميد أحمد بن محمد بن المغيرة قال : حدثنا يحيى بن سعيد العطار قال : حدثنا علي بن همّام عن كعب قال : جاء إليه رجل فقال : إني أريد الخروج أبتغي فضل الله عز وجل قال : عليك بالشام فإنه ما نقص من بركة الأرضين يزاد في الشام [١] .

وأخبرنا أبو منصور قال : أخبرنا عمي قال : أخبرنا (١٢٩ ــ ظ) أبو محمد هبة الله بن أحمد بن طاووس وأبو القاسم الحسين بن أحمد بن عبد الصمد بن تميم وأبو إسحق إبراهيم بن طاهر بن علي بن بركات الخُشوعي قالوا : أخبرنا الفقيه أبو القاسم علي بن محمد بن أبي العلاء قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جرير بن أحمد بن خميس السلماسي قال : حدثنا أبو الحسن المظفر بن الحسن قال : حدثنا أبو الحسن أحمد بن عُمير بن يوسف بن جوصاء قال : حدثنا أبو حفص عمرو بن عثمان بن كُثَير قال : حدثنا أبو المغيره قال : حدثني الغاز بن جبلة قال : حدثني الوليد بن عامر البرْقي عن كعب أنه كان يقول : يا أهل الشام إن الناس يريدون أن يضعوكم ، والله يرفعكم وإن الله يتعاهدكم كما يتعاهد الرجل نبله في كنانته ، لأنها أحب أرضه إليه ، يُسكنها أحب خلقه إليه ، من دخلها محروم ، ومن خرج منها مغبون » [٢] .

أخبرنا أبو محمد عبد العزيز بن بركات بن إبراهيم بن طاهر الخُشوعي بالربوة بظاهر دمشق قال : أخبرنا أبي قال : أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد بن مقاتل ــ إجازة ــ قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن زهير المالكي قال :

١ ــ المصدر نفسه ١ / ١٣٤ .
٢ ــ المصدر نفسه ١ / ١١٠ .

حدثنا أبو الحسن علي بن محمد بن شجاع الرَّبْعي المالكي قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عمر بن نصر بن محمد الشيباني قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن بهيس[1] بمصر قال : حدثنا علي بن الحسين بن عبد المؤمن قال : حدثنا محمد بن إسحق الصيني قال : حدثنا عمرو بن عبد الغفار قال : حدثنا المسعودي عون بن عبد الله بن عتبة قال : قرأت فيما أنزل الله جل وعز على بعض الأنبياء : إن الله يقول : الشام كنانتي ، فإذا غضبت على قوم رميتهم منها بسهم[2].

أخبرنا عمر بن محمد بن طبرزد قراءة عليه قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله ابن محمد بن الحصين قال : أخبرنا أبو طالب محمد بن محمد بن ابراهيم بن غَيْلان قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشافعي قال : حدثنا إسحق بن الحسن قال : حدثنا أبو حُذيفة قال : حدثنا سفيان في قول الله عز وجل : « وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها » . قال الشام[3] .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم قال : أنبأنا أبو الفرج غيث بن علي الصوري ، ونقلته من خطه ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن علي الحافظ قال : أخبرنا علي بن ابراهيم البزاز بالبصرة قال : حدثنا أبو بكر يزيد (١٣٠ ــ و) بن اسماعيل بن عمر الخلال قال : حدثنا العباس بن عبد الله ابن أبي عيسى التَرْقُفي قال : حدثنا محمد بن كثير المِصِّيصي عن اسماعيل بن خالد عن محمد بن عَمْرو ــ أو عُمر ــ شك أبو محمد ــ يعني العباس ــ قال ابن كثير : وأراني قد سمعته منه ــ عن وهب بن منبه قال : إني لأجد ترداد الشام في الكتب حتى كأنه ليس لله حاجة إلا بالشام[4] .

---

١ ــ كذا في الاصل ، وقد تقدم باسم بيهس وكذا جاء عند ابن عساكر ١/٢٧٥ .
٢ ــ ابن عساكر ١/٢٧٥ .
٣ ــ القرآن الكريم سورة الاعراف الآية ١٣٧ . انظر ايضا ابن عساكر ١/ ١٣١
٤ ــ ابن عساكر ١/١١١ .

أنبأنا الأخوان أبو محمد عبد الرحمن وأبو العباس أحمد ابنا عبد الله بن عُلوان عن مسعود الثقفي قال : أخبرنا عثمان بن أحمد بن عبد الله الدقاق قال : قُرىء على أبي بكر محمد بن أحمد بن النضر ابن بنت معاوية بن عمرو : حدثنا معاوية بن عمرو بن المهلب الأزدي عن إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة الفَزاري عن الأوزاعي عن ثابت بن مَعْبَد قال : قال الله تعالى : يا شام أنت خِيرتي من بلدي أُسكنك خيرتي من عبادي .

أخبرنا قاضي القضاة بهاء الدين أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر بن محمد بن علي الجَيَّاني قال : أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن أحمد الخُواري قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي المفسر قال : قوله « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة » قال قتادة هي الشام [1] .

* * *

١ ــ المصدر نفسه ١ / ١٤٠ ــ ١٤١ .

باب في ذكر قويق نهر حلب ومخرجه وما ورد فيه

وله مخرجان شاهدتهما ، وبين حلب وبينهما أربعة وعشرون ميلا ، أحدهما في قرية (١٣٠ ـ ظ) يقال لها الحُسينية ، بالقرب من عَزاز ، يخرج الماء من عين كبيرة ، فيجري فيه نهر ، ويخرج بين جبلين حتى يقع في الوطاة التي قبلي الجبل الممتد من بلد عَزاز شرقا وغربا ، والمخرج الآخر يجتمع من عيون ماء من سُنْياب[1] ، ومن قرى حولها كلها من بلد الراوندان ، فتجتمع تلك الأعين وتجري في نهر يخرج من فم فج سنياب ، فيقع في الوطاة المذكورة ، ويجتمع النهران فيصيران نهرا واحدا في بلد عزاز ، وهو نهر قويق ، ثم يجري الى دابق ويمر بمدينة حلب ، وتمده عيون قبل وصوله إليها ، وكذلك بعد أن يتجاوز حلب ، وتمده عين المباركة فيقوى وتدور عليه الأرحاء ، ويسقي في طريقه مواضع كثيرة حتى ينتهي الى قنسرين ، ثم يمر الى المطخ ، فيغيض في الأجم .

وحكى لي والدي رحمه الله قال : يقال إن نهر قويق يغيض في المطخ ، ويخرج الى بحيرة أفامية ، وأن قويق إذا مَدّ في الشتاء احمرّ ماء بحيرة أفامية ، فاستدلوا بذلك على ما ذكرناه .

ومسافة ما بين مغيضه الى أفامية مقدار أربعة عشر ميلا .

١ ـ قال ياقوت في معجم البلدان ـ مادة قويق ـ : وسألت عنها ـ سنياب ـ بحلب فقالوا : لا نعرف هذا الاسم ، انما مخرجه من شناذر ، قرية على ستة أميال من دابق .

وقال أبو زيـد البلخي في تاريخه : ومخرج نهر حلب من حدود دابق ، دون حلب بثمانية عشر ميلا ، ويغيض في أجمة أسفل حلب[1] .

وقال ابن حوقل النصيبي في جغرافيا وقد ذكر حلب : ولها وادٍ يعرف بأبي الحسن قويق ، وشرب أهلها منه ، وفيه قليل طَفس [2] .

وذكر الحسن بن أحمد المهلبي العزيزي في كتاب المسالك (١٣١ — و) والممالك ، الذي صنفه للعزيز الفاطمي المستولي على مصر ، فذكر حلب بما قدمنا ذكره في صدر كتابنا هذا وقال : وشرب أهل حلب من نهر على باب المدينة يعـرف بقويق ، ويكنيه أهل الخلاعة أبا الحسن .

وقال أبو الحسين بن المنادي في كتابه المسمى بالحافظ ، وأنبأنا بذلك أبو القاسم الحموي قال : أخبرنا أبو طاهر السلفي إجازة عن أحمد بن محمد الآبنوسي قال : ذكر أبو الحسين بن المنادي قال : ومخرج قويق — نهر حلب — من قرية تدعى سُنْياب على سبعة أميال من دابق ، ثم يمر إلى حلب ، ثمانية عشر ميلاً ، ثم الى مدينة قنسرين اثنا عشر ميلا ، ثم الى مرج الأحمر اثنا عشر ميلا ، ثم يغيض في الأجمة ، فمن مخرجه الى مغيضه مقدار اثنين وأربعين ميلا .

وذكر أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني في كتابه قال : ويخرج قويق — نهر حلب — من قرية تدعى سنياب ، على سبعة أميال من دابق ، ثم يمر الى حلب ستة عشر ميلا ، ثم الى مدينة قنسرين اثنا عشر ميلا ، ثم الى مرج الأحمر اثنا عشر ميلا ، ثم يغيض في الأجمة .

وقال أحمد بن محمد بن إسحق الهمذاني المعروف بابن الفقيه فيما قرأته في

١ — البدء والتاريخ ٤/٥٩ .

٢ — صورة الارض لابن حوقل . ط . دار الحياة بيروت ، ص ١٦٢ . وفي القاموس الطفس : قذر الانسان اذا لم يتعهد نفسه ، وهو طفس : قذر نجس .

كتاب البلدان وأخبارها من تأليفه قال : مخرج قويق ــ نهر حلب ــ من قرية تدعى بسنياب على ستة أميال من دابق ، ثم يمر إلى حلب ثمانية عشر ميلا ، ثم يمر إلى مدينة قنسرين إثنا عشر ميلا ، ثم يغيض في الأجمة ؛ (١٣١ ــ ظ) فمن مخرجه إلى مغيضه اثنان وأربعون ميلاً[١] .

قلت وهذا مرج الأحمر هو المرج المعروف الآن بمرج تل السلطان[٢] ، ولا يعرف الآن بمرج الأحمر ؛ ويعرف قويق تحت جبل جوشن بالعوجان ، لاعوجاجه في ذلك الموضع .

قال الصنوبري من أبيات :

والعوجان الذي كلفت به ... قد سوي الحسن فيه مذ عوج[٣]

وقال أبو نصر منصور بن المسلم بن أبي الخرجين الحلبي من أبيات :

هل العوجان العمر صاف لوارد ... وهل خضبته بالخلوق مدود[٤]

وكان سيف الدولة بن حمدان لما ابتنى قصره بالحلبة ساق نهر قويق من الموضع المعروف، بالسقايات وأدخله في قصره في شباك يجري في القصر ، ثم يخرج من جانبه القبلي في شباك آخر ، ثم يصب في النهر الأصلي عند الموضع المعروف بالفيض ؛ وكان قد رأى في منامه كأن حية قد تطوقت على داره ، فعظم عليه ذلك ، فقال له بعض المفسرين : الحية في النوم ماء" ، فأمر بحفر يحفر بين داره، وبين قويق حتى أذار الماء حول الدار ، وقضى الله أن الروم خرجوا ، فصبحوا حلب ، واستولوا على

---

١ ــ ليس في مختصر كتاب البلدان .
٢ ــ يصل تل السلطان بحلب طريق ترابي طوله ٤٧ كم ، التقسيمات الادارية ٢٤٧
٣ ــ ديوان الصنوبري ، تحقيق احسان عباس ، بيروت ١٩٧٠ ، ص ٤٦٥ .
٤ ــ الخريده ، قسم شعراء الشام ١٧٤/٢ . ياقوت ، معجم البلدان ، مادة العوجان .

دار سيف الدوله ، وأخذوا منها أموالا عظيمة ، وذلك في سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ، وخربت الدار ، فعاد النهر إلى ما هو عليه الآن .

أخبرنا تاج الأمناء أحمد بن محمد بن الحسن الدمشقي كتابة ، واجتمعت به (١٣٢ ــ و) في مجلس شيخنا أبي اليُمن الكندي بدمشق قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الدمشقي قال : أخبرنا أبو القاسم نصر بن أحمد ابن مُقَاتل السوسي قال : أخبرنا جدي أبو محمد قال : حدثنا أبو علي الأهوازي قال : حدثنا أبو القاسم حمزة بن عبد الله بن الحسين الأديب قال : حدثنا أبو نصر محمد بن محمد بن عمرو النيسابوري حدثني يحيى بن علي بن هاشم قال : حدثنا عبد الملك بن دليل قال : حدثنا عباس الحذاء عن سعيد بن إسحق الدمشقي في قول الله عز وجل : « إذ يلقون أقلامهم أيهم يَكْفُل مريم »[1] على نهر حلب يقال له قويق .

وقد ذكر قويق جماعة من الشعراء ، ووصفوه ، فمنهم الوزير أبو القاسم الحسين بن علي المغربي قال فيه ، وقرأتها في ديوان شعره[2] :

أما قُويق فلا عدته مِزنة ... من خدرها برز الغمام الصيب
نهر لأبناء الصبابة معشق ... فيه وللصادي المُلَوّح مشرب
لازال يدرم تحت وسق مُكلٍّ ... عمم يقدح منكبيه وينكب
مما تمناه الربيع لريه ... أيام ظم رياضه لا تُقْرَبُ
فرد الرباب يقول شائمُ بَرْقه ... من أين رفع ذا الفريق المهدب
والغيث في كلل السحاب كأنه ... مَلِكٌ بقاصية الرواق محجب
ضخب الرعود وإنما هي ألسنٌ ... فأمرهن اللوذعي المسهب

١ ــ القرآن الكريم ، سورة آل عمران الآية : ٤٤ .
٢ ــ ستأتي ترجمته في قسم حرف الحاء ، ويبدو ان ديوانه يعتبر في حكم المفقود .

راعي الضحى في حين غـرة أمنـه ... فسناه مخطوف الاضاءة أكهـب

(١٣٢ـ ظ)

جذلان إن هتـك اللثـام بدالـه ... خـد بحـادي البـوارق مُذْهَب

والأرض حاسرة تـود لـو أنهـا ... ممـا يحبـره الربيـع تَجَلْبَبُ

وقال أبو بكر أحمد بن محمد الصنوبري وقد أنشدنا بعض قوله القاضي أبو القاسم بن محمد قاضي دمشق بها قال : أنشدنا أبو الحسن علي بن المُسَلَّم السلمي قال : أخبرنا أبو نصر الحسين بن محمد بن طلاب قال : أنشدنا أبو الحسين محمد بن أحمد بن محمد بن جُمَيع قال : أنشدني أبو بكر الصنوبري .

قويق لـه عهـد لدينـا وميثـاق ... وهـذي العهـود والمواثيق أطواقُ

نفى الخوف أنا لاغريق نـرى لـه ... فنحن على أمن وذا الأمـن أرزاقُ

ونزهـه ألا سفينـة تمتطـي ... مطـاه لها وخـد"(١) عليه وإعناقُ

وأن ليس تعتاق التماسيـح شربـه ... إذا اعتاق شرب النيل منهن معتاقُ

ولا فيـه سلـور ولو كان لم أكن ... أرى أنـه إلا حميـم وغسـاقُ

بلـى تعلـن التسبيـح في جنباتـه ... علاجم بالتسبيـح مـذ كن حذاقُ

أقامت بـه الحيتان سوقاً ولم تزل ... تقام على شطيه للطيـر أسـواقُ

وسربل بالأرجـاء مثنى وموحـداً ... كمـا سربلت غصنا من البان أوراق

وفاضـت عيون من نواحيـه ذرف ... ولمـا تعاونهـا جفـون وآمـاقُ

هو الماء إن يوصف بكنـه صفاتـه ... فللمـاء إغضـاء لديـه وإطـراقُ

ففي اللـون بلـور وفي اللمع لؤلؤ ... وفي الطيب قنديد وفي النفـع درياق

(١٣٣ ـ و)

إذا عبثت أيدي النسيـم بوجهـه ... وقد لاح وجـه" منه أبيض بـراق

١ ـ الوخد = الاسراع في المشي .

فطوراً عليه منه درعٌ خفيفةٌ (١) وطوراً عليه جَوْشَنٌ منه رَقْراقُ
ولم يعده نيلوفر مُتَشوِّف بأرْؤُسِ تبرٍ والزبرجد أعناقُ
له ورقٌ يعلو (٢) على الماء مُطبقٌ كأطباق مدهون يليهن أطباقُ
يهاب قويق أن يُمَلّ فإنما يُقيم زماناً ثم يمضي فنشتاقُ
وقد عابه قومٌ وكلهمُ له على ما تعاطوه من العيب عَشّاقُ
وقالوا أليس الصيف يُبْلي لباسه فقلتُ الفتى في الصيف يُقنعه طاقُ
وما الصُّبح إلاّ آيبٌ ثم غائبٌ تُواريه آفاق وتبديه آفاقُ
ولا البدرُ إلاّ زائدٌ ثم ناقصٌ (٣) له في تمام الشهر حبس وإطلاقُ
ولو لم تطاول غيبةُ الورد لم تَتُقْ إليه قلوبٌ تائقاتٌ وأحداقُ
ولو دام في الحب الوصالُ ولم يكن فراقٌ ولا هجرٌ لما اشتاقُ مشتاقُ
وفضلُ الغِنى لا يَستبينُ لذي الغِنى إذا لم يبين ذلك الفضل إملاقُ
قُوَيْق رسيل الغَيْث يأتي وينقضي ويأتي انسياقاً تارة ثم ينساقُ (٤)

قرأت هذه الابيات بخط أحمد بن خلف الممنع وقال : قال القاضي أبو عمر عثمان بن عبد الله الطرسوسي : حدثنا أبو العباس عبد الله بن عبيد الله الصَّفَري قال : وأنشدني ــ يعني الصنوبري لنفسه يصف قويقاً ويحن له ، وهذا مما أبدع فيه •

وقال الصنوبري أيضا في قويق وقد مَدَّ :

اليوم يا هاشمي يوم لباسه الطَّلُّ والضبابُ
عيدٌ في عيدنا قويق وخلقت وجهه السحاب
ما لون الزعفران ما قد لَوَّن من مائه الترابُ

١ ــ كتب ابن العديم في الحاشية : رقيقه .
٢ ــ كتب ابن العديم في الحاشية : يطفو .
٣ ــ كتب ابن العديم في الحاشية : ناقص ثم زائد .
٤ ــ ديوان الصنوبري ٤٢٣ ــ ٤٢٤ .

تـذهب أمواجـه كخيـل شقرٌ لهـا وسطه ذهابُ (١٣٣ــظ)
فبادر الشرب قبل فـوت قد برد المـاءُ والشرابُ[1]

وقال الصنوبري أيضا فيه :

رياض قويـق لا تـزال مروضـه يجاور فيها أحمر اللـون أبيضـه
يعارضنـا كافـوره كـل شارق إذا ما الصبـا مـرت بـه متعرضـه
لـدى العـوجـان المستفادة عنـده مغـان على حث الكؤوس محرضـه
إذا ما طفـا النيلوفـر الغـض فوقه مفتحـة أجفانـه أو مغمضـة
حسبـت نجومـا مذهبـات تتابعت فـرادى ومثنى في سماء مفضضـه[2]

أنشدنا ضياء الدين الحسن بـن عمرو الموصلي المعروف بابن دهن الخصا النحوي بقراءتي عليه قال : أنشدنا الخطيب بالموصل ــ أبو الفضل عبد الله بـن أحمد بن الطوسي ــ قال : أنشدنا الخطيب أبو زكريا يحيى بن علي التبريـزي اجازة قال : أنشدنا أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان المعري لنفسه من أبيات كتب بها الى ابن حلبات المعري .

ونكـب إلاّ عـن قويق كأنـه يظـن سـواه زائـداً في أوامـه
بعيس تقضـي الدهـر جـرياً كأنهـا مفتشـة أحشـاءه عـن كرامـه
تذكـرن من مـاء العواصم شربـة وزرق العـوالي دون زرق جمامـه
فلـو نطـق المـاء النمـير مسلما عليهن لـم يرددن رجـع سلامـه
وملتثـم بالغلفـق الجعـد عـرست عليه فلم تكشف خفي لثامه (١٣٤ــو)
وكم بين ريف الشام والكرخ منهـلاً مـوارده ممزوجـة بسمامـه[3]

١ ــ ديوان الصنوبري ٤٥٥ .
٢ ــ نفس الديوان ٢٥٦ .
٣ ــ شروح سقط الزند ط . القاهرة ١٩٤٥ ــ ١٩٤٨ ، ص ٤٩٠ ــ ٤٩٧ ، مع بعض التباين في الرواية .

وأنشدنا الحسن بن عمر وقال : أنشدنا أبو الفضل الخطيب قال : أنشدنا أبو زكريا التبريزي في كتابه قال : أنشدنا أبو العلاء المعري لنفسه ، وقالها وهو ببغداد .

طربن لضوء البارق المتعالي ببغداد وهناً مالهن ومالي
سمت نحوه الأبصار حتى كأنها بناريه من هنا وثم صوال
إذا طال عنها سرها لورؤوسها تمدُّ إليه في صدور عوال
تمنت قويقا والصراة حيالها تراب" لها من أينق وجمال
إذا لاح إيماض" سترت وجوهها كأني عمرو والمطيُّ سعال
وكم هم نضو" أن يطير مع الصبا إلى الشام لولا حبسه بعقال

أنشدني أبو نصر محمد بن محمد بن ابراهيم بن الخضر الحلبي لنفسه بدمشق

ما بردى عندي ولا دجلة ولا مجاري النيل في مصر
أحسن مرأى من قويق إذا أقبل في المدِّ وفي الجزر
يالهفتا منه على جرعة تَبُلُّ مني غلة الصدر[1]

ومما قاله الصنوبري في قويق :

أما قويق" فارتدى بمُعَصْفرٍ شرق بحُمْرته الغداة بياضه
فكأنما فيما اكتسى من صبغه نفضت شقائقها عليه رياضه[2]
(١٣٤ ـ ظ)

هذا[3] يصف قويق ، وقد مد في الشتاء واحمر لون مائه ، ولا أعلم نهرا إذا مدّ يكون أشده حمرة من ماء قويق ، لان السيول التي تسيل عليه تمر في البقاع التي

١ ـ شروح السقط ، ١١٦٢ ـ ١١٦٩ ، مع بعض التباين في الرواية .
٢ ـ ديوان الصنوبري .
٣ ـ كذا في الاصل وكان يحسن أن يسبق هذا بكلمة قال .

في بلد اعزاز الى حلب ، وترابها كلها أحمر شديد الخمرة ، فيحمر المـاء لذلك ، ويكتسي لونا حسن المنظر .

وقال الصنوبري في قويـق :

قويـق على الصفراء رُكِبَ جسمـه ... رُباه بهـذا شُهَّـدٌ وحدائقـه
فإن جد جـد الصيف غادر جسمـه ... ضئيـلا ولكـن الشتـاء يوافقه (١)

يريد أن أصحاب الامزجة الصفراوية تنحل أجسامهم في الصيف ، ويوافقهـم الشتاء ، ويريد أن قويق يقل ماؤه في الصيف ، وهو كذلك لان النهر يبقى حـول المدينة كالساقية ، لان أهل القرى يسقون من مائه ، والذي يصل منه الى حيـلان يتقسمه أرباب البساتين الشمالية يسقونها منه ، فيقل ماؤه لذلك ، وربما انقطـع في بعض السنين بالكلية لذلك ، ولهذا قال ابن حوقل فيما حكيناه : « وفيه قليل طفس » . ثم يزداد قبلي مدينة حلب من عين المباركة ، وتدور الارحاء منها .

وللصنوبري أبيات يصف فيها قلة ماء قويق في الصيف أنشدني بعضها والدي رحمه اللـه .

قـويق إذا شم ريـح الشتـاء ... أظهـر تيهـاً وكبـراً عجيبـاً
وناسب دجلـة والنيـل والـ ... ـفرات بهـاء وحسنـاً وطيبـا
وإن أقبـل الصيـف أبصرتـهُ ... ذليـلاً حقـيراً حزيناً كئيباً (٣٥ـو)
إذا مـا الضفـادع نادَينـه ... قويـقُ قـويـقُ أبى أن يُجيبا
فيأويـن منـه بقايـا كُسـين ... مـن طحلـب الصيف ثوبا قشيبـاً
وتمشـي الجـرادة فيـه فـلا ... تكـاد قوائمهـا أن تغيبـا (٢)

١ ـ ديوان الصنوبري ٤٢٤ ـ ٤٢٥ .
٢ ـ الديوان نفسه ٤٥١ .

أنشدني والدي رحمه الله :

تخـــوض الجـــرادة فيـــه فـــلا تكـــاد قوائمهـــا أن تغيبـــا

وقال الصنوبري أيضا في المعنى :

قويق إذا شـــم ريـــحَ الشتـــاء تشـــم الخلافـــة مـــن جيبـــه
وفي الصيف وغـــد متى عبتـــــه فلست ملوما على عيبه[1] (١٣٥ــظ)

* * *

١ ــ الديوان نفسه ٤٦٠ .

★ ــ آخر الجزء الثامن ، وكتب ابن العديم في الحاشية سماعا نصه : بلغ ولدي محمد قراءة ، وسمع ولدي عبد الرحمن ، وابن اخته محمد في الثاني عشر مـــن ذي الحجة . وكتب تحت هذا سماعا آخر أيضا بخطه فيه : بلغ بدر الدين عبد الواحد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

باب في ذكر الفرات ومخرجه ومعرفة من حضره وما ورد في فضله

وإنما ذكرناه لأنه يمر في عمل حلب من حد مَلَطْيَة إلى أن يتجاوز الرَّقَّة ، وقد ذكرنا فيما أوردناه في صدر كتابنا هذا عن كعب الأحبار قال : إن الله تعالى بارك في الشام من الفرات إلى العريش فيدل ذلك على دخوله في حد حلب ، والفرات بالتاء ، هذا هو المعروف المنقول .

وقرأت بخط الحافظ أبي طاهر السِّلفي في رسالة كتبها أبو المظفر إبراهيم ابن أحمد الليث الأَذْري إلى الـِكيا[1] أبي الفتح الحسن بن عبد الله بن صالح الأصبهاني يذكر له فيها سفرته ، قال في أثنائها : إلى أن حصلنا بشط الفُرات ، وهم يقولونها الفُراه ، بالهاء ، ولم أكُ أحققها حتى قرأت في بعض الكتب : إنه يقال : فُرات وفُراه ، كما يقال عنكبوت وعنكبوه ، وتابوت وتابوه ، هذا على أن يكون لغة لهم ، ولايكون على سبيل الاعتقاب[2] .

---

١ ـ أي الصاحب ، فكيا كلمة فارسية تستخدم للتعظيم والتفخيم ، وتعني صاحب ، ملك كبير ، شجاع بطل ، حامي الحدود .

٢ ـ كتب ابن العديم في أسفل هذا النص : ملحق في محرم سنة ثمان وخمسين ، أي قبل وفاته بعامين .

وذكر لي من شاهد مخرج الفرات من أرزن الروم من جبل هناك قال : ويخرج من جانبه الآخر نهر جَيْحون .

والفرات إذا انتهى إلى الشام ودخل في أراضيها تصب فيه أنهار متعددة من أعمال حلب ، شاهدتها منها : النهر الأزرق ، ويعرف ببردا ، وهو دون الدرب على حد بلاد الروم من الشام ، ومنها نهر بَهَسْنى ، ومنها نهر رَعْبان ، ومنها نهر البَرْسمان ، ومنها نهر السّاجور ، ويجتمع إليه أيضا ذوب الثلوج من الجبال الشامية : فلهذا يكثر ماؤه ، ويمد عند اقبال الصيف وعقد الرّمان .

وقال أبو عبد الله محمد أحمد الجَيْهاني : الفرات طالعه السّنبله ، وصاحب الساعة القمر ، ونهر الفرات يخرج من بلاد الروم فوق موضع يقال له أبريق[1] ، فيقبل مع الشمال حتى يمر بالجزيرة والرقة ، ثم ينحدر إلى الكوفة (١٣٦ — و) وفي غربية بلاد الشام ، وفي شرقيه بلاد الجزيرة ، ثم يصب في البطائح بعد أن يتفرق فيصير أنهاراً عظاماً ، ومصبه في البطائح بموضع كَسْكر .

ويقع في الفرات في أرض الجزيرة نهر الخابور ، فيصب في الفرات في موضع يسمى قَرْقيسيا[2] وقال الحسن بن أبي الخَصيب الكاتب في كتاب الكار مهتر في علم أحكام النجوم : الفرات نجمه العذراء .

وقرأت في كتاب المسالك والممالك تأليف أحمد بن الطّيب السّرخَسي قال :

١ — رسمت هذه الكلمة في الاصل دون اعجام الحرف قبل الاخير هكذا — ابريق — وستحل الواو محل الراء في نصوص مقبلة ، ولم تسعفني المصادر التي وقفت عليها — على كثرتها — بما يساعد على ضبط هذا الاسم بشكل صحيح . ولقد استرشدت بما جاء في المعرب للجو اليقي حين شرح كلمة ابريق فقال : طريق الماء ، وبعادة ابن العديم في الاكثار من إهمال حرف الياء فاعتبرت الحرف المهمل ياءً ، ولعل هذا هو الصواب .

٢ — تعرف الآن باسم البصيرة ، وتبعد عن دير الزور مسافة ٤٥ كم ، التقسيمات الادارية ، ٤٦٣ .

مخارج الفرات من قاليقلا على فرسخين من عين ، يمر بأرض الروم ويستمد من عيون ، ويصب فيه أَرْسَنَاس نهر شَمْشاط ، ويجيء إلى كَمخ على ميلين من مَلَطْيَة ، ويخرج إلى حَسْنيا[1] حتى يبلغ إلى سُمَيْشاط ، فيحمل من هناك السفن والأطواف ، ويصب في أنهار تتشعب منه بسواد بغداد والكوفة في دجلة .

وقال أحمد بن الطَّيِّب : عَلو هي الفرات .

أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن ، وأبو العباس أحمد ابنا عبد الله بن عَلْوان الأسديان قالا : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد الحافظ إجازة عن أحمد بن محمد ابن الآبنوسي قال : ذكر أبو الحسين بن المُنادي في كتاب الحافظ من تلخيصه قال : ومخرج الفرات من قاليقلا حتى يمر بأرض الروم ، ويستمد من عيون حتى يخرج على ميلين من مَلَطْيَة ، ثم يبلغ إلى سُمَيْساط ، فيحْمل من هناك السفن والأطواف ، ثم يبلغ إلى الكوفة من فُوَّهَة دِمَمَّا ، وإلى دجلة من هنالك أيضاً ، ومصابّه في دجلة (١٣٦ ـ ظ) .

وقال أبو زيد البَلْخي في تاريخه : ومخرج الفرات من أرض الروم من جبال بها من موضع يقال له أبويق صخر ، ويمر بالجزيرة والرَّقَّة ، وينحدر إلى الكوفة ، ثم يمر حتى ينصب إلى البطائح فيختلط بدجلة .

قال : ويخرج الخابور من رأس عين ، ويستمد من الهرْماس ، وينصب في الفرات[2] .

أخبرنا عبد الله بن الحسين الأنصاري عن أبي طاهر السِّلفي قال : أخبرنا

---

١ ـ رسمت هذه الكلمة في الأصل هكذا ـ حينيا ـ ولعل ضبطي لها يوافق الصواب ، ولعلها البلدة التي جاء ذكرها عند ياقوت باسم حاني « مدينة معروفة بديار بكر » ، وباسم حاني وخيني في مراصد الاطلاع .

٢ ـ البدء والتاريخ ٤/٥٨ ، ورأس العين تتبع الآن إداريا محافظة الحسكة ، ويصل بينها وبين الحسكة طريق مزفت طوله ٩٠ كم ، التقسيمات الإدارية ، ٥٣٦ .

المبارك بن عبد الجبار قال : حدثنا أبو عبد الله الصوري قال : أخبرنا أبو الحسين الغساني قال حدثنا أحمد بن محمد بن بكر الهِزّاني قال أخبرنا العباس بن الفَرَج الرِياشي قال : يقال إن الفرات جاء من بلاد الروم ، فجاء حتى صبّ في دجلة ، وصبت دجلة في البحر ، وعطفت(١) البحر إلى عدن ، ثم إلى جُدّة .

قال الرياشي : وقال الأصمعي : هو من حَضْرَموت إلى جُدّه .

وقرأت في كتاب أحمد بن أبي أحمد بن القاص ، قاضي طَرَسُوس في كتاب دلائل القبلة قال : ومخرج الفرات من قاليقلا من موضع يقال له : أبويق بين قاليقلا وبلاد الروم ، ثم ينحدر إلى ناحية الكوفة ، فيتم فاصلاً بين بلاد الشام والجزيرة ، ففي شرقية بلاد الجزيرة ، وفي غربيه بلاد الشـام ، فيمر على ميلين من مَلَطْيَّة ، ويخرج إلى حينيا حتى يبلغ إلى سَمَيْساط ، ويمر بَقَرْقيسيا ويَحْمل منها السفن إلى الأطراف ، وآخر مصبه في البطائح في موضع يقال له كَسْكر والبطائح ، ثلاثون فرسخاً في ثلاثين فرسخاً ، حَدُّ منها (١٣٧ ــ و) جزيرة العرب ، وحد منها أرض مَشَان ، وحد منها دجلة بغداد ، وحد منها مَصَبّ الفرات والنهروان ، ويمر البطائح حتى يقع في خليج أُبُلَّة في بحر الهند .

ووقع إلي رسالة في ذكر الدنيا وما فيها من الأقاليم والجبال والأنهار والبلاد ، ولم يُسم واضعها فنقلت منها في فصلٍ ذكره في المشهور من الأنهار الكبار في الربع المسكون ، ومعرفة إبتدائها وإنتهائها .

قال : والمشهور من هذه الأنهار الكبار إثنا عشـر نهراً ، وهي : الدِجْلة ، والفرات ، والنيل وجيحون ، ونهر الشاش ، وسَيْحان وجَيْحان ، ونهر بَرَدَان ومهران ، ونهر الرَّس ، ونهر الملك ، ونهر الأهْواز ، وجميع هذه الأنهار تجري فيها السفن .

٢ ــ كتب ابن العديم في الحاشية : صوابه عطف .

قال : فأما الفرات فإنها تخرج ، وتلتقى بلد الروم ، ثم تتفرق على إقليم أثور وتتشعب إليها الخابور ، ثم تدخل العراق ، وتنبطح خلف الكوفة ، وتلقى دجلة منها أربع شعب .

وأما معرفة من حفر الفرات ، فقد قيل : إنه خلقة من الله تعالى لم يحفره أحد فإن أبو القاسم عبد الله بن الحسين الأنصاري ، وعبد الرحيم بن يوسف بن الطفيل أجاز لنا عن أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي عن أحمد بن محمد بن الآبنوسي قال أخبرنا عن أبي الحسين بن المنادي في كتاب الحافظ من تأليفه قال : حدثنا موسى بن إسحق بن موسى الخطمي قال : حدثنا منجاب بن الحارث قال : أخبرنا بشر بن (١٣٧ ـ ظ) عمارة عن أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس في قوله « وفجرنا فيها من العيون ، ليأكلوا من ثمره » (١) وكذلك كانوا يقرؤونها وما عملت أيديهم ، ذلك وجدوه معمولاً ، يعني الفرات ودجلة ونهر بلخ ، وأشباهها ، وجدوه معمولاً لم تعمله أيديهم .

وقد قيل إن دانيال حفره . أخبرنا زيد بن الحسن البغدادي إذناً ، ونقلته من أصل سماعة ، قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد الحريري قال : أبو القاسم بن البسري عن محمد بن جعفر بن النجار قال : يقال إن الفرات حفره دانيال مع الدجلة ، وأن الفرات يجيء من واد يقطع الروم ، وأن دجلة يخرج ماؤها من جبل بآمد .

وأخبرنا أبو اليمن الكندي إجازة ، قال : أخبرنا أبو منصور القزاز قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي ثابت الخطيب قال : أخبرنا علي بن محمد بن عبد الله المعدل قال : أخبرنا عثمان بن أحمد الدقاق : حدثنا محمد بن أحمد بن البراء

---

١ ـ القرآن الكريم ، سورة ياسين الآيتان : ٣٤ ـ ٣٥ . : (وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجرنا فيها من العيون . ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون) .

قال : حدثنا الفضل بن غانم قال : حدثنا الهَيثم بن عَدي عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : أوحى الله سبحانه إلى دانيال الأكبر أن فجر لعبادي نهرين ، واجعل مغيضهما البحر ، فقد أمرت الأرض أن تطيعك . قال : فأخذ َقناةً ، أو قصبة ، فجعل يخدها في الأرض ويتبعه الماء ، فإذا مر بأرض شيخ كبير أو يتيم ناشده الله ، فيحيد عن أرضه ، فعواقيل دجلة والفُرات من ذلك .

وقال أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن (١٣٨ ـــ و) محمد بن أحمد بن حماد الواعظ مولى بني هاشم قال : أخبرنا أبو علي إسماعيل ابن محمد الصفار إملاء قال : حدثني أبو بكر محمد بن إدريس الشعراني قال : حدثنا موسى بن إبراهيم الأنصاري عن إسماعيل بن جعفر المدني عن عثمان بن عطاء عن أبيه قال : أوحى الله تعالى إلى دانيال أن احفر لي سيبين نهرين بالعراق ، قال دانيال : إلهي بأي مكاتل ، وبأي مساحي ، وبأي رجال ، وبأي قوّة أحفر لك هذين النهرين ؟ فأوحى الله سبحانه ، أن أعدّ سكة حديد وعَرّضها واجعلها في خشبةٍ ، وألقها خلف ظهرك ، فإني باعث إليك الملائكة يُعينونك على حفر هذين السيبين ، قال : ففعل فحفر ، وكان إذا انتهى إلى أرض أرملةٍ أو يتيم حاد عنه ، حتى حفر الدجلة والفرات ، فهذه العواقيل التي في الدجلة والفرات من حفر دانيال .

وأبنأنا سعيد بن هاشم بن أحمد الخطيب عن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن الآبنوسي قال : أخبرنا أبو الحسين بن المُنادي قال : وروي عن ابن عباس أن الله تعالى أوحى الى دانيال الأكبر ، وكان بين نوح وإبراهيم صلى الله عليهم أجمعين ، أن احفر لعبادي نهرين ينتفعون بهما فإني قد أمرت الأرض والماء أن يطيعاك فأخذ عصاً ، ثم أقبل يخط في الأرض ، والماء يتبعه ، يمر بالقراح والكرم والنهر للشيخ وللمرأة وللصبي ، فتقول المرأة نحه عن كرمي وارحمني لضعفي ، فصَرف به حتى قذفه ، فعواقيل دجلة والفرات من ذلك . (١٣٨ ـــ ظ)

وقد قيل إن ملكاً من ملوك العجم يقال له جَم شَاد هو الذي حفر الفرات . فإن البَلْخي ذكر في تاريخه وقال : وفي كتب العجم إن جَم شَاد حفر سبعة أنهار سَيْحون ، وجَيْحون ، والفُرات ، ودجلة ، ونهــر مِرَّان بأرض السند . قالوا ونهران لم يسميا لنا .

وهذا غير جائز ولا ممكن ، اللهــم إلا أن يقال ، هو ساق ماء هــذه الأنهار إلى أراضي البلاد فاستعمرها ، واستنزلها وحفر الأنهار منها ، والله سبحانه أعلم [١].

* * *

١ ــ البدء والتاريخ ٤/٦٠ .

فصل في تفضيل ماء الفرات على غيره من المياه

أخبرنا أبو المظفر حامد بن العميد بن أميري القزويني الفقيه القاضي بحلب، وأبوا محمد عبد الرحمن بن ابراهيم بن أحمد المقدسي بنابلس، ومحفوظ بن هلال ابن محفوظ الرسعيني برأس عين قالوا: أخبرتنا شُهْدة بنت أحمد الآبري، قال محفوظ: إجازة، قالت: أخبرنا أبو الفوارس طراد بن محمد الزينبي قال: أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بِشران قال: أخبرنا الحسين بن صفوان قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا (قال:) حدثني محمد بن الحسين عن عبيد الله بن محمد عن حماد بن سَلَمة عن سِماك بن حرب قال: كان بصري قد ذهب، فرأيت إبراهيم خليل الرحمن صلى الله عليه وسلم، فيما يرى النائم، فمسح عيني وقال: ائت الفرات، فغض فيه، وافتح عينيك فيه، ففعلت، فذهب ما كان بعيني.

أنبأنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِندي قال: أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد (١٣٩ ــ و) الحريري قال: أخبرنا أبو القاسم بن البُسري عن محمد بن جعفر بن النجار قال: وقالت الأطباء: كل ماءٍ في نهر فطير إلا ماء فُرات فإنه خمير، لكثرة اختلاط الأهوية به، وتكسير المهدزانات له، وهذه المهدزانات عملت لتكسير حدة الماء.

قلت: والى زمننا هذا يُختار ماء الفرات للخلفاء، على ماء دجلة، فإن دجلة تمر ببغداذ بدور الخليفة، ويحمل الماء لشرب الخليفة من نهر عيسى، وهو نهر يأتي من الفرات، ويصب في دجلة، حتى أن السقائين ببغداد يُمنعون أن يستقوا للعامة من نهر عيسى، فلا يمكن من الشرب منه إلا أهل الدور التي هي على نهر عيسى، وما يقاربها.

وقرأت فيما علقته من الفوائد، وقيل إن الفرس تسمي نهر الفرات عندهم نهر شير، وهو نهر الملك، وكانوا يرون سقي الفرات وثماره أفضل من سقي دجلة وأحلى وأجود.

باب في ذكر ما جاء في فضل الفرات من الأحاديث والآثار

أخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن بن زيد الكِندي كتابة ، وسمعته بدمشق في منزله قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري قال : أخبرنا أبو القاسم بن البُسري قال : أخبرنا محمد بن جعفر التميمي إجازة قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن مهدي قال : حدثنا محمد بن زيد الرّطاب قال : أخبرنا ابراهيم بن محمد الثقفي قال : أخبرنا يوسف بن بهلول قال : حدثنا عبده ابن سليمان الكِلابي (١٣٩ ــ ظ) عن سعيد بن أبي عَروبه عن قتادة عن أنس ابن مالك عن مالك بن صَعْصعة قال : أخبرنا نبي الله صلى الله عليه وسلم : « أنه رفع له سدرة المنتهى فرأى أربعة أنهار يخرجن من أصلها . قلت : يا جبريل ما هذه الأنهار ؟ قال : أما النهران الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان فنهران في الجنة » . وقد رواه حفص بن عبد الله السّلمي عن ابراهيم بن طهمان عن شعبة ابن الحجاج عن قتادة عن أنس ، وذكر فيه زيادة .

أخبرناه أبو محمد عبد العزيز بن الحسين بن هلالة قال : أخبرنا أسعد بن أبي سعيد بن روح قال : أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الجوزجانية قال[1] : أخبرنا أبو بكر بن رَيذة قال : أخبرنا أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني قال : حدثنا يعقوب بن إسحق أبو عوانه النيسابوري الحافظ قال : حدثنا محمد بن عقيل النيسابوري قال : حدثنا حفص بن عبد الله السلمي قال : حدثنا إبراهيم بن طهمان عن شعبة بن الحجاج عن قتادة عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله

---

١ ــ كذا في الأصل ، والصواب أن يقال : قالت .

عليه وسلم : « رُفعت لي سدرة المنتهى ، فإذا أربعة أنهار ، نهران ظاهران ونهران باطنان ، فأما الظاهران فالنيل والفرات ، وأما الباطنان فنهران في الجنة ، وأُتيت بثلاثة أقداح ، قدح فيه لبن ، وقدح فيه عسل ، وقدح فيه خمر ، فأخذت الذي فيه اللبن فشربت فقيل : أصبت الفطرة أنت وأمتك . قال الطبراني : لم يروه عن شعبة إلا ابراهيم بن طهمان ، تفرد به حفص بن عبد الله (١٤٠ ــ و) .

أخبرنا زيد بن الحسن الكِندي إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم بن الطبر قال : أخبرنا أبو القاسم بن البسري قال : أخبرنا محمد بن جعفر التميمي إجازة قال : أخبرنا أبو سعيد الأحمسي قال : حدثنا الحسين ــ يعني ــ ابن حميد قال : حدثنا يوسف بن يعقوب الصفّار قال : حدثنا يحيى بن سعيد الأموي عن عبد الله بن سعيد المقبري عن جده عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « نهران مؤمنان النيل والفرات ، ونهران كافران دجلة وبردى » . وفي رواية أخرى بدل بردى نهر بلخ .

وأنبأنا الكندي قال : أخبرنا ابن الطبر قال : أخبرنا ابن البسري قال : أخبرنا التميمي إجازة قال : أخبرنا أبو سعيد الأحمسي قال : حدثنا الحسين قال : حدثنا محمد بن اسماعيل الواسطي قال : حدثنا علي بن عاصم عن الليث بن سعد ، أراه عن عطاء ، قال : دجلة نهر اللبن في الجنة ، والفرات نهر العسل ، والنيل نهر الخمر في الجنة .

وقُرىء على شيخنا أبي اليُمن الكندي أخبركم أبو منصور القزاز قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن موسى بن هرون بن الصلت الأهوازي قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن مَخْلد العطار قال : قرأت على العباس بن يزيد البحراني قلت : حدثكم مروان بن معاوية عن إدريس الأودي عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « نهران من الجنة النيل والفرات » .

وقد جاء في حديث آخر عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة أنهار من الجنة الفرات وسيحان وجيحان (١٤٠ ــ ظ) والنيل » . ونحن نذكر الحديث بإسناده في الباب الذي يأتي بعد هذا في فضل سيحان وجيحان.

أنبأنا أبو المحاسن سليمان بن الفضل البانياسي قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن قال : أخبرنا أبو سعد أحمد بن محمد بن أحمد بن الحسين ابن البغدادي ، ح.

وأنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي عن أبي سعد إجازة قال : أخبرنا أبو الفضل المطهر بن عبد الواحد بن محمد قال : أخبرنا أبو عمر عبد الله ابن محمد بن أحمد بن عبد الوهاب السلمي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يزيد الزهري قال : حدثنا عمي عبد الرحمن بن عمر بن يزيد أبو الحسن الزهري يعرف برُسته ، قال : حدثنا أبو داود قال : حدثنا المسعودي عن القاسم قال : مدّ الفرات على عهد عبد الله ، فكره الناس ذلك فقال عبد الله : يا أيها الناس لا تكرهوا مدّه ، يوشك أن يلتمس فيه ملء طست من ماء فلا يوجد ذلك ، وذلك حين يرجع كل ماءٍ الى عنصره ، فتكون بقية الماء والمؤمنون بالشام . والمسعودي هو عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود .

وذكر أبو زيد البلخي في تاريخه قال : وزعموا أن الفرات مدّ فرمى برمانة شبه البعير البارك ، وذلك في زمن معاوية ، فسئل كعب الأحبار عن ذلك فقال : هي من الجنة[1] .

وقد رواه جعفر بن عون العمري عن أبي عُميس عن القاسم موقوفا عليه أنبأنا به عبد الرحيم بن يوسف وغيره عن أبي طاهر الحافظ عن أحمد (١٤١ ــ و) ابن محمد بن الآبنوسي قال : أخبرنا عن أبي الحسين بن المنادي قال : وحدثنا

١ ــ البدء والتاريخ ٤/٦٠ .

العباس بن محمد ــ يعني ــ الدوري إملاءً قال : حدثنا جعفر بن عون العمري قال : أخبرنا أبو عُميس عن القاسم قال : مدَّ الفرات فجاء برمانة مثل البعير ، فكانوا يتحدثون أنها من الجنة •

وأخبرنا أبو اليُمن الكِندي فيما أذن لنا فيه قال : أخبرنا أبو القاسم الحريري قال : أخبرنا أبو القاسم بن البُسري قال : أخبرنا محمد بن جعفر التميمي إذناً قال : حدثنا أبو القاسم عبد الله بن الحسن بن مهدي قال : حدثنا أبو جعفر محمد بن زيد الرطاب قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي قال : حدثني ابن أبي أُويس الوراق قال : حدثنا جعفر بن عون عن العُميْس عن أبيه قال : قذف الفرات رمانة مثل البعير ، فتحدث أهل الكتاب أنها من الجنة •

وقال محمد بن جعفر التميمي : حدثنا أبو القاسم بن مهدي قال : حدثنا محمد قال : حدثنا ابراهيم قال : حدثني يحيى بن الحسن بن الفرات قال : حدثنا علي بن بهيس قال : حدثني موسى بن أبي الغُمر عن عطاءٍ الهمداني عن تميم بن حُذيْم قال : كنا عند علي جلوساً فجاءه رجل فقال : يا أمير المؤمنين جاء البارحة شيء فسكر الفرات ، ما ندري ما هو ، قال : فدعا بدُلْدُل[2] فركبها ، وركب الناس معه حتى انتهى الى الفرات ، فقال : هذه رمانة من رمان الجنة • فدعا بالرجال والحبال ، فاستخرجت ، فقسم ما فيها فما بقي أهل بيت بالكوفة إلا وقد دخله منها • قال علي : قال موسى : قلت لعطاءٍ : أرني الموضع الذي أراكه (١٤١ ــ ظ) تميم ، قال : فأراني المضيق الزمي •

وقال : حدثنا أبو القاسم قال : حدثنا محمد قال : حدثنا ابراهيم قال : حدثنا اسماعيل بن أبان قال : حدثنا عمرو عن جابر قال : غضب الشعبي على رجل من هَمْدان اسمه عبد الرحمن فقال لي : ماله قاتله الله ، كأن رأسه رمانة الفرات ،

٢ ــ اسم بغلة علي •

فقلت يا أبا عبد الرحمن وما قصة رمانة الفرات ؟ قال : حدثني من زعم أنه نظر إليها في زمن ابن أبي طالب أسفلها قد أفرغ في أسفل الوادي وأعلاها بارز ، وذكر أنه كان فيها حين كيل حبّها أكرار[1] . وذكروا أن علياً قال : إن الفرات لوادٍ من أنهار الجنة .

وقال : حدثنا أبو القاسم قال : حدثنا محمد قال : حدثنا ابراهيم حدثني عبد الرحمن بن أبي هاشم قال : حدثنا عبد الرحمن بن محمد العرزمي عن أبيه عن السُدّي عن أبي أراكة قال : أُتي علي عليه السلام ذات يوم فقيل لـه : يا أمير المؤمنين هذه رمانة قد سدت الفرات ، فقال : يا غلام بغلتي ، فركبها وركب الناس معه ، فإذا رمانة عظيمة ، فأمر فأنشبت فيها الحبال ، ثم أمر بها فأُخرجت ، ثم هدمت ، فاستخرجوا منها كُرّين وأقفزة ، فقال علي : إن نهركم هذا مـن أنهـار الجنـة ، هذه الرمانة من رمان الجنة . قال ابن العرزمي : فحدثت به عمرو الجعفي فذكره عن جابر عن أبي أركة[2] قال : كانت الحبة منه مثل الكُمّة العظيمة .

أنبأنا أبو اليُمن بن الحسن قال : أخبرنا أبو منصور القزاز قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب (١٤٢ ــ و) قال : أخبرنا ابراهيم بن عبد الواحد بن محمد بن الحبّاب الدلال قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن ابراهيم الشافعي قال : حدثنا محمد بن أحمد بن بُرْد قال : حدثنا محمد بن عيسى بن الطباع ، ح.

قال الخطيب : وأخبرنا أبو منصـور محمد بن عيسى بن عبد العزيز البـزاز بهمذان ــ واللفظ له ــ قال : حدثنا أبو العباس أحمد بن محمد بن الحسين الرازي قال : حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن طَرْخان البلخي قال : حدثنا أُحيْد ابن الحسين ــ قرأت عليه أن محمد بن حفص حدثهم ــ قالا : حدثنا الربيع بن

---

١ ــ جمع كر مكيال للعراق .
٢ ــ كذا في الاصل وقد تقدم قبل أسطر اراكه .

بدر عن الأعمش عن شقيق عن عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ينزل في الفرات كل يوم مثاقيل من بركة الجنة » .

وقال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : أخبرنا القاضي أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي بالبصرة قال : حدثنا عبد الرحمن بن أحمد الخُتّلي قال : حدثني عبد الله بن محمد بن علي البلخي قال : حدثنا محمد بن أبان قال : حدثنا أبو معاوية عن الحسن بن سالم بن أبي الجعْد عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ليس في الأرض من الجنة إلا ثلاثة أشياء ، غرس العجوة وأواقٍ تنزل في الفرات كل يوم من بركة الجنة والحجر » .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن قال : أنبأنا أبو الغنائم محمد بن علي بن ميمون قال : أخبرنا أبو عبد الله (١٤٢ ــ ظ) محمد بن علي بن الحسن الحسني قراءة عليه قال : أخبرنا محمد بن عبد الله الجُعْفي قال : حدثنا الحسين بن محمد بن الفرزدق الفزاري قال : حدثنا جعفر بن عبد الله المحمدي : سمعت محمد بن أبي عُمير يذكر عن محمد بن مسلم قال : سألت الصادق عن قول الله عز وجل « وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين »[1] . قال : الربوة النجف ، والقرار المسجد ، والمعين الفرات ، ثم قال : إن نفقة بالكوفة الدرهم الواحد يعدل بمائة درهم في غيرها ، والركعة بمائة ركعة ، ومن أحب أن يتوضأ بماء الجنة ، ويشرب من ماء الجنة ، ويغتسل بماء الجنة فعليه بماء الفرات ، فإن فيه مَثْعبين[2] من الجنة ، وينزل من الجنة في كل ليلة مثقالان مسك في الفرات .

أخبرنا أبو الحسن بن أبي عبد الله بن أبي الحسن بن المُقير بالقاهرة أخبرنا

---

١ ــ القرآن الكريم ، سورة المؤمنون ، الآية : ٥٠ .
٢ ــ المثاعب : مسايل الماء .

محمد بن ناصر السلامي إجازةً قال : أنبأنا ابراهيم بن سعيد بن عبد الله الحبال قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن القاسم بن مرزوق قال : أخبرنا أحمد ابن عبد الرحمن بن القاسم الحراني أبو صالح قال : حدثنا أبو الحسن عمر بن الحسن القاضي قال : حدثنا أبو بكر بن أبي الدنيا قال : حدثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي قال : حدثنا يونس بن بُكير عن موسى بن قيس الحضرمي قال : سمعت جعفر بن محمد بن علي في قوله عز وجل « وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين » (١٤٣ ــ و) قال : الربوة الكوفة والمعين الفرات .

أنبأنا أبو القاسم عبد الله بن الحسين الأنصاري وعبد الرحيم بن يوسف بــن الطُفيل عن الحافظ أبي طاهر السِّلَفي عن أحمد بن محمد بن الآبنُوسي قال: أخبرنا عن أبي الحسين المُنادي قال : أخبرنا العباس بن محمد الدُوري قال : حدثنا أبــو يحيى الحَماني قال : حدثنا الأعمش عن خَيثمه بن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو موقوفاً قال : ما من يوم إلا يحمل في الفرات مثاقيل من بركة الجنة .

أخبرنا أبو اليُمن الكِنْدي إذناً ، ونقلته من أصل سماعه ، قال أخبرنا أبــو القاسم الحريري قال أخبرنا أبو القاسم بن البُسْري قال : أخبرنا محمد بــن جعفر التميمي إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن مَهْدي قال : حدثنا محمد بن زيد قال : حدثنا إبراهيم الثقفي قال : حدثنا بكر قال : حدثنا شُعْبة بن الحجاج قال : أخبرني الحكم قال : سمعت خَيْثمه بن عبد الرحمن يقول : قال عبد الله بن عمرو : ما من يوم إلا وهو يُوزن في الفرات مثاقيل من ماء الجنــة .

قال محمد بن جعفر التميمي وأخبرنا أبو بكر الدارمي قال : أخبرنا الحســين ابن محمد بن الحسين البَجَلي قال : حدثنا علي بن سعيد قال : حدثنا مُطلب عــن عبد الملك بن عُمير قال إن الفرات نهر من أنهار الجنة ، لولا مايخلطه مــن الأذى ، ما تداوى به بشر إلا برأ ، وإن عليه ملكاً يصرف عنه الأذى .

باب في ذكر جيحان نهر المصيصة

وأهل بلاد الروم يسمونه جهان

وهو نهر كبير يخرج من بلد الروم ، وينتهي الى المِصِّيصَة ، فيفصل بينها وبين كَفَرَ بَيَا ، ثم يخرج منهما ، فيلقي ماءه في بحر الروم ، وشاهدت مخرجه من بلد الروم من قرية يقال لها كيز مِيت ، قريبه من مدينة أَبُلُسْتَيَن من شرقيها وقبليها ، وبينها وبين مدينة أَبُلُسْتَيَن مقدار ميل ، والماء يخرج من شُقيف حجر الى أرضٍ بين يدي الشُقيف ، وهي تنبع الماء جميعها ، وعلى (١٤٣ ـ ظ) الشُقيف كنيسة قديمة من بناء الروم ، وقد صُور فيها الجنة ، والنهر يخرج منها ، ويأتي النهر الى مدينة أَبُلُسْتَيَن ، فينقسم قسمين ، ويحيط بالمدينة ، فإذا جاوزها عاد واجتمع ، وتلقى إليه أنهار متعدّدة منها نهر يأتي من بلدة يقال لها الرَمان ، شاهدتها وشاهدت نهرها ، وهو نهر كبير أيضاً .

ويجري هذا النهر حتى يخرج الى الشام ، ويصل الى المِصِّيصَة ، وهي من الجانب الغربي منه ، وكَفَرَ بَيَّا من الجانب الشرقي ، وعلى النهر بين المدينتين جسر عظيم قديم معقود بالحجارة .

وقال أبو زيد البَلْخي : جَيْحان يخرج من بلد الروم حتى ينتهي الى المِصِّيصَة ، ثم الى رُسْتاق يعرف بالمُلَوْن ، حتى يقع في بحر الروم .

وقال أحمد بن أبي أحمد بن القاص في كتاب دلائل القبلة قال : ونهر جَيْحان هو نهر المِصِّيصَة ، مخرجه من بلاد الروم ، وينصبّ أيضاً في بحر الشام .

أنبأنا أحمد بن عبد الله الأسدي عن الحافظ أبي طاهر عن أحمد بن محمد بن علي الآبنوسي قال : أخبرنا عن أبي الحسين بن المنادي قال : ويخرج جَيْحان نهر المِصِّيصَة من بلاد الروم على مسيرة مراحل منها ، ثم يجتاز في طريقه إليها بموضع يدعى هنالك نهر المسدود ، ثم يصب في بحر اللبنان ، ويستمد من وادي الريح ، ثم يصب في البحر الشامي .

وقال أحمد بن الطيّب السَّرْخَسي في كتاب المسالك والممالك : ويخرج جَيْحان نهر المِصِّيصَة من بلاد الروم ، ويصب في نهر اللبنان ، ويستمد من وادي الريح ، ويصب في البحر الشامي .

أنبأنا عيسى بن عبد العزيز بن عيسى قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد الأصبهاني قال : أخبرنا أبو صادق المديني قال : أخبرنا أبو الحسن علي (١٤٤ـو) بن منير بن أحمد في كتابه قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج قال :أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف الأزدي قال: حدثنا عبدالرحمن ابن عبد الله قال : حدثنا سعيد بن أبي مريم قال : حدثنا الليث بن سعد وعبد الله ابن لَهيعة قالا : حدثنا يزيد بن أبي حَبيب عن أبي الخير عن أبي جُنادة الكِناني أنه سمع كعباً يقول : النيل في الآخرة عسل ، أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله عز وجل ، ودجلة في الآخرة لبن أغزر مايكون من الأنهار التي سمى الله ، وجَيْحان ماء أغزر ما يكون من الأنهار التي سمى الله .

أخبرنا أبو حفص عُمر بن محمد بن طَبَرْزَد البغدادي إجازة قال : أخبرنا أبو القاسم بن السَّمرقندي ، وأبو غالب محمد بن أحمد بن الحسين بن علي بن قُريش ، وأبو بكر محمد بن عبيد الله بن دَحْروج ، وأبو المعالي أحمد بن منصور ابن المُؤمل الغزّال ، قالوا : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد البَزّاز قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن المُخلص قال : حدثنا أبو محمد عبيد الله بن

عبد الرحمن بن عيسى السُكري قال : حدثنا أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي وأبو بكر محمد بن صالح الأنماطي ، قالا : حدثنا أبو صالح عبد الله بن صالح كاتب الليث بن سعد قال : حدثني الليث بن سعد قال : بلغني أنه كان رجل من بني العِيص يقال له حائذ بن أبي شَالُوم بن العِيص بن إسحق بن إبراهيم نبي الله عليهما السلام ، وأنه خرج هارباً من ملك من مُلوكهم حتى دخل أرض مصر ، وأقام بها سنين ، فلما رأى عجائب نيلها ومايأتي به ، جعل الله عليه أن لايفارق ساحله حتى يبلغ منتهاه أو يموت ، فسار عليه ، قال بعضهم ، ثلاثين سنة في الناس ، وثلاثين سنة (١٤٤ ــ ظ) في غير الناس ، وقيل خمسة عشر كذا ، وخمسة عشر كذا حتى انتهى إلى بحر أخضر ، فنظر إلى النيل يَشُقُّ مقبلاً ، فقعد على البحر ، فإذا رجل قائم يصلي تحت شجرة من تفاحٍ فلما رآه استأنس به ، وسلم عليه ، فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال : من أنت ؟ فقال له : أنا حائذ بن أبي شَالُوم بن العِيص بن إسحق عليهما السلام ، قال : فمن أنت ؟ قال : أنا عمران بن فُلان بن العِيص بن إسحق عليه السلام ، قال : فما الذي جاء بك هنا ياحائذ ؟ قال : جئت من أجل هذا النيل . فما جاء بك ياعمران ؟ قال : جاء بي الذي جاء بك حتى إنتهيت الى هذا الموضع ، فأوحى الله إلي أن قف في هذا الموضع ، فأنا واقف حتى يأتيني أمره ، قال له حائذ : أخبرني ياعمران ما إنتهى إليك من أمر هذا النيل ، وهل بلغك في الكتب أن أحداً من بني آدم يبلغه ؟ قال له : نعم ، قد بلغني أنَ رجلاً من ولد العِيص يبلغه ، ولا أظنه غيرك ياحائذ ، قال له حائذ : ياعمران أخبرني كيف الطريق إليه ؟ فقال له : لست أخبرك بشيء إلا أن تجعل لي ما أسألك . قال : وما ذاك ؟ قال : إذا رجعت إلي وأنا حي أقمت عندي حتى يوحي الله تعالى إلي بأمره : أو يتوفاني فتدفنني ، وإن وجدتني ميتاً دفنتني وذهبت ، قال : ذلك لك علي ، قال له : سِر كما أنت على هذا البحر ، فإنك ستأتي على دابة ترى آخرها ، ولا ترى أولها ، فلا يهولنك أمرها ، إركبها فإنها دابة معادية للشمس ، فإذا طَلَعَت أَهْوَت إليها

لتلتقمها حتى يحول بينها وبينها حَجَبَتُها (١) ، وإذا غَرَبَت أهوت إليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فسِر (١٤٥ ــ و) عليه راجعاً حتى تنتهي الى النيل . فسِر عليه فإنك ستبلغ أرضاً من حديد ، جبالها وأشجارها وسهولها حديد ، فإن أنت جُزْتها وقعت في أرض من نحاس جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس ، فإن أنت جُزتها وقعت في أرض من فضة ، جبالها وأشجارها وسهولها من فضة ، فإن أنت جُزتها وقعت في أرض من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب ، فيها ينتهي إليك علم النيل .

فسار حتى إنتهى الى أرض الذهب ، فسار فيها حتى إنتهى الى سور من ذهب وشُرفه من ذهب وفيه قُبة من ذهب ، لها أربعة أبواب ، فنظر الى ماءٍ ينحدر من فوق ذلك السور حتى يستقر في القُبة ، ثم ينصرف (٢) في الأبواب الأربعة ، أما ثلاثة فتغيض في الأرض ، وأما واحد فيسير (٣) على وجه الأرض ، وهو النيل ، فشرب منه ، واستراح ، وأهوى الى السور ليصعد ، فأتاه ملك فقال : يا حائذ قف مكانك ، قد إنتهى إليك علم هذا النيل ، وهذه الجنة والماء ينزل منها ، فقال : أريد أن أنظر الى ما في الجنة ، فقال : إنك لن تستطيع دخولها اليوم ياحائذ ، فقال : فأي شيء هذا الذي أرى ؟ قال : هذا الفَلَكُ الذي يدور به الشمس والقمر ، وهو شبه الرحى ، فقال : إني أريد أن أركبه فأدور فيه ، ــ فقال بعض العلماء : إنه ركبه حتى دار الدُنيا ، وقال بعضهم : لم يركبه ــ فقال له : ياحائذ إنه سينالك من الجنة رزق ، فلا تؤثر عليه شيئاً من الدنيا ، فإنه لا ينبغي لشيء من الجنة أن يُؤثر عليه شيء من الدنيا ، إن لم تؤثر عليه شيئاً من الدنيا بقي مابقيت ، فبينما هو كذلك إذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة أصنافٍ ، لون كالزبَرجَد الأخضر (١٤٥ ــ ظ) ، ولون

---

١ ــ كتب ابن العديم في الحاشيه : حجابتها .

٢ ــ كتب ابن العديم فوقها : نسخه ، وفي الحاشية : يتفرق .

٣ ــ كتب ابن العديم فوقها علامه حاشية ، وكتب في الحاشيه : قال أبو محمد فينشق .

كالياقوت الأحمر ، ولون كاللؤلؤ الأبيض ، ثم قال : يا حائذ أما إن هذا من حصرم الجنة وليس من طيب عنبها فارجع ياحائذ ، فقد إنتهى إليك علم النيل ، قال : فهـذه الثلاثة التي تغيص في الأرض ماهي ؟ قال : أحدها الفرات ، والآخر دجله ، والآخر جَيْحان ، فارجع ، فرجع حتى إنتهى الى الدابة ، فركبها ، فلما أهوت الشمس لتغرب قذفت به في جانب البحر ، فأقبل حتى إنتهى الى عمران ، فوجده ميتاً حين مات ، فدفنه ، وأقام على قبره ثلاثاً ، فأقبل شيخ متشبه بالناس ، أغَرّ من السجود ، ثم أقبل الى حائذ فسلم عليه ، فقال له ياحائذ : ماانتهى إليك من علم هذا النيل ؟ فأخبره قال الرجل : هكذا نجده في الكتب ، ثم طَرّى ذلك التفاح في عينيه ، فقال : ألا تأكل منه ؟ قال : معي رزق قد أعطيته من الجنة ، ونُهيت أن أوثر عليه شيئاً من الدنيا ، قال : صدقت ياحائذ ، وينبغي لشيء من الجنة يؤثر بشيء من الدنيا ، وهل رأيت في الدنيا مثل هذا التفاح ، إنما أنبت في الأرض ليست من الدنيا ، وإنما هي شجرة من الجنة ، أخرجها الله لعمران يأكل منها ، وما تركها إلا لك ، ولو وَلّيت عنها لرُفعت ، فلم يزل يُطْريها في عينه ، حتى أخذ منها تفاحةً ، فلما عضها عض على يديه ، ثم قال : أتعرفه هو الذي أخرج أباك من الجنة ، أما إنك لو سلمت بما معك لأكل منها أهل الدُنيا قبل أن ينفد ، وأقبل حائذ حتى دخل مصر ، فأخبرهم بهذا ، ومات بأرض مصر رحمه الله (١) .

* * *

١ ــ اذا قورنت هذه الاسطوره بما جاء في الملحمة البابليه القديمه ، ملحمة جلجامش ، يجد المرء تشابها شديدا في الافكار الاساسية والمقاصد .

باب في ذكر سيحان نهر أذنة

وهو نهر كبير دون جَيْحان في العظم ، وبين مخرجه ومخرج جَيْحان يومان، ومخرجه (١٤٦ ــ و) أيضاً من بلاد الروم ، وشاهدته في قريـة يقال لها بالعربيـة رأس العين ، ويقال لها بالتركية يَاتْغرِباشي ، ومعناه رأس الماء ، وهو يخرج مـن فوجةٍ[1] بين جبلين ينبع ماؤه من تحت الجبل من الصخر الأصم، وعنده كنيسةقديمة من بناء الروم ، قد صورت الجنة فيها ، ونهر سَيْحان خارج منها ، فيجري النهر ، وتجتمع إليه عيُون تسيل في وادٍ في الدَرْبَند الذي بين الساروص ، وبين هـذه القرية ، وتخرج هذه العيون في الوادي المذكـور ، فتصب في سَيْحان ، ويخـرج سَيْحان في بلد الروم حتى يمر تحت قلعة سمندُو ، ويمر على بلاد الأرمن ، ويمتد على تلك البلاد حتى ينتهي الى أَذنَه ، وهو من شرقيها ، ثم يمتد منهـا فيصب في البحـر الشـامي .

أنبأنا أبو محمد عبد الرحمن بن عبد الله بن عُلوان الأسدي قال : كتب إلينا أحمد بن محمد بن أحمد الحافظ أن أحمد بن محمد بن علي بن الآبنوسي أخبرهم إجازة قال : أُخبرنا عن أبي الحسين بن المنادي قال : ومخرج سيحان نهر أذنـه من بلاد الروم ، ثم يمر على موضع من بلاد أرمينية ، فيدعى هنالك نهر محمد ، ثـم يمتد حتى ينتهي إلى أَذَنه ، وهنالك يُدعى سيحان ، ثم يسير حتى يصـب في البحر الشامي .

قلت : قوله من بلاد أرمينية وهم فإن أرمينية هي أخلاط ، والفرات يحول

١ ــ كذا بالاصل ولعلها تصحيف « فرجة » أو « فوهة » .

بينها وبين بلاد الروم ، بل الظاهر أن ابن المنادي وجد في بعض الكتب أنه يمر ببلاد الأرمن ، فظنها أرمينيه ، والله أعلم .

ونقلت من خط صديقنا ياقوت الحموي في كتاب البلدان : ولأذنه نهر سيحان ، وعليه قنطره حجارة (١٤٦ ــ ظ) عجيبة بين المدينة وبين حصن مما يلي المصيصة ، وهو شبيه بالربض ، والقنطرة معقودة على طاق واحد[1] .

وقرأت في كتاب أبي زيد أحمد بن سهل البلخي في كتاب صورة الأرض قال : وسيحان هو دون جيحان في الكبر ، عليه قنطرة حجارة عجيبة البناء ، طويلة جدا ، يخرج هذا النهر من بلد الروم أيضاً .

وقال أحمد بن الطيب السرخسي في كتابه : ومخرج سيحان نهر أذنة من بلاد الروم ، ويصب في البحر الشامي .

أخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن الكندي إذناً قال : أخبرنا أبو منصور القزاز قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن محمد بن يعقوب الإيادي قال : أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاّد قال : حدثنا الحارث بن محمد قال : حدثنا سعيد بن شُرحبيل عن ليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير قال : قال كعب : نهر النيل نهر العسل في الجنة ، ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ، ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ، ونهر سيحان نهر الماء في الجنة ، قال : فأطفأ الله نورهن فيُصيرهن إلى الجنة .

* * *

١ ــ انظر معجم البلدان مادة اذنه .

باب في ذكر ماورد في الحديث والسنة
أن الفرات وسيحان وجيحان من أنهار الجنة

وهذه الأنهار الثلاثة قد إختص عمل مدينة حلب بفضلها ، لأنها من عملها ، لم تختص مدينة أخرى بنظير هذه الفضيلة ولا بمثلها ، فإن أبا الحسين مسلم (١٧٤ — و) بن الحجاج خرّج في صحيحه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة »[١]؛ وهذه الثلاثة داخلة في عمل حلب ، لا يخرج عنه غير النيل .

أخبرنا بهذا الحديث قاضي القضاة أبو المحاسن يوسف بن رافع بن تميم الأسدي قاضي حلب قراءة عليه وأنا أسمع قيل له : أخبرك أبو بكر محمد بن علي بن ياسر الأنصاري الجياني قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الفراوي ، ح .

وكتب إلينا عالياً أبو القاسم منصور بن عبد المنعم بن عبد الله بن محمد بن الفضل الفراوي ، وأبو الحسن المؤيد بن محمد الطوسي من نيسابور قالا : أخبرنا أبو عبد الله الفراوي قال : أخبرنا وأبو الحسين عبد الغافر بن محمد الفارسي قال : أخبرنا أبو أحمد بن محمد بن عيسى بن عَمْرويه الجلودي قال : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن سفيان الفقيه قال : أخبرنا أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري قال : وحدثنا محمد بن عبد الله بن نُمير قال : حدثنا محمد بن بشر قال : حدثنا عبيد الله — يعني — ابن عمر العمري عن خُبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم

١ — صحيح مسلم ٨ / ١٤٩ .

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « سيحان وجيحان والفرات والنيل كلٌ من أنهار الجنة »[1] .

وقد رواه عن عبيد الله بن عمر ، عبد الله بن يوسف ، وعبد الله بن جعفر ؛ فأما حديث عبد الله بن يوسف فأنبأنا به عيسى بن عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي (١٤٧ ــ ظ) قال : أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المديني قال : أخبرنا أبو الحسن علي ابن منير بن أحمد الحلال في كتابه قال أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن الفرج الصماح قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن ُقديد الأزدي قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال حدثنا عبد الله بن يوسف قال : حدثنا عبيد الله بن عمر عن ُخبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة » .

وأما رواية عبد الله بن جعفر فإن فيها زيادة على هذه الأنهار الأربعة دجلة .

أخبرنا بها أبو اليُمن زيد بن الحسن الكندي إذناً قال : أخبرنا أبو منصور القزاز قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : أخبرنا أبو طالب محمد بن علي بن ابراهيم البيضاوي قال : أخبرنا محمد بن العباس بن حيويه الخزار قال : أخبرنا ابن المُجدر قال : حدثنا داود بن رشيد قال : حدثنا عبد الله بن جعفر قال : أخبرنا عبيد الله بن عمر عن ُخبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النيل والفرات ودجلة وسيحان وجيحان من أنهار الجنة » .

وقد رواه شعبة بن الحجاج عن ُخبيب بن عبد الرحمن كذلك مرفوعاً ، وقال في آخر حديثه : « ُكلٌ من أنهار الجنة وكُلٌ قد شربت منه » .

---

١ ــ صحيح مسلم ١٤٩/٨ .

ورواه عن (١٤٨ ـ و) أبي هريرة رضي الله عنه عبد الله بن مُغيث مولى الزبير، وأبو سلمة بن عبد الرحمن وسعيد بن (أبي سعيد)[1] المقبري، فأما عبد الله بن مُغيث فحدث بها يونس بن بكير عن محمد بن إسحق عن عبد الله بن يزيد عن عبد الله بن مُغيث مولى الزبير عن أبي هريرة مرفوعاً، وزاد في آخره: «ولو أن النيل إذا مد التمستم لوجدتم فيه من ورق الجنة».

وأما رواية سعيد المقبري فأنبأنا بها الأخوان أبو محمد عبد الرحمن وأبو العباس أحمد ابنا عبد الله بن عُلوان الحلبيان عن كتاب أبي طاهر السلفي قال: أنبأنا أحمد بن محمد بن الآبنوسي قال: أخبرنا عن أبي الحسين بن المنادي قال: حدثنا القاسم بن زكريا قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عمار قال: حدثنا قاسم بن يزيد الجَرْمي عن الفرج بن فُضاله عن أبي رافع ـ هو إسماعيل بن رافع ـ المُزني المديني ـ نزل البصرة ـ عن سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أربعة أنهار في الجنة سيحان وجيحان والنيل والفرات».

وأما رواية أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً، فأخبرنا بها أبو الحسن المبارك ابن محمد بن مزيد بن هلال الخواص وأبو عبد الله محمد بن نصر بن أبي الفرج الحصري البغداديان ببغداد قالا: أخبرنا الحافظ أبو محمد عبد الغني بن الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد الهمداني قال: أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء بن أبي منصور الصيرفي، ح.

وأنبأنا عن أبي الفرج (١٤٨ ـ ظ) شيخنا القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني قال أبو الفرج: أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن النعمان قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المقريء قال أخبرنا أبو إسحق بن أحمد ابن نافع الخزاعي قال: أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يحيى بن أبي عمر العداني قال:

---

١ ـ فراغ في الاصل، تداركته من طبقات خليفة بن خياط (٢١٣٩) ٢/٦١٩ وطبقات ابن سعد ٥/٨٥. ويبدو أن ابن العديم لم يكن متأكدا من اسم أبي سعيد المقبري حيث كتبه في الاسناد التالي (رافع) ثم شطب عليه. وقد جاء في طبقات خليفة أن أبا سعيد كان يعرف بكيسان.

حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أربعة أنهار من الجنة ، الفرات وسيحان وجيحان والنيل » .

وقد رواه سعدان بن نصر عن سفيان بن عُيَيْنَة عن محمد بن عمر ، وشك سفيان في رفعه ، أنبأنا به سعيد بن هاشم بن أحمد الأسدي قال : أخبرنا أحمد بن محمد كتابة عن أحمد بن محمد بن الآبنوسي قال : أخبرنا عن أبي الحسين بن المنادي قال : سمعت سعدان بن نصر قال : حدثنا سفيان بن عيينة عن محمد بن عمرو بن علقمة قال : أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسيحان وجيحان ، فقيل لسفيان : أهذا عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لَعَلَّه .

ورواه يزيد بن هارون عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً .

أخبرنا به أبو اليُمن زيد بن الحسن الكِنْدي إجازة قال : أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد القَزَّاز قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن عمر بن عيسى البلدي ، قال : حدثنا أبو العباس عمرو بن هشام بن عمرو قال : قرىء على الحارث بن محمد القَيْطَري (١٤٩ــو) حدثكم يزيد بن هارون ، ح .

قال الخطيب وأخبرنا أبو الفتح محمد بن أحمد بن أبي الفوارس الحافظ ،وأبو بكر محمد بن أحمد بن يوسف الصَّياد وأبو القاسم طَلحة بن علي بن الصَّقر الكِتاني قالوا : أخبرنا أحمد بن يوسف بن خلاد العطار قال : حدثنا الحارث بن محمد قال : حدثنا يزيد بن هارون قال : أخبرنا محمد بن عمرو عن أبي سَلَمة عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فجرت أربعة أنهار من الجنة الفرات والنيل وسَيْحان وجَيْحان .

وقد رواه عبد الملك بن عُمير عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة موقوفاً عليه ، ولم يذكر النيل .

أخبرنا بذلك القاضي أبو القاسم عبد الصمد بن محمد بن الحرستاني الأنصاري قراءة عليه بدمشق وأنا أسمع قال : أخبرنا أبو الحسن بن قُبَيْس قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب قال : أخبرنا الحسن بن الحسين النِعالي قال : أخبرنا أبو جعفر محمد بن الحسن اليَقْطيني قال : حدثنا محمد بن الحسين السامري قال : حدثنا عمرو بن علي قال : حدثنا وَكيع عن مِسْعَر عن عبد الملك بن عُمير عن أبي سَلَمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة قال : : سَيْحان وجَيْحان والفرات كلهن من الجنة ، موقوف .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم قال : قرأت بخط شيخنا أبي الفرج غيث بن علي بن عبد السلام الخطيب ذكر القاضي أبو القاسم الحسن بن محمد الأنباري فيما قرئ (١٤٩ - ظ) عليه بصور في ذي القعدة سنة سبع عشرة وأربعمائة أن أبا محمد الحسن بن رشيق أخبرهم قال : حدثنا أبو الفضل العباس بن أَبَكْجُور مولى أمير المؤمنين قال : حدثنا أبو محمد المَرَاغي قال : حدثنا قُتيبة قال : حدثنا أبو عَوَانه عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله إختار من الملائكة أربعة جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل ، وإختار من النبيين أربعة ، إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله عليهم ؛ وقال فيه : واختار من الأنهار أربعة ، سيحان وجيحان والنيل والفرات » .

قال الحافظ : هذا حديث منكر بمرة ، وأبو الفضل والمَرَاغي مجهولان[1] .

1 - ابن عساكر ١ / ٢١٠ - ٢١١ .

أخبرنا أبو منصور قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم قال : أخبرنا أبو القاسم بن السَّمرقندي ، ح •

وأنبأنا عمر بن طَبَرْزَد عن ابن السمرقندي قال : أخبرنا أبو القاسم بن مَسْعَدَه قال : أخبرنا أبو القاسم حمزه بن يوسف قال : أخبرنا أبو أحمد بن عدي قال : أخبرنا بَهْلول بن إسحق بن بهلول قال : حدثنا إسماعيل بن أبي أُويس قال : حدثنا كُثَيِّر المُري عن أبيه عن جده قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أربعة أجبلٍ من جبال الجنة ، وأربعة أنهار من أنهار الجنة ، وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة » ، قيل : فما الأجبل يا رسول الله ؟ قال : « أحدٌ جبل يحبنا ونحبه ، جبل من جبال الجنة ، وطور جبل من جبال الجنة (١٥٠ ــ و) ولبنان جبل من جبال الجنة ، والأنهار النيل والفرات وسيحان وجيحان ، والملاحم بدر وأحد والخندق وخيبر ، وسقط ذكر الجبل الرابع •

أنبأنا عيسى بن عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر الأصبهاني قال : أخبرنا أبو صادق مرشد بن يحيى بن القاسم المَديني قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن مُنير بن أحمد الحلاّل في كتابه قال : أخبرنا أبوبكر محمد ابن أحمد بن الفرج القَمَّاح قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن بن خلف بن قُدَيد الأزدي قال : حدثنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الحكم قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن كعب الأحبار أنه كان يقول : أربعة أنهار من الجنة ، وصفها الله عز وجل في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة ، وسيحان نهر الماء في الجنة ، وجيحان نهر اللبن في الجنة •

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد الفَنَكي وفرج بن عبد الله الحبشي إجازة من كل واحدٍ منهما قالا : أخبرنا أبو طاهر بركات بن ابراهيم الخُشوعي قال: أخبرنا

أبو الحسن علي بن المشرف بن المسلم قال : أخبرنا القاضي أبو الحسن محمد بن حمّود الصواف قال : حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد قال : حدثنا أبو حفص عمر بن المفضل بن المهاجر الربعي قال : حدثنا أبي قال : حدثنا الوليد قال : حدثنا إبراهيم بن محمد قال : حدثنا زهير قال : حدثنا داود بن هلال (١٥٠ ـ ظ) عن الصلت بن دينار عن أبي صالح عن نوف البكالي قال : الصخرة تخرج من تحتها أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان والفرات والنيل .

وقرأت في تاريخ أبي زيد البلخي قال : وأهل الكتاب يزعمون أن أربعة أنهار تخرج من الجنة سيحان وجيحان والفرات والنيل[1] .

وقرأت في قصيدة الأعلام المزدوجة من نظم أبي عمرو القاسم بن أبي داود الطرسوسي في ذكر الفرات وسيحان وجيحان :

ثم انشمرنا في الفرات الرحب ... وادٍ من الجنان ذات الحجب
أيمنُ وادٍ ومحلُّ الخصب ... بالبركات دهره ذو حلب
وإنه يوماً من الأيام ... عن ذهبٍ يحسر للأنام
ينتابه قومٌ من الطغام ... يقتتلون ثمَّ في الزحام

وقال في تفسيره : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يحسر الفرات عن جبل من ذهب يأتيه شرار الناس ، فيقتل من كل عشرة تسعة » . وسنذكر الحديث بإسناده في باب يأتي في كتابنا إن شاء الله تعالى .

ثم ذكر المصيصة وكفر بيَّا في قصيدته وقال :

---

١ ـ البدء والتاريخ ٤ / ٦٠ .

أهلاهُمـا خُصَّـا بـأسٍ وجُرَهْ بينهمـا جَيْحـان تحت القَنْطُـره
يجـري فيسقي يُمْنَـةً ومَيْسَرَه حتى تـرى في البحـر أفضى أثَـره
ذاك وسَـيْحانُ كصاحِبَيْـنِ حَـلاّ من الجَنَّـة في المِصْرَيْنِ
(١٥١ ـ و)

* * *

باب في ذكر العاصي وهو نهر انطاكية وحماه وذكر البردان وهو نهر طرسوس

وهما نهران كبيران مشهوران يصبان في البحر الشامي ، فأما نهر البَرَدان فإنه يخرج من بلد الروم ، ويمتد إلى طرسوس ، ثم يصب في البحر ، وتجري فيه السفن ، ويشق وسط مدينة طرسوس ، وماؤه موصوف بشدة البرد في الصيف .

أنبأنا أبو القاسم بن رواحة الأنصاري عن الحافظ أبي طاهر الأصبهاني عن أحمد ابن محمد الآبنوسي قال : أخبرنا عن أبي الحسين بن المنادي قال : ومخرج البردان نهر طرسوس من طرف بلاد الروم على دعوة من طرسوس ، ثم يصب في البحر الشامي على خمسة أميال من طرسوس ، وهو شديد البرودة في الصيف ، فاتر في الشتاء .

وقد ذكرت في باب الفرات أنه وقع إلى رسالة في ذكر الدنيا وما فيها من الأقاليم والجبال والأنهار وقال فيها : والمشهور من هذه الأنهار الكبار إثنا عشر نهراً ، وهي الدجلة والفرات والنيل ، وجَيْحون ، ونهر الشَاش ، وسيحان ، وجيحان ، ونهر بردان ، ومِهْران ، ونهر الرَس ، ونهر الملك ونهر الأهواز . وجميع هذه الأنهار تجري فيها السفن .

قال : وأما سيحان وجيحان وبردان ، فانهن أنهار طرسوس وأذنه والمصيصة ، تخرج من بلد الروم ، ثم تغيص في البحر ، وكذلك سائر أنهار الشام جميعها إلا بردى (١٥١ ــ ظ) والأردن .

وهذا غير مُسَلَّم لصاحب الرسالة فإن في أنهار الشام عدة أنهر تصب في

الفرات ، مثل نهر الساجور والنهر الأزرق وغيرهما من الأنهر التي ذكرنا أنها تغيض في الفرات وغيرها ، فإن اعتذر له معتذر وقال : إنه أراد أنهار الشام الكبيرة مثل سيحان وجيحان وبردان ، فنقول استثناؤه بردى أوجب مؤاخذته ، فإن نهر الساجور والنهر الأزرق لا يقصران عن بردى في الكبر ، فدل على أنه أراد جميع الأنهار التي بالشام •

وأما نهر العاصي فيقال له الأَرْنُد والأُرَنْط[1] ، ويقال له العاصي والمقلوب، لأنه يخالف أنهار الدنيا كلها لأنه يجري من الجنوب إلى الشمال ، بخلاف سائر الأنهر ومخرجه من أرض بعلبك من موضع يقال له اللَّبوة ، يخرج من عين هناك ، شاهدتها ثم تمده عيون أخر في طريقه ، ويجري حتى يشق بحيرة قَدَس[2] من عمل حمص ، ويمتد من غربي حمص ، ويأتي إلى الرَسْتن ، ثم يأتي حماه من غربيها[3] ، فيلاصق دورها ، ثم يأتي شَيْزر فيلصق بسفح قلعتها ، ودور المدينة من الغرب والشمال ، ويمتد الى أفامية ، ويخرج الى أنطاكية فيحف بالمدينة من جهة الغرب ، وينفصل عنها ، فيصب في البحر •

وكان ينسب إلى أنطاكية ، فيقال الأرنط نهر أنطاكية ، وأما في زمننا هذا فنسبته إلى حماه أكثر • وأهل حماه لا ينتفعون بمائه في السقي والزرع (١٥٢ ـ و) إلا بالنواعير ، فإن عامة سقي بساتينهم منه بالنواعير ، وكذلك الماء الذي يدخل إلى منازلهم •

وأما حمص فإن بساتينها تشرب منه سيحاً • وساق الملك المجاهد شيركوه بن محمد بن شيركوه حين كانت حمص له من العاصي أنهاراً الى مدينة حمص ، يجري

---

١ ـ أي : Oorntes .

٢ ـ تعرف الآن باسم قطينة .

٣ ـ جاء في الحاشية : صوابه شرقيها ، كتبه محمد بن السابق الحموي • وهذا صحيح .

بعضها في المسجد الجامع والبيمارستان ، والمنازل بها ، ويجري منه في خندق المدينة والقلعة ، وبعض الأنهر تسقي في قرى حمص .

أنبأنا أبو القاسم بن رواحة عن الحافظ أبي طاهر عن ابن الآبنوسي قال : ذكر أبو الحسين بن المنادي في كتاب الحافظ من تأليفه قال : ومخرج الأرند نهر أنطاكية من أرض دمشق مما يلي طريق البريد ، وهو يجري مع الجنوب ولذلك يسمى المقلوب ، ثم يصير في البحر الشامي .

وقال أحمد بن محمد بن إسحق الزَّيَّات ، ومخرج الأرند نهر أنطاكية من أرض دمشق مما يلي البريد ، ويجري مع الجنوب ، ويصب في البحر الرومي .

هذا ما ذكره ابن المنادي وأحمد بن محمد الزيات أنه من أرض دمشق ، وقد ذكرنا أن مخرجه من اللبوة ، قرية من بلد بعلبك ، ولعلهما أرادا أن بعلبك من أعمال دمشق ، فنسبا أرضها إلى دمشق . (١٥٢ ــ ظ) .



في ذكر البحر الشامي

ويعرف أيضا ببحر الروم

وهو ملاصق لأعمال حلب حرسها الله ، من طرطوس إلى السُّويدية ساحل أنطاكية ، وعلى شاطئه من مدنها طرسوس ، وحصن أولاس ، والإسكندرونة ، وبَيَّاس ، والمُثَقَّب ، والسويدية ، والأنهار الأربعة التي ورد الحديث الصحيح أنها من أنهار الجنة ، وهي النيل ، والفرات ، وسيحان ، وجيحان ، يصب فيه ثلاثة منها ، وهي النيل وسيحان وجيحان ، فقد صار لحلب وعملها قسط من ماء النيل ، فتكمل لها بركة الأنهار الأربعة ، بعضها بحقيقه الأنهر وبعضها بالممازجة •

وقد ورد في فضل سكان ساحل هذا المبحر ما أنا ذاكره ، وهو ما أخبرنا به أبو يعقوب يوسف بن محمود الساوي الصوفي إجازة ــ إن لم يكن سماعاً ــ قال : أخبرنا الحافظ أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السِّلفي قراءة عليه وأنا حاضر أسمع ، ح •

وأنبأنا أبو الحسن علي بن المفضَّل بن علي بن مفرج المقدسي قال : أخبرنا أبو طاهر السلفي والصالح المُعَمَّر أبو الضياء بدر بن عبد الله الحبشي سماعاً عليهما بالإسكندرية قالا : أخبرنا أبو إسماعيل إبراهيم بن الحسن بن محمد بن الحسين الموسوي قال : أخبرنا عبيد الله بن أبي مَطَر المُعَافري قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الفقيه قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الله سَوار قال : حدثنا أحمد ابن الحجاج قال : حدثنا حمزة قال : حدثنا محمد بن (١٥٣ ــ و) يزيد عن مالك بن

يحيى عن معاوية عن الأوزاعي عن بلال بن سعد عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من كبَّر على شاطيء بحر الروم تكبيرةً لا يريد بها إلا وجه الله والدار الآخرة جعل الله في ميزانه يوم القيامة صخرة أثقل من السموات السبع والأرضين السبع وما بينهن وما تحتهن » .

وقال : أخبرنا أبو الحسن الفقيه قال : حدثنا هانيء عن محمد بن هرون عن حفص بن عمر عن الأوزاعي عن عبد الواحد بن قيس عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا هريرة طوبى لقوم من أمتي يموتون على ساحل البحر ، يخرجون من قبورهم حتى يرذُوا [1] العرش ، فيقول الله تعالى : هؤلاء سكان السواحل ؟ فيقولون : نعم ، فيقول الله عز وجل : لا حساب عليهم ، انطلقوا فعانقوا الأبكار » .

أنبأنا سليمان بن الفضل بن سليمان قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن الحافظ الدمشقي قال : أنبأنا أبوا محمد هبة الله بن أحمد بن الأكفاني وعبد الله بن أحمد بن عمر السمرقندي قالا : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عبد الواحد بن أبي الحديد قال : أخبرنا أبو محمد بن أبي نصر قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن حبيب بن عبد الملك قال : حدثنا أنس بن السَّلِم قال : حدثنا الحسن بن يحيى القرشي قال : حدثنا إبراهيم اليماني قال : قدمت من اليمن ، فأتيت سفيان الثوري فقلت : يا أبا عبد الله إني جعلت في نفسي أن أنزل جُدّة فأرابط بها كل سنة ، فأعتمر في كل شهر عمرةً ، وأحج في كل سنة حجة ، وأقرب من أهلي ، أحب إليك ، أم آتي الشام (١٥٣ ـ ظ) فقال لي : يا أخا اليمن ، عليك بسواحل الشام ، عليك بسواحل الشام ، فإن هذا البيت يحجه في كل عام مائة ألف ومائة ألف وثلاثمائة ألف ، وما شاء الله من التضعيف ، لك مثل حجهم وعُمَرهم ومناسكهم [2] .

١ ـ في القاموس : الروذة الذهاب والمجيء .
٢ ـ ابن عساكر ١ / ٢٧١ .

أخبرنا إبراهيم بن محمود بن سالم إجازة قال : أنبأنا أبـو الفتح بـن البَطِّي قال : أخبرنا أبو بكر الطُّرَيْثِيثي قال : أخبرنا أبو القاسم الطبري قـال : أخبرنا محمد بن رزق الله قال : حدثنا محمد بن الحسن بن زياد المُقري قال : حدثنا خلف ابن شمس المقريء الخَصيب على نهر عيسى قال : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري عن أبي إسحق الجَرشي عن الأوزاعي عن القاسم بن مُخَيمرة قال : كان لأبي قِلابه الجُرمي ابن أخ ركب المحارم ، فاحتضر فجاء طائران أبيضان يشبهان النسـرين ، فجلسا في كوة البيت فقال أحد الطائرين لصاحبه : انزل ففتشه ، فنزل ففتشه ، ثـم غرّق منقاره في جوفه ، وذلك بعين أبي قلابه ، فقال الطائر لصاحبه : اللـه أكبر ، إنزل إليه فقد وجدت في جوفه تكبيرة كبرها في سبيل اللـه عز وجل علـى سـور أنطاكية ، فأخرج الطائر خرقة بيضاء فلفا روحه في الخرقة ، ثم إحتملاها ، ثم قالا يا أبا قلابه قم الى ابن أخيك فادفنه فإنه من أهل الجنة ، قال : وكان أبو قلابه عند الناس مرضياً ، فخرج الى الناس ، فأخبرهم بالذي ظهر : قال : فما رأيت جنازة أكثر أهلا منهـا .

* * *

فصل في صفة البحر الشامي وطوله وعرضه

ذكر أبو العباس أحمد بن محمد بن يعقوب ابن القاص ، قاضي طرسوس ، في كتاب دلائل القبلة قال : وأما بحر الروم الذي هو بحر إفريقية والشام فيكون من عند الخليج الذي يخرج من عند البحر الأخضر إلى المشرق ، يمد إلى صور وصيدا وأنطاكية وطرسوس ، طوله خمسة آلاف ميل ، وعرضه في مكان سبعمائة ميل ، وفي مكان ثمان ما ئة ميل ، يخرج منه خليج إلى ناحية الشمال قريب من الرومية ، طول ذلك الخليج خمسمائة ميل يسمى أرس ، وخليج آخر إلى خلف قبرس ، ففي هذا البحر مائة وإثنان وستون جزيرة عامرة ، منها خمس جزائر عظام كقبرس .

وقال : وبحر اللاذقية ، فإنه يمدّ بين لاذقية إلى خلف قسطنطينية ، يخرج منه خليج يجري كأنه نهر حتى يصب في بحر الروم ، وعرضه عند قسطنطينية قدر ثلاثة أميال فقط مشرفة عليه .

وقال أبو الحسن علي بن الحسين بن علي بن عبد الله المسعودي في ذكر بحر الروم والشام : إن طوله خمسة آلاف ميل وعرضه مختلف ، فمنه ثمانمائة ميل فما دونه ، وأضيق موضع فيه بين سَبتة وطَنجة ، وهو المعروف (١٥٤ ـ و) بزقاق سبتة نحو عشرة أميال . وعلى هذا البحر من المدن الغربية سبتة وطنجة ، والجزائر وتونس والمَهْدية ، وطرابلس وسَفاقس . ومن المدن المصرية والثغور ، الإسكندرية ورشيد ، ودمْياط ، وتَنيس ، ومن المدن الشامية ، غَزّة ، وعسْقلان ، وعكا وصيدا ، وصور ، وبيروت ، وطرابلس ، واللاذقية ، وأنطاكية ، وأذنه وطرسوس وجبلة وغير ذلك[1] . (١٥٤ ـ ظ)★ .

١ ـ انظر مروج الذهب ١ / ١١٨ ـ ١١٩ .

★ ـ آخر الجزء التاسع ، وكتب ابن العديم في حاشية اخر هذا الجزء سماعا نصه : بلغ محمد قراءة ، وسمع عبد الرحمن ومحمد في الرابع عشر من ذي الحجة . وكتب تحت هذا السماع سماعا آخر نصه : بلغ بدر الدين عبد الواحد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـه توفيقي

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني : وبحر الروم وافريقية والشام ومصر طوله من الخليج الذي يخرج من بحر المغرب الى ناحية المشرق ، ينتهي الى صور وصيدا ، يكون ذلك مقدار خمسة ألاف ميل ، وعرضه في مكان ستمائة ميل وفي مكان ثمانمائة ميل ، ويخرج منه خليج الى ناحية الشمال قريب من الرومية، يكون طوله ثمانين ميلا ، وفي هذا البحر مائتان واثنتان وستون جزيرة عامرة منها خمس جزائر عظام ، أعظمها قوريس ، يحيط بها مائتا ميل ، وسردانية ، يحيط بها ثلاثمائة ميل ، وسقليه ، يحيط بها خمس مائة ميل ، وأطريقية يحيط بها ثمانمائة ميل ، وقوبرس ، يحيط بها ثلاثمائة وخمسون ميلا •

قال : وعند القسطنطينية ، يخرج منه ، يعني من بحر نيطش خليج يجري كهيئة النهر ، وينصب في بحر مصر ، وعرضه عند القسطنطينية قدر ثلاثة أميال ، بنيت القسطنطينية عليه •

قال : وأما البحر الشامي ، فانه اذا صارت الشمس في أول العقرب الى أن تصير في أول الحوت في هذه الاربعة الاشهر لا يستطيع الناس ركوبه ، وذلك لان الشمس تباعد عنه ، وتحدث فيه الرياح العاصفة ، وذلك في ناحية الشمال منه •

وقرأت في كتاب مروج الذهب تأليف (١٥٥ ــ و) أبي الحسن علي بن الحسين ابن علي بن عبد الله المسعودي قال : فأما بحر الروم وطرسوس ، وأذنه ،والمصيصة،

وأنطاكية ، واللاذقية ، وطرابلس ، وصيدا وصور وغير ذلك من ساحل الشام ، ومصر والاسكندرية ، وساحل المغرب • فذكر جماعة من أصحاب الزيجات في كتبهم النجومية منهم محمد بن جابر البتاني وغيره أن طوله خمسة آلاف ميل ، وعرضه مختلف ، فمنه ثمانمائة ميل ، ومنه سبعمائة ، ومنه ستمائة ، وأقل من ذلك على حسب مضايقة البر للبحر ، والبحر للبر • ومبدأ هذا الخليج من خليج يخرج من بحر أقنابس ، وأضيق موضع في هذا البحر بين ساحل طنجة وسبتة من بلاد المغرب وبين ساحل الاندلس ، وهو الموضع المعروف بشيطا ، وعرضه فيما بين الساحلين نحو من عشرة أميال ، وهذا الموضع هو المعبر لمن أراد من المغرب الى الاندلس ، ومن الاندلس الى المغرب ، ويعرف بالزقاق ، ويتشعب من بحر الروم والشام ومصر خليج من نحو خمسمائة ميل ،يتصل بمدينة رومية ، يسمى بالرومية ادوس ،وفي البحر الرومي جزائر كثيرة ، منها جزيرة قبرس بين ساحل الشام والروم ، وجزيرة رودس مقابل الاسكندرية ، وجزيرة أقريطش ، وجزيرة صقلية ، والتنانين فيه يعني بحر الشام كثيرة ، وأكثر ما تكون فيه مما يلي طرابلس واللاذقية والجبل الاقرع من (١٥٥ ــ ظ) أعمال أنطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر ، وأكثره ، وهو يسمى عجز البحر وغايته الى ساحل أنطاكية وسيس والاسكندرية ، وبياس ، وحصن المثقب ، وذلك في سفح جبل اللكام ، وساحل المصيصة ، وفيه مصب نهر جيحان ، وساحل أذنة ، وفيه مصب نهر سيحان ، وساحل طرسوس ، وفيه نهر مصب البردان ، وهو نهر طرسوس •

والعمارة على هذا البحر الرومي من المضيق الذي قدمنا ذكره ، وهو الخليج الذي عليه طنجة متصل بساحل المغرب ، وبلاد افريقية ، والسوس ، وطرابلس المغرب ، والقيروان ، وساحل برقة والرقادة ، وبلاد الاسكندرية ، ورشيد ، وتنيس ودمياط ، وساحل الثغور الشامية ، ثم ساحل الروم متصل مارا الى بلاد رومية

الى أن يتصل بساحل الاندلس الذي ينتهي الى ساحل الخليج الضيق المقابل طنجة على ما ذكرنا أنه لا يقطع بين هذا البر كله ، والعمائر التي وصفناها من الاسلام والروم ، الى الانهار الجارية الى البحر إلا خليج القسطنطينية ، وعرضه نحو من ميل ، وخلجانات أخر من البحر الرومي داخلة في البر لا منفذلها ، فجميع ما ذكرنا على شط هذا البحر الرومي متصل بالديار ، غير منفصلين بماء يمنعهم أو بحر يقطعهم إلا ما ذكرنا من الانهار ، وخليج القسطنطينية ، ومثال هذا البحر الرومي ومثال ما ذكرنا من العمائر عليه الى أن ينتهي الى مبدأه الخليج الاخذ من أقنابس الذي عليه المنار النحاس ، ويلي الاعلام من طنجة وساحل (١٥ ـ و) الاندلس مثل الكرنيب فمقبضه الخليج والكرنيب على صفة البحر إلا أنه مدور الشكل لما ذكرنا من طوله •

قال : وقد ذكر أحمد بن الطيب السرخي في رسالته في البحار والمياه والجبال عن الكندي : أن بحر الروم طوله ستة آلاف ميل من بلاد صور وطرابلس وأنطاكية والمثقب وساحل المصيصة وطرسوس وقلمية الى منار هرقل ، وأن أعرض موضع فيه أربع مائة ميل •

وقال : شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة وهم النواتية وأصحاب الارجل والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيها ، مثل لاون المكنى بأبي الحارث غلام زرافة صاحب طرابلس الشام من ساحل دمشق ، وذلك بعد الثلاثمائة ، يعظمون طول البحر الرومي وعرضه وكثرة خلجانه وتشعبه•

وعلى هذا وجدت عبد الله بن وزير صاحب مدينة جبلة من ساحل حمص من أرض الشام ، ولم يبق في هذا الوقت ، وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة أبصر منه بالبحر الرومي ، ولا آنس به ، وليس فيمن يركبه من أرباب المراكب من

البحرية والعمالة إلا وهو ينقاد الى قوله ، ويقر له بالبصر والحذق مما هـو عليه من الديانة والجهاد القديم فيه .[1]

وأنبأنا الاخوان أبو محمد عبد الرحمن بن عبـد الله ، وأبو العباس أحمد الاسديان قالا : أخبرنا أبو طاهر السلفي إذنا عن أحمد بن محمد بن الآبنـوسي قال : ذكر أبو الحسين بن المنادي في كتاب الحافظ لمعارف (١٥٦ ـ ظ) حركات الشمس والقمر والنجوم ، وأوصاف الافلاك ، والأقاليم وأسماء بلدانها قـال : حدثني هرون بن علي بن الحكم المزوق قال : حدثنا علي بن داود القنطري قال : حدثنا محمد بن عبد العزيز الرملي قال : حدثنا محمد بن شعيب بن شابور قال : حدثنا عمر بن يزيد المنقري قال : في الكتاب الذي تنبأ عليه هرون عليـه السلام ان بحرنا هذا خليج من قنطس وقنطس خلفه محيط بالارض كريا فهو عنده كعين على سيف البحر ، ومن خلفه الاصم محيط بالارض كلها ، فقنطس ومادونه عنده كعين على سيف البحر ، ومن خلفه المظلم محيط بالارض كلها ، فالاصم ومادونـه عنده كعين على سيف البحر ومن خلفه الماس محيط بالارض كلها ، فالمظلم ومادونه عنده كعين على سيف البحر ومن خلفه الباكي ، وهو مـاء عذب أمره الله تبارك وتعالى أن يرتفع ، فأراد أن يستجمع ، فزجره ، فهو باك يستغفر اللـه ، محيط بالارض كلها ، فالماس ومادونه عنده كعين على سيف البحر ، ومن خلفه العـرش محيط بالدنيا كلها ، فالباكي ومادونه عنده كعين على سيف البحر .

قال ابن المنادي : ثم بلغنا بعـد ذلك أن البحر المعروف بقنطس مـن وراء قسطنطينية يجيء من بحر الخزر وعرض فوهته ستة أميال ، فاذا بلغ أندس صار هنالك بين جبلين وضاق حتى يكون عرضه غلوة سهم ، وبين أندس هذه وبـين

١ ـ انظر مروج الذهب ، ط . القاهرة ١٩٥٨ ، ١ـ١١٨ـ١٢٩ ، وهناك الكثير من الاختلاف وخاصة من حيث اعطاء التفاصيل والاستطراد بسرد الحكايا والاساطير .

قسطنطينية مائة ميل في مستوى من الارض ، ثم يمر الخليج حتى يصب في بحر الشام ، وعرضه عند مصبه ذلك مقدار غلوه (١٥٧ ــ و) سهم أيضا ، وهنالك زعموا صخرة عليها برج فيه سلسلة تمنع المسلمين من دخول الخليج ، وطول الخليج من بحر الخزر الى بحر الشام ثلاثة وعشرون ميلا تنحدر المراكب فيه من بحر الخزر وتيك النواحي ، وتصعد فيه من بحر الشام الى القسطنطينية .

وقال أبو الحسين بن المنادي : حدثنا جدي رحمه الله قال : حدثنا يزيد بن هرون قال : أخبرنا العوام بن حوشب قال : حدثني شيخ كان مرابطا بالساحل قال : خرجت ليلة بحرس الى الميناء ، ولم يخرج تلك الليلة أحد غيري ، فصعدت الميناء ، فكان يخيل الي وأنا مستيقظ أن البحر يشرف حتى يحاذي برؤوس الجبال ففعل ذلك مرارا وأنا مستيقظ ، ثم نمت فرأيت في النوم كأن الراية بيدي وأنا أمشي أمام أهل هذه المدينة ، وهم يمشون خلفي ، فلما أصبحت رجعت ،فاستقبلني أمير المدينة ، وأبو صالح مولى عمر بن الخطاب رحمه الله ، فكانا أول من خرج من المدينة فقالا لي : أين الناس ؟ قلت رجعوا قبلي ، قالا : لم تصدقنا ، إنحن أول من خرج من المدينة ، قال : قلت : لم يخرج أحد غيري ، قالا : فما رأيت ؟ قلت : والله لقد كان يخيل إليّ أن البحر يُشرف حتى يحاذي برؤوس الجبال ، ففعل ذلك مرات وأنا مستيقظ ، ثم نمت ، فرأيت كأن الراية بيدي ، وأنا أمشي أمام أهل هذه المدينة ، وهم يمشون خلفي ، فقال أبو صالح : صدقت ، حدثنا عمر بن الخطاب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ليس من ليلة إلا (١٥٧ ــ ظ) والبحر يُشرف على الارض ثلاث مرات يستأذن الله في أن ينتضح عليهم ، فيكفه الله ، وأما ما رأيت من الراية فان تصدق رؤياك تفز بأجر أهل هذه المدينة الليلية، قال : وكان أبو صالح مباعدا لي قبل ذلك ، فكأنه استأنس بي ، فجعل يحدثني ، وذكر كلاما قطعناه .

وعلى قول المسعودي فيما ذكرنا عنه أن التنانين في بحر الشام كثيرة ، فوقع الي ببغداد من تصنيف أحمد بن محمد بن اسحق الزيات مؤلف كتاب البلدان قال فيه : وقال المعلى بن هلال العوفي : كنت بالمصيصة فسمعتهم يتحدثون أن البحر ربما مكث أياما وليالي تصفق أمواجه ، ويسمع له دوي شديد ، فيقولون ما هذا الا لشيء قد آذى دواب البحر فهي تصيح الى الله ، قال : فتقبل سحابة حتى تغيب في البحر ، ثم تقبل أخرى حتى عد سبع سحابات ، ثم ترتفع التي جاءت آخرهن وتتبعها التي تليها والريح تصفقها ، ثم يرتفعن جميعا في السماء ، وقد أخرجن شيئا يرونه أنه التنين ، حتى تغيب عنا ، ونحن نراه وتنظر اليه ورأسه في السحاب ، وذنبه يضطرب ، فيقال أنه تطرحه الى يأجوج ومأجوج ، قال : ويسكن البحر عند ذلك .

قال الصوري : فربما رأيناه قد انفلت من السحاب ورجع الى البحر ، فتجيء السحابة ، ولها رعد وبرق حتى تخرجه ثانية ، فربما مر في طريقه بالشجرة العادية العظيمة ، فيقتلعها ، أو الصخرة العظيمة فيرفعها (١٥٨ — و) .



فصــل في ذكر ماورد في ذم بحر الشام

أخبرنا أبو اليُمن زيد بن الحسن بن زيد الكِندي فيما أذن لنا في روايته عنه قال : أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن زُرَيق قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت قال : أخبرنا محمد بن عمر بن بكر المقريء قال : أخبرنا أحمد بن جعفر بن سلم قال : حدثنا محمد بن موسى بن حماد البربري قال :حدثنا سعد بن زنبور قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة .

قال محمد : وحدثنا سريج قال : حدثنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر بن عاصم بن عمر بن الخطاب عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ــ المعنى واحد ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كَلَّمَ الله البحر الشامي فقال : يا بحر ألم أخلقك فأحسنت خلقك وأكثرت فيك من الماء ؟ قال : بلى يارب ، قال : فكيف تصنع إذا حملت فيك عبادي يهللوني ويحمدوني ويسبحوني ويكبروني ؟ قال : أغرقهم قال : فاني جاعل بأسك في نواحيك ، وحاملهم على يدي ،قال ثم كلم الله البحر الهندي فقال : يا بحر ألم أخلقك فأحسنت خلقك وأكثرت فيك من الماء ؟ قال : بلى يارب ، قال فكيف تصنع اذا حملت فيك عبادي يهللوني ويسبحوني ويحمدوني ويكبروني ؟ قال : أهللك معهم ، وأسبحك معهم ، وأكبرك معهم ، وأحملهم بين ظهري وبطني ، قال : فآتاه الله الحليه والصيد والطيب .

قال أبو بكر أحمد بن علي : هكذا رواه عبد الرحمن بن عبد الله العمري عن سهيل (١٥٨ ــ ظ) وتابعه أبو عبيد الله أحمد بن عبد الرحمن بن وهب فرواه

عن عمه عبد الله بن وهب عن عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وخالفه خالد بن خداش المهلبي فرواه عن عبد العزيز الدراوردي عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن كعب الاحبار ، وخالفهما خالد بن عبد الله الواسطي فرواه عن سهيل عن النعمان ابن أبي عياش الزرقي عن عبد الله بن عمرو موقوفا لم يجاوزه ، ورفعه غير ثابت •

قال : أما حديث ابن أخي عبد الله بن وهب فأخبرناه أبو بشر محمد بن عمر ابن محمد بن ابراهيم الوكيل قال : أخبرنا محمد بن المظفر الحافظ قال : حدثنا محمد بن محمد بن سليمان الباغندي قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن وهب قال : حدثنا عمي ، حدثني الدراوردي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله تعالى كلم البحرين فقال للبحر الذي بالشام : يا بحر اني قد خلقتك وأكثرت فيك من الماء ، وحامل فيك عبادا لي يسبحوني ويحمدوني ويهللوني ويكبروني ، فما أنت صانع بهم ؟ قال : أغرقهم ، فقال الله : فاني أحملهم على ظهرك وأجعل بأسك في نواحيك ،وقال للبحر الذي باليمن مثل ذلك ، فما أنت صانع بهم ؟ قال : أسبحك وأحمدك وأهللك معهم ، وأكبرك معهم ، وأحملهم في بطني وبين أضلاعي ، قال الله : فاني أفضلك على البحر الآخر بالحيلة والطيب •

قال : وأما حديث خالد بن (١٥٩ ــ و) خداش عن الدراوردي ، فأخبرناه علي بن محمد بن عبد الله المعدل قال : أخبرنا الحسين بن صفوان البرذعي قال : حدثنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا قال : حدثنا خالد بن خداش قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن كعب الاحبار قال : ان الله تعالى أوحى الى البحر الغربي حين خلقه قد خلقتك ، فأحسنت خلقك فأكثرت فيك من الماء ، واني حامل

فيك عبادا لي يكبروني ويسبحوني ويهللوني ويقدسوني فكيف تفعل بهم ؟ قال : أغرقهم ، قال الله : فاني أحملهم على كفي وأجعل بأسك في نواحيك ، ثم قال للبحر الشرقي : قد خلقتك فأحسنت خلقك ، وأكثرت فيك من الماء ، واني حامل فيك عبادا لي يكبروني ويهللوني ويسبحوني ، فكيف أنت فاعل بهم ؟ قال : أكبرك معهم وأهللك معهم وأحمدك معهم ، وأحملهم بين ظهري وبطني فأعطاه الله الحلية والصيد والطيب .

قال : وأما حديث خالد بن عبد الله الواسطي عن سهيل فأخبرناه محمد بن الحسين القطان والحسن بن أبي بكر بن شاذان قالا : أخبرنا دعلج بن أحمد قال : أخبرنا محمد بن علي بن زيد الصائغ أن سعيد بن منصور حدثهم قال : حدثنا خالد ابن عبد الله عن سهيل بن أبي صالح عن النعمان بن أبي عياش الزرقي عن عبد الله بن عمرو قال : كلم الله هذا البحر الغربي فقال : يابحر اني خلقتك فأحسنت خلقك ، وأكثرت فيك من الماء ، واني حامل فيك عبادا لي يكبروني ويحمدوني (١٥٩ ــ ظ) ويسبحوني ويهللوني ، فكيف أنت فاعل بهم ؟ قال : أغرقهم ، قال : بأسك في نواحيك ، وأحملهم على يدي ، وكلم الله هذا البحر الشرقي فقال : يابحر اني خلقتك فأحسنت خلقك ، وأكثرت فيك من الماء ، واني حامل فيك عبادا لي يكبروني ويحمدوني ويسبحوني ويهللوني ، فكيف أنت فاعل بهم ؟ قال : اذا أسبحك معهم وأهللك معهم وأحملهم بين ظهري وبطني فأثابه الله الحلية والصيد .

قلت : وقد تابع النعمان بن أبي عياش سعيد بن محمد بن عبد الله بن عمرو فرواه عن أبيه عبد الله بن عمرو موقوفا عليه .

أنبأنا به أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة الحموي عن الحافظ أبي طاهر الاصبهاني عن أحمد بن محمد بن الابنوسي عن رجل عن أبي الحسين بن المنادي قال : اخبرنا العباس بن محمد الدوري قال : حدثنا أبو سلمة التبوذكي

قالَ : حدثنا سعيد بن زيد قالَ : حدثنا يزيد بن حازم قالَ : مربنا شعيب بن محمد ابن عبد الله بن عمرو بن العاص بالمدينة فجلس في حلقه سليمان بن يسار فحدثنا عن عبد الله بن عمرو قال : ان الله تعالى لماخلق بحر الشام أوحى اليه اني خلقتـك واني حامـل فيك عبادا الي يبتغون من فضلي يسبحوني ويقدسوني ويكبروني ويهللوني ، فكيف أنت صانع بهم ؟ قال : رب اذا أكسر بهم سفينتهم وأغرقهم ، قالَ : اذهـب فقـد لعنتـكَ ، وسأنقـل أو سأقلّ حليتكَ ، وأقـلّ صيـدك ، وأوحى الى بحـر العراق اني قـد خلقتـك واني حامـل فيـك عبـادا إلـيّ يبتغون من فضلي يسبحوني ويقدسوني ويكبروني ويهللوني (١٦٠ ـ و) فكيف أنت صانع بهم ؟ قال : رب اذا أحملهم على ظهري وأحملهم في بطني ، إذا سبحوك سبحتك معهم ، واذا قدسوك قدستك معهـم ، واذا كبروك كبرتك معهـم ، وإذا هللوك هللتك معهم ، قال : اذهب فقد باركت فيك ، وسأكثر حليتك ، وأكثـر صيـدك .

وقد رواه صفوان بن عمرو عن خالد بن مَعْدان عن عُبادة بن الصامت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخبرنا به أبو محمد وأبو العباس الأسديان ، إجازة من كل واحد منهما ، قالا : كتب إلينا أبو طاهر الحافظ أن أحمد بن محمدبن الآبنوسي أنبأهم قال : أخبرنا عن أبي الحسين بن المُنادي قال : حدثنا عبد العزيز بن محمد بن دينار أبو محمد الفارسي قالَ : حدثنا هاشم بن القاسم أبو النضر الحَرّاني قال : حدثنا محمد بن إسحق العُكاشي عن صفوان بن عمرو عن خالد بن مَعْدان عن عُبادة بن الصامت قالَ : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله أوحى إلى بحر الهند كيف أنت يابحـر الهند إذا حملت فيك عبـاداً لي يقدسوني ويهللوني

ويسبحوني ويكبروني ؟ قال أكون لهم كالملوك على أسرتهم إذا سبحوك سبحتك ، وإذا كبروك كبرتك ، وإذا قدسوك قدستك ، وإذا هللوك هللتك ، فبارك الله فيه فأكثر حليته وصيده ؛ وأوحى إلى بحر الروم كيف أنت يابحر الروم إذا حملت فيك عباداً لي يقدسون (١٦٠ ــ ظ) ويهللون ويسبحون ويكبرون ؟ قال : أكون لهم كفار بين الأسد إن ثبتوا فزعتهم ، وإن غرقوا أكلتهم ، قال : فلعنه الله ، وأقل حليته وصيده .



باب في ذكر البحيرات التي في أعمال حلب

وتسمى الواحدة منها بحيرة لانبساطها علـى ظهـر الأرض في سعة وامتدادٍ تشبيهاً بالبحر وتخرج عن حدود الأنهار • فمنها :

بحيرة أَفامية ، وهي بحيرة كبيرة مذكورة ، ويجلب منها السمك السلّور ، وهو الجرّيث ، ويقال : إن قُويق إذا مَدّ في الشتاء وغاض ماؤه في الأجمة بالمطخ يحمر ماء بحيرة أَفامية ، فيقولون إنه يمر تحت الأرض إلى بحيرة أَفامية ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم ، وقال بعضهم : إن السلّور يحيض في ذلك الأوان فيحمر ماؤها ، والله أعلم بذلك ، ويضمن سلورها بمبلغ وافر •

ومنها : بحيرة يَغْرا ، وهي بحيـرة كبيرة في جانـب العَمْق ، مستطيلة بعَمْق أَنْطاكية ، وتعرف أيضاً ببحيرة بَغْراس ، ويجلب منهـا السمك الكثير ، ولها أرتفاع وافر أيضاً •

ومنها : بحيرة أَنْتَزِنيت ، وهي بحيـرة أصغر من البحرتين اللتين قدمنـا ذكرهما ، وهي بحيرة على جانبها تل عالٍ ، عليه قرية يقال لها أَنْتَزِنيت بالقرب من مدينة الحَدَث ، وتخم بلاد الروم ، وأهلها أرمن وهي اليوم (١٦١ ــ و) من عمل بَهَسْنى ، بينها وبين الحَدَث •

* * *

باب في ذكر الجبال المذكورة بحلب وأعمالها

ونبدأ أولاً بالجبال التي تختص بها وبقراها ، ثم نذكر ما هو في عملها سواها ؛ فأولهـا :

جبلُ جَوْشَن ، وهو جبل من غربي مدينة حلب ، وفي لحفه نهـر قُوَيق ، ويسمى قويق في ذلك الموضع العَوَجَان ؛ وهذا الجبل فيه معدن النحاس .

وأخبرني والدي رحمه الله قـال : إنما امتنعوا من عمل النحاس بـه لأنهم عملوه فما حصل فيه فائدة ، وقيل : إن سبب عدم الفائدة فيه قله الحطب بحلب .

وقرأت بخط بعض الحلبيين ، وأظنه بعض أعيان بني المَوْصَوْل ، قال : ويقال إنه بطل منذ عبر عليه سبي الحسين ونساؤه وأولاده عليهم السلام ، وأن زوجة الحسين كانت حاملاً ، وأنها أسقطت هناك وطلبت من الصُّيَّاع [1] في ذلك الجبل خبـزاً أو مـاءٍ ، وأنهم شتموها ، ومنعوها فدعت عليهم ، وإلى الآن من عمل فيه لم يربح سـوى التعب .

سمعت بعض شيوخ الشعية بحلب يقول : كان دعاؤها عليهم ، لا أربح الله لكم تجارة ، فما ربحوا بعدها .

وقبلي الجبل فيه مشـهد يعرف بالسِقط ، وهو يسمى مشـهد الدكّة ، والسِقط يسمى المحسن بن الحسين .

قلت وللشيعة بحلب فيه إعتقاد عظيم ، وينذرون له النذور ، وتسمية السِقط

---

١ ـ في القاموس الضيعه : حرفة الرجل وصناعته وتجارته .

بالمحسن لا أصل له ، لأن السقط لا يُسمى ، وإن كان استهل وسمي ، فكان ينبغي أن يذكره النسابون في كتبهم ، ومع هذا لم يذكر ، اللهم إلاّ إن كان الحسين عليه السلام عزم على تسمية مافي بطن إمرأتـه المحسّن ، فلما أسقطت أطلق عليه هـذا (١٦١ ــ ظ) الاسم ، لكن هذا وغيره لم يذكر في كتاب يعتمد عليه ، وإنما يتداول الحلبيون ماذكرناه •

ولما نزل الفريخ على حلب وحصروها في سـنة ثمان عشرة وخمسمائة نبشوا الضريح الذي يقال به السقط في المشهد المذكور ، ونزلوا فيه ، فلم يروا فيه شيئاً فأحرقوه ، وكان أبو الفضل بن الخشاب حيئذ يتولى تدبير أمر المدينة في الحصار فغير كنائس النصارى بحلب ، واتخذ فيها محاريب إلى جهة القبلة ، وجعلها مساجد ؛ أخبرني بذلك والدي رحمه الله عن أبيه •

وإنما عرف هذا المشهد مشهد الدكّة لأن في سطح جبل جوشن من شمالي المشهد المذكور في مكان مشرف صخرة ناتئة في الجبـل تشبه الدكّة المبنية • ووقفت يوماً عليها ومعي رضى الدين أبو سالم بن المنـذر ، وكان شيخاً حسناً من أعيان الحلبيين فقال لي : هذه الدكة كـان يجلس عليها الأمير سيف الدولـة بن حمدان كثيراً ويتفرج على مدينة حلب وماحولها ، فلا يستتر عنه شيء منها ؛ وهذا المشهد جدد عمارته قسيم الدولة أق سنقر والد زنكي ، واسمه عليه •

وفي سفح جبل جوشن من شمالي مشـهد الدكّة مشهد آخر يسمى مشهد الحسين ، بناه الحلبيون لمنام زعموا أنه رُؤي ، وتنوقوا في بنائه وإحكامه ومنجوره، وتبرع جماعة من الصناع في عمارة شيء منه ، وأظهر صنعته فيـه ؛ ووقف الملك الظاهر غازي رحمه الله عليه وقفاً حسناً ، إستمالة لقلوب الشيعة من أهل حلب •

وكان في سفح جبل جَوشن دير للنصارى يعـرف بدير البيعتين ، ويعرف أيضاً بمارة مروثا (١٦١ ــ و) وقد ذكره الشمشاطي في كتاب الديرة ، وقيل إن

سيف الدولة كان أيام مقامه بالحَلْبَة في قصره كان ينتاب هذا الدير ، ويحسن إلى أهله ، وقد خرب هذا الدير بالكلية ، ولم يبق له أثر ، وكان من شمالي مشهد الحسين ، وأراني موضعه بعض أكابر أهل حلب ، وقد ذكره أبو عيسى صالح بن محمد بن إسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي في قصيدة قالها في إحراق المنتزهات حول حلب ، وأظن أن سيما الطويل أحرقها ، أول القصيدة .

عفـا أثـرٌ مـن المُتَنَزَّهـاتِ

قال فيهـا :

إلـى البـرج المُنيـف فبيعتيـه   إلـى تلـك الديـار الخاليـات

وهذا الدير هو الذي عناه الخالديان بقولهما من قصيدة يأتي ذكرها في موضعها

واستشرفت نَفْسي الى مُسْتَشْرَفٍ   للدَّيْرتاهَ بحُسْنِه وبطيبه
فنعِمْتُ بين رياضِه وغِياضِه   وسَكِرتُ بين سكُوره وعُروبه (١)

وقد ذكر جماعة من الشعراء جبل جوشن ، فمنهم أبو بكر الصنّوبري قال :

فللظهـر مـن حلـبٍ منـزل   تُشـاب العيـون علـى حَجّـه
أَعِد نحـو جَوْشنِـه نظـرةً   الـى بيعتيـه الـى بُرْجِـه (٢)

وأنشدنا الخطيب أبو عبد الله محمد بن هاشم بن أحمد بن عبد الواحد الحلبي قال : أنشدنا أبي هاشم الخطيب بحلب قال أنشدنا أبي أحمد بن عبد الواحد الأسدي قال : أنشدنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن سِنان الخَفاجي الحلبي لنفسه :

قـل للنسيـم إذا حملتَ تحيـةً   فاهدِ السـلام لجوشـنٍ وهضابِـه

---

١ ـ ديوان الخالديين ط . دمشق ١٩٦٩ ، ص ٢٩ ، وفيه شروقه وغروبه ، وهو كما يبدوا قوم .
٢ ـ ديوانه ، ٣٦٦ .

واسأله هل سحب الربيع رداءه فيهاوجر الفضل من هدابه(١٦٢ـظ)
وتبسمت عنه الرياض وأفصحت بثناء بارقه ومدح سحابه
فلقد حننت وعادني من نحوه شجن بخلت به على خطابه[1]

وأنشدنا أبو عبد الله الخطيب قال : أنشدني أبي قال : أنشدني أبي قال : أنشدنا أبو محمد الخفاجي لنفسه :

يابرق طالع من ثنيه جوشن حلباً وحي كريمة من أهلها[2]

وقال الاستاذ أبو نصر منصور بن المسلم بن أبي الخرجين الحلبي المعروف بالدميك[3] .

عسى مورد من سفح جوشن ناقع فإني الى تلك الموارد ظمآن
وما كل ظن ظنه المرء كائن يقوم عليه للحقيقة برهان

* * *

١ ـ ديوانه ، ١٦ .
٢ ـ انظر معجم البلدان ، مادة جوشن .
٣ ـ ممن ترجم له العماد في الخريدة ، قسم شعراء الشام ١٦٩/٢ ، كذلك أورد القصيدة التي جاء فيها هذين البيتين ص ١٧١ ـ ١٧٢ .

ذكر جبل بانقوسا

وهو جبل ممتد قليل الارتفاع من شرقي مدينة حلب ، وبينها وبين بابلى[1] ، وحلب فيما بينه وبين جبل جَوشن ، وقد كان مسكونا وفيه آثار صهاريج للماء ، ولم يبق من أثر بنيانه القديم غير الصهاريج ، ثم بني في سفحه أبنيـة كثيرة جـدد أكثرها في أيام الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر ، ثم إتصل البناء الى سطح الجبل، وبني عليه منازل كثيرة في دولة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن الملك العزيـز أعز الله أنصاره ، وقيل إن منبت خشب الشربـين بحلب كان ببانَقوسـا ، وهـو خشب السرو ، ومنه كانت تعمل السقوف بحلب ، (١٦٣ ــ و) والسقوف في آدر حلب القديمة والأنجاف من خشب الشُربين ، ويدل على ذلك وصف الصَّنوبـري حلب بكثرة السَّرو كما في قوله في القصيدة الهائية التي يأتي ذكرها في باب مـدح حلـب إن شـاء اللـه .

أي حسـن ما حَوَتْـهُ حلـبٌ أو ماحَوَاهـا
سَرْوُهـا الـداني كمـا تـدنـو فتـاة لفتاهـا

وفيهـا :

بانَقُوساهَـا بهـا بـاهى المبـاهـي حيـث باهـا[2]

وأخبرنا قاضي العسكر أبو عبد الله محمد بن يوسف بن الخضـر قال : كانت حلب من أكثر المدن شجراً ، فأفنى شجرها وقوع الخُلْف بين سيف الدولـه بـن حمدان وبين الإخشيد أبي بكر محمد بن طُغج ، فإن الإخشيد كان ينزل على حلب

١ ــ ذكرها ياقوت في معجمه ورسمها بالالف المدودة .
٢ ــ ديوانه ، ٥٠٥ ــ ٥٠٨ ، وفيه حين باها .

ويحاصرها ، ويقطع شجرها ، فإذا أخذها وصعد الى مصر جاء سيف الدوله ، وفعلْ بها مثل ذلك ، وتكرر ذلك منهما حتى فني ما بها من الشجر ، واتفق بعد ذلك نزول الروم على حلب ، وأخذ المدينة في سنة إحدى وخمسين وثلاثمائة ، ففني شجر الشَّربين لذلك ، وكانت الوقعة بين سيف الدولة وبين الدُمستق في هذه السنة بسفح بانَقّوسا ، وسميت وقعة بانَقّوسا ، وقتل فيها جماعة من أهله وكتابه ، وكان عسكره غائباً مع نجا ، واستولى الدمستق على حلب تسعة أيام ، وسنذكر الوقعة فيما يأتي من كتابنا هذا في موضعها ، والحيات التي ببانَقّوسا قواتل لا يَسْلم (١٦٣ ــ ظ) من لدغته بل يموت في الحال ، وحيات داخل المدينه لا تكاد تقتل أحداً ، وبين المدينة وبين بانَقّوسا مقدار شوط من جري الفرس ، وقد ذكرت بانَقّوسا كثيراً في الشعر ، وقال الصَّنوبري في القصيدة الجيمية بعد البيتين اللذين ذكرناهما في جبل جوشن :

الى بانَقّوساء تلك التي ... حكت راكباً لاح من فَجه
لترتاضَ نَفْسُك في رَوْضِه ... ويمرجَ طرفُك في مرجه[1]

وقال أبو عُبادة الوليد بن عبيد البحتري يذكر بانقوسا وبابلى وبطياس :

أقامَ كُلُّ مُلثٍّ الوَدْقِ رَجّاسِ ... على ديار بعلو الشام أدراس
فيها لعَلْوَةَ مُصْطافٌ ومُرْتبعٌ ... من بانقوسا وبابلّى وبُطْياس
منازلٌ أنكرتْنا بعد معْرفةٍ ... وأوحشتْ من هَوانا بعد إيناس
هل مِنْ سبيل إلى الظَّهران من حلبٍ ... ونشوةٍ بين ذاك الورد والآس
إذ أقبل الريح ــ والأيام مقبلة ــ ... من أهيفٍ خنث العطفينِ ميّاس[2]

---

١ ــ ديوانه ، ٤٦٦ .
٢ ــ ديوانه ١١٤٧/٢ ــ ١١٤٨ .

ذكـر جبـل سمْعان

وهذا الجبل غربي مدينة حلب أوله شمالي جبل جَوشن ، ثم يمتد غرباً ويتصل بجبال عدة محسوبة منه ، الى كورة تيزين ، وهو جبل نَزه ، كثير الشجر من التين والزيتون والكرم والكمثرى ؛ وفيه آثار عظيمه من بناء الروم ، وفيه دير سمعان[1]، وكان من الأبنيه العظيمة المستحسنة التي تقصد لحسنها (١٦٤ ــ و ــ) وكان على الدير حصن مانع ، أخربه سعد الدولة أبو المعالي شريف بن سيف الدولة بن حمدان، خوفاً من غلبة الروم عليه ، ومضايقتهم حلب به .

وهذا الدير غير دير سمعان الذي دفن فيه عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه بالقرب من معرة النعمان ، ويعرف بدير النَّقيرة أيضا .

وفي هذا الدير الذي بجبل سمعان يقول أبو الفوارس بن أبي الفرج الاستاذ البزّاعي ، أنشدنا عبد الرحمن بن أبي غانم بن إبراهيم بن سندي الحلبي قال : أنشدني أبو الفوارس بن أبي الفرج البزّاعي الاستاذ لنفسه وكتبها على حائط دير سمعان ؛ وقرأت هذه الأبيات أيضاً بخط اللطيف علي بن سنان السراج ، وذكر أنه أنشده إياها أبو الفوارس لنفسه ، وكتبها على حائط دير سمعان ، وقد أتاه متفرجاً في سنة إحدى وثمانين وخمسمائه .

يا دير سمعان ُقل لي أيـن سمعـانٌ ... وأيـن بانـوك خبـرني متـى بانوا
وأيـن سكانـك القوم الأ ُلى سلفوا ... قد أصبحوا وهم في التـرب سكـانُ
أصبحت قفـراً خراباً مثـل ما خربوا ... بالمـوت ثـم انقضـى عمرٌ وعمران
وقفـتُ أسألـه جهـلاً ليخبـرني ... هيهـات من صامت بالنطق تبيـانُ
أجابنـي بلسـان الحـال إنهـمُ ... كانوا ويكفيك قولي إنهمْ كانوا[2]

---

١ ــ يبعد دير سمعان عن حلب مسافة ٤٥ كم . انظر التقسيمات الادارية ، ٢٩٨ .

٢ ــ انظر ياقوت ، معجم البلدان ، مادة ــ دير سمعان ــ .

وقيل إن هذا الجبل ينسب إلى سمعان حواري عيسى عليـه السلام الذي ينسب الدير إليه ، وسنذكر ترجمته إن شاء الله ، وقيل سمعان هو اسم (١٦٤ ــ ظ) الجبل نفسه ، والدير المذكور مضاف إلى الجبل المسمى بسمعان ويدل على ذلـك ما أخبرنا أبو البيان بن أبي المكارم بن هجام الحنفي بالقاهرة المُعزية قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أبي القاسم بن محمد بن منصور الحَضرمي قال : أخبرنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الرازي قال : أخبرنا أبو الفضل محمد بن أحمد ابن عيسى السعدي قال : أخبرنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن علي المُقريء قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن جعفر بن َدرستَويه قال : حدثني أبي قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن ُنعيم قال : حدثنا أبو علي عبيد الله الدارسي حدثني أبو مسعود ُعبيد بن ُسمَيْع عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال : لما قدم وفد إياد قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فعل ُقس بن ساعدة » ؟ قالـوا : مات يا رسول الله ، قال : « يرحم الله ُقس بن ساعدة كأني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام عليه حلاوة ، وما أجدني أحفظه » ، فقال أبو بكر رضي الله عنه : سمعته يقول بسوق عكاظ :

أيها الناس ، اسمعوا واحفظوا من عاش مات ، ومن مات فات ، وكل ما هو آتٍ آتٍ ، ليل داج ، وسماء ذات أبراج ، وبحار تزخر ، ونجوم تزهر ، ومطر ونبات ، وآباء وأمهات ، وذاهب وآت ، وضوء وظلام ، وبر وأثـام ، ولباس ومركب ومطعم ومشرب ، إن في السماء لخبراً ، وإن في الأرض لعبراً ، مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون ؟ أرضوا (١٦٥ ــ و) بالمقام هنالك فأقاموا ، أم تركوا هنالك فناموا ، يقسم بالله قُس بن ساعدة قسماً براً لا إثم فيه ، ما لله في الأرض دين أحب إليه من دين قد أظلكم زمانه ، وأدرككم أوانه ، طوبى لمن أدركه فتابعه ، وويل لمن أدركه ففارقه ، ثم أنشأ يقول :

في الـذاهبـين الأوليـ ـن من القرون لنـا بصائر
لمـا رأيـت مـوارداً للمـوت ليس لهـا مصـادر
ورأيـت قـومي نحوهـا يمضي الأصـاغر والأكـابر
لا مـن مضى منهـم يـرا جعهم ولا البـاقي بغـابر
أيقنت أنـي لا محـا لـة حيث صـار القوم صائر

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « رحم الله قس بن ساعدة إني لأرجو أن يأتي يوم القيامة أمة وحده » ، فقال رجل من القوم : يا رسول الله ، لقد رأيت من قس عجباً ، قال : « وما الذي رأيت ؟ » قال : بينا أنا يوما بجبل في ناحيتنا يقال له سمعان في يوم قائظ شديد الحر ، إذا أنا بقس بن ساعدة في ظل شجرة عندها عين من ماءٍ ، وإذا حوله سباع كثيرة قد وردت ، وهي تشرب من الماء ، فإذا زأر سبع منها على صاحبه ، ضربه بيده ، وقال : كُفَّ حتى يشرب الذي ورد قبلك ، فلما رأيته وما حوله من السباع هالني ذلك ، وذخلني رعب شديد ، فقال لي : لا تخف ، لا بأس عليك إن شاء الله ، وإذا (١٦٥ ــ ظ) أنا بقبرين، بينهما مسجد ، فلما أنست به قلت له ما هذان القبران ؟ قال : هذان قبرا أخوين كانا لي يعبدان الله في هذا الموضع ، واتخذت فيما بينهما مسجداً أعبد الله فيه حتى ألحق بهما ، ثم ذكر أيامهما وفعالهما ، فبكى ثم قال :

خليـلي هبَّا طالما قـد رقدتمـا أجـدكمـا لا تقضيـان كراكمـا
ألم تعلمـا أني بسمعـان مفـرد وما لي فيهـا من حبيب سواكمـا
أقيم على قبريكمـا لست نازحـاً طوال الليالي أو يجيب صداكمـا
أبكيكما طـول الحيـاة وما الذي يُردُّ على ذي لوعـة إن بكاكمـا
كأنكمـا والمـوت أقرب غـايـةٍ بروحي في قبريكمـا قـد أتاكمـا
فلـو جعلت نفس لنفس وقايـةً لجدت بنفسي أن تكون وقاكمـا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يرحم الله قسّ بن ساعدة » .

فقد صرح في هذا الخبر بقوله : بجبل في ناحيتنا يقال له سمعان ، وفي الشعر

ألم تعلما أني بسمعان مفرد ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ويجوز أن يكون الجبل في الأصل منسوباً الى سمعان ، ثم غلب الاسم على الجبل ، كما سمي جبل البِشْر باسم رجل يقال له البشْر ، ثم غلب على الجبل ، ومثل هذا كثير في كلام العرب ، وفي هذا الجبل قرية يقال لها روحين ، وفي أرضها مشهد حسن يقال له مشهد روحين ، وفيه قبور ثلاثة ، قيل ان أحد القبور قبر قس ، والى جانبه عين اذا زاد الماء سرحت . وسنذكره فيما يأتي من المزارات بمدينة حلب وأعمالها ان شاء لله .

وفي وسط هذا الجبل جبل عال شاهق على الجبال التي حوله ، يقال له بيت لاها (١٦٦ ــ و) وهو بيت لاها الشرقي ، لان جبل اللكام يقال له بيت لاها الغربي ، ومعناه بالسريانية بيت الله ، ويقال : إن ابراهيم عليه السلام لما هاجر الى الشام كان يرعى غنمه من أرض حلب الى بيت لاها ، ويقال لما حوله من الجبال ، جبل ليلون ، وقيل فيه لولون ، كذا ذكره البلاذري في حديث الجراجمة [1] وهو من أحسن الاماكن وأكثرها بهجة ، وجميعها من جبل سمعان ، وأنشدني منصور بن سعيد بن أبي العلاء الحلبي قال : أنشدني عيسى بن سعدان لنفسه .

يادار علوة ما جيدي بمنعطف إلى سؤال ولا قلبي بمنجذب

وياقرى الشام من ليلون لا بخلت على بلادكم هطالة السحب

ما مر برقك مجتازا على بصري إلاّ وذكرني الدارين من حلب

١ ــ فتوح البلدان ، ١٦٦ .

ليت العواصم من شرقي فامية أهدت إليَّ نسيم البان والغرب
ما كان أطيب أيامي بقربهم حتى رمتنا عوادي الدهر عن كثب[1]

ولمحاسن بن اسماعيل بن علي الشوا من قصيدة أولها :

أيُّها المُزنُ إن طرقت الأحصَّا فاسقِ منه ُ ذاك المكان الأخصا

قال فيها :

وتعهد ليلون ليلاً تجد زُهـ ـر عراصٍ تحكي بروقل عرصا



1 ـ انظر ياقوت ، معجم البلدان ، مادة ليلون .

ذكر الجبل الأعلى

وهو جبلٌ عالٍ يتصلُ بجبلِ سمعان من جهـة الشمال ، وبجبل السماق مـن قبليه (١٦٦ ــ ظ) ومن غربي هذا الجبل أرمناز [١] وكورتها ، ومن شرقيه الحفة والجزر ، وفيه من العمائر وبناء الروم آثار تروق الطرف ، وتبسط النفس ، وهو كثير الاشجار من التين والزيتون والرمان والجوز والسماق ، وفيه قرى فيها أعين ماء ، وكذلك القرى التي في لحف هذا الجبلِ ، وتحف به من جوانبه الاربع •

وقرأت بخط حمدان بن عبد الرحيم بن حمدان الأثاربي من أجزاء من شعره ، سيرها إليّ القاضي أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الخشاب صديقنا رحمه الله، فنقلت منه أبياتا كتبها بعد خروجه من معربونية ، وهي قريةٌ كانت ملكه في جانب هذا الجبلِ ، الى جيرانه بها وهي :

أسكان عَرْشين القصـور عليكـمُ   سـلامـي ما هبـت صبـاً وقبـولُ
ألا هـلْ إلـى حثّ المطايا اليكـمُ   وشمّ خُـزامى حَرْبنـوش سبيلُ
وهل غفلاتُ العيش في دير مَرْقُشٍ   تعـود وظـلُّ اللهّـو فيه ظليـلُ
إذا ذكـرت لذّاتهـا النفسُ عندكم   تـلاقى عليهـا زفـرة وعويـلُ
بـلاد بهـا أمسى الهـوى غير أنني   أميـل مـع الأقـدار حيث تميـلُ

١ ــ هي الان من قرى محافظة ادلب ، ويصلها بها طريق مزفت طوله ٢٥ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٧٠ .

٢ ــ انظر ياقوت ، معجم البلدان ، مادة ديرمرقص ، وحربنوش ومعربونية ــ تعرف الان باسم معربونة ــ من قرى محافظة ادلب وتبعدان عنها مسافة ١٩ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٥ .

ذكر جبـــل السماق

وهو جبل يشتمل على جبال وقرى من أنزه البقاع وأعجبها ، وأحسن الاماكن وأطيبها ، وفيه من الابنية الرومية والآثار والفواكه الحسنة ، والثمار ما يتجاوز الوصف ، ويسر النفس ، ويقر الطرف ، ويزرع في أرضه (١٦٧ ــ و) القطــاني كلها ، والقثاء والحبوب ، فتأتي على أكمل ما يكون في الاراضي التي تسقى بالماء ، وكذلك أشجاره فانها قدعمت الجبال والبقاع والاودية والتلاع ، من التين والعنب، والفستق واللوز والجوز ، والتفاح والمشمش والكمثرى ، والسماق ، وإنما عرف بجبل السماق لكثرته فيه ، وسماقه أجود من غيره •

وقراه قرى نزهة عامرة ، وفي بعضها ماء نبع وعيون وأكثرها من ماء المطر وفي قراها قرية يقال لها إصطمك فيها مصنع عظيم للماء من بناء الروم ، مبني بالحجر الهرقلي على قناطر كثيرة محكمة البناء ، وهو من عجائب العمائر •

وقراه قرى نزهة عامرة ، وفي بعضها ماء الروم ، مبني بالحجر الهرقلي علــى قناطر كثيرة محكمة البناء ، وهو من عجائب العمائر •

والغالب من أهل هذا الجبل أسديون من بني كاهل ، ومذاهب عامتهم في زمننا هذا مذهب الإسماعيلية النزارية •

وكان أحمد بن عبد الله بن طاهر بن الحسين أبو الفضل قد قدم الشام ، ونزل بجبل السماق ، فاستطاب ماءه ، واستلذ هواءه ، وأعجب به اعجابا كثيرا ، ورحل عنه فقال :

يا جبــــل السمــــاق سقيــا لكا   مــا فعــل الظبــي الــذي حلكــا

فار قـــــت أطـــلالك لا أنــه   قـــلاك قلبـــي لا ولا ملكـــــا

فأي لذاتك أبكي دما ماءك أم طيبك أم ظلكا
أم نفحات منك تندى إذا دمع الندى إثر الدّجى بلكا

ومن شعر عيسى بن سعدان الحلبي في ذكره .

عهدي بها في رواق الصبح لامعةٍ تلوي ظفائر ذاك الفاحم الرجل
وقولها وشُعاع الشمس منخرط" حييت يا جبل السُماق من جبل [1]

* * *

١ ـ انظر ياقوت ، معجم البلدان ، مادة جبل السماق .

ذكر جبل الطور بقنسرين

وهو جبل عالٍ ، مدينة قنسرين كانت في لحفه من جهة القبلة والشرق ، ونهر قويق يمر من شرقيه ، وفي رأسه مشهد يقال أنه مقام صالح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقولون إن الناقة خرجت منه ، وهذا لا أصل له ، فان صالحا عليه السلام كان بالحجر ، وقتل قومه الناقة بالحجر ، والذي يغلب على ظني أن هذا المشهد بناه صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، فنسب الى صالح النبي عليه السلام .
(١٦٧ ــ ظ) .

* * *

ذكر جبـــل بني عليـــم

وهو منسوب الى بني عُلَيم بن جناب بن كلب وبرة بن تغلب بن حلوان ، نزلوه فعرف بهم ، ونسلهم به الى اليوم ، وسيأتي في أثناء كتابنا هذا ذكر جماعـــة منهم ان شاء الله ، وهو جبل عال مشرف على جبل السماق ، وفي ذيله قرية كبيرة يقال لهـــا ريحـــا ٠ (١) ٠

وفي رأس الجبل عين ماء في موضع يقال له الكرساني فيه أشجار علـــى العين ، من الجوز وغيره ، ويشرف ذلك الموضع على جبل السماق وغيره ، ويقصد الناس هذا الموضع للنزهة به من حلب وغيرها ، وينحدر الماء في هذا الجبل الى أسفله ، فيجري في قرية ريحا ، وينتفعون به للشرب والحمام ، ونفس القرية اذا حفر فيها بئر لا يصلون الى منبع الماء الا بعد مجاوزة ثلاثمائة ذراع ، وفي القرية أبنية عظيمة من بنـــاء الروم ٠

وفي هذا الجبل قبلى الكرساني قرية يقال لها كفر لاثا (٢) في شعب من شعابه فيها عين ماء ، وتحتها بساتين تشرب منها ، وهي من أنزه البقاع تشرف على كـــورة قنسرين ، وكورة حلب ، وكان بها حصن منيع استولى عليـــه طنكري الفرنجي ،

---

١ ـ تعرف الان باسم أريحـــا ، ويصلهـــا بادلب طريق مزفت طولـــه ١٤ كـــم ، التقسيمات الادارية ، ٢٥١ ٠

٢ ـ تعرف الان باسم كفرلاتا ، ويصلها بادلب طريق مزفت طولـــه ٢٠ كـــم ، التقسيمات الادارية ، ٢٥٢ ، وطنكري هو Tancred صاحب أنطاكية المتوفـــي ســـنة ١١١٢ م ٠

وأخذه من نواب رضوان بن تتش في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة ، ففتحه نور الدين محمود بن زنكي في سنة ست وأربعين وخمسمائة ، وخربه .

وفي قرية من هذا الجبل يقال لها نحله[1] مقابر يشاهد الناظر النور عليها ليلا عن بعد ، فاذا وصل اليها لا يرى شيئا ، وعليها كتابة بالرومية ، حكى لي صديقنا بهاء الدين أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الخشاب رحمه الله ان الامير سيف الدين علي بن قلج أمر بأن (١٦٨ —) تنقل تلك الكتابة ، ودفعها الى بعض علماء الروم بحلب ، فترجمها فكان فيها هذا النور موهبة من الله العظيم لنا ، أوذكر كلاما نحو هذا ، وفيه زيادة عليه .





١ — تبعد نحله عن ادلب مسافة ٢١ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٥٢ .

ذكر جبل الأحص

وهو من شرقي مدينة حلب وقبليها ، ومن غربيه السهول ، ومن شرقيه برية الرصافة ، ومن شماليه نقرة بني أسد ، وهو جبل كبير وفيه قرى عامرة ، كثيرة الغلة ، وفيه خناصرة منزل عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، وفيه شبيث ماء مذكور وفيه يقول الشاعر :

فقال تجاوزت الاحص وماءه   وماء شبيث وهو ذو مترسم

وكان جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان ، وهو قاتل كليب وائل ينزل الاحص ، فجرت وقعة البسوس ، فقتل جساس كليبا ، فلما غشية الموت قال لجساس : أغثني بشربة ، فقال تجاوزت شبيثا والأحص فأرسلها مثلا ، ووقعت الحرب بين الحيين بكر وتغلب على ما نذكره في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله .

وفي الاحص من المدن الخربة الاندرين [1] ، وهي مدينة خربة ، مبنية بالحجر الاسود ، على شفير البرية ، وينسب اليها الخمر ، قال :

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا   ولا تبقي خمور الأندرينا
مشعشعة كأن الحصّ فيها   إذا ما الماء خالطها سخينا (١٦٨ـ ظ)

وتنسب اليها الحبال أيضا قال النابغة الذبياني :

---

١ ـ يقال الان الحص بدلا من الاحص ، وتبعد الاندرين عن حلب مسافة ٨٨كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٩٠ .

٢ ـ انظر قصيدة عمرو بن كلثوم في شرح القصائد السبع الطوال للخطيب التبريزي ، ط حلب ١٩٦٩ ، ص ٣١٩ ـ ٣٢٠ .

كـأني شددت الكور حين شددتـه على قـارح مما تضمن عاقـل
أقب كعقـد الانـدري معقـرب حزابيـة قـد كـدحته المسـاحل

وقاتلته الحمر وطاردها .

وفي هذا الجبل مدينة خربة ، وهي سورية كانت مبنية بالحجر الأسود ، وهي اليوم خراب لا ساكن بها ، ويعمل بها القلي السورياني ، وأظن اللسان السورياني منسوب اليها ، وصار اسمها بعد خرابها ينطلق على ناحية قنسرين وحلب وأعمالهما

أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد قال : أخبرنا أبو القاسم اسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي اجازة ، ان لم يكن سماعا ، قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن عبد الله بن النقور البزاز قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بـن العباس المخلص قال : أخبرنا أبو بكر أحمـد بن عبد الله بن سيف السجستاني قال : حدثنا أبو عبيدة السري بن يحيى التميمي قال : حدثنا شعيب ابن ابراهيم التيمي قال : حدثنا سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة عن عبادة وخالد أن هرقل كان كلما حج بيت المقدس خلف سورية وطعن في أرض الروم ، التفت إليها فقال : عليك السلام يا سورية تسليم مودع ولم يقض منك وطره ، وهو عائد ، فلما توجه المسلمون نحو حمص عبر الماء فنزل الرها ، فلم يزل بها حتى طلع أهل الكوفة ، وفتحت قنسرين ، وقتل ميناس ، فخنس (١٦٩ ــ و) عند ذلك الى شمشاط حتى اذا فصل منها نحو الروم علا على شرف ، والتفت ونظر نحـو سورية وقال : عليك السلام ياسورية سلام لا اجتماع بعده ، ولا يعود اليـك رومي أبدا الا خائفا ، حتى يولد المولود المشؤوم ، ويا ليته لا يولد ، ما أحلى فعله، وأمر عاقبته على الروم .

١ ــ ديوانه ط . بيروت ١٩٦٨ ، ص ١١٤ ، وفيه : كأني شددت الرحل .

وقال : حدثنا السري قال : حدثنا شعيب قال : حدثنا سيف عن أبي الزهراء وعمرو بن ميمون قالا : لما فصل هرقل من شمشاط وأخلى الروم ، التفت الى سورية فقال : قد كنت سلمت عليك تسليم المسافر ، فأما اليوم فعليك السلام ياسورية تسليم المفارق لا يعود اليك رومي أبدا الا خائفا حتى يولد المولود المشؤوم ، ويا ليته لم يولد ، ومضى حتى نزل قسطنطينية .



ذكر جبل البشر

وهو جبل كبير في طرف عمل حلب من جهة البرية ، وبينه وبين الرصافة أربعة فراسخ ، وهو متصل بعاجنة الرحوب ، بينهما فرسخ واحد ، وعاجنة الرحوب من شماليه ، ويفرغ سيوله فيها ، وسمي البشر برجل يقال له البشر ، وفي هذا الجبل كانت وقعة الجحاف بن حكيم السلمي ببني تغلب ، قتل فيها الرجال والنساء وبقربطون الحبالى ، وسنذكر ذلك ان شاء الله تعالى ، في ترجمة الجحاف مسندا • واياه عنى عبد الله بن قيس الرقيات •

أمست رقية دونها البشر   فالرقة السوداء فالغمر (١)

ووقفت على صفة هذا الجبل وذكر الوقعة في شعر القُطامي رواية أبي جعفر الخراساني ، عن أبي يوسف يعقوب بن (١٦٩ ــ ظ) السِكيت ، مما ذكره ابن السِكيت في شرح قول القطامي :

حَلّوا الرَحوب وحَل العِزْ ساحتَهم   تَدْعوا أمية أو مروان والحكما (٢)

فأوردت الفصل جميعه في هذا الموضع لما تضمن من وصف الجبل ، وذكر الوقعة •

قال ابن السكيت : هذا يوم الرَحوب ، ويوم مُخاشِن ، ويوم البِشر ، وكان من سبب هذا اليوم أنه لما كانت سنة ثلاث وسبعين قُتل عبد الله بن الزبير ، فهدأت

١ ــ ديوانه ط • بيروت ١٩٥٨ ، ص ١٨٢ ، وفيه أضحت رقية •
٢ ــ ديوان القطامي ط • برل ١٩٠٢ ، ص ٧١ •

الفتنة ، واجتمع الناس على عبد الملك ، وتكافّت قيس وتغلب عن المغازي بالشـام والجزيرة ، وظن كل واحد من الفريقين أن عنده فضلا لصاحبه ، وتكلم عبد الملك ، ولم يتحكم الصلح ، فبينا هم على تلك الحال ، إذ أنشد الأخطل عبد الملك ، وعنده وجـوه قيس قولـه :

ألا سائل الجحاف هـل هو ثائر　　　بقتلى أصيبت من سُلَيْم وعامر[1]

حتى أتى على آخرها ، فنهض الجحاف بن حكيم يجر مِطْرَفَه حتى خـرج من عند عبد الملك ، ثم شخص من دمشق ، حتى أتى منزله ببَاجَرْوان مـن أرض البليخ ، وبين باجروان وبين شط الفرات ليلة ، ثم جمع قومه بها ، فقال : إن أمـير المؤمنين استعملني على صدقات تَغْلِب ، فانطلقوا معي ، فارتحل ، وانطلقوا معـه وهو لا يعلمهم ما يريد ، وجعلت إمرأته عبلة تبكي حين ودعته ، ثم أتى بهـم شـط الفرات منازل بني عامر ، فقال لهم مثل ذلك ، وجمعهم (١٧٠ ــ و) فارتحلوا معه ، ثم قطع بهم الفرات إلى الرصافة ، وبينها وبين شط الفرات ليلة ، وهي قبلة الفرات ، حتى إذا كانوا بالرصافة قال لهم : إنما هي النار أو العار ، فمن صبر فليتقدم ، ومـن كره فليرجع ، فقالوا : ما بأنفسنا رغبة عن نفسك ، فأخبرهم بما يريد ، فقالوا : نحن معك ، فيما كنت فيه من خير وشر ، فارتحلوا فطرقوا صَهِيناً بعد رُوَية من الليل ، وهي في قبلة الرصافة ، بينهما ميل ، ثم صبحوا عاجنة الرحوب ، وهي في قبلة صهين ، والبشر وادٍ لبني تغلب ، وإنما سمي البشر برجل من قاسِط يقـال لـه البشـر ، كـان يخفر السابلـة ، وكان يسلكه من يريد الشـام من أرض العراق بين مَهَبّ الدَّبُور والصَّبَا معترض بينهما يُفرغ سيوله في عاجنة الرَّحوب وبينهما فرسـخ وبين عاجنة الرحوب وبين الرُّصافة ثلاثة فراسخ ، والبشر في قبلة عاجنة الرحوب ، ودمشق في قبلة البِشْر .

---

٢ ــ ديوانه ط . بيروت ١٨٩١ ، ص ٢٨٨ .

ثم أغاروا على بني تغلب بين البشر والشام ليلا ، فقتلوهم ، وبقروا النساء فقتلوهن ، فهو يوم البشر ، ويوم عاجنة الرحوب ، ويوم مُخاشن ، وهو جبل ينعرج إلى بعض البشر ، وهو يوم مرج السَلَوطَح ، لأنه بالرحوب .

قال : وقُتل أبو الأخطل في تلك الليلة ، وفي ذلك يقول جرير :

شربت الخمر بعد أبي غياث   فلا نَعِمَت لك النَّشوات بالا[1] (١٧٠ـظ)

وهرب الجَحَاف بعد فعله هذا ، فتبعه عبيدة بن هَمَّام التغلبي ، فلحقه دون الدرب وهو يريد بلاد الروم ، فعطف عليه فهزم أصحابه وقتلهم ، وأفلت الجحاف ، ومكث زماناً في بلد الروم حتى سكن غضب عبد الملك ، ولان وكلمته العَبْسية في أن يؤمنه ، فتلكأ ، فقيل إنّا والله لا نأمنه على المسلمين أن يأتي بالروم إليهم ، فأعطاه الأمان ، وقد كان عامة أصحابه تسللوا إلى منازلهم ، فأقبل فيمن بقي من أصحابه ، فلما قدم على عبد الملك لقيه الأخطل ، فأنشده الجحاف :

أبا مالك هل لمتني إذ حَضَضْتَني   على القتل أم هل لامني لك لائم

فزعموا أن الأخطل قال له : أراك بالله شيخ سوء ، ورأى عبد الملك أنه إن تركهم على حالهم أنه لم يُحكم الأمر ، فأمر الوليد بن عبد الملك فحمل الدماء التي كانت قبل ذلك بين قيس وتغلب ، وضَمَّن الجحاف قتلى البشر ، وألزمها إياه عقوبة له فقال الأخطل في تصداق ذلك :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعة   إلى الله منها المُشتكى والمُعَوَّل[2]

فأدى إليهم الوليد الحمالات ، ولم يكن عند الجحاف ما حُمِّل ، فلحق بالحجاج ابن يوسف ، لأنه من هوازِن ، فسأل الإذن على الحجاج ، فمنعه ، فلم يعد إليه ،

---

١ ـ ديوانه ط . دار الحياة بيروت ، ص ٤١٤ وفيه : بعد أبي غويث .
٢ ـ ديوانه ، ١٠ .

وأتى أسماء بن خارجه ، فعصب حاجته به ، فقال : إني لا أقدر لك على منفعة ، وقد علم الأمير مكانك ، ولم يأذن لك ، فقال لأسماء : والله لا يلزمها (١٧١ ــ و) غيرك أنجحت أم نكثت ، فلما بلغ ذلك الحجاج قال : ما له عندي شيء ، فأبلغه ذلك ، قال : وما عليك أن تكون أنت الذي تُويسه ، فانه قد لح ، فأذن لـه ، فلما رآه قـال : أعهدتني خائناً لا أبا لك ؟ قال : أنت سيد هَوازِن ، وبدأنا بك ، وعمّالتك خمسمائة ألف في كل سنة ، وما بك بعدها إلى خيانة ، قال : أشهد أن الله وفقك ، وأنك نظرت بنور الله ، فلك نصفها العام ، فأعطاه وأدى أسماء البقية ، ثم إستأذن الجحـاف في الحج ، فأذن له في ذلك مع الجلة من الشيوخ التي شهدت الوقعة ، وفعلوا الأفاعيل، فخرجوا وقد أبَرُوا آنُفَهُم ــ يقول خزموها ــ يمشون من الشام محرمين يلبون، فلما قدموا المدينة خرج أهل المدينة ينظرون إليهم ويتعجبون منهم ، فلما قدموا مكة، تعلقوا بأستار الكعبة فقالوا : اللهم إغفر لنا وما أراك تفعل ، فقال ابن عمر : يأسكم من قبول التوبة أشد عليكم من ذُنوبكم ، فقيل له : هذا الجحاف وأصحابه ، فسكت وتمّ ذلك الصلح .

قلت قوله في هذا الخبر : ودمشق في قبلة البشر ، يريد في السَّمْت ، لا أنها على قُرب منه ، فإن بين دمشق وبين البشر ثمانية أيام ، وقد ذكر الصِّمَّة بن عبد الله القُشيري جبل البشر في شعره فقال :

ولما رأيت البشر قد حال دوننا وأضحت بنات الشوق يَحْنِنَّ نُزَّعا
تلفت نحو الحي حتى وجدتني ألِمْتُ من الإصغاء ليتاً وأخْدَعا[1]

(١٧١ ــ ظ)

وقرأت في كتاب معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري : البشر بكسر أوله على

١ ــ شرح ديوان حماسة أبي تمام للمرزوقي ط . القاهرة ١٩٥٢ ، ص ١٢١٧ ــ ١٢١٨ ، مع تباين في الرواية .

لفظ البِشْر الذي هو الإستبشار ، قال عُمارة بن عُقَيْل : البشر هو عاجِنَة الرَّحُوب متصل بها ، وسمي البشر برجل من النَّمِر بن قاسِط ، كان يخفر السابلة يسمى بشراً ، يقطعه من يريد الشام من أرض العراق بين مهب الصبا والدبور ، معترضاً بينهما يُفْرِغ سيوله في عاجنة الرحوب ، وبينهما فرسخ ، والبشر في قبلة عاجنة الرحوب ، وبين عاجنة الرحوب وبين رصافة دمشق ثلاثة فراسخ ، وفي البشر قتل الجحاف بن حكيم بني تغلب ، فهو يوم البشر ، ويوم الرحوب ، ويوم مُخاشن ، وهو جبل إلى جنب البشر ، ويوم مرج السلوطح لأنه بالرحوب ، والرحوب منقع ماء الأمطار ، ثم تحمله الأودية فيصب في الفرات . وقال أبو غسان : البشر دون الرقة على مسيرة يوم منها ، فهذا بشر آخر . قال الأخطل :

سمَوْنا بعِرْنَيْن أشَمَّ وعارضٍ لنَمْنَعَ ما بين العراق إلى البِشْر

وقال أيضاً في إيقاع الجحاف بهم :

لقد أوقع الجحاف بالبشر وقعةً إلى الله منها المُشتكى والمُعَوَّل(١)

قلت : قوله : « فهذا بشر آخر » غلط منه لأن الرصافة من الرقة تكون بمقدار يوم وزيادة يسيرة ، وهي غربي الرقة وقبليها ، وطرف جبل البشر ينتهي إلى الفرات ، فيقرب من الرقة من هذا الطرف ، وبينه وبين الرصافة ثلاثة فراسخ في وسطه (١٧٢ ـ و) فظن أبو عبيد البكري أن ثم بشراً آخر لقول عمارة بن عقيل أن بينه وبين رصافة دمشق ثلاثة فراسخ ، وقال أبو غسان : البشر دون الرقة على مسيرة يوم منها ، فظن أبو عبيد البكري أن الرصافة عند دمشق ، ولم يعلم أنها من أرض قِنَّسرين ، لبعده عن بلاد الشام ، لأنه مَغْرِبي لا خبرة له ببلاد الشام ، وإنما نَسَبَ الرصافة إلى دمشق لنزول هشام بن عبد الملك فيها وهو خليفة ، وكان كرسي ملكه بدمشق ،

١ ـ معجم ما استعجم ، مادة بشر ، ١/٢٥١ـ٢٥٢ ، ديوان الاخطل ١٣٤ ، ١٠ .

فنسبها إلى دمشق ليفرق بينها وبين رصافة بغداد ، والبشر جبل طويل عريض يمتد في العرض الى قباقب ، وهو ماء في طرف البشر ، وقد نزلت به ، بينه وبين رحبه[1] مالك بن طوق مقدار عشرة فراسخ .

ولأبي الحسن محمد بن أحمد بن خلف النَصْروي أبيات قالها بالعراق يذكر فيها البشر وحلب وهي :

يا راكباً والفجر قد غار على الـ ـجوزاء إذ جللها الازارا
وحلّق النسران ثم انغمسا كالراكبين أنجدا أو غارا
أمامك البِشْرُ فإن طَرحْتَه مُستقبلاً من حلبٍ أحجارا
فكمْ ستلقى دونها من باحثٍ عن خَبَري يستقبل السُفّارا
يَوَدّ أنْ كان الذي زُودتَه مِن العراق كلّه أخبارا
فَبَلّغِ القومَ بأن لا سفرٌ يَحْدُثُ أرضى بالعراق دارا
أرضى من الإسْعاد أن صَيّرَني لبيته سَعْدَ الكُفاة جارا
(١٧٢ ــ ظ)

* * *

١ ــ هي في أحواز بلدة الميادين الحالية التي هي مركز منطقة في محافظة دير الزور ، ويصلها بدير الزور طريق مزفت طوله ٤٦ كم ، التقسيمات الادارية ، ٤٧٣ .

ذكر جبل برصايا

وهو جبل عال شامخ شمالي عَزَاز ، يشرف على بلد عزاز وكورة الأرتيق ، وهو من أبهى البقاع منظراً وأرقها هواء ، وعلى رأسه مشهد حسن ، وقريب منه مسجد آخر ، وتحتهما قرية يقال لها كفر شيغان ، وقفها نور الدين محمود بن زنكي على مصالح المسلمين ، وعلى مشهد برصايا ويقال إن مقام داود صلى الله عليه وسلم كان بموضع المشهد المذكور ، وقال لي الشيخ علي بن أبي بكر الهروي السائح : جبل بَرْصَايا به مقام برصيصا العابد ، وقبر شيخ برصيصا ، ومقام داود عليه السلام[1] ، وهذا الجبل بين عزاز وقورس .

* * *

١ ـ الزيارات ، ٦ ، وفيه تصحيف يقوّم من هنا .

ذكر الجبل الأسود

وهو جبل دون جبل اللُّكام من شرقيه ويقال : إن إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان إذا أقام بحلب يبث رعاءه إليه ليرعوا غنمه فيه ، وفيه أشجار كثيرة غير مثمرة يؤخذ منه الخشب إلى البلاد التي حوله ، وفيه حصن الدَّرْبَساك ، وهو حصن مانع وفي لحفه من شرقيه النهر الأسود له ذكر في حديث الملاحم أن الروم ينزلون عليه في الملحمة ، ويقال له نهر الرقية أيضاً ، ويتصل هذا الجبل الى صَرْفَد كان حصن قوي في يد الأرمن ، وكان به جماعة من العُبَّاد والرهبان •

أخبرنا عتيق بن أبي الفضل بن سلامة قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن الحسن ؛ ح •

وحدثنا أبو الحسن بن أبي جعفر عن أبي المعالي (١٧٣ ــ و) بن صابر قالا : أخبرنا الشريف النسيب أبو القاسم العلوي قال : أخبرنا رِشاء بن نظيف ؛ ح •

وأخبرنا أبو القاسم عبد الغني بن سليمان بن سَنين قال : أخبرنا أبو القاسم البُوصيري وأبو عبد الله بن حَمَد الأرتاحي قالا : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين الموصلي ــ قال ابن حمد إجازة ــ قال : أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز بن الحسن بن إسماعيل قالا : أخبرنا أبو محمد الحسن بن إسماعيل بن محمد الضَّراب قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن مروان قال : حدثنا يوسف بن عبد الله قال : قال حُذيفة المَرْعشي : مررت على راهب في جبل الأسود فناديته يا راهب ، فأشرف علي ، فقلت له : بأي شيء تُجْتَلَبُ الأحزان ؟ قال : بطول الغربة ، وما رأيت شيئاً أجلب لذوي الأحزان من الوحشة والوحدة • ★ (١٧٣ ــ ظ)

★ ــ آخر الجزء العاشر ، وكتب ابن العديم في الحاشية بخطه سماعا نصه : بلغ والداي عبد الرحمن ومحمد من أوله قراءة وسماعا ، وسمعه ابن أختهما محمد في ثامن عشر ذي الحجة . وكتب بعد هذا سماعا آخر نصه : بلغ بدر الدين عبد الواحد في العشر الاوسط من شعبان سنة سبع وخمسين .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه توفيقي

ذكر جبل اللكام

ويقال له أيضاً بيت لاها الغربي ، ومعناه بالسريانية بيت الله ، وهو جبل عال مشرف يبين عن مسيرة أربعة أيام ، ولا يزال به الثلج في الشتاء والصيف ، وهو مسكن العباد والزهاد وفيه من الفواكه المباحة ما يقتاتون به ، وهو يفصل بين الثغور الشامية والجزرية .

وكانت به وقعة لسيف الدولة أبي الحسن علي بن عبد الله بن حمدان مع الروم، قتل منهم فيها ثلاثين ألفاً . وقال أبو فِراس الحارث بن سعيد بن حمدان في ذلك :

وأبْقَتَ على اللُّكام قَتْلى سُيوفه   لهم من بطون الخامعات مقابِر

ويقال بتشديد الكاف وتخفيفها .

وقال أبو العباس أحمد بن أبي أحمد بن القاص في كتاب دلائل القبلة وذكر الجبال فقال : ربما كان الجبل دليلاً لأهل ناحية على القبله كجبل لُكام بالشام ، وجبل الشَراة بتهامة ، وجبل الراهون بسَرنديب وجبل دُنْباوَند عندنا بآمُل طَبَرْستان .

قال : وأما جبل لكام فإنه جبل ممدود إبتداؤه من مكة والمدينة ، ويسمى هنالك العَرْج ، يمتد طولاً حتى يتصل بالشام ، ويصير من جبال حمص ، فيسمى هنالك

لبنان ، وينثني من دمشق ثم يمضي حتى يصير من جبال أنطاكية والمصيصة ، فيسمى هنالك باللكام ، ثم يمتد حتى يصير من جبال مَلَطْيَّة وشمْشاط وقالِيقلا (١٧٤ ــ و) ، ويمتد طولا حتى يصير من جبال خَزَر ، ويسمى هنالك القِيق •

ونقلت من كتاب الحافظ لمعارف حركات الشمس والقمر والنجوم في آفاقها ، والأقاليم وأسماء بلدانها في سياقها ، تلخيص أبي الحسين أحمد بن جعفر بن محمد ابن عبيد الله المنادي ، وأنبأنا به أبو القاسم عبد الله بن الحسين بن رواحة ، وعبد الرحيم بن يوسف بن الطُّفيل عن أبي طاهر السلفي عن أحمد بن محمد بن الآبنوسي عن رجل عنه قال : وأما جبل العرج الذي بين مكة والمدينة فإنه يمضي إلى الشام حتى يتصل بلبنان من حمص ، ثم يسير من دمشق فيمضي حتى يتصل بجبال أنطاكية والمصيصة ، ويسمى هنالك اللكام ، ثم يتصل بجبال ملطية وشمشاط وقاليقلا أبداً إلى بحر الخزر ، وهو الباب والأبواب ، ويسمى هنالك القيق •

وقال قُدامة في جبل العرج : وهذا الجبل يتصل بالشام فبعضه يتصل بلبنان وبعضه بجبل الثلج من أرض دمشق ، ويمتد إلى الروم •

قال : وقال النضر بن شُمَيل : يأتي إلى الشام من ناحية أيْلَة ، ثم إلى الطُّور ثم إلى بيت المقدس ثم إلى طبرية ، ويمتد بالبقاع وبعلبك ، ويمتد غربي حمص وحلب حتى يتصل باللكام ، ثم يمتد إلى ملطية ، وإلى بحر الخزر ، وفيه القلاع والحصون الكثيرة والمدن •

* * *

ذكر جبل الأقرع

وهو من جبال أنطاكية ، جبل عال يستبين من مسيرة ثلاثة أيام ، وهو مستدير (١٧٤ ــ ظ) عال لا نبات عليه ، ولهذا يسمى الأقرع ، ويتصل بجبل اللكام ، وهو على شاطىء البحر .

وقال المسعودي في كتاب مروج الذهب : والجبل الأقرع من أعمال أنطاكية ، وتحت هذا الجبل معظم ماء البحر وأكثره وهو يسمى عَجْز البحر[1] .

وأنبأنا أبو القاسم بن رواحة وابن الطفيل عن الحافظ أبي طاهر عن ابن الآبنوسي عمن أخبره عن أبي الحسين بن المنادي قال : وأما الجبل المطل الذي بأنطاكية ، فهو على ما ذكروا قطعة من اللكام .

قال لي علي بن أبي بكر الهروي : وجبلها ــ يعني أنطاكية ــ كان معبداً يزار من الآفاق[2] .

* * *

١ ــ انظر مروج الذهب ١ ، ٩٣ .
٢ ــ الزيارات ، ٦ .

باب في ذكر الاقليم الرابع

إعلم أن حلب من الإقليم الرابع من الأقاليم السبعة ، وقد قيل إنه أفضل الأقاليم السبعة وأصحها هواء وأعذبها ماء ، وهو وسط الأقاليم وخيرها •

ووقع إلي رسالة في ذكر الدنيا وما فيها من الأقاليم والجبال والأنهار والبلاد ، ولم أظفر باسم مؤلف الرسالة ، فنقلت منها بعض ما ذكره ملخصها في فصل منها في قسمة الأقاليم السبعة قال : فأما الأقاليم السبعة فإنها قسمت في الربع المسكون سبعة أقسام ، فسمي كل قسم منها إقليم ، فتكون الأقاليم كلها سبعة ، فأما هرمس الأول فقسمها قسمة مستوية ، فجعل الإقليم الرابع في الوسط من العمران ، والستة الأقاليم تحيط به ، وكل إقليم منها سبعمائة فرسخ في سبعمائة فرسخ ، فالأول منها الهند ، والثاني الحجاز ، والثالث مصر والإسكندرية ، والرابع بابل (١٧٥ ــ و) والخامس الروم ، والسادس يأجوج ومأجوج ، والسابع الصين •

فأما بطليموس الحكيم فقسمها بخلاف ذلك ، وجعلها على قدر بعدها عن خط الإستواء ، وقسمها سبعة أقسام جعلها في الربع المسكون من الأرض ، كل إقليم كأنه بساط مفروش قد مد طوله من الشرق إلى الغرب ، وعرضه من الجنوب إلى الشمال ، وهي مختلفة الطول والعرض ، فأطولها وأعرضها الإقليم الأول ، وأقصرها طولاً وعرضاً الإقليم السابع ، وأما سائر الأقاليم مقسم بينهما من الطول والعرض ، ثم ذكر كل واحد من الأقاليم السبعة وقال في الإقليم الرابع :

الإقليم الرابع للشمس أطول ما يكون النهار في المدن التي على الخط المسمى ،

وبسيطه أربعة عشر ساعة ونصف ، وبُعد هذا الخط من خط الإستواء ستة وثلاثون درجة يكون من الأميال ألفي ميل وأربعمائة ميل ، وسعة عرضه من آخر حدود الإقليم الثالث الى أول حد الخامس من الأجزاء خمس درج وأربع دقائق ونصف يكون ذلك من الأميال ثلاثمائة وثمانية وثلاثين ميلاً ونصف ميل ، وابتداؤه من الشرق ، ويمر على بلاد الصين وجنوب بلاد يأجوج ومأجوج ، ثم يمر على بلاد التُرك مما يلي الجنوب والشمال من بلاد الهند ، ثم يمر على بلاد بَلْخ ، ثم يمر على شمال بلاد كابل ثم يمر على سَجستان ، ثم يمر على وسط بلاد كِرمان وخُراسان ، ثم يمر على بلاد فارس وخوزستان ، ثم يمر على وسط (١٧٥ ـ ظ) بلاد العراق ، ثم على وسط ديار بكر وربيعة ، ثم يمر على جنوب بلد الثغر ، وشمال بلد الشام ، ويمر على وسط بحر الروم وجزيرة قبرس ، وجزيرة رودس ، ويمر في البحر على شمال بلاد مصر والإسكندرية ، وشمال بلاد ماريقي وبلاد القادسية ، وبلاد القيروان وبلاد طنجة ، وينتهي إلى بحر المغرب ، وأكثر هذه المواضع ألوانهم بين السمرة والبياض •

وفي هذا الإقليم من الجبال الطوال إثنان وعشرون يَهْراً[1] ، ومن المدن المشهورة الكبار نحو مائتي مدينة وإثنا عشر مدينة ، وهذا الإقليم هو إقليم الأنبياء والحكماء ، لأنه وسط الأقاليم ، ثلاثة جنوبية وثلاثة شمالية ، وهو أيضاً في قِسمة النيرّ الأعظم من بعد الإقلبمين اللذين عن جنبتيه أعني الثالث والخامس ؛ وعَدّ من المدن المشهورة في هذا الاقليم : زَبَطْرة ، ملطيه ، سُمَيْساط ، بالِس ، منبج ، حلب ، قنسرين ، المعرة ، كفر طاب ، شيزر ، حماه ، فامية ، أنطاكية ، طرسوس ، الكنيسة السوداء ، أذنه ، المصيصة ، قُورص ، دَلُوك •

قال : وعرض هذه البلدان جميعها من ثلاثة وثلاثين درجة إلى تسعة وثلاثين درجة ، وعَدّ غير هذه المواضع من المدن لم أكتبها لأنه لا يتعلق بذكرها لي غرض ، وإنما غرضي منها ما ذكرته لأنه من أعمال حلب حرسها الله تعالى •

١ ـ في القاموس اليهر الموضع الواسع •

وقرأت في تاريخ الموصل للخالديين أبي بكر وأبي عثمان قالا : وأما موقعها يعني الموصل من الأقاليم السبعة ، ففي الإقليم (١٧٦ ـ و) الرابع وهو أفضل الأقاليم وأجَلّها ، وذلك أنه يبتدىء من المشرق بالصين فيمر ببلاد التبت ثم على خراسان ، ففيه من المدن : خُجنده وأشْرُوسنة وفرغانة وسمرقند وبَلْخ وبخارى وهَراة وأبرشهر ومرو روذ ومرو الشاهجان وسرخس وطخارستان وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان ودنباوند والديلم والري وأصبهان وقم وهمذان ونهاوند والدينور وحلوان وشهرزور وسرمن رأى والموصل وبلد نصيبين وآمد ورأس عين وقاليقلا وشمشاط وحران والرقة وقرقيسيا، ثم يمر على شمال الشام ، ففيه من المدن: بالس ومنبج وسميساط وملطيه وزبطرة حلب وقنسرين وأنطاكية والمصيصة وأطرابلس وصيدا وأذنه وطرسوس وعمورية واللاذقية ؛ ثم يمر في بحر الشام على جزيرة قبرس ، ورودس ، وإليها ينسب هذا الإقليم ؛ ثم يمر في أرض المغرب بالأندلس وقرطبة وسردينه الى بلاد طنجة ، وينتهي الى بحر المغرب •

وأهل هذا الإقليم أصح هذه الأقاليم طباعاً وأتمهم اعتدالاً ، وأحسنهم وجوهاً وأخلاقاً •

والإقليم الأوسط هو الذي فيه الموصل أكثر الأقاليم السبعة مُدناً وعمارة ، وإنّه واسطة الأقاليم وأطيبها ماء ، وأعدلها هواء ، وأحسنها أهلاً ، وفيه مغاص الدُرّ ، وفي جباله أنواع اليواقيت (١٧٦ ـ ظ) والحجارة المثمنة ، وجميع أصناف الطيب ، ولأهله الصنائع واللطف والتأليف في الرخام ،وصنع الرخام وعمل الفسيفساء ونصب الطلسمات •

ومن أهله كان الجبابرة من الملوك ، وخيرة الصالحين ، وكل مدينة معتدلة الهواء مشهورة الاسم فمنه ، داخلة فيه •

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الجيهاني في كتابه : والإقليم الرابع يبتدىء من المشرق فيمر ببلد التبت ثم على خراسان ، فيكون فيه من المدن : فرغانه وخجنده وأشروسنة وسمرقند وبخارى وبلخ وآمل وهراة ومرو الروذ ومرو وسرخس وطوس ونيسابور وجرجان وقومس وطبرستان ودنباوند وقزوين والديلم والري وأصبهن وقم وهمذان ونهاوند والدينور وحلوان وشهر زور وسر من رأى والموصل وبلد ونصيبين وآمد ورأس العين وقاليقلا وشمشاط وحران والرقة وقرقيسيا ؛ ويمر على شمال الشام ففيه من المدن هناك : بالس ومنبج وسميساط وملطيه وزبطرة وحلب وقنسرين وأنطاكية وأطرابلس والمصيصة والكنيسة السوداء وأذنه وطرسوس وعمورية ولاذقية ؛ ثم يمر في بحر الشام على جزيرة قبرس ، ورودس ، ثم يمر في أرض المغرب على بلاد طنجه ، وينتهي الى بلاد المغرب .

قال : والاقليم الرابع وسطه حيث يكون طول النهار (١٧٧ ــ و) الاطول أربع عشرة ساعة ونصف ساعة ، وارتفاع المقطب ستة وثلاثين جزءا وخمس جزء ، وعرضه من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون طول النهار الاطول أربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة ، وارتفاع القطب تسعة وثلاثين جزءا وهو مسافة ثلاثمائة ميل .

أنبأنا الخطيبان أبو البركات سعيد وأبو الفضل عبد الواحد ابنا هاشم بن ابن أحمد بن عبد الواحد الاسديان قالا : كتب الينا الحافظ أبو طاهر بن محمد الاصبهاني أن أحمد بن محمد بن الآبنوسي أنبأهم قال : أخبرت عن أبي الحسين ابن المنادي قال : والاقليم الرابع وسطه حيث يكون طول النهار الاطول أربع عشرة ساعة ونصف ساعة ، وارتفاع القطب ستة وثلاثين جزءا وخمس جزء ، وعرضه من حد الاقليم الثالث الى حيث يكون طول النهار الاطول أربع عشرة ساعة ونصف وربع ساعة وارتفاع القطب تسعة وثلاثين جزءا وهو مسافة ثلاثمائة ميل .

قال : والاقليم الرابع يبتدىء من المشرق فيمر ببلاد التبت ثم على خراسان ، وفيه من المدن هنالك خجنده ، وأشر وسنة ، وفرغانة ، وسمرقند ، وبلخ ، وبخارى وآموية ، ومروذ ، ومرو ، وسرخس ، وطوس ، ونيسابور ، وجرجان وقومس وطبرستان ، ودنباوند ، وقزوين ، والديلم ، والري ، وأصبهان ، وقم ، وهمذان ونهاوند ، والدينور ، وحلوان ، وشهرزور ، وسر من رأى (١٧٧ ــ ظ) والموصل وبلد ونصيبين وآمد ، ورأسعين ، وقاليقلا ، وشمشاط وحران ، والرقة ، وقرقيسيا ، ثم يمر على شمال الشام وفيه من المدن هنالك بالس ومنبج وسميساط وملطية وزبطرة وحلب ، وقنسرين وأنطاكية ، وطرابلس ، والمصيصة ، وصيدا ، والكنيسة السوداء ، وأذنة ، وطرسوس ، وعمورية ، ولاذوقية ، ثم يمر في بحر الشام على جزيرة قبرس ، وورودس ثم يمر في أرض المغرب على بلاد طنجة ، وينتهي الى بحر المغرب ، وذكر الحيار من الاقليم الثالث .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الشافعي بدمشق قال : أخبرنا عمي أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي الحافظ قال : أخبرنا أبو القاسم علي بن ابراهيم الحسيني وأبو الحسن علي بن أحمد بن منصور المالكي وأبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن عبد الواحد بن زريق ح .

وأنبأناه اجازة عاليا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي قال : أخبرنا أبو منصور بن زريق قالوا : قال لنا أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الحافظ : ذكر علماء الاوائل أن أقاليم الارض سبعة وأن الهند رسمتها فجعلت صفة الاقاليم كأنها حلقة مستديرة تكتنفها ست دوائر على هذه الصفة .

فالدائرة الوسطى هي اقليم بابل والدوائر الست المحدقة بالدائرة الوسطى كل دائرة منها إقليم من الأقاليم السته فالاقليم (١٧٨ ــ و) الأول منها إقليم بلاد الهند ، والاقليم الثاني اقليم الحجاز ، والاقليم الثالث اقليم مصر ، والاقليم

الرابع إقليم بابل وهو الممثل بالدائرة الوسطى التي اكتنفتها سائر الدوائر ، وهو أوسط الأقاليم وأعمرها ، وفيه جزيرة العرب ، وفيه العراق الذي هو سرة الدنيا ، وحد هذا الاقليم مما يلي أرض الحجاز وأرض نجد الثعلبية من طريق مكة ، وحدة مما يلي الشام وراء مدينة نصيبين من ديار ربيعة بثلاثة عشر فرسخا ، وحده مما يلي أرض خراسان وراء نهر بلخ ، وحده مما يلي الهند خلف الديبل بستة فراسخ، وبغداد في وسط هذا الاقليم ، والاقليم الخامس بلاد الروم والشام ، والاقليم السادس بلاد الترك ، والاقليم السابع بلاد الصين (١) .

وهذا الذي ذكره الخطيب من أن الاقليم الخامس بلاد الروم والشام وهم فاحش لأن البلاد الشمالية من الشام وهي التي حكينا فيها عن الخالدين والجيهاني ، وأبي الحسين بن المنادي ، وعن الرسالة التي ذكرناها في أول الباب ما حكيناه ، اتفقوا كلهم على أنها من الاقليم الرابع ، وما عدا هذه البلاد من بلاد الشام وهي الاكثر هي من الاقليم الثالث ، فكيف يجعل الشام جميعه من بلاد الاقليم الخامس ولم يذهب أحد الى ذلك ، وانما أوردنا قوله لوصفه الاقليم الرابع لكونه أوسط الاقاليم وأعمرها . والله الموفق للصواب . (١٧٨-ظ) .

* * *

---

١ - ابن عساكر ١-١٨١ .

باب ما جاء في صحة تربة حلب

وهوائها واعتدال مزاجها وخفة مائها

أعلم أن هواء حلب الغربي ينعش الانفس ويحييها ، ويربي الاجسام ويغذيها ، ويؤثر في الأجساد كتأثيره في الزروع بعد الفساد ، فإن الزرع بها قد يذبل وييبور فيخضر عندما تهب عليه الدبور ، ومياهها بالرقة والخفة موصوفة ، وتربتها بقلة العفونات مشهورة معروفة ، وهذه الاسباب موجبة للصحة والاعتدال مؤثرة في دفع الاسقام والاعلال ، وما أحسن ما وصفها عبد الملك بن صالح وجمع في أوجز كلام ما فيها وفي بلادها من المدائح ، وقد قيل له يوما : يا أبا عبد الرحمن ما أحسن بلادكم ! فقال : وكيف لا تكون كذلك ، وهي تربة حمراء ، وسنبلة صفراء ، وشجرة خضراء ، فيافي فُيَحٌ وجبال وُضَّح .

وسمعت الحكيم الصفي سليمان بن يعقوب بن سعيد البغدادي بقيصرية من بلد الروم يقول لي : ذكر أرسطا طالس في كتاب الكيان أنه لما أتى مع الاسكندر لقصد دارا الملك ومقابلته ، وصل معه الى حلب وكانت تسمى باليونانية بيرواء (١) فتحقق حال تربتها وصحة هوائها ، فاستأذن الاسكندر في المقام بها وقال : إن بي بهاء (١٧٩ ــ و) مرضا باطنا ، وهواء هذه البلدة موافق لشفائي ، فأقام بها ، فزال ما كان به من المرض .

وقد اتبعه الاسكندر بعد ذلك فيما اعتمده من فعاله ، وسلك طريقه الذي

---

١ ــ أي Beraea .

سلكه ونسج على منواله ، فان الشيخ أبا منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الفقيه الدمشقي أخبرنا بها قال أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم الفقيه قال : أخبرنا أبو الفتح نصر بن ابراهيم المقدسي وأبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق بن فضيل قالا : أخبرنا أبو الحسن محمد بن عوف بن أحمد بن عوف قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن منير قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن خريم قال : حدثنا هشام بن عمار قال : حدثنا غالب بن غزوان الثقفي قال : حدثنا صدقة بن يزيد الخراساني عمن حدثه قال : لما أتى ذو القرنين العراق استنكر قلبه فبعث الى تراب الشام فأتي بـه ، فجلس عليه ، فرجع اليه ما كان يعرف من نفسه (١) .

ولا أشك أن التراب الذي أحضر اليه من تراب حلب ، أو بعض عملها لما ذكرناه من فعل أرسطو ، ولما بيناه في الباب المتقدم من أن الاقليم الرابع واسطة الاقاليم وأطيبها ماء وأعدلها هواء وأحسنها أهلا ، وأصحها طباعا ، وليس في بلاد الشام من الاقليم الرابع غير حلب وأعمالها .

وقرأت بخط الحافظ أبي نصر بن فتوح الحـُمـَيـْدي قال : ووقـع طاعون ووباء بالشام فأراد الوليد أن يخرج الى حلب فيقيم بها ، فقال له رجل يا أمـير المؤمنين إن الله عز وجل يقول : « قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذاً لا تمتعون إلا قليلا »(٢) فقال له الوليد : فذلك القليل أريد .

قلت وقد كان جماعة من بني أمية اختاروا المقام بناحية حلب ، وأثروها علـى دمشق مع طيب دمشق وحسنها ، وكونها وطنهم ، ولا يرغب الانسان عن وطنه إلا بما هو أفضل منه ، فمنهم هشام بن عبد الملك انتقل الى الرصافة، وسكنها واتخذها

---

١ ــ ابن عساكر ١ــ١٣٤ .

٢ ــ القرآن الكريم ، سورة الاحزاب الآية : ١٦ .

منزلاً لصحة تربتها ، واختار المقام بها على دمشق ، ومنهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله أقام بخناصرة واتخذها له منزلا ، ومنهم مسلمة بن عبد الملك سكن بالناعورة ، وابتنى بها قصرا وبناه بالحجر الصلد الاسود ، وبقي ولده به بعده ، وكان صالح بن علي بن عبد الله بن عباس قدولي الشام جميعه ، فاختار حلب لمقامه ، وابتنى له بظاهرها قصر بطياس وهو من غربي النيرب وشماليه ، وولد له به عامة أولاده ، كل هذا لما اختصت به هذه البلاد من الصحة والاعتدال ، وكذلك الحصانة .

فانني قرأت في كتاب نسب بني العباس تأليف أبي موسى هرون بن محمد بن اسحق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس : أن ابراهيم بن صالح بن علي بن عبد الله بن العباس لما مات وكان أولاده (١٨٠ـو) بفلسطين قال : فأمر الرشيد عبد الملك بن صالح بحمل ولد ابراهيم جميعا من فلسطين الى حلب من مال أمير المؤمنين لاجتماع ولد صالح بن علي بها ولأنها حصينة منيعة ، وأن يجري عليهم من الأرزاق ما أمر به لهم ، فحملهم عبد الملك بن صالح جميعا من فلسطين الى حلب ، فلم يزالوا بها الى أن توفي الرشيد ، ثم افترقوا .

وأما غير هؤلاء من الملوك العظام أرباب الممالك الواسعة والبلاد الشاسعة الذين تركوا سائر بلادهم ، واختاروا المقام بحلب قرارا ، وجعلوها مسكنا لهم ودارا ، فأكثر من أن يحصون ، وهذا هرقل على سعة مملكته واستيلائه على بلاد الروم وبلاد الشام جميعها اختار المقام بأنطاكية ، وكان كما ذكرنا عنه أنه كلما حج بيت المقدس ، خلف سورية وهي شام حلب وقنسرين وعملهما وطعن في أرض الروم التفت اليها فقال : عليك السلام يا سورية تسليم مودع ولم يقض منك وطره ، وهو عائد ، ولما فتحت قنسرين ، وسار نحو القسطنطينية التفت وقال : عليك السلام ياسورية سلام لا اجتماع بعده .

باب في ذكر ما ورد من الكتابة القديمة

على الاحجار بحلب وعملها وما أشبه ذلك

قد ذكرنا في أول كتابنا هذا ماحكاه أبو أسامة الخطيب بحلب أن (١٨٠ـظ) أباه حدثه أنه حضر مع أبي الصقر القبيصي ومعهما رجل يقرأ باليونانية فنسخوا كتابة كانت على القنطرة التي على باب أنطاكية قال : ونسختها : بنيت هذه المدينة بناها صاحب الموصل والطالع العقرب والمشتري فيه ، وعطارد يليه ولله الحمد كثيرا . وذكرنا أن صاحب الموصل هو تلوكوس .

وقرأت بخط ابراهيم بن أحمد بن اسحق بن ابراهيم بن عطاء الله مما سمعه على أبي العباس الكندي قريء على أبي العباس أحمد بن ابراهيم الكندي قال : حدثني أبو مزاحم موسى بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في رجب من سنة تسع عشرة وثلاثمائة قال : حدثني أبو محمد عبد الله بن أبي سعد الوراق قال : حدثني علي بن الحسين بن هرون قال : حدثني أحمد بن عباد قال : حدثنا عبد الملك بن قريب قال : وجد حجر بقنسرين مزبور مكتوب فيه بالعبرانية :

اذا كان الامير وصاحباه　　　وقاضي الارض يدهن في القضاء

فويل ثم ويل ثم ويل　　　لقاضي الارض من قاضي السماء

وقرأت بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرسوسي قاضي معرة النعمان في كتاب سير الثغور من تأليفه في ذكر مدينة طرسوس قال : وبباب قلمية يعني باب طرسوس حجر بحضرة دار مزاحم مدور لاصق بالحائط مكتوب عليه باليونانية

سطور قرأها أحمد بن طغان السندي البيطار فذكر (١٨١ــو) أن المكتوب عليه : الحمد لله الوارث للخلق بعد فناء الدنيا كما غرقني ، فاني ابن عم ذي القرنين عشت أربعمائة سنة وكسرا ، ودرت الشرق والغرب أطلب دواء للموت من أراد أن يدخل الجنة فليصل في هذا الدير عند العمود ركعتين ، ومن أراد صنعة العمد وآلتها ، فعليه بالقنطرة السابعة من جسر أذنه •

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن مسلم بن سلمان الاربلي قال :أخبرتنا الكاتبة شهدة بنت أحمد بن الفرج قالت : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد ابن محمد النعالي قال : أخبرنا أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد بن يوسف قال : أخبرنا أبو عمرو عثمان بن سعيد بن السماك قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم الختلي قال حدثني أبو عمرو عثمان بن سعيد بن يزيد الانطاكي قال : حدثنا علي ابن الهيثم المصيصي قال : حدثنا تمام بن كثير أبو قدامة الساحلي قال : حدثنا محمد بن شعيب بن شابور قال : حدثنا الوليد القاص قال : أتيت أنطاكية فاذا أسود قد نبش قبرا فأصاب فيه صفيحة نحاس فيها مكتوب بالعبرانية ، فأتوا بها الى امام أنطاكية ، فبعث الى رجل من اليهود فقرأه ، فاذا فيه أنا عون بن أرميا النبي ، بعثني ربي الى أنطاكية أدعوهم الى الايمان بالله ، فأدركني فيها أجلي ، وسينبشني أسود في زمان أمه أحمد صلى الله عليه وسلم • (١٨١ــظ) •

ووقع إلي ببغداد كتاب من تأليف أحمد بن محمد بن إسحق الزيات الهمذاني الفقيه ، فنقلت منه : حدثنا أبو عمرو عبد العزيز بن محمد بن الفضل قال : حدثني الفضل بن شَحْرف قال : حدثنا عبد الله بن جُبير قال : حدثني موسى بن طريف عن أبي يحيى عن إسماعيل بن عياش قال : كنت جالساً إلى عامل أنطاكية إذ ورد عليه كتاب من أبي جعفر بنبش القبور فنبشوا في هذا الجبل قبراً فإذا فيه رجل أضلاعه تتثنى ، وعند رأسه لوح مكتوب فيه لا إله إلا الله محمد رسول الله ، أنا

عوذ بن سام بن نوح بُعثت إلى أهل أنطاكية فكذبوني وقتلوني ، وينبشني رجل أسود أفرع أصلع ، فنظروا فإذا الذي نبشه أسود ، وكانت عليه عمامه فكشفوها ، فإذا هو أصلع ، ونزعوا خفه فإذا هو أفرع ، فقال : إتركوه كما كان .

أخبرنا سُليمان بن محمد بن الفضل الموصلي في كتابه قال أخبرنا أبو القاسم ابن السمرقندي قال : أخبرنا أبو القاسم الإسماعيلي إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم السَهمي قال : أخبرنا أبو أحمد بن عدي قال : حدثنا جعفر بن أحمد قال : حدثنا سعيد بن كثيّر قال : حدثنا ابن لهيعة عن يزيد عن أبان بن أبي عياش عن أنس ابن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه وجد تحت الجدار الذي قال الله عز وجل في كتابه : « وكان تحته كنز لهما »[1] . أنه كان لوح من ذهب ، والذهب لا يصدأ ولا يتغير ، فيه مكتوب بسم الله الرحمن الرحيم عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، وعجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، وعجبت لمن يؤمن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها ، محمد رسول الله .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مُسلم الإربلي قال : أخبرتنا الكاتبه شُهْدة بنت الآبري قالت : أخبرنا أبو عبد الله النعالي قال : أخبرنا أبو الحسن محمد ابن عبيد الله الحِنائي قال : أخبرنا أبو عمرو بن السماك قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم بن سُنين قال : حدثنا أبو عبد الله محمد بن عمرو بن الجراح قال : حدثنا سفيان عن ابن أبي نَجيح عن مُجاهد في قوله « وكان تحتـه كنز لهما »[1] قال : صحف علم ؛ وقال : حدثنا إسحق بن سُنين قال : حدثنا محمد بن عمرو قـال : حدثنا قتيبه بن بسام عن إسماعيل عن ليث عن مُجاهد قال : كان الكنز لوحاً من ذهب في أحد جانبيه ، لا إله إلا الله الواحد « الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد »[2] ، وكان في الجانب الآخر عجباً لمن أيقن بالموت كيف يفرح ، وعجباً

١ ــ القرآن الكريم ، سورة الكهف الآية : ٨٢ .
٢ ــ القرآن الكريم ، سورة الاخلاص ، الآيتان : ٢ ــ ٤ .

لمن أيقن بالنار كيف يضحك ، وعجباً لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها ، ثم هو يطمئن إليها ، عجباً لمن أيقن بالحساب غداً ثم لا يعمل •

قلت : وكان الكنز المذكور بأَنْطاكية فيماروي عن ابن عباس رضى الله عنه ، وقد ذكرنا ذلك في فضل أَنْطاكية •

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم قال : أخبرنا أبو بكر الطُرَيْثيثي ، ح •

وأخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن عثمان الزَرْكَشي البغدادي قال أخبرنا أبو الفتح بن البَطي قال : أخبرنا أبو فضل بن خيرون قال : أبو إسحق وأخبرنا أبو المظفر الكاغدي قال : أخبرنا أبو بكر الطُرَيْثيثي قالا : أخبرنا أبو علي بن شاذان قال : أخبرنا أبو جعفر بن درستويه قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثتنا هَنَّادَة بنت مالكٍ الشيباني ذكرت عن صاحبها حماد بن الوليد الثقفي أنه سمع جعفر بن محمد وهو (١٨٢ ــ و) يقول حين سئل عن كنز الغلامين اليتيمين وصلاح أبيهما فقال جعفر : إنه كـان أبوهما صالحاً دونه سبعة آبـاءٍ ، فحُفِظَ الغلامان بصلاح أبيهما الأكبر ، وإنما كان الكَنْز علم سطرين ونصف ولم يتم الثالث ، فيه مكتوب : ياعجبا من المُوقن بالموت كيف يفرح ، وياعجبا من الموقن بالرزق كيف يتعب ، ويا عجبا من الموقن بالحساب كيف يغفل •

وهذا الكنز كان بأَنْطاكية ، جاء في التفسير عن ابن عباس وغيره ذلك •

وفي جبل بني عُلَيم من أعمال حلب قرية يقال لها : نَحله ، وقريب منها مقبرة عليها كتابة بالرومية ، ويشاهد الناظر على المقبرة في بعض الليالي نوراً ساطعاً حتى إذا قصده إختفى عنه النور ، فلا يرى شيئاً ، وهذا أمر شائع ذائـع مستفيض ، أخبرني جماعة لايتصور تواطؤهم على الكذب أنهم شاهدوه •

وقالَ لي صديقنا بهاء الدين أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب رحمه الله : أمر الأمير سيف الدين علي بن قِلج وكان من أكابر الأمراء بحلب ، وقد اجتمعت أنا به ولم أسأله عن ذلك ، بأن تنقل تلك الكتابة الرومية ، فنقلت ، ودفعها إلى بعض علماء الروم ، فترجمها ، فكان معناها هذا النور هبة من الله العظيم لنا ، أو ذكر كلاماً نحو هذا ، وفيه زيادة عليه .

وحضرت بقلعة الراوندان عند الملك الصالح أحمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب (١٨٢ ــ ظ) فحكى أن عنده ببلد الراوندان قرية ، وأشار بيده نحو الغرب ، وقال : هي في ذلك المكان ، وإنه يُشاهد فيها نور ساطع إما في ليلة الجمعة أو في ليلة أخرى سواها ينظر إليه من كان خارجاً عن تلك القرية ، حتى إذا قصدها ووصل إليها غاب عنه فلم ير شيئاً . .

قرأت بخط أبي عمرو عثمان بن عبد الله الطرَسُوسي في كتاب سير الثغور قال : وفي البرج المنسوب إلى النُهْري ، فذكر أشياء ثم قال : وعلى أسكفتي الباب العلياتين حجر قد طبّق المصراعين ، فيه قبر دقيانوس ملك أصحاب الكهف ، وذكر لي جماعة ثقات بطرسوس أن يازمار الخادم في ولايته كشف عنه بمقدار مايمكن الوصول إليه ، فوجد ميتاً مُسجّى بأكفانه مصبراً ، معه سيف إلى جانبه ، فأمر بالسيف فأخذ فوزن ، فوجدوه أحد عشر أُوقّية بالطرَسُوسي التي وزن كل أوقية منها إثنان وثلاثون درهما ، ورَدّ ماكان كشف منه إلى حاله .

قلت والعجب أن عبد الله المأمون دفن في بطانة محراب جامع طرسوس بسلاحه ، ولما ملك الدُمستق [1] طرسوس ، سقط محراب الجامع ، وسقط المأمون بسلاحه ، فأخذ الدُمستق سيفه ، ورَدّ الباقي إلى حاله ، ورد إلى موضعه .

وشاهدت في المدرسة الحنفية المعروفة بالحلاوية بحلب مذبحاً من الرخام

١ ــ نقفور فوكاس ، وقد ورد ذكر هذا سابقا في باب طرسوس .

الملكي الشفاف الذي يقرب النصارى عليه القربان (١٨٣ ـ و) وهو من أحسن الرخام صورة إذا وضع تحته ضوء من وجهه ، فسألت الشريف تاج الدين أبا المعالي الفضل ولد شيخنا إفتخار الدين أبي هاشم عبد المطلب بن الفضل الهاشمي عنه ، وكان نشأ بهذه المدرسة ، وولي تدريسها بعد أبيه فقال لي : إن نور الدين محمود بن زنكي أحضره من أفامية ، ووضعه في هذه المدرسة ، وعليه كتابة باليونانية ، فسألته عنها فذكر لي أنه حضر من ترجمها ، وفيها مكتوب عمل هذا للملك دقلطيانوس والنسر الطائر في أربعة عشر درجة من برج العقرب ، قال : فيكون مقدار ذلك ثلاثة آلاف سنة .

قلت وهذا دقلطيانوس هو آخر ملوك رومية ، قيل انه ملك عشرين سنة والله أعلم . وسمعت والدي رحمه الله يقول لي : ان نور الدين محمود بن زنكي رحمه الله كان يحشو للفقهاء القطائف ، ويملأ بها هذا الجرن الرخام ، ويجتمعون عليه ويأكلونها .

* * *

باب في ذكر ما بحلب وأعمالها من المزارات وقبور الأنبياء والاولياء والمواطن الشريفة التي بها مظان اجابة الدعاء

فأما قلعة حلب ففيها مقاما ابراهيم صلى الله عليه وسلم الاعلى والاسفل ، وقيل ان ابراهيم عليه السلام كان قد وضع أثقاله بتل القلعة ، وكان يقيم به ويبث رعاءه الى نهر الفرات والجبل الأسود ، ويحبس بعض الرعاء بما معهم عنده ، ويأمر بحلب ما معه ، واتخاذ الاطعمة وتفرقتها على الضعفاء والمساكين، وقد ذكرنا ذلك مستقصى في باب تسمية حلب (١٨٣ـ ظ) •

فأما المقام التحتاني فكان موضعه كنيسة للنصارى الى أيام بني مرداس ، وقد قال ابن بطلان في بعض رسائله « ان فيها كان المذبح الذي قرب عليه ابراهيم عليه السلام » ، فغيرت بعد ذلك وجعلت مسجدا للمسلمين ، وجدد عمارته نور الدين محمود بن زنكي ووقف عليه وقفا حسنا ، ورتب فيه مدرسا يدرس الفقه على مذهب أبي حنيفة رضي الله عنه •

وأما المقام الاعلى ففيه تقام الخطبة بالقلعة ويصلي فيه السلطان الجمعة ، وفيه رأس يحيى بن زكريا عليه السلام موضوع في جُرن من الرخام في خزانة ، ووقع الحريق ليلة من الليالي في المقام المذكور فاحترق جميعه في سنة أربع وستمائة ، ولم يحترق الجُرْن المذكور ودفع الله النار عنه •

وقرأت في تاريخ محمد بن علي العظيمي ، وأنبأنا به شيخنا أبو اليمن

الكِنْدي عنه قالَ : فيَ سنة خمس وثلاثين وأربعمائه ظهر ببعلبك رأس يحيى بن ذكرياء في حجر منقور ، فنقل إلى حمص ، ثم إلى حلب وهو إلى الآن .[1]

وأخبرني أبو الحسن علي بن أبي بكر الهَرَوي رحمه الله قال : بقلعة حلب مقام إبراهيم الخليل عليه السلام ، وبه صُنْدوق فيه قطعة من رأس يحيى بن زكريا عليه السلام ، ظهرت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة[2] .

وأما ما هو في نفس المدينة فمنها مسجد الغَضائري ، ويعرف الآن بمسجد شُعيب [3] ، وهو أول مسجد إختطه المسلمون بحلب عند فتحها . (١٨٤ ـ و) .

أنبأنا شيخنا أبو اليُمن الكنـدي عن محمد بن علي العَظيمي قال : لما فتح المسلمون حلب دخلوها من باب أَنْطاكية ، ووقفوا داخل الباب ، وَحَفّوا حولهم بالتراس ، فبُني في ذلك المكان مسجد وهو المعروف بالغضَائري [4] .

وأخبرني عمي أبو غانم محمد بن هبة الله أن الغضائري كان يعبد الله بالمسجد المعروف بالغضائري داخل باب أَنْطاكية ، وهو المعروف الآن بمسجد شُعيب ، لأن نور الدين وقف عليه وقفاً ، وجعل فيه الشيخ شُعيباً يقريء الناس الفقه .

وهذا الغضائري هو أبو الحسن علي بن عبد الحميد الغضائري أحد الأولياء من أصحاب سري السقطي وحج من حلب ماشياً أربعين حجه ، وسنذكر ترجمته في موضعها من كتابنا هذا إن شاء الله .

وأما شُعيب فهو ابن أبي الحسن بن حسين بن أحمد الأندلسي الفقيه ، كان من الفقهاء الزهاد ، وكان محمود بن زَنْكي يعتقد فيه ، وكان مقيماً بهذا المسجد ،

---

١ ـ انظر تاريخ العظيمي نسخة بيازيد ، ١٧٢ـو .
٢ ـ الزيارات ، ٤ .
٣ ـ يعرف الآن باسم جامع النوته ، انظر الآثار الاسلامية والتاريخية بحلب ، ٦٣
٤ ـ ليس في تاريخ العظيمي .

فوقف على المسجد وقفاً ورتب فيه شعيباً هذا يذكر الدرس على مذهب الشافعي رضي الله عنه ، فاليوم يعرف بمسجد شعيب . وسنذكر ترجمته إن شاء الله تعالى .

ومنها مسجد غوث داخل باب العراق في المرمى ، وفيه قطعة من عمود فيه كتابة في الجمر ، يزعمون أن علياً رضوان الله عليه كتبها بسنان رمحه حين ورد الى صفين ، ويقولون : إن هذا الحجر نقل من الرقة إلى حلب .

قال لي : (١٨٤ ــ ظ) علي بن أبي بكر الهروي فيما ذكره من الزيارات بحلب : وبها داخل باب العراق مسجد غوث به حجر عليه كتابه ، ذكروا أنها خط علي بن أبي طالب عليه السلام ، وله حكاية .[١]

قلت وأظن أن مسجد غوث هذا منسوب إلى غوث بن سليمان بن زياد قاضي مصر ، وكان قدم مع صالح بن علي بن عبد الله بن العباس إلى حلب ، وسنذكر ترجمته في موضعها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى . ومنها مشهد النور وهو بالقرب من باب قنسرين في برج من أسوار حلب فيما بين برج الغنم وباب قنسرين قال لي عمي أبو غانم محمد بن هبة الله بن أبي جرادة : هذا مشهد النور ، إنما سمي بذلك لأنه رؤي النور ينزل عليه مراراً ، قال : وكان ابن أبي نمير العابد يتعبد فيه ، فاتفق أن نزل ملك الروم على حلب محاصراً لها ، فجاء الحلبيون إلى ابن أبي نمير العابد فقالوا إدعُ الله لنا أيها الشيخ ، قال : فسجد على ترس كان عنده ، ودعا الله تعالى وسأله دفع العدو عن حلب ، فرأى ملك الروم في منامه تلك الليلة قائلاً يقول له إرحل عن هذه البلدة ، وإلا هلكت ، أتنزل عليها وفيها الساجد على الترس في ذلك البرج ، وأشار إلى البرج الذي فيه مشهد النور ، فانتبه ملك الروم ، وذكر المنام لأصحابه ، وصالح أهل حلب ، وقال : لا أرحل حتى تعلموني

---

١ ــ الزيارات ، ٤ .

من كان الساجد على الترس في ذلك البرج ، فكشفوا عنه فوجدوه ابن أبي نُمير (١٨٥ ــ و) ورحل ملك الروم عن حلب .

وقال لي الوزير الأكرم أبو الحسن علي بن يوسف القفطي : مشهد النور تعتقد فيه النصيرية إعتقاداً عظيماً ويحجون إليه .

وهذا ابن أبي نُمير هو أبو عبيد الله عبد الرزاق بن عبد السلام بن عبد الواحد بن أبي نُمير العابد الأسدي ، وكان من الأولياء المشهورين بالكرامات ، وسنذكره في موضعه من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى ، وقبره خارج باب قِنَّسرين يُزار ، وتُنذر له النذور الى يومنا هذا ، وهو مدفون في تربة بني أمين الدولة ابن الرَعْباني ، غربي قلعة الشريف والخندق ، وقيل إنه ماسئل الله عنده حاجة إلا قضاها .

وقال لي أبو بكر أحمد بن عبد الرحيم بن العَجمي يقال لقبره سُم ساعة ، لسرعة الإجابة عنده ، يعني إذا دعا الانسان عنده على عدوه .

وكان بالقرب منه من جهة الشمال إلى جانب سُور باب قِنَّسرين قبر مُشرق ابن عبد الله العابد الحنفي ، وكان فقيها حنفيا منقطعا في المسجد الجامع ، وكان قبره يزار ويتبرك به ، وزرته مراراً مع والدي رحمه الله ، فلما حرر الملك الظاهر خنادق حلب ، ووُضع التراب على المقابر حَوّل قبر مُشرق العابد من موضعه ، ونقل إلى سفح جبل جَوْشن ، وشاهدته في الموضع الذي نقل إليه ، ولوح قبره الاوّل عليه ، وسنذكره إن شاء الله في موضعه .

وفي المسجد الجامع في الشرقية من القبليَّة في العضادة الثانية الملاصقة لصحن الجامع في شمال الشرقية (١٨٥ ــ ظ) موضع متعبَّد مُشرق العابد المذكور .

وأخبرني القاضي أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن الخشاب قال : كان

الخطيب أبو الفضل عبد الواحد بن هاشم يصلي بجامع حلب في الشرقية ، ويتعمد الصلاة في هذا الموضع المذكور ، فسألته عن ذلك ، فقال : كان أبي هاشم يصلي أبداً هاهنا كثيراً ، وأخبرني أن الشيخ مُشرق بن عبد الله العابد كان يصلي فيه ، وأنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام يُصلي هاهنا .

وخارج المدينة مما يلي القبلة مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم في الجبانة ، وفي محراب المسجد حجر قيل أنه يجلس عليه ، وفي الرواق القبلي الذي يلي الصحن صخرة نابته فيها نقرة قيل إنه كان يحلب فيها غنمه[1] ، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدّم ، وفي المشهد المذكور في جهة الشمال فيها قبر الإمام علاء الدين أبي بكر الكاساني الحنفي أميركا سان ، وقبر امرأته فاطمة بنت شيخه علاء الدين السمّرقندي ، وكان من العلماء الصالحين ، وسنذكرها في هذا الكتاب إن شاء الله .

وقبلي هذا المشهد مقبرة فيها جماعة من العلماء الصالحين الأخيار منهم أحمد الأصُولي صاحب برهان الدين البلخي ، وسيأتي ذكره إن شاء الله .

وقبلي هذه المقبرة قبر أبي الحسين الزاهد المقدسي ، ينذر له النذور ، والدعاء عنده مُستجاب وله كرامات مشهورة ، وكان الفرنج يعظمونه ، وقيل إنه رؤي وهو راكب الأسد (١٨٦ ـ و) وإلى جانبه قبر صاحب له من الأولياء أيضاً يقال له زيد العابد .

ومن شمالي المشهد التُربة المعروفة بسلفي من بني العديم فيها جد أبي أبو غانم وعمي أبو غانم وكانا من العباد الأولياء ، وفيها قبر الحافظ أبي بكر الجياني ، وسيأتي ذكر هؤلاء في هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .

---

١ ـ يعرف الآن باسم مقام الصالحين ، انظر الآثار الاسلامية والتاريخية في حلب ، ٥٢ .

وفي جهة الشمال من هذه الجبانة مشهد للخضر عليه السلام قيل إنه رؤي فيه، وهو قديم وعليه وقف .

ومن شرقي المدينة بينها وبين النيرب مشهد قرنبيا[1] على جبل صغير قيل إنه رؤي النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ، فعمره قسيم الدولة آق سنقر ، ووقف عليه وقفاً .

وخارج باب الأربعين قبر بلال بن رباح مؤذن النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف موضع قبره بل نقل إنه مات بحلب ودفن بها خارج باب الأربعين ، وسنذكر ذلك في موضعه ، ونذكر إختلاف الناس فيه إن شاء الله ، وقد شوهد النور مراراً ينزل على الجبانة التي خارج باب الأربعين بالجبل .

وفي هذا الجبانة جماعة من الأولياء والصالحين منهم الحافظ أبو الحسن علي ابن سليمان المرادي أحد الأولياء المكاشفين ، والاستاذ عبد الله بن علوان والد شيخنا الحافظ أبي محمد عبد الرحمن ، وشيخنا المذكور ، وفيها في تربة واحدة قبور جماعة من الأولياء منهم الشيخ أبو الحسن علي بن يوسف الفاسي ، والشريف الزمن، والشيخ عبد الحق المغربي ، وشيخ الشيوخ بالموصل (١٨٦ ـ ظ) وسيأتي ذكرهم في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

وفي جبانة باب النصر مشهد يعرف بمشهد الدعاء ، يقال إن الدعاء به مستجاب .

وبباب الجنان ملاصق الباب من ظاهره مشهد قديم يعرف بمشهد علي بن

---

١ ـ ما يزال يعرف بهذا الاسم ويزار ، الاثار الاسلامية والتاريخية في حلب ، ٢٤١ .

أبي طالب رضي الله عنه ، قيل رؤي في المنام ؛ أخبرني بذلك الشيخ علي بن أبي بكر الهروي [١] .

وبجبل جَوشن مشهد الدكة [٢] ، ومشهد الحسين رضي الله عنه ، وقد ذكرناهما عند ذكر جبل جَوشن .

وفي قبلي جبل جَوْشن في طرف الياروقيه مشهد الأنصاري ، قال لي أبو الحسن بن الهروي به قبر عبد الله الأنصاري ، كما ذكروا [٣] .

وأخبرني والدي رحمه الله قال : رأت امرأة من نساء أمراء الياروقية في المنام قائلاً يقول : ها هنا قبر الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالوا : فنبشوا ، فوجدوا قبراً ، فبنوا عليه هذا المشهد ، وجعلوا عليه ضريحاً .

وفي قرية يقال لها نَوايل من شرقي مدينة حلب على رأس جبلها مشهد يقال هو مقام إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

وبأرض آرل ، وهي قرية من جبل سَمْعان ، على رأس الجبل من جهة الشرق ، مشهد مشرف على بلد الأرتيق جميعه ، يقال له مشهد الرجم ، يُزار ويتبرك به ، وفيه سرداب ، قيل إن نبياً من الأنبياء رجمه قومه ، وإنه في ذلك السرداب ؛ سمعت والدي رحمه الله يذكر لي ذلك .

---

١ ـ انظر الزيارات ، ٤ ؛ الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ، ٣٤ .

٢ ـ سبق وبينت أنه يعرف الآن باسم الشيخ محسن ، انظر الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ، ٥٦ ـ ٥٨ .

٣ ـ الزيارات ، ٤ ؛ والأنصاري من المشاهد المشهورة الآن في حلب ، انظر الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب ، ٢٣٩ ـ ٢٤٦ ، فهناك أيضا قدم بعض الشرح حول الياروقيه .

وبِرّوحين ، قرية من جبل سِمعان ، مشهد حسن ، وفي جانب المسجد منه ثلاثة قبور ، قيل إن الأوسط منها قبر قس بن ساعدة الإيادي (١٨٧ ـ و) والقبران الآخران قبرا سمعان وشمعون من الحواريين ، وقد ذكرنا قصة قس ، ومقامه بين القبرين ، والشعر الذي أنشده ، فلا حاجة إلى إعادته ها هنا ، وسيأتي في ترجمة قس من شرح ذلك مافيه مقنع إن شاء الله تعالى .

وبجبل بَرْصايا قبر شيخ بَرْصيصا ، ومقام داود عليه السلام ، وقد ذكرناه ، وقال لي الشيخ علي بن الهروي : جبل برصايا به مقام برصيصا العابد وقبر شيخ برصيصا ، ومقام داود عليه السلام .

وقال : مشحلا قرية من بلد عزاز بها قبر أخي داود النبي عليه السلام[1]. قلت وهذه مشحلا قرية من قبلي عزاز وغربها ، وبها نهر جار وبساتين ، وقد خرج منها بعض أهل الحديث .

وبقورس قبر أُوريا بن حنان ، في قبة من قبلي المدينة ، وقصته مع داود عليه السلام معروفة ، تذكر في موضعها إن شاء الله تعالى .

وبمَنْبج مشهد من شرقي المدينة زعموا أن به قبر خالد بن سِنان العبسي ، وهو النبي الذي ضيعه قومه ، وسنذكر قصته إن شاء الله .

أخبرني علي بن أبي بكر الهروي قال : وبها يعني مَنْبج مشهد النور ، يزعمون أن به بعض الأنبياء ، ويقولون إنه خالد بن سِنان العبسي الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذلك نبي أضاعه قومه » .

---

١ ـ الزيارات ، ٦ .

قال : وبها مسجد المستجاب ، وبها قبور جماعة من الصالحين .

وفيها مشهد من غربي المدينة وشماليها يقال له المستجاب ، يتبرك به ، ويقال إن الدعاء به مستجاب[1] .

وبجبل باب بزاعا من غربي الباب ، ويقال للجبل تيْسَمر ، مشهد مطل على الباب يزورونه ويتبركون به ، ويقولون بأنه في كل سنة في خميس نيسان يجتمع إليه من هذه الدويبات الحمر التي تشبه الدراريج ، ويوجد على المقابر شيء كثير حتى يعم أكثر الأرض التي حول المشهد ، ثم (١٨٧ ـ ظ) تذهب من حوله ، ولا يبقى إلا اليسير .

وبجبل الطور إلى جانب قِنَّسرين مشهد قيل إنه مقام صالح النبي عليه السلام وقد تقدم ذكره .

وقال لي الشيخ علي بن أبي بكر الهَرَوي مدينة قِنَّسرين بجبلها مشهد يقال إنه مقام صالح النبي صلى الله عليه وسلم ، ويقال إن الناقة منه خرجت لصالح ، وبه آثار أقدام البعير .

وقال : والصحيح أن صالحاً كان بأرض اليمن ، وقبره في شبوه باليمن ، هذا ماذكره ابن الهروي ، والصحيح أن موضع الناقة بالحِجر من مدائن ثمود ، والذي يغلب على ظني أن هذا المشهد من بناء صالح بن علي بن عبد الله بن العباس، وكان إليه ولاية الشام ، وله آثار بحلب وقِنَّسرين ، فنسب المشهد إلى صالح عليه السلام .

وبمَعَرَّة النعمان فيما زعموا قبر يوشع بن نون عليه السلام ، في مشهد هناك جدد عمارته الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب رحمه الله ، وهو يزار ويتبرك به .

---

١ ـ الزيارات ، ٦١ .

وقيل إن بها قبر محمد بن عبد الله بن عَمَّار بن ياسِر ، يزار أيضاً .

وبكفر طاب قرية يقال لها شَحْشَبُو قيل بها قبر الإسكندر ، وقيل إنه مات بها وُنزع مافي جوفه ودفن بهذا المكان ، وصُبرّ جسده وحمل إلى أمه ، وقد ذكر بعض ارباب التواريخ أنه مات بحمص ، فلا استبعد ذلك فإن كفر طاب كانت من أعمال حمص ، والله أعلم .

قال لي علي بن أبي بكر الهروي : شَحْشَبُو قرية من أعمال فاميه ، بها قبر الإسكندر ، ويقال إن أمعاءه هناك وجثته بمنارة الاسكندرية ، وقيل إنه مات ببابل . [1]

وبدير سمعان من قرى مَعَرّة النُعمان ، ويقال أيضاً دير النُقيره لأن إلى جانبها قرية يقال لها النقيرة قبر عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه في حائر صغير (١٨٨ ــ و) وإلى جانبه من خلف ظهره قبر الشيخ أبي زكرى يحيى بن المنصور، وكان أحد أولياء الله تعالى ، وله كرامات ظاهرة ، وكان قد أقام في المسجد الذي بهذه القرية يعبد الله تعالى حتى أدركه أجله ، فدفن في الحائر إلى جانب عمر رضى الله عنهما ، وسنذكره إن شاء الله تعالى في كتابنا هذا .

وبأنطاكية قبر حبيب النجار مؤمن آل ياسين ، وزرت قبره بها . وبها قبر عون بن أُورميا النبي ، وقبر عُوذ بن سام بن نوح النبي عليهما السلام ، وقد ذكرناهما في باب قبل هذا .

وأخبرنا أبو عبد الله محمد بن داود بن عثمان الدْربَندي بحبرى [1] في مشهد الخليل عليه السلام قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن

---

١ ــ انظر الزيارات ، ٧ . وليس هناك الآن قرية باسم شحشبو مع أن الاسم مازال معروفا مع المزار ، ويطلق هذا الاسم الآن على جبل قرب قلعة المضيق فيه الكثير من القرى .

الشافعي قال : أنبانا أبو سعد عمار بن طاهر بن عمار بن إسماعيل الـهمَـذَاني قال : أخبرنا أبو القاسم مكي بن عبد السلام بن الحسن بن القاسم بن محمد الـرَّمْيلي المقدسي قال : أخبرني الشيخ أبو الحسن علي بن الخضر بن ُسليمان بن سـعيد الـسُـلمي الدمشقي إجازة ، شافهني بها قال : أخبرنا أبو القاسم تمام بن محمد بن عبد الله الحافظ الرازي قال : حدثنا أبو يعقوب إسحق بن إبراهيم الأَذْرعي قال : حـدثنا محمد بن الخضـر عن هشام بن خالـد عن الوليد بن مسـلم عن سعيد ــ يعني ــ بن عبد العزيز عن مَكحْول عن كعب قال : َبطَرسُوس مـن قبور الأنبياء عشرة ، وبالمِصِّيصَة خمسة ، وبسواحل الشام من قبور الأنبياء ألف قبر ، وبأَنْطاكية قبر حبيب النجار ، وذكر تمام الحديث .

وقد ذكرنا (٨٨ ــ ظ) فيما تقدم في فضل أَنْطاكية حديثاً مسنداً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن فيهـا التوراة ، وعصـا موسى ، ورضراض الألواح ، ومائدة ُسليمان بن داود في غار من غيرانها » ؛ وفي حديث آخر عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « وفيها جبل ، وفي ذلك الجبل غار ، وفي ذلك الغار عصا موسى صلى الله عليه وسلم وشيء من ألواحه ، ومائدة ُسليمان ، وَمْحبَرْة إدريس ، ؛ ومِنْطَقة ُشعيب ، وبرْدَا نوح .

وقد ذكرنا فيما نقلناه عن الحسن بن أحمد المهلبي في وصفها ، وبها كنيسة القُسيَّان وهي كنيسة جليلة ، ويقال إن بها كَفّ يحيى بن زكرياء عليه السلام .

وقرأت بخط أبي عمرو الطَرَسُوسي قاضي المعرة قال : قبـر أبي معاويـة الأسود بطَرَسُوس ، بباب الجهاد في الطريق الآخذ الى الميدان يمنة السائر ، بإزاء قبة ابن الأغلب ، ما فارقه الزُوار مُدّة عمارة طَرَسُوس تبركاً به وتيمناً بالدعـاء بحضرته ؛ وقال أبو عمرو سمعت عدة من شيوخ طَرَسُوس يقولون ما صدق أحد

١ ــ مدينة الخليل في فلسطين .

نيته في حاجة لله عز وجلّ فيها رضاً ، فتوسل ودعا عند قبر أبي معاوية إلا أجابه الله عز وجلّ •

وبعَرَب سُوس ، وقيل إنها آخر حدود الشام في جبلٍ بانَجْلُوس من غربي عَرب سُوس ، الكهف الذي كان فيه أصحاب الكهف ، ولبثوا فيه ثلاثمائه سنين ، وزرت المكان عند دخولي الى بلاد الروم ، وهو مكان حسن كثير الزّوار ، وهو كما وصفه الله (١٨٩ ــ و) تعالى في كتابه • « وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال » [1] • والكهف يدخل إليه الإنسان حبواً لا يمكن الماشي أن يمشي فيه قائماً لقصر سقفه ، وبني عليه مشهد عظيم بالحجر ، وجعل له سور ، ووقف عليه وقف للزوار ، وقد ذكرنا عَرَب سُوس فيما تقدم •

قال لي علي بن أبي بكر الهَرَوي مدينة الرُصافة بها قبور جماعة من الصحابة والتابعين لا أعرف أسمائهم •

وقال : مدينة بالِس بها مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام ، وبها مشهد الطَرح ، وبها مشهد الحجر ، يقال إن رأس الحسين عليه السلام وضع عليه عندما عبروا بالسبي والله أعلم • [2]



١ ــ القرآن الكريم ، سورة الكهف الآية : ١٧ .
٢ ــ الزيارات ، ٦١ .

باب في ذكر مابحلب وأعمالها من العجائب والخواص والطلسمات والغرائب

حدثني والدي رحمه الله قال : لم يكن البق يوجد في مدينة حلب ولا يُعهد منه شيء ، الى أن اتفق عمارة في بعض أسوارها ، ففتح فيها طاقة أفضت الى مغارة كانت مسدودة ، فخرج منها بق" عظيم عند فتحها ، أظنها في ناحية قلعة الشريف ، فحدث البق فيها من ذلك اليوم .

قال : وقيل بأنه كان الانسان إذا أخرج يده من داخل السور الى خارجه سقط البق على يده ، فإذا أعادها الى داخل السور إرتفع .

وأخبرني الرئيس إبراهيم بن الفَهْم رئيس معرة النعمان قال : كان في معرة النعمان عمود فيه طلسم للبق ، قال : وذكر أهل المعرة أن الرجل كان يخرج يده وهو على سور المعرة الى خارج السور فيسقط عليها البق ، فإذا أعادها الى داخل السور زال عنها .

قال لي وأخبرني رجل من أهل المعرة يسمى محمداً قال : رأيت أسفل عمود في الدار التي كنت بها في معرة النعمان (١٨٩ ــ ظ) ففتحت موضعه لأستخرجه ، فانخرق الى مغارة ، فأنزلت إليها إنساناً ، أو قال نزل هو بنفسه ، ظناً أنه مطلب ، فوجدنا مغارة كبيرة ، ولم نجد فيها شيئاً ، قال : ورأى فيها في الحائط صورة بقة ، قال : فمن ذلك اليوم كثر البق بمعرة النعمان

وقد قال أبو عمرو القاسم بن أبي داود الطَرَسُوسي في قصيدة الأعــلام في وصف أنطاكية وقــد قدمنا ذكــره •

والبَــق لا يَدخلهــا ويَتصــلْ   لكن بهــا فَأر عَظيــم كالوَرَلْ

وقال في تفسير هذا البيت ، ولا يدخلها البق ، ومن خرج منها آذاه البــق ، وهــي كثــيرة الفــأر •

وسمعت والدي رحمه الله وغيره من الحلبيين يقولون : لم نسمع بأن حية من الحيات التي داخل مدينة حلب لدغت أحداً فمات من لدغتها • قال لي والدي رحمه الله : ويقال إن بها طلسماً للحيات ، وقيل إنه ببرج الثعابين في الزاويــة التي عنــد باب الفــراديس المستجــد •

وبلغني أن جماعة في زماننا لدغتهم حيات داخل مدينــة حلب ، ولم تؤذهــم كجاري العادة ، وأن الملدوغ لا يبقى بالألم إلا أيامــاً يسيره ويبرأ ، والعجــب أن حيات باقوسا خارج المدينة لاتلدغ أحداً إلا ويموت في الحال ، وحيات المدينة كما ذكرنا ، وهذا لطف من الله عز وجــل •

وسَرْمِين (1) لا يوجد فيها حية أصلاً ، وفي وسطها عمود يقال إنــه طلسم للحيــات •

وذكر لي أهل معرة النعمان أن حيــات معرة النعمــان لا تؤذي إذا لدغــت (١٩٠ ــ و) كما يؤذي غيرهــا •

وسمعت إبراهيمَ بن الفَهْم رئيس المعرة يقول : إن العمود القائم في مدينــة المعرة هو طلسم ، ذكروا أنه للحيات ، وأن الحيــة إذا لدغت إنسانا عندنــا بالمعرة لا تؤذيه • وهذا العمود قائم مستقر على قاعدة بزبرة حديد في وسطه يميله الانسان

---

١ ــ تبعد سرمين عن إدلب مسافة ٨ كم ، التقسيمات الإدارية ، ٢٤٦ •

فيميل ، وربما تميله الريح القوية ، ويضع الناس إذا مال الجوز أو اللوز فيعود الى مستقره فيكسره .

وسمعت إبراهيم بن الفهم المذكور يقول كان بالمعرة عمود آخر كان فيه طلسم للعقارب ، فكانت العقارب بالمعرة لا تؤذي ، فزال ذلك العمود ، فزال أثره والعقارب اليوم بالمعرة إذا لدغت تقتل

وبناحية الجزر من أعمال حلب بالقرب من معرة مصرين قرية يقال لها يحمول [1] ، ولنا فيها ملك نتوارثه عن أجدادنا من حدود الثلاثمائة للهجرة ، لايوجد في أرضها عقرب أصلاً . وحكى لي جماعة من فلاحيها أنهم يخرجون في بعض الأوقات ، ويحتطبون من جبل الأعلى حطباً ، ويأتون به الى يحمول هذه فربما يعلق في الحطب من الجبل عقرب ، فمتى ما شمت تراب يحمول ماتت .

ومن العجب أن الى جانب يحمول قريتين يقال لأحديهما الكفر وللأخرى بيت رأس ، وبين جدارها وجدار كل واحدة من القريتين مقدار شوط فرس ، وإذا صاح انسان في القريه سمع في القرية الأخرى ، وفي كل واحدة من القريتين من (١٩٠ ــ ظ) العقارب شيء كثير ، وهي من أشد العقارب ضرراً .

وفي يحمول هذه آبار كثيره ماؤها معين طول البئر مقدار عشره أذرع ، وهاتان القريتان ليس فيهما بئر واحد ، وإذا حفر فيهما بئر لا يجدون فيها معيناً ،ولهم صهاريج من ماء المطر ، وربما يقل عليهم الماء ، فيكون شرب أهل القريتين من يحمول هذه .

وأخبرني من أثق به من الحلبيين أنه ولي عملاً بشيح الحديد ، وأنه لا يوجد بها عقرب أصلاً وأن الرجل من أهل شيح إذا غسل ثوبه في مائها ثم خرج الى موضع

---

١ ــ يصل يحمول بحلب طريق ترابي طوله ٥٥ كم ، التقسيمات الادارية ، ٣١٦

آخر ، فتوضع على ثوبه ماء" وعصر وشربه من لدغته عقرب بريء من وقته ، وإن قطر منه قطرة على عقرب ماتت في الحالة الراهنة .

وهذه شيح الحديد قرية كبيرة لها كورة ، وفيها وال وديوان ، وهي في طرف العَمْق من أعمال أنطاكية وهي اليوم من أعمال حلب مضافة الى حارم ، وبها كان مقام يوسف بن أسباط رحمة الله عليه .

وأخبرني والدي رحمه الله وجماعة من مشايخ حلب ، يأثره الخلف عن السلف، أن العمود الحجر المعروف بعمود العسر ، بالقرب من الأسفريس بمدينة حلب ، ينفع من عسر البول ، وإذا أصاب الإنسان ، أو الدابة عسر البول أتوا به إليه وأداروا به حوله ، فيزول مابه ، وذكروا أن هذا مجرب ، والناس يعرفون ذلك الى زمننا هذا ويستعملونه فيفيد ، والمحله التي هذا العمود (١٩١ ــ و) بها تعرف بعمود العسر .

وفي قرى حلب في الناحية الشرقية وتعرف بالحَبْل خربة تعرف بجب الكلب، وهي الى جانب قِبْثان الحَبْل كان بها بئر ينفع المكلوب ، وأخبرني والدي رحمه الله فيما يأثره عن سلفه أن هذا البئر كان ينفع من عضه الكلب الكَلِب ، فيأ من المعضوض من الكلب بالنظر في تلك البئر والشرب منها .

قال والدي رحمه الله : وبطلت منفعة البئر بأن امرأة ألقت فيها خرقة حيض ، فبطل تأثيرها ، وهذا متداول عند أهل حلب ، يأثره الخلف عن السلف ، وإنما بطلت منفعه البئر في حدود الخمسمائه .

ونقلت من خط أبي الحسن علي بن مرشد بن علي بن منقذ في تاريخه الموسوم بالبداية والنهاية قال : سنة خمس وأربعين وأربعمائه فيها كلبت الذئاب والكلاب وأتلفت أكثر الناس .

قال أبي : قال لي جدك رحمه الله كان أبي أبو المتوج قد دخل الى حلب

وتركني عند جدي الصوفي أَتَفَرَّج بسَرْمِين ، وكنت لا أعرف لي والداً سواه لغيبة أبي عند الأمراء والملوك ، فقال : ياعلي إحذر أن تخرج وحدك فإن الكلاب الكَلِبة كثير ، فاتفق أنني خرجت مع أصحابي وغلماني فقيض لي كلب فرعشني ، فدخلت غير طيب النفس ، وذلك بعد العصر والزمان الصَّفَرِيّ في التشارين ،فمضى من خَبَّر جدي الحسن الصوفي العِجْلي ، فركب فرسه ، وأخذ دلواً للسموط وأخذني ، ومضى يخب ويَتَثَاقِل وأنا معه الى أن أتى بي جب الكَلَب شمالي حلب فسقاني (١٩١ ــ ظ) منه ، وغسل يدي ورجلي ووجهي ، وقال : إقلع ثيابك ، فقلت : الله الله إن خلعت ثيابي في هذا البرد مُتّ ، فقال : وليت مُت واسترحت يافاعل ياصانع ، فاستقى أربعين دلواً وصبها علي ، وقال : تطلَّع في الجُبّ ، وكانت آية الجُب إن نَفَع المرعوش أبصر النجوم في الجُبّ ، وإن لم ينفعه سمع نبيح الكلاب ، فقال : ماترى ؟ فقلت أرى النجوم في الماء ، فقال : الحمد لله ، وركب ، وأخذني فبات في سَرْمِين ، ولكن بعد تهور الليل .

قال : يقول جدك : فوالله بعد تمام الإسبوع بُلْتُ ثلاث كلاب مُصورة بأذنابها ورؤوسها .

قال : ولم يزل هذا الجب يتداوى به الناس الى أن ملك حلب رضوان الملك ابن تاج الدولة ، فعوَّل على توسيع فمه ، وكان ضيقاً عليه أربعة أعمدة ، تمنع أن يُنْزل فيه ، فقال : نعمله يكون الإنسان ينزل إليه ، ولا يقلب عليه ، فقيل له : إن هذه الطلسمات لا يجب أن تتغير عن كيفياتها ، فلم يقبل ففتحه ، فزال عنه ما كان يزيل الأذى ، وكان يقال إن ذلك كان في سنة ستٍ وتسعين وأربع مائه ، وهو كان من العجائب الثلاث : جُبّ الكَلَب ، ونهر الذهب ، وقلعة حلب ، فأما النهر فهو ماء يجري الى أن ينتهي الى مواضع في الجبول وغيرها من القرى ، فيَسكبونها ويجرون إليها السواقي ، فإذا دخل تلك المساكب جمد بإذن الله ، وصار ملحاً أبيض في بياض الثلج ، فيباع منه بالأموال الخطيرة ، ولذلك سمي نهر الذهب .

قلت : وهذا علي بن منقذ صاحب هذه الواقعة هو الأمير سديد الملك (١٩٢ ـ و) أبو الحسن علي بن أبي المتوج مُقلد بن منْقذ الكِناني الذي فتح شَيْزر واشتراها من الأسقف بمال بذله له على ماذكرناه في الباب المتقدم في ذكر شَيْزر ، وكان من الرجال العقلاء ، والأمراء العلماء ، والأدباء الشعراء ، وجَدَّته المذكور لأمه هو الحسن بن عِجل المعروف بالصُوفي ، وبنو الصُوفي الذين تولوا رئاسة دمشق كانوا من نسله ، وكان الصوفي يسكن سَرْمِين ، وسيأتي ذكرهما في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

قرأت في كتاب الربيع تأليف غرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال بن المحسن ابن إبراهيم بن هلال الصابي ، وأخبرنا به عبد اللطيف بن يوسف إجازة عن أبي الفتح محمد بن عبد الباقي بن البَطي عن أبي عبد الله الحميدي قال : أخبرنا غرس النِعمة أبو الحسن قال : وحدثني أبو عبد الله بن الأسكافي كاتب البَساسيري في سنة إحدى وخمسين وأربعمائه قال : احترق بحلب عاماً أول برج من أبراج سورها، وحكى ذلك للمستنصر بالله صاحب مصر خادم كان له بحلب ، فقال له : إن كنت صادقاً ففي هذه السنة يخطب لنا بالعراق ، وذاك عندنا في كتبنا دليل على ما قلناه .

قال أبو عبد الله : وأتفق أن جئنا وأقمنا الخطبة في ذي القعدة من سنة خمسين (★) . (١٩٢ ـ ظ)

* * *

★ آخر الجزء الحادي عشر وكتب ابن العديم في الحاشيه سماعا نصه : بلغ محمد قراءة وسمع أخوه وابن اخته في مجلسين آخرهما الثامن والعشرون من ذي الحجة . كما كتب تحت هذا السماع بلاغا ، نصه : بلغ بدر الدين عبد الواحد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبــه توفيقي

وفي قرية من قرى جبل السُماق من أعمال حلب يقال لها كفر نجد[1] ، وهي قرية كبيرة كثيرة الأشجار ، بئر من غربي القرية ربما ساح ماؤها في بعض السنين على وجه الأرض ، من خاصية ماء البئر أنه يخرج العلق إذا نشب في حلق الانسان أو الدابة ، إذا شرب ذلك الماء .

وهذا أمر مستفيض لا شك فيه ، فإنني جربته أنا بنفسي ، فإنني سافرت في بعض السنين مع والدي رحمه الله الى حماه ، فشربت ماءً بتَمْنَع[2] ، وهي قرية في طريق حماة من عمل كفر طاب ، ولها ركيَّة معروفة بالعَلَق ، فنشب في حلقي علقة في موضع لا يوصل إليه في أقصى الحلق ، وعدت الى حلب ، وهي على حالها ، وعولجت بأنواع الأدوية التي تستعمل لاستخراج العلق ، فلم تنجع شيئا ، وجعلت تكبر في حلقي ، ويزداد خروج الدم بسببها ، حتى أني كنت ألقي منه في كل يوم شيئا كثيرا ، فاشتغل خاطر والدي رحمه الله لذلك ، فاتفق أن حضر مقدم قرية كفر نجد عند عمي أبي المعالي ، وذكر له خاصية هـذه البئر ، فجـاء عمي وذكـر لوالدي ذلك ، فقام في الحال وركب ، وسار بي الى كفر نجد ، فوصلناها آخر

---

١ ــ يصل كفر نجد بادلب طريق مزفت طوله ١٧ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٥٢ .

٢ ــ تعرف الان باسم التمانعة ، ويصلها بمعرة النعمان طريق ترابي طوله ٣٦ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٨٠ .

النهار قبل المغرب ، وخرج بي الى البئر وشربت من مائها مرارا ، وعدت الى القرية ، وألقيت من الدم شيئا كثيرا ، وغلبني النوم لما نالني من التعب ، فأغمضت ، فخرجت العلقة من حلقي الى فمي فوجدته مطبقا ، فطلبت منفسي الهواء وأن (١٩٣ ــ و) تخرج من خيشومي ، فانتبهت ، وفتحت فمي ، فنزلت إليه ، فأخرجتها من فمي وهي بمقدار الاصبع الطويلة بعد أن ألقت ما كان في جوفها من الدم •

وفي أعمال حلب عدة حَمّات تنفع من البلاغم والرياح وكثير من الأدواء ، فمنها حَمّة في السُخنة من عمل المناظر من ناحية قنسرين ماؤها في غاية الحرارة ، وأهلها يغتسلون فيها ويتعوضون بها عن الحمام ، وذكر لي جماعة من أهلها أنهم ينتفعون بها من الريح والبلغم والحب ، ونزلت إليها واغتسلت فيها •

وذُكر لي أن بناحية العمق حَمّة أخرى يتداوى بها الناس أيضا •

وذكر أحمد بن أبي يعقوب بن واضح الكاتب في كتاب البلدان ، وعدّ كور قنسرين والعواصم ، وقال : وكورة الجومة ، وبها العيون الكبريتية التي تجري الى الحمة ، والحمة بقرية يقال لها جَندارس ، ولها بنيان عجيب معقودة بالحجارة ، يأتيها الناس من كل الآفاق فيسبحون فيها للعلل التي تصيبهم ، ولا يدرى من أين يجيء ماؤها ذلك الكبريتي ، ولا أين يذهب •

وقرأت في كتاب أخبار البلدان تأليف أحمد بن محمد بن إسحق الهمذاني ، المعروف بابن الفقيه ، قال : وعلى سبعة أميال من منبج حَمّة عليها قبة تسمى المدير ، وعلى شفيرها صورة رجل من حجر أسود ، تزعم النساء أن كل من لاتحبل منهن إذا حكت فرجها بأنف تلك الصورة حبلت ، وبها حمام يقال له حمام الصراني في وسطه صورة رجل من حجر يخرج ماء الحمام من إحليله • (١٩٣ ــ ظ)[١] •

١ ــ مختصر كتاب البلدان ، ١١٧ •

أخبرني بهاء الدين أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الخشاب رحمه الله قال: أخبرني ابن الإكليلي المنجم الحلبي قال: لما حفر بالمسجد الجامع بحلب موضع المصنع للماء، وُجد فيه صورة أسد من الحجر الأسود، وهو موضوع على بلاط أسود، ووجهه الى جهة القبلة، قال: فاستخرجوه من مكانه، فجرى بعد ذلك ما جرى من خراب جامع حلب إما بالزلزلة وإما بالحريق.

قلت ووقع مثل ذلك في زماننا في أيام دولة الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازي بن يوسف بن أيوب، وأتابكه ومدبر دولته طغرل الخادم الظاهري، فجدد طغرل دارا في القلعة ليسكنها، فلما حُفر أساسها، ظهر فيما حفروه صورة أسد من حجر أسود، فأزالوه عن موضعه، فسقط بعد ذلك الجانب القبلي من أسوار قلعة حلب، وانهدم من سفح القلعة قطعة كبيرة.

أخبرنا أحمد بن الأزهر بن السباك البغدادي في كتابه إلي عن أبي بكر محمد ابن عبد الباقي الأنصاري قال: أنبأنا المحسن بن علي التنوخي قال: حدثني الحسن ابن ابنة غلام أبي الفرج البَبَّغا، وكتب خطه، وشهد له أبو الفرج بصحة الحكاية، قال: في أعمال حلب ضيعة تعرف بعين جارا، وبينها وبين الحَوته حجر قائم كالتخم بين أرض الضيعتين، فربما وقع بين أهل الضيعتين شر فيكيدهم أهل الحوتة بأن يطرحوا ذلك الحجر القائم، فكما يقع الحجر، يخرج أهل الضيعتين من النساء ظاهرات متبرجات لا يعقلن بأنفسهن طلباً للجماع (١٩٤ ــ و) ولا يستقبحن في الحال ما هم عليه من غلبة الشهوة الى أن يتبادر الرجال الى الحجر، فيعيدونه الى حاله الأولى، فيتراجعن النساء الى بيوتهن وقد عاد إليهن التميز باستقباح ما كن عليه.

وهذه الضيعة كان سيف الدولة أقطعها أبا علي أحمد بن نصر البازيار، وكان أبو علي يتحدث بذلك ويسمعه منه الناس وذكر هذه الحكاية بخطه في الأصل.

قلت : هكذا قال : الحَوتة بالحاء ، وهي الآن تسمى الهَوته بالهاء ، وهي الى جانب عِنْجار[1] والهوتة أُقطعْتُها ، وبطل ماذكره التنوخي ، وقيل لي بأن الحجر باقي .

قرأت في تاريخ أعارنيه بعض الهاشميين بحلب جمعه أبو غالب هَمَّام بن الفضل بن جعفر المهذب المعري ، ذكر فيه حوادث سنة سبع وستين وأربعمائة أنه ظهر بأنطاكية طلسم في جرن على صور الأتراك ، فما حال الحول حتى فتحها الأتراك .

ثم قرأت بخط محمد بن علي العظيمي الأستاذ في تاريخه ، وأنبأنا به عنه المؤيد بن محمد الطوسي في حوادث سنة سبع وستين قال : وفيها فتح سليمان بن قُطْلُمش نيقيه وأعمالها ، وفيها كانت الزلزلة بأنطاكية فأخربت منها كنائس ومنازل وبعض سورها ، وفيها ظهر بأنطاكية طلسم الأتراك في دير على بابها ، وكان الدير عاب ، فلم يجدوا له خشباً لسعة أكواره ، فجددوا في وسطه أساسات للقناطر ، فخرج عليهم جرن فيه خيالة أتراك من نحاس ، فظهر الأتراك على أنطاكية (١٩٤ ــ ظ) .

وذكر العَظِيمي في تاريخه المختصر ما أخبرنا به شيخنا أبو اليُمْن الكندي إجازة عنه قال ، في حوادث سنة سبع وستين وأربعمائة : وزلزلت أنطاكية ، وفتح سليمان بن قطلمش نيقيه وأعمالها وظهر بأنطاكية طلسم الأتراك في دير الملك على باب أنطاكية سبعة أتراك من نحاس على خيل نحاس بجعابهم ، فما حال الحول حتى فتحها الأتراك[2] .

---

١ ــ تبعد الحوتة عن حلب مسافة ٢٧ كم ، وتبعد عنجارة ــ هكذا ترسم الان ــ عن حلب مسافة ٣٠ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٩٨ .
٢ ــ انظر تاريخ العظيمي ، ١٨٢ ظ ــ ١٨٣ ــ و .

قلت : فقد تواطأ ابن المهذب والعظيمي على أنّ هذا كان في سنة سبع وستين وليس الأمر كذلك بلّ كان فتح سليمان بن قطلمش أنطاكية في سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، والظاهر أن ابن المهذب نقل ذلك وطغى القلم في سنة سبع وسبعين بستين ، فكتبه على الغلط ، ونقل العظيمي ذلك من تاريخه على الغلط ، والصحيح ما ذكره حمدان بن عبد الرحيم الأثاربي في أخبار الفرنج ، وقرأته بخط الرئيس يحيى بن المراوي الحلبي ، وذكر أنه نقله من خط حمدان بن عبد الرحيم ، قال : وكان من عجائب الزمان أن أنطاكية خربتها زلزلة عظيمة قبل فتحها بمدة أربع سنين ، وسقط من سورها عدة أبرجة .

حكى القاضي حسن بن الموج الفوعي قال : كنت قد هربت من المِجن[1] ووصلت الى أنطاكية وخدمت بها الأجل مسعود وزير يغي سغان ، فتركني على العمارة ، قال : فعدنا الى ما قد أخربته الزلزلة من السور فعمرناه ، فعاد أحد الأبرجة هبطاً وعاب ، فأشير علينا بنقضه ، وأن يُقرَّر أساسه ، فهدمناه ، ونزلنا على آخر (١٩٥ — و) دمس في أساسه ، فوجدنا جرناً قد انكسر عليه طابق عظيم ، فكشفناه فوجدنا فيه سبعة أشخاص من نحاس على خيل من نحاس ، على كلّ واحد ثوب من الزرد ، معتقلا ترسا ورمحا ، قال : فعرَّفت الأجل مسعود بذلك ، فنفذ ثقته ، فأخرج الأشخاص وكشف ما تحت الجرن فلم يجد شيئا سواها ، فحمل الأشخاص الى الوزير فأخذها وأحضرها الى مجلس الأمير يغي سغان ، فقال بعض الحاضرين : لو أحضر الأمير من مشايخ المدينة من يكشف له حقيقة هذا الأمر ، فتقدم بإحضار جماعة ، وأبرزت إليهم الأشخاص وقيل لهم : تعرفون ما هذه الأشخاص ؟ قالوا : ما نعرف ، بل إننا نحكي للأمير ما يقارب هذا الأمر ،

---

١ — هو رئيس حلب بركات بن فارس الفوعي المعروف بالمجن ، انظر زبدة الحلب ٢/١٣٨ — ١٣٩ .

لنا دير يعرف بدير الملك واسع الهواء ، عاب علينا في سنة سبع وسبعين وأربعمائة فتكسر أكثر خشبه ، فنقضناه وتطلبنا له خشبا بمقداره فلم نجد بأنطاكية وبلدها شيئا ، فأشار علينا بعض الصناع بتقديم الحائط فحفرنا أساس الحائط الجديد ، فلما انتهينا الى أسفله وجدنا أشخاص أتراك من نحـاس في أوساطهم القِسي والنشاب ، فلم نحفل بذلك ، وعمرنا الحائط ، فما مضى لنا غير مدة قصيرة حتى سـرق المدينة سليمان بن قتلمش في أول شعبان سنة سبع وسبعين وأربعمائة في أربعمائة غلام أو دون ، وملكنا كما سمع الأمير ، وهذه الأشخاص ربما كانت من أمة هذه أشكالهم من العرب أو غيرهم من المسلمين ، ووَرَّوا (١٩٥ ــ ظ) عن خبر الفرنج ، وكان قد وصلهم عنهم أخبار شاذة وما يجسر أحد يفوه بها ، فشتمهم يغي سغان أقبح شتم وقال : يا كفار في الأرض غير الأتراك ؟! وأمر بإخراجهم ، فما حال الحول حتى قيل الفرنج قد نزلوا القسطنطينية •

هذا ما حكاه القاضي حسن بن الموج ، والتواريخ كلهـا متفقة على أن سليمان بن قطلمش هجم أنطاكية في سنة سبع وسبعين وأربعمائة •

وقال حمدان بن عبد الرحيم بعد هذه الحكاية ، ونقلته من خط ابن المراوي ، : ومثل هذا أن روجار صاحب أنطاكية احتاج الى رخام يستعمله ، فذكر له : إن في الموضع الفلاني قصرا عمره الملك الذي عمر أنطاكية ، وإن فيه من الرخام كل عجيبة ، فأمر أن يُطلب ، وكان هذا في سنة اثنتي عشرة وخمسمائة ، فلما كشف عنه وُجد جُرن رخام ، وفيه فارس على فرس ، إلا أن فيها ما ينافي الفرس ، وهو ملثم لا يبين فيه غير عينيه ، فأُحضر ذلك الشخص إليه ، وأخذ في أحاديث تلك الأشخاص التركية والفرنجية ، فنظر في ذلك ، فقال له بعض القسوس إضرب به الأرض ينكسر وينكسر شره ، فضرب به الأرض حتى تكسر ؛ وفي تلك الجمعة وصله مستصرخ بيت المقدس يخبره بنزول عسكر المصريين إليهم ، فسار حتى

إذا وصلهم وبرز لمقاتلة عسكرهم فجايشوا أياماً ، ثم رجع عسكر مصر وقد خسر ، وعاد روجار الى أنطاكية ، ولم يقم بها غير عشرة أيام ، وخرج الى أعزاز (١٩٦ ــ و) وحاصرها ، فأنفذ الحلبيون الى إيل غازي بن أرتق ، فاستدعوه وملكوه حلب ، وشد التركمان ، وسار إليه فالتقوا على فرضة لَيْلُثون على موضع إسمه تل عقبرين فكسر الفرنج ، وقتل روجار وأخذ رأسه ، وقتل من الفرنج عدد ألوف ، ولو تم عسكر إيل غازي الى أنطاكية لأخذت ، ولكنه هاب الأمر ولله المشيئة(★) .



★ ــ كتب ابن العديم في الحاشية سماعا نصه : بلغ محمد قراءة وسمعتها معه.

باب في ذكر ما يتعلق بحلب وأعمالها

من الملاحم وأمارات الساعة

أخبرنا أبو روح عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الهَروي في كتابه إلينا قال : أخبرنا أبو القاسم تميم بن أبي سعد بن أبي العباس الجُرجاني قال : أخبرنا الحاكم أبو الحسن علي بن محمد بن علي البحاثي قال : أخبرنا أبو الحسن محمد ابن أحمد بن هرون قال : أخبرنا أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد البستي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن أبي عون قال : حدثنا أبو ثـور قال : حدثنا مُعلى بن منصور قال : حدثنا سليمان بن بلال قال : حدثنا سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق أو بدابق ، فيخرج إليهم جيش من أهل المدينة ، وهم خيار أهل الأرض يومئذ ، فإذا تصافوا ، قالت الروم : خلوا بيننا وبين الذين سَبَوا منا نقاتلهم ، فيقول المسلمون : لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا فيقاتلونهم فيهزموا ، ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا (١٩٦ ــ ظ) ثم يقتل ثلثهم وهم أفضل شهداء عند الله ، ويَفتح ثلث ، فيفتحون قسطنطينية فبينا هم يقسمون الغنائم قد علقوا سيوفهم بالزيتون ، إذ صاح فيهم الشيطان إن المسيح قد خلفكم في أهاليكم ، فيخرجون ، وذلك باطل ، فإذا جاءوا الشام خرج ــ يعني الدجال ــ فبينا هم يعدون للقتال ويسوون الصفوف إذ أُقيمت الصلاة ، فينزل عيسى بن مريم فإذا رآه عدو الله يذوب كما يذوب الثلج ، ولو تركوه لذاب حتى يهلك ، ولكنه يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته .

هذا حديث صحيح أخرجه مسلم بن الحجاج في صحيحه عن زهير بن حرب عن معلى بن منصور عن سليمان بن بلال ، وقد أوردناه عنه فيما تقدم[1] .

كتب إلينا أبو محمد أحمد بن الأزهر بن عبد الوهاب بن السَّبَّاك من بغداد أنَّ القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد أخبرهم كتابة عن أبي محمد الحسن ابن علي بن محمد الجَوْهري قال : أخبرنا أبو عمر محمد بن العباس بن زكريا بن حَيوَّية قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد بن المُنادي قال : أُخبرت عن الحكم بن موسى السِمسار قالَ : حدثنا يحيى بن حمزه عن إسحق بن عبد الله قال : أخبرني عبد الرحيم بن شَيبة عن من أخبره أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ : « بدأ الإسلام غريباً ثم يعود غريباً ، فطوبى للغرباء » ، قالوا : ومن الغرباء يا رسول الله ؟ قال : « الذين (١٩٧ — و) يَصْلُحون إذا فسد الناس ، والذي نفسي بيده ليأرزن الإيمان الى المدينة كما يجوز السيل الدمن ، والذي نفسي بيده ليأرزن الاسلام الى مابين المسجدين كما تأرز الحية الى جُحرها ، فبينما هم كذلك استغاث العرب بأعرابها فخرجوا في مَجْلية لهم لصالح من قضى وخير من بقي ، فاقتتلوا هم والروم ، فستنقلب بهم الحرب حتى يردوا العَمْق ، عَمْق أَنطاكية ، فيقتتلون فيها ثلاث ليالٍ ، العرب والروم ، ويرفع الله النصر عن كُلٍّ حتى تخاض الخيل إلى رُكبها في الدم ، وتقول الملائكة يارب ألا تنصر عبادك المؤمنين ، فيقول حتى يكثر شهادهم فيستشهد ثلث ، ويصبر ثلث ، ويرجع ثلث شكاكاً ، فيخسف بهم ، فيقول الروم : لن ندعكم حتى تخرجوا كل بضعة فيكم ليست منكم ، فيقول العرب للعجم : إلحقوا بالروم ، فتقول العجم أكفر بعد الإيمان ! فيغضبون عند ذلك فيجتمعون على الروم فيقتتلون هم وهم ، ويغضب الله عز وجلّ عند ذلك فيضرب بسيفه ويطعن برمحه ، فقيل لعبد الله بن عمرو : وما سيف الله ورمحه ؟ قال : سيف المؤمن ورمحه حتى يهلك الروم جميعا فما ينفلت منهم مُخبر ، ثم ينطلقون إلى أرض الروم فيفتحون حصونها ومدائنها

---

١ — تقدم هذا الحديث في الورقة الاولى من هذا المجلد .

بالتكبير ، ثم يأتوا مدينة هرقل فيجدوا خليجها بطحاء ، ثم يفتحونها بالتكبير (١٩٧ ـ ظ) ثم يأتوا فيكبروه الله تكبيرة فتسقط جداراً من جدرها ، ثم يكبرون تكبيرة أخرى فتسقط جداراً آخر ، ثم يكبرون تكبيرة أخرى فتسقط جدارا آخر ، ثم لا يبقى جدارها البحري إلا سقط ، ويسيرون إلى رومية فيفتحونها بالتكبير فيكيلون بها غنائمهم كيلاً بالفرايق .

قال أبو الحسين بن المنادي : وحدثنا علي بن داود قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني الليث بن سعد قال : حدثني أبو قبيل المعافري عن عبد الله بن عمرو أنه قال فيما كان يسأل عنه من الملاحم : إن رجلاً من أعداء المسلمين بالأندلس يقال له ذو العرف يجمع من قبائل الشرك جمعاً عظيماً ، فيعرف من بالأندلس أنه لا طاقة لهم به فيهرب أهل القوة من المسلمين في السير فيجوزون إلى طنجة ، ويبقى ضعفة المسلمين وجماعتهم ليس لهم سفن يجوزون فيها ، فيبعث الله لهم وعلاً يثبين لهم الأرض في البحر فيجوزون فلا يبطن الماء أظلافه فيفطن له الناس ، فيقول بعضهم لبعض اتبعوا الوعلة،فيجوز الناس كلهم على أثره،ثم يرجع البحر قلا على ما كان عليه قبل ذلك،ثم يجوز العدو في المراكب،فإذا أحسسهم أهل إفريقية هربوا كلهم من إفريقية ومعهم من كان بالأندلس من المسلمين حتى يقتحمون الفسطاط هربا من ذلك العدو حتى ينزلوا فيما بين ترنوط الى الأهرام مسيرة خمسة (١٩٨ ـ و) برد ، فيصلون هنالك تترى ، فتخرج إليهم راية المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم فيهزمونهم ويقتلونهم إلى نوبية مسيرة عشر ليال من النيل ، فيوقد أهل الفسطاط بعجلهم وأداتهم سبع سنين وينقلب ذو العرف من أهل القتل ومعه كتاب قد كتب له وأمر أن لا ينظر فيه حتى يقدم مصر ، فينظر فيه وهو منهزم ، فيجد فيه ذكر الإسلام ، وأنه يؤمر بالدخول فيه إذا قرأ ذلك الكتاب ، فيسأل الأمان على نفسه وعلى من أجابه إلى الإسلام الذين انفلتوا معه من القتل ، فيسلم ويصير مع المسلمين ثم يأتي

في العام الثاني رجلٌ من الحبشة يقال له اسيس وقد جمع جمعاً ، فيهرب المسلمون من أسوان حتى لا يبقى فيها ولا فيما دونها أحد من المسلمين إلا دخل الفسطاط فينزلُ اسيس بجيشه مُدفاً على رأس بريد من الفسطاط ، فتخرج إليهم راية من المسلمين على الجسر فينصرهم الله عليهم ، فيقتلونهم ويأسرونهم حتى يباع الأسود بعباءة .

قالَ الليث بن سعد : قالَ أبو قبيلٌ : فالفارس يؤمئذ خيرٌ من كذا وكذا راجلاً ، يُغير على فرسه فيُصيب لأهله الشاة والطعم يُغيثهم به .

قالَ الليث بن سعد : فقلنا لأبي قَبيل : قدر ماذا ؟ فقالَ : قدر ما يأتيهم أعراب على قعدانهم مدادا لهم يخرج الراكب يومئذ من عدن أبين فلا يجد لراحلته كلأً حتى يرد الشام فإذا اجتمع المسلمون (١٩٨ — ظ) بالشام ساروا إلى الروم ، فالتقوا بالأعماق من أرض قنسرين فاقتتلوا ، وأنزل الله على الفريقين الصبر ورفع عنهم النصر ، قال أبو قبيل : فيقتل ثلث المسلمين ، فهم من خيار شهداء المسلمين ، ويهرب ثلث فيخسف بهم ويبقى ثلث .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن بدمشق قالَ : أخبرنا الحافظ أبو القاسم بن الحسن قال : أنبأنا أبو طاهر محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم الحنائي قال الحافظ : وحدثنا أبو البركات الخضر بن شبل بن عبد الواحد الحارثي الفقيه عنه قالَ : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقريء قالَ : حدثنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المرّيّ قالَ : أخبرنا أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي قالَ : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عُمير بن يوسف بن جوصاء قال: حدثنا أبوعامر موسى بن عامر بن عمارة بن حريم المقريء قالَ : حدثنا الوليد بن مسلم قال : حدثني سعيد بن عبد العزيز أن من أدرك من علمائنا كانوا يقولون : يخرجون أهلَ مصر من مصرهم إلى مايلي المدينة ، ويخرج أهل فلسطين والأردن إلى مشارق البلقاء وإلى دمشق ويخرج أهلُ الجزيرة وقنسرين وحمص إلى

دمشق وذلك لما كان حدثنا به سعيد عن مكحول عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «فسطاط المسلمين يوم الملحمة الكبرى بالغوطة مدينة يقال لها دمشق[1] .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بدمشق قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي (١٩٩ ــ و) بن الحسن قال : أخبرنا أبو البركات الخضر بن شبل بن عبد الواحد الحارثي قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسين بن محمد بن إبراهيم قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن إبراهيم المقريء قال : حدثنا أبو نصر عبد الوهاب ابن عبد الله بن عمر المرّي قال : أخبرنا أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عمير بن يوسف بن جوصاء قال : حدثنا أبو عامر موسى بن عامر بن عمارة بن خريم المقريء قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : لقيت أبا بشر الكلاعي ، وكان ثقة ، فذاكرته ، فقال : سمعت أبا وهب الكلاعي يخبر عن مكحول أن الملاحم عشر ، فأولاهن ملحمة قيسارية بفلسطين وآخرهن ملحمة عمق أنطاكية .

قرأت في كتاب الملاحم والفتن لأبي عبد الله نعيم بن حماد المروزي ، وقد قرأه كاتبه على أبي بكر عبد الله بن محمد بن سعيد بن الحكم بن أبي مريم ، قال أبو بكر : حدثنا نعيم بن حماد .

وأنبأنا عبد العزيز بن الحسين بن هلاله قال : أخبرتنا بذلك أم هانيء عفيفة بنت أبي بكر أحمد بن عبد الله بن محمد الفارفاني الأصبهانية قالت : أخبرتنا فاطمة بنت عبد الله الجوزدانيه قالت أخبرنا أبو بكر بن ريذه قال : أخبرنا أبو القاسم الطبراني قال : أخبرنا عبد الرحمن بن حاتم المرادي قال : حدثنا نعيم بن حماد

١ ــ ابن عساكر ١/٢٢٦ ــ ٢٢٧ .

حدثنا الوليد بن مسلم عن الوليد بن سليمان بن أبي السائب سمع القاسم أبا عبد الرحمن يقول : الفئة الخاذلة للمسلمين بعمق عكا وأنطاكية ينخرق لهم من الارض خرق يدخلون فيه لا يرون الجنة ولا يرجعون الى أهليهم أبدا[1] .

وقال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا الوليد عن كلثوم بن زياد عن سليمان ابن حبيب المحاربي عن كعب قال : تقتتلون بالأعماق قتالا شديداً ويرفع النصرويفرغ الصبر ويسلط الحديد بعضه على بعض حتى تركض الخيل في الدم (١٩٩ ـ ظ) الى ثنتها ثلاثة أيام متوالية لا يحجز بينهم إلا الليل حتى تقول عمائـر مـن الناس ـ يعني طوائف ـ : ما كان الاسلام إلا إلى أجل ومنتهى ، وقد بلغ أجله ومنتهاه، فالحقوا بموالد آبائنا ، فيلحقون بالكفر ، ويبقى أبناء المهاجرين ، فيقول رجل منهم : ياهؤلاء ماترون الى ماصنع هؤلاء قوموا بنا نلحق بالله ، فما يتبعه أحد ، فيمشي إليهم حتى يأتيهم فينشلونه بينازكهم حتى أن دماءه لتبل أذرعهم ، فيهزمهم الله .

قال الوليد : فحدثني عثمان بن أبي العاتكه عن كعب مثله ، قال كعب : فذلك أكرم شهيداً كان في الإسلام إلا حمزه بن عبد المطلب ، فتقول الملائكة : ربنا ألا تأذن لنا بنصرة عبادك ؟ فيقول : أنا أولى بنصرتهم ، فيومئذ يطعن برمحه ويضرب بسيفه ورمحه ، وسيفه أمرُه ، فيهزمهم الله ، ويمنحهم أكتافهم فيدوسونهم كمـا تداس المعصرة ، فلا يكون للروم بعدها جماعـة ولا ملك .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا الحكم بن نافع عن جرّاح عن أرطأة قال : إذا ظهر صاحب الأدهم في الإسكندرية وعلا أرض مصر لحقت العرب بيثرب والحجاز

١ ـ الفتن لنعيم بن حماد ، نسخة المتحف البريطاني ١٢١ ظ ، نسخة استانبول ٣٠ و ، ظ .

وتخلي بين الشام وتلحق كل قبيلة بأهلها ، ويبعث إليهم بجيش ، فإذا إنتهـوا بـين الجزيرتين نادى مناديهم ليخرج إلينا كل صريح أو دخيل كان منـا في المسلمـين ، فتَغْضَبِ الموالي فيبايعون رجلاً يسمى صالح بن عبد الله بن قيس بـن يسـار فيخرج بهم ، فيلقى بهم جيش الروم فيقتلهم ويقع الموت في الروم وهـم يومئـذ (٢٠٠ ــ و) ببيت المقدس قد استولوا عليها ، فيموتون مـوت الجـراد ويمـوت صاحب الأدهم ، وينزل صالح بالموالي أرض سورية فيدخل عَمُّورية وتدين لـه ، وينزل قَمُوليه ويفتح بِزَنطيه وتكون أصوات جيشه فيهـا بالتوحيـد عاليـة ، وتقتسم أموالها بينهم بالآنية ، ويَظْهر على روميه ويستخرج منها تابوت صهيون، وتابوت من جَزْع فيه قُرط حواء ، وكتونه آدم ــ يعني كساءه ــ ، وحُلة هرون، فبينا هو كذلك إذ أتاه خبر ــ وهو باطل ــ فيرجـع •

قال جراح عن أرطاة : الملحمة الأولى في قول دَانيَل بالإسكندرية بسُفنهم فيستغيث أهل مصر بأهل الشام فيلتقون فيقتتلون قتالاً شديداً ، فيَهْزم المسلمون الروم بعد جهد شديد ، ثم يقيمون عاماً ويجمعون جمعاً عظيماً ، ثم يقبلون فينزلون يافا فلسطين عشرة أميال ، ويعتصم أهله بذراريهم في الجبال ، فيلقاهم المسلمـون فيظفرون بهم ، ويقتلـون ملكهـم •

والملحمة الثانية : يجمعون بعد هزيمتهم جمعاً أعظم من جمعهم الأول فيقبلون فينزلون عكا ، وقد مَلَك ملكهم ابن المقتول ، فيلتقي المسلمون بعكـا ، ويحبس النصر عن المسلمين أربعين يوماً ، ويستغيث أهل الشام بأهل الأمصار فيبطئون عـن نصرهم ، فلا يبقى يومئذ مشرك حرٌ ولا عَبْد من النصرانيه إلا أمَدّ الـروم ، فيَفر ثلث أهل الشام ، ويُقتل الثلث ، ثم يَنْصر الله البقية ، فيَهْزِمون الـروم هزيمة لم يسمع بمثلها (٢٠٠ ــ ظ) ويقتلونهم وملكهم •

والملحمة الثالثة : يرجع من رجع منهم في البحر ، وينضم إليهم مـن كان فَرّ

منهم في البَر ، ويُمَلكون ابناً لملكهم المقتول ، صغيراً لم يحتلم ، ويُقذف له مَوَدَّة في قلوبهم ، فيقبلون بما لم يقبلْ به مَلِكاهم الأولان من العَدَد فينزلونْ عَمْق أنطاكية ، ويجتمع المسلمون فينزلون بإزائهم ، فيقتتلون شهرين ، ثم ينزل الله نصره على المسلمين فيهزمون الروم ، ويقتلون فيهم وهم هاربون طالعون في الدَّرب، ثم يأتيهم مَدَد لهم ، فيقفون ويتذامر المسلمون فيكرون عليهم كرة فيقتلونهم ومَلِكهم ، وينهزم بقيتهم ، فيطلبهم المهاجرون ، فيقتلونهم قتلاً ذريعاً ، فحينئذ يبطل الصليب ، وينطلق الروم إلى أمم من ورائهم من الأندلس ، فيقبلون بهم حتى ينزلوا الدرب فيتميز المهاجرون نصفين ، فيسير نصف في البر نحو الدرب والنصف الآخر يركبون في البحر ، فيلتقي المهاجرون الذين في البر ومن في الدرب من عدوهم ، فيظفرهم الله بعدوهم فيهزمونهم هزيمة أعظم من الهزائم الأول ، ويوجهون البشير إلى إخوانهم في البحر : إن موعدكم المدينة فيُسيرهم الله أحسن سيرة حتى ينزلوا على المدينة فيفتحونها ويخربونها ، ثم يكون بعد ذلك أندلس، وأنتم تجمعون فتأتون الشام فيلقاهم المسلمون فيهزمهم الله[1] .

وقال : حدثنا نُعيم قال : حدثنا الحكم بن نافع قال : ثم يستمد الروم بالأمم الثانية فتجيش عليهم الألسنة (٢٠١ ــ و) المختلفة ، ويجتمع إليه أهل رُومية والقُسطنطينية وأرمينية حتى الرعاء والحراثون تغضب لملك الروم ، فيقبل بأمم كثيرة سوى الروم ، ملوك عشرة يبلغ جمعهم مائة ألف وثمانين ألف ، وتنزوي العرب بعضها إلى بعض من أقطار الأرض ، ويجتمع الجناحان مصر والعراق والشام وهي الرأس ، فيقبل ملك الروم على منبر محمول على بغلتين فيوجهون جيوشهم ، فيجولون الشام كلها غير دمشق ، فيسير إليهم المسلمون على أقدامهم ، فيلتقون في عَمْق كذا وكذا

---

١ ــ الفتن ، نسخة لندن ١٢١ ظ ــ ١٢٢ ظ ، وفيه : ثم يكون بعد ذلك أندلس وامم فيجتمعون فياتون الشام فيلقاهم المسلمون فيهزمهم الله عز وجل . وهذا ماورد أيضا في نسخة استانبول ٣٠ ظ ــ ٣١ و .

وعمق كذا وكذا أربعة مواطن ، فيسير الجمعان على نهر ماؤه بارد في الصيف حار في الشتاء ، فيغور [1] ماؤه ، ويكثر يومئذ ، فينزل المهاجرون أدناه والروم أقصاه ، ويربطون خيولهم بالشجر التي عند رحالهم ، ويستعدوا للقتال حتى يصيروا في أرض قنسرين ، فيكون منزلهم ما بين حمص وأنطاكية ، والعرب فيما بين بُصرى ودمشق وما وراءهما فلا يبقى الروم خشباً ولا حطباً ولا شجراً إلا أوقدوه ، فيلتقي الجمعان عند نُهير فيما بين حلب وقنسرين ، ثم يصيرون إلى عَمْق من الأرض فيه عُظم قتالهم ، فمن حضر ذلك فليكن في الزحف الأول ، فإن لم يستطع ففي الثاني أو الثالث أو الرابع أو الآخر فإن لم يطق فليلزم فُسطاط الجماعه لا يُفارقها فإن يد الله عليهم ، ومن هرب يومئذ لم يَرَح ريح الجنة ، فيقول الروم للمسلمين : خلوا لنا أرضنا وردوا إلينا (٢٠١ـظ) كل أحمر وهجين منكم ، وأبناء السراري ، فيقول المسلمون : من شاء لحق بكم ومن شاء دفع عن دينه ونفسه ، فيغضب بنو الهجن والسراري والحمراء ، فيعقدون لرجل من الحمراء راية وهو السلطان الذي وعد إبراهيم إسحق أنْ يعطيا في آخر الزمان ، فيبايعونه ، ثم يقاتلون وحدهم الروم فينصرون على الروم ، ثم تنحاز فجرة العرب إلى الروم ومنافقوهم حين يرون نصرة الموالي على الروم ، وتهرب قبائل بأسرها جُلها من قُضاعة وناس من الحمراء ، حتى يركزوا راياتهم فيهم ، ثم ينادي الرفاق بالتميُّز ، فإذا لحق بهم من لحق نادوا غلب الصليب ، فخير العرب يومئذ اليمانيون المهاجرون وحِمير وأَلْهان وقيس ، أولئك خير الناس يومئذ ، فقيس يومئذ تَقْتُتل ولا تُقْتَتل ، وحَدَس مثلها والأزد يُقْتَتلون ولا يقتلون ، ويومئذ يفترق جيش المسلمين أربع فرق ، فرقة يُسْتَشْهَدون ، وفرقة تصبر ، وفرقة تفر ، وفرقة تلتجيء بعدوها .

قال : وتشد الروم على العرب شدّة فيُقتل خليفتهم القرشي اليماني الصالح

١ ـ كذا في الاصل . وفي نسختي لندن واستانبول من الفتن ـ يفور ـ وهو اقوم .

فيّ ثلاثة آلاف ، فيؤمرون عليهم أميراً ومعه سبعونْ أميراً كلهم صالح صاحب راية ، فالمقتول والصابر يومئذ في الأجر سواء ،ثم يسلط الله على الروم ريحاً وطيراً تَضْرب وجوههم بأجنحتها فتفقأ أعينهم ، وتصدع بهم الأرض ، فيتَحلحلوا في مَهْواةٍ بعد صواعق ورواجف (٢٠٣ ــ و) تصيبهم ، ويؤيد الله الصابرين ، ويوجب لهم من الأجر كما أوجب لأصحاب محمد عليه السلام ، ويملأ قلوبهم وصدورهم شجاعة وجُرأة ، فإذا رأت الروم قلة الفرقة الصابرة طمعت فقالت : إركبوا كل حافر فطؤوهم وانبذوهم ، فيقوم راكب من المسلمين على سَرْجه فينظر عن يمينه وشماله وبين يديه فلا يرى طرفاً ولا انقطاعاً فيقول : أتاكم الخلق ولا مدد لكم إلا الله فموتوا وأميتوا ، فيبايعون رجلا منهم بيعة خلافة فيأمرهم فيصلون الصبح ، فينظر الله إليهم ، فينزل عليهم النصر ، ويقول : لم يبق إلا أنا وملائكتي وعبادي المهاجرون ، اليوم مأدبة الطير والوحوش ، لأطعمنها لحوم الروم وأنصارها ولأسقينها دماؤهم ، فيفتح ربك خزائن سلاحه التي في السماء الرابعة ، وسلاحه العز والجبروت ، فينزل عليهم الملائكة ، ويقذف المسلمون قسيهم ، ويَدُقّوا أغماد سيوفهم ، فيصلتونها عليهم ، ويوجهوا أسنة رماحهم إليهم ، ويبسط ربك يده إلى سلاح الكفار ، فيضمه فلا يقطع ، ويَغُلّ أيديهم إلى أعناقهم ، ويسلط أسلحة الموحدين عليهم ، فلو ضرب مؤمن يومئذٍ بزَند لقطع ، ويهبط جبريل وميكائيل فيدفعونهم بمن معهم من الملائكة ، فيهزمهم الله ، فيسوقونهم (٢٠٢ ــ ظ) كالغنم حتى ينتهوا بهم إلى ملوكهم ، وملوكهم من الرعب لوجوههم ، وتنتزع أتوجتهم عن رؤوسهم ، فيطؤونهم بالخيل والأقدام حتى يقتلوهم حتى تبلغ دماؤهم ثنن الخيل فلا تنشفه الأرض ، وكل دم يبلغ ثنن الخيل فهو ملحمه ، وهو ذبح ، فذلك انقطاع ملك الروم ، ويبعث الله ملائكة إلى جزائرها تخبرهم بقتل الـروم[1] .

---

١ ــ الفتن نسخة لندن ١٢٣ ظ ــ ١٢٤ ظ ، نسخة استنابول ٣١ ظ ــ ٣٢ ظ .

وقال : حدثنا نُعيم قال : حدثنا أبو المغيرة عن صفوان قال : حدثنا بعض مشايخنا قال : جاءنا رجل وأنا نازل عند ختنٍ لي بعَرْقَه ، فقال : هل من منزل الليلة فأنزلوه فإذا رجل خليق للخير كأنه حين ينظر إليه ملتمس العلم ، فقال : هل لكم علم بِسُوسِيَة ؟ قالوا : نعم ، قال : وأين هي ؟ قلنا خَرِبة نحو البحر ، فقال : هل فيها عين يُهبط إليها بدرج وماء بارد عذب ؟ قالوا : نعم ، فقال : هل إلى جانبها حِصن خَرِب ؟ قلنا : نعم ، قال : قلنا : من أنت يا عبد الله ؟ قال : أنا رجل من أَشجع ، قالوا : ما بال ما ذكرت ؟ قال تُقبل سفن الروم في البحر حتى ينزلوا قريبا من تلك العين فيحرقون سفنهم ، فيبعث إليهم أهل حمص وأهل دمشق ، فيمكثون ثلاثاً يدعونهم الروم على أن يُخلُّوا لهم البلد ، فيأبون عليهم ، فيقاتلهم المهاجرون ،فيكون أول يوم القتل في الفريقين كلاهما ، واليوم الثاني على العدو ، والثالث يهزمهم الله ، فلا تبلغ سفنهم منهم إلا أقلهم ، وقد حرقوا سفناً كثيرة ، قالوا : (٢٠٣ — و) لانبرح هذا البلد ، فهزمهم الله ، وصَفَّ المسلمين يومئذ بحذاء البرج الخَرِب ، فبينما هم على ذلك قد هزم الله عدوهم حتى يأتي آتٍ من خلفهم فيخبرهم أن أهل قنسرين أقبلوا مقبلين إلى دمشق ، وأن الروم قد حملت عليهم ، وكان موعداً منهم في البر والبحر ، فيكون معقل المسلمين يومئذ دمشق [1] .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا أبو أيوب سليمان بن داود قال : حدثنا أرطأة بن المنذر قال : سمعت أبا عامر الألهاني يقول : خرجت مع تُبَيع من باب الرستن ، فقال: يا أبا عامر إذا نسفت هاتان الزبلتان فأخرج أهلك من حمص ، قال : قلت : فإن لم أفعل ؟ قال : فإذا دُخِلَت أَنْطَرسوس فقُتل فيها ثلاثمائة شهيد فأخرج أهلك من حمص ، قلت فإن لم أفعل ؟ قال : فإذا جاء الحَمل من أهل الأندلس بألف قِلْع ،ثم فرقها بين الأقرع ويافا فاخرج أهلك من حمص ، قلت : أرأيت إن لم أفعل ؟ قال :

١ — الفتن نسخة لندن ١٢٥ ، نسخة استانبول ٣٣ و .

فو الله لئن لم تفعل ليصيبن أهلك ما أصاب أهل حمص ، قلت : وما الذي يصيبهم ؟ قالَ : يغلقها أعاجمها على ذراري المسلمين ونسائهم [1] .

وقالَ : حدثنا نُعيم قالَ : حدثنا بقيّة عن صفوان عن شريح بن عبد عن كعب قالَ : تكون وقعة بيافا يقاتلهم المسلمون يوم الاربعاء والخميس والجمعة والسبت والاحد ، ثم يفتح الله للمسلمين يوم الاثنين .

قالَ صفوان : فسألت عن ذلك (٢٠٣ ــ ظ) خالد بن كيسان فقالَ : حدثني أبي قال : اذا هزم الله الروم من يافا ساروا حتى يجتمعوا بالاعماق فتكون الملحمة.

وقالَ : حدثنا نُعيم قالَ : حدثنا عبد القدوس عن صفوان عن عامر بن عبد الله أبي اليمان الهوزني عن كعب قال : ان الله يمد أهل الشام اذا قاتلهم الـروم في الملاحم بقطعتين ، دفعة سبعين ألفا ، ودفعة ثمانين ألفا من أهل اليمن حمائل سيوفهم المسد [2] ، فيقولون : نحن عباد الله حقا حقـا ، نُقاتل أعداء الله ، يرفع الله عنهم الطاعون والأوجاع والاوصاب حتى لا يكون بلد أبرأ من الشام ، ويكون ما كان في الشام من تلك الأوجاع والطاعون في غيرها .

قال : وإن بالمغرب لحمل الضان ملك من ملوكهم يُعد لأهل الإسلام ألف قلع ، كلما أعدها بعث الله عليها قاصفا من الريح حتى يأذن الله بخروجها فترسي ما بين عكا والنهر فيشغلوا كل جند أن يمد جندا ، فسألته أي نهر هو ؟ قال : مهـراق الأُرنط نهر حمص ، ومهراقة ما بين الأقرع الى المصيصة . [3] .

وقالَ : حدثنا نُعيم قالَ : حدثنا ابن وهب ورشدين جميعا عن ابن لهيعة عـن أبي قبيل عن جبريل بن شراحيل قال : سمعت عبد الله بن عمرو بن العاص يقول :

---

١ ــ نفس المصدر ، نسخة لندن ١٢٦ ظ ، نسخة استنابول ٣٤ و .
٢ ــ حبل من ليف او من اي شيء كان ، او المضفور المحكم الفتل .
٣ ــ الفتن نسخة لندن ١٢٩ ظ ــ ١٣٠ و ، نسخة استانبول ٣٦ و . .

إن أهل الأندلس يأتون في البحر وإن طول سفنهم في البحر خمسون ميلا ، وعرضها ثلاثة عشر ميلا (٢٠٤ ـ و) حتى ينزلوا الاعماق •

قال ابن وهب : البر والبحر • [١] •

أنبأنا أبو العباس أحمد بن عبد الله بن علوان وسعيد بن هاشم بن أحمد الأسديان عن أبي البركات الخضر بن شبل الحارثي قال : أخبرنا أبو طاهر محمد ابن الحسين قال : أخبرنا أبو علي الأهوازي قال : حدثنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر بن أيوب المري قال : أخبرنا أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي قال : أخبرنا أحمد بن عمير قال : حدثنا أبو عامر موسى بن عامر قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : حدثني كلثوم بن زياد عن سليمان بن حبيب المحاربي عن رجل من قومه أنه سمعه من كعب يقول : يلتقون بعمق عكا فيقتتلون ، ثم يتهايبون فينحازون ، ثم يقتتلون ثم يتهايبون حتى ينتهوا الى عمق أنطاكية ، فيقيمون به لا ينهزم هؤلاء ولا هؤلاء ، ويبعث المسلمون فيستمدون الى عدن أبين ، ويبعث الروم الى من يمدهم من روميه •

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن الشافعي الدمشقي بها قال : أخبرنا عمي الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله قال : أخبرنا أبو القاسم السمرقندي قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن أبي الصقر قال : أخبرنا هبة الله بن ابراهيم بن عمر بن الصواف قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن اسماعيل المهندس قال : حدثنا أبو بشر الدولابي قال : حدثنا (٢٠٤ـ ظ) محمد بن عوف قال : حدثنا أبو المغيرة قال : حدثنا صفوان بن عمرو قال : حدثنا أبو الزاهرية حدير بن كريب عن كعب أنه قال : ، ح •

قال الحافظ أبو القاسم : وأنبأنا أبو علي الحداد ، وحدثني أبو مسعود يعني

١ ـ نفس المصدر نسخة لندن ١٣١ و ، نسخة استانبول ٣٧ و •

عبد الرحيم بن علي بن حمد عنه قال : أخبرنا عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الذكواني قال : حدثنا أبو الشيخ قال : حدثنا ابراهيم بن محمد بن الحسن قال : حدثنا عيسى بن خالد قال : حدثنا أبو اليمان عن صفوان بن عمرو عن أبي الزاهرية عن كعب أنه قال : لن تزالوا بخير ما لم يركب أهل الجزيرة أهل قنسرين ، وأهل قنسرين أهل حمص فيومئذ تكون الجفلة ويفزع الناس الى دمشق [1] .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن الحافظ قال : أخبرنا أبو البركات الخضر بن شبل الفقيه قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن الحسين قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن ابراهيم المقريء قال : حدثنا أبو نصر عبد الوهاب بن عبد الله بن عمر المري قال : أخبرنا أبو هاشم عبد الجبار بن عبد الصمد السلمي قال : أخبرنا أبو الحسن أحمد بن عمير بن يوسف قال : حدثنا أبو عامر موسى بن عامر قال : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثني يزيد بن سعيد بن ذي غضوان العنسي عن مدلج بن المقداد العذري عن سليم مولاهم أنه سمع كعب الاحبار يقول : اذا نزلت الروم عمق الأعماق بأنطاكية ، فمن لم ينصر المسلمين يومئذ (٢٠٥ـو) فليس هو على شيء .

أنبأنا أبو حفص عمر بن محمد بن طبرزد عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصاري قال : أخبرنا أبو محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال : أخبرنا أبو الحسن بن معروف قال : أخبرنا الحسين بن فهم قال : حدثنا محمد بن سعد قال : أخبرنا عارم بن الفضل قال : حدثنا حماد بن زيد عن أيوب وهشام عن محمد قال نبئت أن عبد الله بن سلام قال : إن أدركني وليس لي ركوب فاحملوني حتى تضعوني بين الصفين ، يعني قتال الاعماق .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا أبو القاسم

١ ـ ابن عساكر ١ـ٢٣٣ .

علي بن الحسن قال : أنبأنا أبو علي الحسن بن أحمد المقريء قال : أخبرنا أبو نعيم الحافظ قال : حدثنا حبيب بن الحسن وعبد الله بن محمد قالا : حدثنا عمر ابن الحسن أبو حفيص القاضي الحلبي قال : حدثنا محمد بن كامل بن ميمون الزيات قال : حدثنا محمد بن اسحق العكاشي قال : حدثنا الأوزاعي قال : قدمت المدينة في خلافة هشام ، فقلت : من هاهنا من العلماء ؟ قالوا : هاهنا محمد بن المنكدر ، ومحمد بن كعب القرظي ، ومحمد بن علي بن عبد الله بن عباس ، ومحمد ابن علي بن الحسين بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : والله لا بد أن أبدأ بهذا قبلهم ، قال : فدخلت المسجد فسلمت فأخذ بيدي فأدناني منه فقال : من أي إخواننا أنت ؟ فقلت له : رجل من أهل الشام ، قال : من أي أهل (٢٠٥ ــ ظ) الشام ؟ قلت : رجل من أهل دمشق ، قال : نعم ، أخبرني أبي عن جدي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول للناس : ثلاث معاقل فمعقلهم من الملحمة الكبرى التي تكون بعمق أنطاكية دمشق ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ، ومعقلهم من يأجوج ومأجوج طور سيناء »[1] .

ونقلت من كتاب الملاحم والفتن تأليف نعيم بن حماد مما رواه عنه أبو بكر ابن أبي مريم ، وأنبأنا عبد العزيز بن الحسين قال : أخبرتنا به الحرة عفيفة بنت أحمد قالت : أخبرتنا فاطمة قالت أخبرنا ابن ريذة قال : أخبرنا الطبراني قال : أخبرنا المرادي قال : حدثنا نعيم قال : حدثنا أبو عمر عن ابن لهيعة عن عبد الوهاب ابن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث عن عبد الله قال : لا ينجو من بليتها إلا من صبر على الحصار ، والمعقل من السفياني باذن الله ثلاث مدن للأعاجم ناحية الثغور ، مدينة يقال لها أنطاكية ، ومدينة يقال لها قورس ، ومدينة يقال لها سميساط ، والمعقل من الروم جبل يقال له المعنق »[2] .

---

١ ــ ابن عساكر ١ــ٢٢٨ .

٢ ــ الفتن نسخة لندن ٦٥ ظ ، نسخة استانبول ١١٨ و .

وقال : أخبرنا أبو عبد الله نعيم بن حماد المروزي قال : حدثنا أبو عمر صاحب لنا من أهل البصرة قال : حدثنا ابن لهيعة عن عبد الوهاب بن حسين عن محمد بن ثابت عن أبيه عن الحارث الهمداني عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يكون بين المسلمين وبين الروم هدنة وصلح حتى يقاتلوا معهم عدوا لهم فيقاسمونهم غنائمهم ، ثم ان الروم يغزون مع المسلمين فارس ، فيقتلون مقاتلتهم ويسبون ذراريهم فتقول الروم : قاسمونا الغنائم كما قاسمناكم ، فيقاسمونهم الاموال (٢٠٦ـو) وذراري المشركين ، فتقول الروم : قاسمونا ما أصبتم من ذراريكم ، فيقولون لانقاسمكم ذراري المسلمين أبدا! ، فيقولون : غدرتم ، فترجع الروم الى صاحبهم بالقسطنطينية ، فيقولون : ان العرب غدرت بنا ونحن أكثر منهم عددا وأتم منهم عده وأشد منهم قوة فأمدنا نقاتلهم ، فيقول : ماكنت لأغدربهم وقد كانت لهم الغلبة في طول الدهر علينا ، فيأتون صاحب رومية فيخبرونه بذلك فيوجه بثمانين غاية تحت كل غاية اثنا عشر ألفا في البحر ، ويقول لهم صاحبهم : اذا أرسيتم بسواحل الشام فحرقوا المراكب لتقاتلوا عن أنفسكم فيفعلون ذلك، ويأخذون أرض الشام كلها برها وبحرها ما خلا مدينة دمشق والمعنق ويخربون بيت المقدس •

قال : فقال ابن مسعود : وكم تسع دمشق من المسلمين ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : والذي نفسي بيده لتتسعن على من يأتها من المسلمين كما تتسع الرحم على الولد ، قال : قلت : وما المُعْنِق يانبي الله ؟ قال : جبل بأرض الشام من حمص على نهر يقال له الأرْنَط ، فتكونَ ذراري المسلمين في أعلى المُعْنِق والمسلمون على الأرنط يُقاتلونهم صباحاً ومساءٍ ، فإذا أبصر ذلك صاحب القُسطنطينية ، وَجهّ في البر إلى قِنَّسرين ثلاثمائة ألف حتى تجيئهم مادة اليمن سبعون ألفاً ، أَلّفَ الله قلوبهم بالإيمان ، فيهم أربعون ألفاً من حمير حتى يأتوا بيت المقدس (٢٠٦ ـ ظ) فيقاتلون الروم ، فيهزمونهم ، يخرجونهم من جند إلى جند حتى يأتوا

قِنَّسرين ، وتجيئهم مادة الموالي ، قال : قلت وما مادة الموالي يارسول الله ؟ قال : هم عتاقتكم ، وهم منكم قوم يجيئون من قبل فارس فيقولون : تعصبتم يامعشر العرب لانكون مع أحد من الفريقين ، أو تجتمع كلمتكم ، فتقاتل نزار يوماً واليمن يوماً والموالي يوماً فيُخرجون الروم الى المعنق ، وينزل المسلمون على نهر يقال كذا وكذا ، والمشركون على نهر يقال له الرقية ، وهو النهر الاسود ، فيقاتلونهم ،فيرفع نصره عن العسكرين وينزل صبره عليهما ، حتى يُقتل من المسلمين ثلث ،ويفر ثلث ويبقى الثلث ،فأما الذين يقتلون فشهيدهم كشهيد عشرة من شهداء بدر،يشفع الواحد من شهداء بدر لسبعين ، وشهيد الملاحم يشفع لسبعمائة ، وأما الثلث الذين يفرون فإنهم يفترقون ثلاثة أثلاث ، ثلث يلحقون بالروم يقولون لو كان لله بهذا الدين من حاجة لنصرهم ، وهم مسلمة العرب بهراء وتنوخ وطيء وسليح ، وثلث يقولون منازل آبائنا وأجدادنا ، وحيث لاينالنا الروم أبداً ، مرّوا بنا مرّوا بنا إلى البدو ، وهم الأعراب ، وثلث يقولون : ان كل شيء كاسمه ، وأرض الشام كاسمها الشؤم، فسيروا إلى أرض العراق واليمن والحجاز حيث تخاف الروم ، وأما الثلث الباقي فيمضي بعضهم إلى بعض يقولــون : الله الله (٢٠٧ ــ و) دعوا عنكم العصبية ، ولتجتمع كلمتكم ، وقاتلوا عدوكم فإنكم لن تنصروا ماتعصبتم ، فيجتمعون جميعاً ويتبايعون على أن يقاتلوا حتى يلحقوا باخوانهم الذين قتلوا ، فاذا أبصر الروم الى من تحول إليهم ، ومن قتل ،ورأوا قلة المسلمين قام رومي بين الصفين ومعه بَنْدٌ في أعلاه صليب ، فيقول : غلب الصليب غلب الصليب ، فيقوم رجل من المسلمين بين الصفين ومعه بند فينادي : بل غلب أنصــار الله وأولياؤه ، فيغضب اللــه علــى الذين كفروا من قولهم : « غلــب الصليب » ، فيقــول : ياجبريل أغــث عبادي ، فينحدر في مائة ألف من الملائكة ،ويقول : ياميكائل أغث عبادي ، فينحدر في مائتي ألف من الملائكة ، ثم يقول : ياإسرافيل أغث عبادي ، فينحدر إسرافيل في ثلاثمائــة ألف من الملائكة ، وينزل الله نصره على المؤمنين ، وينزل بأسه على الكفار فيُقتلون

ويُهزمون ويسير المسلمون في أرض الروم حتى يأتوا عَمورية ، وعلى سورها خلق كثير يقولون : مارأينا شيئاً أكثر من الروم كم قتلنا وهزمنا وما أكثرهم في هذه المدينة ، فيقولون : آمنونا على أن نؤدي اليكم الجزية فيأخذون الأمان لهم ولجميع الروم على أداء الجزية ، وتجتمع اليهم أطرافهم فيقولون : يامعشر العرب ان الدجال قد خالفكم إلى ذراريكم ، والخبر باطل ، فمن كان فيهم منكم فلا يلقين شيئاً مما معه ، فإنه قوة لكم على ما بقي (٢٠٧ ـ ظ) فيخرجون فيجدون الخبر باطلاً ، وتثب الروم على من بقي في بلادهم فيقتلونهم حتى لايبقى بأرض الروم عربي ولاعربية ولا ولد عربي إلاّ قتل ، فيبلغ ذلك المسلمين فيرجعون غضباً لله فيقتلون مقاتلتهم ويسبون الذراري ، ويجمعون الاموال ، لا ينزلون على مدينة ولا على حصن فوق ثلاثة أيام حتى يفتح لهم ، وينزلون على الخليج ، ويمد الخليج حتى يفيض فيصبح أهل قُسطنطينية يقولون : الصليب مدّ لنا بحرنا ، والمسيح ناصرنا فيصبحون والخليج يابس ، فتضرب فيه الأخبية ويحسر البحر عن القُسطنطينية ، ويحوط المسلمون ليلة الجمعة بالتحميد والتكبير والتهليل إلى الصباح ليس فيهم نائم ولا جالس ، فإذا طلع الفجر كبرّ المسلمون تكبيرة واحدة ، فيسقط مابين البُرجين فيقول الروم : إنما كنا نقاتل العرب فالآن نقاتل ربنا وقد هَدَم لهم مدينتنا وخربها لهم فيمكنون بأيديهم ، ويكيلون الذهب بالأترسه ، ويقسمون الذراري حتى يبلغ سهم الرجل منهم ثلاثمائة عذراء ، ويتمتعون بما في أيديهم ما شاء الله ، ثم يخرج الدجال حقاً ، ويفتح الله القُسطنطينية على يدي أقوام هم أولياء الله ، ويرفع الله عنهم الموت والمرض والسقم حتى ينزل عليهم عيسى بن مريم ، فيقاتلون معه الدجال [1] .

وقال أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي مريم : وأخبرني عمرو بن (٢٠٨ ـ و) قيس عن أبي بحيرة قال : لتسيرن الروم حتى ينزلوا دير بَهْراء حتى

---

١ ـ الفتن نسخة لندن ١١٥ ظ ـ ١١٧ و ؛ نسخة استانبول ٦٣ ـ و ٦٤ و .

يضع ملكهم صليبه وبنوده على هذا التـل تل قحمايا فيكون أول هلاكهم على يد رجل من أنطاكية يدعوا الناس فينتدب معه رجـال من المسلمين ، فهو أول من يحمل عليهم فيهلكهم الله (١) .

كتب الينا أبو محمد أحمد بن الازهر بن عبد الوهاب بن السباك من بغـداد أن القاضي أبا بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد ، المعروف بقاضي المارستان ، أنبأهم أن أبا محمد الحسن بن علي بن محمد الجوهري أخبرهم فيما أذن لهم فيه قال : أخبرنا أبو عمر محمـد بن العباس بن زكريا بن حيويـة قال : أخبرنا أبـو الحسين أحمد بن جعفر بن محمد المنادي قال : أخبرني أبو سليمان عبد الله بـن جرير الجواليقي قال : أخبرني رجل من أهل الكتاب موصوف بجمع الملاحم أن هذا الكتاب يعني كتاب دانيال عليه السلام عندهم مسموع من كبرائهم لا يكادون يدفعونه إلا الى من يثقون بكتمه ليعرفهم بما يتضمنه من عجائب الملاحم : فأخذت من أبي سليمان ما يكون من الملاحم الآتية ، وتركت كتب الماضية ، فابتدأت مـن ذلك بآخر عهد المعتمد ، ثم آخر الكتاب ، فذكر دانيال عليه السلام في كتابه هذا ، وذكر ابن المنادي أشياء من الملاحم اختصرتها أنا وذكرت ما يتعلق بحلب وأعمالها فمنها أنه قال :

ويطوي الله الارض للظاهر الخارج من مكة واسمه محمد بن علي من ولـد السبط الاكبر الحسن بـن علي فيتسمى (٢٠٨ ــ ظ) بالامـام الحسني ، فيبلغ البيداء من يومه .

وذكر حديث السفياني وهلاكه وهـلاك جيشـه الى أن قال : ثم ان الحسني يستخلف على العراقين وما ولا هما ويخرج الى الروم ، فيكتب ملك الروم الى ملك الصقالبة ان هذا العدو الذي قدم لقتالي اذا هزمني أقبل اليك ، فأمدني أكفـك

١ ــ نفس المصدر نسخة لندن ١٢٤ ظ ، نسخة استانبول ٣٢ ــ ظ .

أمره ، فيمده ويكتب الى صاحب أرمينية بمثل ذلك ، فأما صاحب أرمينية فقد شغله صاحب الحسني فلا يجيبه بلا ولا نعم ، ويحارب الحسني الروم فيفتح منها مدنا وحصونا كثيرة ، ويقيم بطرسوس ، ويبث أصحابه وجيوشه في جميع الثغور فكلهم ينصرهم الله ، فيفتح الوجه الذي هو فيه ويغنم ، وذكر بعد ذلك فتح الحسني قسطنطينية وهرب ملكها وقد قسم السبي وغنم ما يعجز عن قسمته حتى يكيل الذهب والفضة بالترس ، وذكر خوارج يخرجون على أصحاب الحسني في البلاد .

ثم قال : ويخرج أصحاب الحسني في كل الوجوه فينصرهم الله في الوجوه كلها ، ويفتحون البلدان ، ويصفو الامر للحسني ، وقد كان ملك الروم لما بلغه أن الخوارج قد خرجوا على الحسني حلف وهو بالرومية خلف قسطنطينية أن يخرج الى أرض الاسلام ، فيغلب على ما قدر عليها من مدنها ، ويدخلها كما دخل الحسني قسطنطينية ، ويرجع الى قسطنطينية ، ثم تجتمع بطارقته عنده ويسير الى طرسوس، ثم يخرج منها حتى يأتي الفرات ، ويمهله الحسني (٢٠٩ ــ و) حتى يأتي حران ، ثم يأخذ عليه الحسني من ورائه ومن قدامه ، فيقتل أصحابه ويأخذ صلبانهم ،وينزع ملك الروم ثيابه ويلبس ثياب أهل طرسوس ويتزيا بزي أهل الثغر ، ويتقلد سيفا ويركب بغلا ، ويلطخ فمه بدم ، فكلما تلقاه رجل من المسلمين أومأ اليه بيده كأنه يسلم عليه ، ويدعو له ، فيظن أنه رجل من أهل الثغر قد أصابه ذلك في جهاده الروم ، فلا يزال كذلك حتى يأتي طرسوس ، ثم يضرب الى الروم وينادي [1] ويسأل هل رأيتم الطاغية ؟ فيقولون : هرب ، ولو كان في القتلى وجدناه ، فيولي الولاة ، ويوجههم في وجوه بلدان الاسلام كلها وقد استقام أمر الاسلام كله ، ثم يخرج في أصحابه فيجاهد الروم ، ويرسل اليه ملك الروم ويخبره بحيلته التي نجا

١ ــ أي الحسني .

بها ، ويسأله الصلح والرجوع ويخوفه فساد بـلاده ان هو اشتغل بقتال الروم ، فيقول لـه لسنا نقاتلك على الاموال والغنائم ، انما نقاتلك على أن يكون الدين دين الاسلام •

قال : فيقرأ ملك الروم كتابه على بطارقته ويقول لهم : لا يكون هـذا أحرص على الجهاد منكم ، فيقولون له : صدقت ، فاخرج بنا اليه ، فيجتمعون ويخرجـون الى الحسني في ألف صليب ، تحت كل صليب جمع كبير ، ويلقاهم الحسني ، فيقتل منهم كل يوم مقتلة عظيمة لا تحصى ، وينهزمون ويتبعهم حتى يبلغ بهم القسطنطينية ويحاصرهم أيضا ، ويضيق عليهم ويسألونه الصلح فيأبى ذلك عليهم فيهزمون عنها (٢٠٩ ــ ظ) الى رومية ويخلونها له فيدخلها في أصحابه فيهدمون بيعتها العظمى بعد أخذهم بيت مذبحها وصلبانـه ، ويحرثون قسطنطينيـة ، ويهدمون سورها ويقيمون فيها وفيما حولها ، ويريدون المسير الى رومية ، فيرسل الحسني جيشـا الى ملك الصقالبة فيهزمونه أيضا ، ويأخذون بعض بلاده •

ويخرج بإصطخر من فارس رجل أعور يدعي أنه الدجال ، ويسمي نفسه فيقول أنا الإله ، واقتص قصة خروج الدجال ، ونزول عيسى بن مريم ، وقال : ثم يقول المسيح للحسني وأصحابه : دونكم أصحاب الدجال ، فكل من لا يقول لاإله إلاّ الله وحده لا شريك له ، فاقتلوه فيضعون فيهم السلاح فيقتلونهم عن آخرهم ، ثم يقول المسيح عيسى للحسني : قد قضيت ما عليك ووجب أجرك ، وهذا آخرهم ،ثم من الدنيا ، ويأتيه ملك الموت ، فيقبض روحه بأهون ما قبض أحدا من الناس طيبة بذلك نفسه ، ثم ذكر بعد ذلك قصة المهدي وبيعته •

كتبت الينـا زينب بنت عبـد الرحمن الشعري مـن نيسابـور أن أبا المظفر القشيري أنبأها قال : أخبرنا الامام أبو بكر البيهقي قال : أخبرنا الحاكم أبو عبدالله الحافظ قال : حدثنا محمد بـن صالح بن هانيء قال : حدثنـا الفضل بن محمـد

الشعراني قال : حدثنا عبد الصمد بن صالح قال : حدثنا الليث بن سعد عن أبي قبيل عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : للدجال آيات معلومات اذا غارت (٢١٠ ــ و) العيون ، ونشفت الانهار ، واصفر الريحان ، وانتقلت مذحج وهمدان من العراق فنزلت قنسرين ، فانتظروا الدجال غاديا أو رائحا .

قال الحاكم هذا حديث صحيح الاسناد ، ولم يخرجاه .[1] .

أخبرنا الشريف افتخار الدين أبو هاشم عبد المطلب بن الفضل بن عبد المطلب الهاشمي قال أخبرنا أبو الفتح أحمد بن الحسين بن عبد الرحمن الشاشي قال : أنبأنا أبو المعالي محمد بن محمد بن زيد الحسيني قال : أخبرنا الحسن بن أحمد الفارسي قال : أخبرنا دعلج بن أحمد العدل قال : حدثنا محمد بن علي قال :حدثنا سعيد بن منصور قال : حدثنا يونس بن أبي يعقوب قال : حدثني أبي أبو يعقوب عن مسلم أبي سعيد قال : كنت مع ابن مسعود رضي الله عنه فوضع يده علي يتوكأ حتى دخل ــ يعني دارا قريبة من باب السوق ــ فرأى فيها غضارة من عيش من رقيق وحشم وخيل وهدايا ودواجن من الغنم ، فقال : يا أبا سعيد يعجبك ما ترى هاهنا ؟ قلت : أي والله يا أبا عبد الرحمن ، فقال : والذي نفس عبد الله بيده لئن بقيت قليلا لتختار أن لك بالدنيا وما فيها بعيرا تقتنيه ، ثم أشار بيده نحو المغرب ، ثم قال : طريق المسلمين هاربين من الدجال ملطاط الفرات الى الشام ، فذكر الحديث .

أخبرنا أبو جعفر يحيى بن جعفر بن عبد الله بن الدامغاني البغدادي الصوفي قراءة عليه بحلب قال : أخبرنا أبي قال : أخبرنا أبو العز محمد بن المختار بن محمد قال : أخبرنا أبو علي الحسن بن علي بن المُذهِب قال : (٢١٠ ــ ظ) أخبرنا

١ ــ المستدرل للحاكم طبعه مصورة عن طبعة حيدر أباد ، الرياض ، ٤ـ٤٥٩ ، وفيه : نزفت الانهار .

أبو بكر أحمد بن جعفر بن حمدان القطيعي قال : حدثنا عبد الله بن أحمد بن محمد ابن حنبل قال : حدثنا أبي قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا المسعودي عن حمزة العبدي ــ أو العيدي ــ قال : حدثنا أشياخنا قال : خرج ابن مسعود فنادى نداءً ، ولم يناج نجاءً ، فقال : الملطاط شاطىء الفرات طريق بقية المؤمنين ، هُرّاب من الدجّال ، فبئس المنتظر أم الساعة : « فالساعة أدهى وأمر » (١) ، ثم أخذ حصاةً فقال بها على ظفره : هكذا ما خروجه بأنفض لإيمان مؤمن ما نفضتُ هذه الحصاة من ظفري .

وقرأت في كتاب الملاحم والفتن لنعيم بن حماد راوية أبي بكر بن أبي مريم عنه من نسخة قرئت على أبي بكر قال : حدثنا نعيم .

وأنبأنا عبد العزيز بن هلالة قال : أخبرتنا به عفيفة بنت أحمد قالت أخبرتنا فاطمة قالت : أخبرنا ابن ريذة قال : أخبرنا الطبراني قال : أخبرنا عبد الرحمن قال : حدثنا نُعيم قال : حدثنا الحكم بن نافع عن جراح عن أرطاة قال : تفتح القسطنطينية ثم يأتيهم الخبر بخروج الدجال ، قال : فيكون باطلا ، ثم يقيمون ثلاث سَبْعَ سابوع فتمسك السماء في ثلث السنة ثلث مطرها ، وفي السنة الثانية ثلثيها ، وفي الثالثة تمسك قطرها أجمع ، فلا يبقى ذو ظفر ولا ناب إلا هلك ، ويقع الجوع فيموتون حتى لا يبقى من كل سبعين عشرة ، ويهرب الناس الى جبال الجوف الى أنطاكية ، ومن علامة خروج الدجال ريح شرقية ليست بحارة ولا باردة ، تهدم صنم اسكندرية ، وتقلع زيتون المغرب والشام من أصولها ، وتيبس الفرات والعيون والأنهار وتنسى (٢١١ ــ و) لها مواقيت الأيام والشهور ومواقيت الأهلة (٢) .

---

١ ــ القرآن الكريم ، سورة القمر ٥٤ ــ ٤٦ .
٢ ــ الفتن نسخة لندن ١٤٨ و ، نسخة استانبول ٢٣ و .

وقال أبو بكر عبد الله بن أبي مريم حدثنا محمد بن يوسف الفريابي قال: حدثنا سفيان عن مسلمة بن كهيل عن أبي الزعراء قال: ذكر عن ابن مسعود الدجال فقال: تفترقون أيها الناس بخروجه على ثلاثة فرق، فرقة تتبعه، وفرقة تلحق بأرض آبائها بمنابت الشيح، وفرقة تأخذ شاطىء الفرات يقاتلهم ويقاتلونه حتى يجتمع المؤمنون بقرى الشام، فيبعثون إليه طليعة فيهم فارس على فرس أشقر أو أبلق فيقتلون لا يرجع منهم بشر(★).

أنبأنا أبو القاسم بن الحرستاني عن أبي محمد عبد الكريم بن حمزة قال: أخبرنا أبو الحسن بن أبي الحديد قال: أخبرنا جدي أبو بكر قال: حدثنا أحمد ابن محمد بن سعيد بن خالد الخشني قال: حدثنا أبو علي الحسن بن عوانة الكلابي، من كفر بطنا، قال: حدثنا محمد بن نصر النيسابوري قال: حدثنا محمد بن بدر الملطي قال: حدثنا كُثَيِّر بن الربيع بن مُرازم السلمي قال: حدثنا سفيان بن عيينة عن الزهري عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « يا أنس لا تُؤذن علي اليوم أحدا »، فجاء أبو بكر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم جاء عمر فاستأذن فلم يؤذن له، ثم جاء علي فاستأذن فلم يؤذن له، فرجع علي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضباً فدخل عليه الحجرة، والنبي صلى الله عليه وسلم يصلي، فجلس علي محمر قفاه، فلما انصرف النبي صلى الله عليه وسلم أخذ برقبته فقال له: « ياعلي لعلك أمكنت الشيطان من رقبتك »، قال: وكيف لا (٢١١ ـ ظ) أغضب وهذا أبو بكر صاحبك ووزيرك استأذن عليك فلم يؤذن له، وهذا عمر بن الخطاب صاحبك ووزيرك استأذن عليك فلم يؤذن له، وأنا ابن عمك وصهرك استأذنت عليك فلم يؤذن لي، وجاءك رجل من بني سُليم فأذنت

★ ـ كتب ابن العديم في الحاشية سماعا نصه: قرأ من موضع البلاغ الولد عبد الرحمن وسمع أخوه محمد وابن اختهما في العشر الاواخر من ذي الحجة من السنة.

له ، فقال : اسكت ياعلي ، يأبي الله لسُليم إلا حباً ، ياعلي إنْ جبريل أمرني أن أدفع الراية الى بني سُليم ، ياعلي إن لله ملائكة سياحين مشبهين برجال مـن بني سُليم يتصفحون وجوه بني سُليم فإذا لقيتم الشيخ الكبير منهم ، فسلوه أن يدعو الله لكم فإنه تستجاب دعوتهم ، يا علي إن بني سُليم رضى الاسلام ، يا علي إن بني سُليم رِدءُ الإسلام ، يا علي إن الله ادّخر بني سُليم الى آخر الزمان ، يا علي إنه إذا كان في آخر الزمان يخرج من النواحي معهم أحياء من العرب من عَكٍّ وسُليم وَبهراء وجُذام وطيء ، فينتهون الى مدينة يقال لها نصيبين ، فيكون من فسادهم أمر عظيم ، فينتهون الى مدينة يقال لها آمد ، فيغلبون عليها ، فيفزع الناس منهم ويدخلون في حصونهم ، ثم ينتهون الى مدينة يقال لها الرقة ، مدينة يجري على بابها نهر من الجنة ، فيغلبون على مدينة الى جانبها يقال لهـا الرقة السوداء ، فيستبيحون ذراري المسلمين وأموالهم ، فتنتهي طائفة منهم الى نواحي من نواحيها ، فتسبي نساء عَيلان فيغضب لذلك رجـل مـن بني سُليم ، خميص البطن ، أخوص العين ، يقال له فلان ، ويخرج حي من بني عُقيل ، فيلحقون فيدركونهم فيستنقذون (٢١٢ ــ و) ذراري المسلمين وأموالهم ، يا علي رحم الله بني سُليم ، يقتل منهم الثلث ، ويبقى الثلثان ، ثم ينتهون من فورهم ذلك الى مدينة يقال لها مَلطيّة قد غلب عليها العدو ، يا علي رحم الله بني سُليم يقتل منهم الثلثان ، ويبقى الثلث ، يا علي رحم الله بني عُقيل يقتل منهم الثلث ويبقى الثلثان ، يا علي إن في بني سُليم خمس خصال ، لو أن خصلة منها في جميع العرب لافتخرت بها ، إن فيهم من خصب القراء ، وفيهم ثالث ثلاثة ، وفيهم من نزلت براءته من السماء ، وفيهم من نصر الله ورسوله ، وفيهم من الثلاثة الذين خُلّفوا ، يا علي

لو أنَّ خصلة منها في جميع العرب لافتخرت بها ، يا علي لو مالت العرب فرقتين ، فكانت فرقة منها بني سُليم لملت مع بني سُليم ، يا علي إن العرب كلها تختلف في حكمهم ، وإن بني سُليم على الحق ، يا علي حب بني سُليم ، فإن حبهم أمان وبغضهم نفاق ، يا علي لا تخبرهم بما أخبرتك به(★)[1] .

* * *

★ ـ كتب ابن العديم في الحاشية بلاغا نصه : بلغ بدر الدين .

١ ـ انظر لسان الميزان لابن حجر ط . حيدر أباد ١٣٣٠ ، ٤ ـ ٤٨٢ ، ففيه تقويم للحديث .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـه توفيقي

أخبرنا الشيخ العلامة أبو اليُمْن زيد بن الحسن بن زيد الكِندي فيما أذن لنا في روايته عنه قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد بن عمر الحريري قال : أخبرنا أبو القاسم بن البُسري قال : أخبرنا محمد بن جعفر التميمي إجازة قال : أخبرنا أبو سعيد الأحمسي قال : حدثنا الحسين بن حميد قال : حدثنا المسعودي عن القاسم بن عبد الرحمن قال : مَدّ الفرات ، فكره الناس ذلك ، فقال عبد الله : أيها الناس لا تكرهوا مَدّه فإنه يوشك أن يُلتمس فيه ملء طست ماءٍ فلا يوجد ، وذلك حين يرجع كل ماءٍ الى عنصره ، وتكون بقية الماء والمؤمنون بالشام .

هكذا جاء في رواية عبد الرحمن المسعودي منقطعا ليس بين القاسم وابن مسعود أحد ، ورواه الأعمش عن القاسم عن أبيه عن ابن مسعود متصلا .

أنبأنا بها عمر بن محمد المؤدب قال : أخبرنا أبو القاسم بن السمرقندي ، إجازة إن لم يكن سماعاً ، قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن هبة الله بن الحسن قال : أخبرنا أبو الحسين بن الفضل قال : أخبرنا عبد الله بن جعفر قال : حدثنا يعقوب بن سفيان قال : حدثنا قُبيصة قال : حدثنا سفيان عن الأعمش عن القاسم ابن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله قال : شكوا إليه الفرات وقلة الماء ، فقال : يأتي عليكم زمان لا تجدون فيه ملء طست من ماءٍ ، ويرجع كل ماءٍ الى عنصره ويبقى (٢١٣ ــ و) الماء والمؤمنون بالشام .

ففي روايته منقطعا ، وفي هذه عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد الله بن مسعود متصلا ذكر قلة الماء في الفرات ، وفي رواية عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي منقطعا ليس بين القاسم وبين ابن مسعود أحد ذكر كثرة الماء في الفرات •

قال أبو الحسين بن المنادي : ثم إن الروايتين على الاتفاق أن الفرات يقل ماؤه قلة ضارة بالناس والله أعلم •

قلت : ويحتمل أن الاختلاف في الكثرة والقلة إنما جاء لاختلاف الواقعتين بأن يكون ماء الفرات مَدَّ سنة ونقص أخرى ، فقال عبد الله فيه مايؤول حاله إليه•

أخبرنا الشيخ الثقة أبو سعد ثابت بن مشرف بن أبي سعد البناء البغدادي قراءة عليه بحلب قال : أخبرنا مسعود بن الحصين البغدادي قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد بن البسري قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن يحيى ابن عبد الجبار السكري قال : أخبرنا أبو علي اسماعيل بن محمد الصفار قال : حدثنا عباس بن عبد الله الترقفي قال : حدثنا محمد بن يوسف عن سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تذهب الأيام والليالي حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً ويحسر الفرات عن جبل من ذهب ، فيقتتلون عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعين ، وينجو واحد •

وقد رواه علي بن عاصم عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة وزاد فيه أن أبا صالح قال لابنه سهيل : يا بني إن أدركته فلا تقربنه •

أخبرنا بذلك أبو الحجاج يوسف بن خليل بن عبد الله قال : أخبرنا المؤيد عبد الرحيم بن الأخوة وصاحبته عين الشمس قالا : أخبرنا أبو الفرج سعيد بن أبي الرجاء الصيرفي ، قالت : إجازة ، قال : أخبرنا أبو طاهر الثقفي وأبو الفتح

منصور بن الحسين قالا : أخبرنا أبو بكر بن المقرىء قال : حدثنا أحمد بن مسعود ابن عمرو بن ادريس الزنبري المصري قال : حدثنا أبو غسان مالك بـن يحيى قال : حدثنا علي بن عاصم قال : أخبرني سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تذهب الدنيا حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب فيقتتل الناس عليه ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعون • قال لي أبي : يا بني إن أدركته فلا تقربنه ، قال علي بن عاصم : فحدثت بهذا الحديث شعبة فقال : إني قد سمعته من سهيل ولكن لا أحفظ أنه قال : يا بني إن أدركتـه فلا تقربنه استيقنت أنه قال : يا بني إن أدركته فلا تقربنه ، قلت : نعم • (٢١٣ـظ)

وأخبرنا أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِندي بدمشق قراءة عليه وأنا أسـمع قال : أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن علي بن أحمد المقريء قال : أخبرنا أبو الحسين ابن النقور قال : أخبرنا أبو الحسين محمد بن عبد الله بن الحسين بن أخي ميمي الدقاق قال : حدثنا يحيى بن محمد بن صاعد قال : حدثنا إسحق بن شاهين قال : حدثنا خالد عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يُحسر الفرات عن جبل من ذهب يقتتل الناس عنده ، فيقتل من كل مائة تسعة وتسعين •

وأخبرنا أبو سعد بن مشرف قال : أخبرنا أبو الوقت عبد الأول بن عيسى ابن شعيب السجزي قال : أخبرنا أبو الحسن الداودي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه قال : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن خزيم الشاشي قال : حدثنا أبو محمد عبد بن حميد بن نصر قال : أخبرني ابن أبي شيبة قال : وجدت في كتاب أبي محمد بن أبي شيبة عن عبد الحميد بن جعفر قال : أُخبرت عن سليمان بن يسار عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن أُبيّ بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب ، فإذا سمع

به الناس ساروا إليه ، فيقول الذين عنده لئن تركنا الناس يأخذون منه ليذهبون به ، فيقتتلون عليه حتى يقتل من كل مائة تسعة وتسعون .

وقد رواه حفص بن عاصم بن عمر والأعرج عن أبي هريرة وزاد فيه : فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا .

أخبرنا به أبو روح الهروي (٢١٤ ـ و) في كتابه قال : أخبرنا تميم الجرجاني قال : أخبرنا الحاكم البحاثي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن هرون قال أخبرنا أبو حاتم بن حبان قال : أخبرنا أحمد بن حمدان بن موسى قال : حدثنا أبو سعيد الأشج قال : حدثنا عقبة بن خالد قال : حدثنا عبيد الله بن عمر عن خُبيب بن عبد الرحمن عن حفص بن عاصم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك الفرات أن يحسر عن كنز من ذهب فمن حضره فلا يأخذ منه شيئاً .

وقال ابن حبان : أخبرنا أحمد بن حمدان في عَقِبه قال : حدثنا الأشج قال : حدثنا عقبة بن خالد قال : حدثنا عبيد الله بن عمر قال : حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم مثله إلا أنه قال : يحسر عن جبل من ذهب .

وقد رواه الحسين بن حميد عن عبد الله بن سعيد الكندي عن عقبة بن خالد عن عبيد الله بن عمر عن خُبيب بن عبد الرحمن عن جده حفص بن عمر ، وهو جد عبيد الله بن عمر بن حفص بن عمر وليس بجد خُبيب ، وزاد فيه من ذهب ومن فضة .

أخبرنا به أبو اليمن الكندي إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله بن أحمد الحري قال أخبرنا أبو القاسم بن البسري قال : أخبرنا محمد بن جعفر التميمي

إجازة قال : أخبرنا أبو سعيد الأحسي قال : حدثنا الحسين بن حميد قال : حدثنا عبد الله بن سعيد الكندي قال : حدثنا عقبة بن خالد قال : حدثنا عبيد الله بن عمر عن خبيب بن عبد الرحمن عن جده حفص بن عمر عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يوشك الفرات أن يحسر (٢١٤ ـ ظ) عن كنز من ذهب ومن فضة ، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئا •

ورواه إسحق مولى المغيرة بن نوفل عن المغيرة بن نوفل عن أُبيّ بن كعب وقال فيه : فيقتل تسعة أعشارهم •

أنبأنا به أبو روح الهروي قال : أخبرنا تميم الجرجاني قال : أخبرنا الحاكم البحاثي قال : أخبرنا محمد بن أحمد بن هرون قال : أخبرنا أبو حاتم بن حبان قال : أخبرنا يحيى بن أحمد بن عمرو بالفسطاط قال : حدثنا إسحق بن إبراهيم ابن العلاء الزبيدي قال : حدثنا عمرو بن الحارث قال : حدثنا عبد الله بن سالم عن الزبيدي قال أخبرني محمد بن مسلم قال : أخبرني إسحق مولى المغيرة بن نوفل أن المغيرة بن نوفل أخبره عن أُبيّ بن كعب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن تل من ذهب ، فيقتتل عليه الناس فيقتل تسعة أعشارهم •

وقرأت في كتاب الملاحم والفتن لنعيم بن حماد رواية أبي بكر بن أبي مريم قال : حدثنا نعيم •

وأنبأنا عبد العزيز بن هلاله قال : أخبرتنا به عفيفة بنت أحمد بن عبد الله قالت : أخبرتنا فاطمة الجوزدانية قالت أخبرنا أبو بكر بن ريذة قال أخبرنا الطبراني قال : أخبرنا المرادي قال حدثنا نعيم قال : حدثنا مروان عن ابن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن حذيفة أنه قال لعروة بن أبي الجعد البارقي ، ونظر

الى الفرات ، فقال : كيف أنتم حين تخرجون منها لاتذوقون منه قطرة ؟ فقال له عروة: تظـن ذلك ؟ قال : لا بـل أستيقنـه .

أنبأنا الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد بن أحمـد المقدسـي قال : أخبرنا أبو اسماعيل داود بن محمد بن أبي منصور بن مَاشَاذَه بأصبهان أن فاطمة بنت عبد الله الجوزدانية أخبرتهم قراءة عليها وهو حاضر قال : أخبرنا محمد بن عبد الله (٢١٥ ــ و) بن رِيْذه قال : أخبرنا سليمان بن أحمد الطبراني قال : أخبرنـا أبو زيد عبد الرحمن بن حاتم المرادي قال : حدثنا نعيم بن حماد قال : حدثنا يحيى ابن سعيد العطار وأبو المغيرة عن ابن عياش عن عبد الله بـن دينار عن كعب قال : تنزل الترك آمِد وتشرب من الدجلة والفرات ويسعون في الجزيرة وأهل الإسـلام من الحيرة لا يستطيعون لهم شيئاً ، فيبعث الله عليهم ثلجاً بغير كيل فيه صرٌ مـن ريح شديدة وجليد فإذا هم خامدون ، فإذا أقاموا أياماً قام أمير أهـل الإسـلام في الناس فيقول : ياأهل الإسلام ألا قوم يَهبون أنفسهم لله ، فينظروا مافعل القـوم، فينتدب عشرة فوارس فيجيزون إليهم فإذا هم خامدون ، فيرجعون فيقولون إن الله قد أهلكهم وكفاكم ، هلكوا مـن عنـد آخرهـم .

قال ابن عياش : وأخبرني عتبة بن تميم عن الوليد بن عامر اليَزَني عن زيد بن جُبَيَر ، وفي نسخة يزيدبن جُبَيَر ، عن كعب قال : ليردن الترك الجزيـرة حتـى يسقوا خيولهم من الفرات ، فيبعث الله عليهم الطاعون فـلا يُفلت منهم إلا رجـل واحـد [1] .

وأخبرنا أحمد بن الأزهر بن عبد الوهاب في كتابه قال : أنبأنا أبو بكر محمـد ابن عبيد الباقي قال : أخبرنا أبو محمد الجوهري فيما أذن لنا في الرواية عنه قال : أخبرنا أبو عمر بن حَيَّوية قال :أخبرنا أبو الحسين بن المنادي قال :حدثنا أبوموسى

١ ــ الفتن نسخة لندن ١٨٩ ظ ، نسخة استانبول ١٢١ ظ .

محمد بن هارون أن موسى الأنصاري قال : حدثنا أحمد بن عبد الرحمن بن المفضل الحَرّاني المعروف الكُزْبَراني قال : حدثنا عثمان بن عبد الرحمن ـ هو الطوايبقي قال : حدثنا عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن أبيه أنه سمع مَكحولاً يقول : لا تنقضي الدنيا حتى يرد الترك الفرات .

وقرأت في كتاب الملاحم والفتن تأليف نعيم بن حماد ، رواية أبي بكر بن أبي مريم من نسخة قرئت عليه قال : حدثنا نعيم بن حَماد .

وأنبأنا عبد العزيز بن هلاله قال : أخبرتنا عَقيفة بنت أحمد بن عبد الله قالت : أخبرتنا فاطمة الجوزدانية قالت : أخبرنا أبو بكر بن ريْذه قال : أخبرنا الطبراني قال: أخبرنا عبد الرحمن قال : حدثنا نعيم قال : حدثنا الوليد عن ابن جابر وغيره عن مكحول عن النبي صلى الله عليه وسلم : للترك خرجتان إحديهما يخربون أذربيجان والثانية يشرعون منها على ثِني الفرات ، قال : فيرسل (٢١٥ـ ظ) الله على جُننهم الموت ، يعني دوابهم ، فيرجلهم ، فيكون فيهم ذبح الله الأعظم ، لا ترك بعدها .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا يحيى بن سعيد وأبو المغيرة عن ابن عياش قال: وأخبرني رجل من آل حبيب بن مَسْلَمه عن الحكم بن عُتَيبه قال : يخرجون فلا يُنَهْنِهُهُم دون الفرات شيء ، أصحاب ملاحمهم وفرسان الناس يومئذ قيس عيلان فتستأصلهم ، لا ترك بعدها .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا الوليد عن ابن آدم عن أبي الأعبس عن كعب قال : يشرع الترك على ثِني الفرات فكأني بذوات المعصفرات يَطْفِقْن على ماء الفرات .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن أيوب عن ابن سيرين

عن ابن مسعود قال : كأني بالترك قد أتتكم على براذين مخذمه الآذان حتى يربطوها بشط الفرات (١) .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا بَقية عن أم عبد الله عن أخيها عبد الله بن خالد عن أبيه خالد بن مَعْدَان عن معاوية قال : إتركوا الرايضة ماتركوكم فإنهم سيخرجون حتى ينتهوا الى الفرات فيشرب منه أولهم ويجيء آخرهم ، فيقولون : قد كان هاهنا ماء (٢) .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا الحكم بن نافع عن جَراح عن أرطاة عمن حدثه عن كعب قال : قال عبد الله بن عُمر : ثم يبعث الله بعد قبض عيسى وأرواح المؤمنين بتلك الريح الطيبة ناراً تخرج من نواحي الأرض تحشر الناس والدواب والذَرّ الى الشام (٢١٦ ــ و) .

قال كعب : وتخرج تلك النار من القُسطنطينية نار وكبريت يبلغ لهبها ودخانها السماء فتركد عند الدروب بين جَيْحان وسَيْحان ، ونار أخرى من عدن تبلغ بُصرى ، تقوم إذا قاموا ، وتسير إذا ساروا ، وإن الفرات ليجري ماؤه أول النهار ، وبالعشي يجري كبريتاً وناراً ، وذكر تمام الحديث .

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا عبد الوارث عن حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن رجل عن أبي هريرة قال : تخرج نار من قبل المشرق ونار أخرى من قبل المغرب تحشران الناس بين أيديهم القِرَدَه ، تسيران بالنهار ، وتكمنان بالليل حتى تجتمعا بجسر مَنْبج (٣)

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا أبو يوسف المقدسي عن صفوان بن عمرو عن

---

١ ــ الفتن نسخة لندن ١٩١ ظ ، نسخة استانبول ١٢٣ و .
٢ ــ نفس المصدر نسخة لندن ١٩١ و ، نسخة استانبول ١٢٢ ظ .
٣ ــ الفتن نسخة لندن ١٧٥ ظ ــ ١٧٦ ظ ، نسخة استانبول ١٣٣ و ــ ١٣٤ و .

عبد الله بن بسر الحمصي عن كعب قال : المهدي يبعث بقتال الروم ، يعطى قوة عشرة، يستخرج تابوت السكينه من غار بأنطاكية فيه التوراة التي أنزل الله على موسى ، والانجيل الذي أنزل الله على عيسى ، يحكم بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الانجيل بانجيلهم •

وقال : حدثنا نعيم قال حدثنا عبد الرزاق عن معمر عن مَطَرٍ الوَرّاق عمن حدثه عن كعب قال : إنما سمي المهدي لأنه يهدي لأمر قد خفي ، ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية •

وقال : حدثنا نعيم قال : حدثنا يحيى بن اليمان عن المنهال بن خليفة عن مطر الوراق قال: المهدي يخرج التوراة غضة ــ يعني طرية ــ من أنطاكية (٢١٦ــظ)[١] •

أنبأنا أبو اليُمن الكِنْدي قال : أخبرنا الفراء قال : أخبرنا أبو بكر الحافظ قال : أخبرنا الحسين بن علي قال : أخبرنا أبو سليمان الحَرّاني قال : حدثنا محمد ابن الحسن قال : حدثنا أحمد بن سَلَم قال : حدثنا عبد الله بن السَّري عن أبي عمر البَزاز عن مُجالد عن الشَعبي عن تميم الداري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم : ولا تذهب الأيام والليالي حتى يسكنها ــ يعني أنطاكية ــ رجل من عترتي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي ، يشبه خَلْقه خَلْقِي وخُلْقه خُلْقِي ، يملأ الدنيا قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً •

أخبرنا أبو محمد صقر بن يحيى بن صقر الحلبي الشافعي قاضي مَنْبج قراءة عليه قال : أنبأنا أبو طاهر هاشم بن أحمد بن عبد الواحد بن هاشم المَعْدّل قال : أخبرنا أبو الأسوار عمر بن مُنَخل الدَرْبَنِدي بحلب قال : حدثنا محمد بن أبي نصر بن أبي بكر اللفتواني من لفظه بأصبهان قال : أخبرنا أحمد بن عبد الغفار ،

---

١ ــ نفس المصدر نسخة لندن ٩٧ ظ ــ ٩٨ و ، نسخة استانبول ٥٠ و ــ ظ • وفيهما ، قال : المهدي يبعث بقتال الروم ، يعطى فقه عشره •

وتميم بن عبد الواحد ، وعمر بن أحمد بن عمر الأصبهانيون بها قالوا : أخبرنا أبو سعيد محمد بن علي بن عمرو بن مَهْدي قال : أخبرنا أبو القاسم الطَّبَراني قال : حدثنا أبو عبد الملك أحمد بن إبراهيم القرشي الدمشقي بدمشق سنة سبع وسبعين قال : حدثنا سليمان بن عبد الرحمن بن بنت شُرَحبيل قال : حدثنا إسماعيل بن عياش عن يحيى بن أبي عمرو السَّيباني عن عبد الله بن الديلمي قال : أتى رجل ابن عباس قال : بلغنا أنك تذكر سَطِيحاً تزعم (٢١٧ – و) أن الله عز وجل خلقه ، لم يخلق من ولد آدم شيئاً يشبهه ؟! قال : نعم ، إن الله عز وجل خلق سَطِيحاً الغَساني لحماً على وَضَم ، والوَضَم شِراح من جريد ، وكان يحمل على وضَمه ،فيؤتى به حيث يشاء ، ولم يكن فيه عظم ولا عصب إلا الجمجمه والكفين ، وكان يطوى من رجليه الى ترقوته كما يطوى الثوب ، ولم يكن فيه شيء يتحرك إلا لسانه ، فلما أراد الخروج الى مكه ، حمل على وَضَمه فأتي به ، فخرج إليه أربعة من قريش عبد شمس وعبد مناف ابنا قصي ، والأحوص بن فهر وعَقِيل بن أبي وقاص ، إنتموا الى غير نسبهم وقالوا : نحن أناس من جُمَح أتيناك لنزورك لما بلغنا قدومك ، ورأينا أن إتيانَنا نحوك حق لك واجب علينا ، وأهدى إليه عَقِيل صَفِيحة هندية وصَعْدة رُدَيْنِيَّة ، فوضعت على باب البيت الحرام لينظروا هل يراها سَطِيح أم لا ، فقال : ياعَقِيل ناولني يدك ، فناوله يده ، فقال : ياعَقِيل والعالم الخَفِية ، والغافر الخَطِية ، والذمة الوفية ، والكعبة المبنية انك الجائي بالهندية والصَعْدة الرُدَينية ، فقالوا : صدقت ياسَطِيح ، فقال : والآتي بالفرح وقوس قزح وسائر القرح ، والحَطِيم المُنتطح ، والنخل والرطب والبَلَح ، إن الغراب من حيث مر(★) سَيح فأخبر أن القوم ليسوا من جُمح وأن نسبهم من قريش ذيِ السِطَح ، فقالوا: صدقت ياسَطِيح ، نحن أهل البلد الحرام أتيناك (٢١٧ – ظ) لنزورك لما بلغنا من عملك ، فأخبرنا عما يكون في زماننا وما يكون بعد ، إن يكن عندك علم في ذلك ،

★ – كتب ابن العديم في الحاشية : نسخة ، حيث طار .

فقال : صدقتم والآن خذوا مني إلهام الله عز وجل ، إباي ، أنتم يامعشـر العرب في زمان الهرم ، سواء بصائركم وبصيره العجم ، لا عمل عندكم ولا فهم وينشؤ من عقبكم ذو فهم يطلبون أنواع العلم ، يكسرون الصنم ، يبلغون الردم ، يقتلون العجم يطلبون الغنم .

قالوا : ياسَطِيح من يكون أولئك ؟ قال لهم : والبيت ذي الأركان ، والأمـن والسكان ، ليَنْشُؤَنّ من عقبكم ولدان يكسرون الأوثان ، وينكـرون عبـادة الشيطان ، ويوحدون الرحمن وينشرون دين الديان ، ويستفتون العميان .

قالوا : ياسَطِيح من نشو من يكون أولئك ؟ قال : وأشرف الأشراف والمحصي للأشراف ، والمزعزع الأحقاف ، المضعف الأضعاف ليَنْشُوَن آلاف من عبـد شمس ومناف نشو يكون فيهم إختـلاف .

قالوا : ياسوءتاه ياسَطِيح ، فما تخبر من العلم بأمرهم ، وفي أي بلد هم ،ومن أي بلد يخرج أولئك ؟ فقال : والباقي الأبَد ، والبالغ الأمَد ليخرجن أولئك من ذا البلد نبيّ يهدي الى الرَشَد ، يرفض يَغوث والفَنَد ، ينزه من عبادة المِدَد (★) يعبد رباً إنفرد ، ثم يتوفاه الله محموداً ، من الأرض مفقوداً ، وفي السماء مشهوداً ، ثم يلي أمره الصِديق إذا قضى صدق ، وفي رد الحقوق لا خرق ولا نَزَق ، ثم يلي أمره الحنيف محرب غطريف (٢١٨ ــ و) يترك قول العنيف قد ضَافَ المَضِيف وأحكم التحفيف ، ثم يلي أمره دارع لأمره مُجرب ، فتجتمع له جمـوع وعصـب فيقتلونه نقمة عليه وغضبا ، فيؤخذ الشيخ يذبح إربا ، فتقوم به رجـال خَطْبا ــ يعني عثمان ــ ، ثم يلي أمره الناصر يخلط الرأي برأي ماكـر ، يُظهـر في الأرض العساكر ــ يعني معاوية ــ ، ثم يلي بعده ابنه يأخذ جَمْعه ويقل حمده ، ويأخـذ المال ويأكل وحده ، ويكثر المال من بعده ، ثم يلي بعده عدة ملوك ، الدم فيهم لاشك

★ ــ كتب ابن العديم في الحاشية . خ (أي خطأ) الصدد .

مسفوك ، ثم يلي من بعده الصُعْلُوك يطأهم كطية (١) الـدرنُوك ـ يعني أبـا العباس ـ ، ثم يلي من بعده عُضَهْوَر يُقصي الخلق ويدني مضرا ، يفتتح الأرض إفتتاحاً منكراً ـ يعني أبا جعفر ـ ثم يلي قصير القامه بظهره علامـه يسوت موتـاً وسلامه ـ يعني المهدي ـ ، ثم يلي من بعده قليل ماكر يترك الملك باير ، ثم يلي بعده أخوه بسننه سائر ، يختص بالأموال والمنابر ، ثم يلي من بعده أهوج صاحب دنيـا ونعيم مُخْتَلَج ،تبادره مَعَاشِر ودوده ، ينهضون إليه يخلعونه ويأخـذون الملك ويقتلونه ، ثم يلي أمره من بعده السابع يترك الملك مخلا ضائع ، يثور في ملكه كـل مُشَوَّه جائع ، عند ذلك يطمع في المال كل غرثان ، ويلي أمره الصبيان ، يرضـي نزاراً جمع قحطان ، إذا إلتقيا (٢) بدمشق جمعان بين بيسان ولبهـان (٣) ، يصـف اليمن يومئذ صِنفان ، صنف المشورة ، وصنف المخذول ، لاترى إلا خباء محلولا أو أسيراً مغلولا بين الفرات والجَبول عند (٢١٨ـظ) ذلك تَخْرَب المنازل ، وتسلب الأرامل ، وتسقط الحوامل ، وتظهر الزلازل ، وتَطْلُب الخلافة وائل ، فتغضـب نزار وتدني العبيد والأشرار ، وتقصي النساك والأخيار ، وتغلوا الأسعار ، في صفر الأصفار تقتل كل جبار ، ثم يسيرون الى خنادق وأنهار ذات أسفار (٤) وأشـجار تصدّ له الأنهار ، يهزمهم أول النهار ، تظهر الأحبار فلا ينفعهم نوم ولا قـرار حتى يدخل مصراً من الأمصار ، فيدركه القضاء والأقدار ، ثم تجيء الرماه بلِفٍ مُشـاه تقتل الكُماة وتأسر الحُماة ، ومهلك (٥) الغُواة ، هنالك يدرك في أعلى المياه ، ثـم يبور الدين ، وتنقلب الأمور ، ويكفر الزَبور ، وتقطع الجسور ، فلا يفلت إلا مـن

---

١ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : نسخة كوطئه .
٢ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : نسخة التقى .
٣ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : نسخة ولبنان .
٤ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : لعله اشعار وفي نسخة اشغال .
٥ ـ كتب ابن العديم في الحاشية : صوابه وتهلك .

كان في جزائر البحور ، ثم تثور الجبوب [1] ، وتظهر الأعاريب ليس فيهم معيب على أهل الفسق والمريب في زمان عصيب ، لو كان للقوم جَنَى وماتُغني المُنى .

قالوا : ثم ماذا ياسَطِيح ؟ قال : ثم يظهر رجل من أهل اليمن أبيض كالشَّطن [2] يذهب الله على رأسه الفتن .

هكذا وقع في هذه الرواية سقوط ذكر علي عليه السلام ، وقد وقع لنا هذا الخبر من طريق آخر وفيه ذكره .

أخبرنا به أبو محمد أحمد بن الازهر بن عبد الوهاب السباك في كتابه الينا من بغداد قال : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي القاضي اجازة عن أبي محمد الجوهري قال : أخبرنا أبو عمر بن حيوية قال : أخبرنا أبو الحسين بن المنادي قال: أخبرت عن سليمان بن شرحبيل الدمشقي عن (٢١٩ — و) اسماعيل بن عياش ، وذكر باقي الاسناد والخبر كما سقناه إلاّ أنه قال فيه : لا علم عندكم ولا فهم ، ولينشون من عقبكم دهم ، وقال : ويستنون بدين الديان يشرفون البنيان ، وقال : ثم يلي من بعده الامين الناصر فيخلط الرأي بحزم باهر ، ثم يلي من بعده إمرء مناكر يظهر في المدائن العساكر ، فقد ذكر في هذه الرواية عليا ثم معاوية .

قلت والجبول قرية كبيرة من قرى حلب في طرف نقرة بني أسد والقرب من برية خساف في أرضها يجمد الملح ويجمع ، وبينها وبين الفرات سبعة فراسخ .

سير الي ابن تيمية خطيب حران كتاب بابا الصابىء الحراني يشتمل على سبع مقالات ذكر فيها ما يكون في الازمان ، وقيل انه تكلم بذلك قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم بثلاثمائة سنة وسبعة وستين سنة .

قال في المقالة الرابعة : والاسرار الخفية ظهرت لي وانزعجت نفسي ، ورعب

---

١ — كتب ابن العديم فوقها كذا .
٢ — الشطن : الحبل الطويل .

قلبي أن أتكلم ، وتكلمت بغير اختياري لاني أمرت رب الارباب بذلك حتى أعرف وأبين ماذا يكون في الازمان ، وذلك أنه تنتبه الحبشة الذين هم أفاضل أهل القبلة، ويخرج ملكهم الذي اسمه حسن بقوة عظيمة ، مالا يحويه عدد من كثرته مع دوابهم وسوادهم ، وأعوادهم كالحياة ، ودوابهم كالسباع تهج ، ويكون خروجهم من قبلة المغرب ، ويكون عددهم كعدد الرمل والجراد ويكون أشد شرا من الحياة، والشرايين التي على رؤوسهم من الخوص ، وهم فارغون من (٢١٩ ــ ظ) المال والنفقة ، ولا في قلوبهم رحمة لوالد ولاولد ، وتجتمع أجنادهم وجيوشهم كالجراد الذي يطير ويعبر البلاد الخربة ، ويصل الى البلاد العامرة ، ويملكون بلاد النوبة وبلاد مصر ، ويصعدون من هناك الى دمشق ويفسدونها ويخربونها ، ويأتي نهر الاردن ويعبر على فلسطين ، وينزل على الفرات ، وتأمن مدينة الاحبار المسماة ما بوغ ــ هي حلب [1] ، وحينئذ يأتي اليك ياحران ، وأنت أيضا تكونين في الامن والسلامة ، وأهل السماء فيك يسكنون ، ويرفع شأن أهل حران الى المنزلة العليا ويحاربون ويقهرون البر والبحر بعقد قوي ، ويطرد واحد لمائة وعشرين ، ويطرد عشرون لألفين ، وكل من لا يقبل منهم ويسمع كلامهم يقتلونه •

وذكر في المقالة السادسة وقال : فصل ، اذا ما انتهت مملكة الاهواز يكون قتال عظيم ، ويسفك في الارض دم عظيم ، ويكون في المغرب قتال شديد مدة أيام ، ومع هذا فالويل لكم يامدن بهيات ، والويل للقرايا والمدن الصغار من شعب نجسه ينجسون الارض بأعمالهم ، وهم الذين لا يعرفون الله ولا يوقرون أهل السماء ، سلكوا طريق الشهوات الردية وزاغوا عن الحق ، فسخط عليهم أهل السماء ، الويل لك يادمشق البهية يامدينة حسنة الملك ، كيف تخرب أسوارك وتهدم أسواقك الى

---

١ ــ وجدت في Classical Dictionary مادة Bamby'ce وهو احد الاسماء التي عرفت بها منبج قديما ــ بأن Magog كان اسما أطلقه أهالي منبج عليها ، ثم أصبح فيما بعد يطلق على حلب ، وبديهي أن ما بوغ شديد الشبه بـ

الأرض ، والويل (٢٢٠ـو) لك يا بعلبك يامدينة الشمس ، كيف تنتقل قوى الطلسمات التي فيك الى جبل الباجوك ــ وهو الجبل الشرقي من حران ــ ويتبدل بَخُورُك وعطرك وقرابينك ، وتصيري الى الخراب حتى تسمع أصوات الهدم ، فيك وأنت يامابوغ ــ وهو حلب ــ مدينة الاحبار يأتي رجل سلطان ويحل بــك ، ويعلي أسوارك ، ويجدد أسواقك ، ويجوز المعين الذي فيك ، وبعد قليل يؤخــذ منك ، فالويل لك ، وما تلتقين من القتال والحروب ، والويل لك ياسميساط .

وقال : فصل ، وبالحقيقة أقول ان الرها تخرب والماء الذي أخذ منها يرجع الى حران ، وتخرب سميساط ، والماء الذي لكوزن يأخذونه الى القبلة .

وقال في هذه المقالة : وتشال حجارة الرها الى حران ، ويبني بها لحران سور وفصيل ، وفي الباب الذي بين الشرق والقبلة يبنى بيت للعبادة ، وذلك بأمر مــن قوة سيدنا الاعمى ، وهو أمرني أن أعرفكم بهذه الاشياء ، وأقول ان ما بوغ ــ وهي حلب ــ تستعير من الاحبار وتكون الامن والسلامة على جميع العالم .

وقد ذكرنا هذا الفصل فيما تقدم ، وأنه انهدم موضع في سور حران في ســنة إثنتين وخمسين وستمائة ، فاحتيج الى أن نقل اليه من سور الرها حجارة بني بهــا ما انهدم من سور حران ، أخبرني بذلك خطيب حران ، ونقلت ما نقلته مــن هــذا الكتاب على ما فيه من اللحن وركة الالفاظ (٢٢٠ـظ) .

* * *

باب في ذكر من نزل من قبائل العرب

بأعمال مدينة حلب ومن كان قبلهم في سالف الحقب

قرأت في كتاب جماهير أنساب اليمن قال أبو القاسم الحسن بن علي الكوفي : حدثنا أبو سليمان داود بن عبد الله اليماني قال : حدثنا أحمد بن القاسم قال : حدثنا الفضل بن العباس الانصاري عن أبيه قال : أتي معاوية بن أبي سفيان بشيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر فما ينظر الا ما رفع باليد ، فسأله عن أشياء ذكرها ، وذكرها له ، وذكر له وقال : فكانت أرض الشام لسام بن نوح وبه سميت شاما ، فحولهم عنها ولد حام ، وذكر من ولد حام كنعان بن حام وقال :

وولد كنعان بن حام صيدون بن كنعان ، وحاث بن كنعان ، واليبوسي بن كنعان ، والروادي بن كنعان ، والصماري بن كنعان ، والحماني بن كنعان ، والحواني بن كنعان ، حل هؤلاء كلهم وهم بنو كنعان السواحل من أنطاكية ، والساحل كله من صيدا وطرابلس وحمص وأرض القدس والغور الى عمل البثنية ، وهم الذين قتلهم يوشع بن نون وأجلاهم الى بلاد المغرب .

وقال : وذكر له ولد يافث فقال : يافث بن نوح ولد له سبعة ذكور منهم : جومر بن يافث ، ومأجوج بن يافث ، وماذي بن يافث ، وياوان بن يافث ، وثوبان بن يافث ، وماشيج بن يافث ، وتيراس بن يافث .

وقال : وولد ياوان بن يافث أياس والمصيصة وطرسوس وأذنه (٢٢١ ــ و) ،

والروم من ولد هؤلاء ، حلوا بلادهم فعرفت بأسمائهم على تخوم الروم طرسوس ، وأذنه ، والمصيصة ، وأياس وذكر لي بعض الاسرائيليين أن الروادي بن كنعان هو الاروادي •

وقرأت في نسخة مغربة من التوراة عربت للمأمون قال : وبنوياوان أياس ، وطرسوس والمصيصة وأذنه •

قلت : والحماني بن كنعان اليه تنسب حماه •

وقرأت في كتاب ديوان العرب وجوهرة الادب وايضاح النسب تأليف محمد بن أحمد بن عبد الله الاسدي النسابة قال : وقرأت في التوراة أن العيص لما ولد له هؤلاء الشعوب بأرض ساعير وكان مع أخيه وأهل بيته ، وكثر مالهما وأولادهما وضاقت عليهم الارض فلم يزالوا بتلك الارض الى أن خرج موسى ببني اسرائيل فاجتاز بهم ، ودام حربهم ، ونهاه رب العالمين عن ذلك ، فأخبره أن تلك الارض دفعها الى العيص وولده ميراثا ، ولم تزل المشاحنة والبغضاء بين ولديعقوب والعيص وولدهم وملوكهم ، ولم يزل ولد العيص بتلك الارض يقتتلون الى أن قويت ولد يعقوب بالملك والسعة •

كذا يقول الكتاب ، الى عصر داود فغزاهم وملكهم ، وصار الأدميون عبيدا وإماءً لآل اسرائيل اخوتهم ، وتفرق من بقي منهم في البلاد ، فمنهم من دخل بلد إسماعيل عمهم ، ومنهم من سار نحو الشام فدخلوا على الأمم واختلطوا بهم ، ومنهم من نزل الى نحو العراق وبلاد الجزائر وأطراف البر مثل الرصافة وما والاها ، فهم بها الى اليوم ، وضاع نسبهم (٢٢١ـظ) في الشعوب وليس لهم حفظ •

وأما من نزل من قريش بحلب وأعمالها ، فمن بني هاشم : صالح بن علي بن عبد الله بن عباس نزل ظاهر حلب ، وابتنى به قصره المعروف ببطياس وكان على

الرابية المشرفة على النيرب من جهة الغرب والشمال ، وكان عن يسار المتوجه من حلب الى النيرب ، وموضع اصطبله عن يمين المتوجه ، والطريق بينهما ، ودثر القصر ولم يبق منه إلا الآثار ، ويجد الناس في موضعه شيئا من الفسيفساء وكسور الرخام .

وولد لصالح عامة أولاده به ، وبقي من أولاده عيسى بحلب بعده ، ووقف بها وقوفا على ولده ، فولده بحلب الى زمننا وأوقافهم عليهم ، وسنذكر ان شاء الله صالحا وولد في كتابنا هذا .

ونزل من ولده عبد الملك بن صالح بمنبج وابتنى بها قصرا وبستانا وولده الى اليوم بمنبج ، وبستان القصر بأيديهم الى اليوم .

قال النسابة محمد بن أحمد بن عبد الله الاسدي في كتاب ديوان العرب : وأما صالح بن علي بن عبد الله بن العباس فأمّه يقال لها سُعدى ، وهي أم ولد يعرف ولدها ببني سعدى ، وانه طلع الى الشام بأرض حلب فولد هناك سبعة عشر ذكرا من صلبه ، منهم بظاهر حلب ومنهم بحلب ، والعقب في العشرة الى اليوم : الفضل بن صالح ، واسماعيل بن صالح ، وعيسى بن صالح ، وعلي بن صالح ، وعبد الملك بن صالح ، ويعقوب بن صالح ، وسليمان بن صالح ، وداود بن صالح وابراهيم بن صالح ، وعبد الله بن صالح . ذلك كل واحد منهم قد ولد بطنا وهم أهل مدر لاوبر .

وأما ولد صالح فهو ممن علا أمره في بلد حلب وعظم قدره وملك منها الضياع والعقار والعبيد مثل صباح ، ومطرف ، ولؤلو ، وبدر ، وغير ذلك من العبيد حتى لحقوا مواليهم في النسب .

قال : وعقبهم الى يومنا هذا لاحق بهم ، عليهم الوقوف ، وقوف مواليهم مثل

الزامِر وغيره بأرض دمشق وغير ذلك من أرض الشام الى سنة ثلاثمائه وعشرين، ثم غلب على الأمر غيرهم •

قلت : ومن أوقاف مواليهم وقف بني فَضال ، وبني الصَفْرِي والطُشتي كل هؤلاء من موالي صالح وبنيه ، وعوام حلب ورعاعها يقولون : إن وقف الزامِر وقف على ولد الذي زمر بين يدي رأس الحسين عليه السلام ، ووقف الطُشتي على الذي حمل رأسه في الطشت ، ووقف الصَفرية على بني الذي صَفَّر بين يديه ، ووقف بني فَضال على بني المتفضله ، وهي امرأة أبدت ضوئها لرأسه عليه السلام حين قدم حلب به يطوفون به ، وهذا لا أصل له ولا صحه ، والصحيح ماذكرناه •

ونزل من ولد عبد الملك بن صالح بأنطاكية الفضل بن صالح بن عبد الملك بن صالح ، فلما ولي سِيما الطويل أنطاكية قبض عليه وعلى ولده ودفنهما حيين في صندوقين ، فبصر رجل بالصندوق الذي كان ولد الفضل فيه فظنه مالاً ، فحفر عليه واستخرجه وبه رمق ، وعاش بعد ذلك عشرين سنة وثلث •

والموجودون الآن بمَنْبِج وحلب من ولد صالح بن علي ، بنو عيسى بن صالح ، وبنو عبد الملك بن صالح من نسل عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح ، وسنذكر من أخبارهم مافيه كفاية إن شاء الله تعالى • (٢٢٥ ــ و)

وأما من نزل من بني أمية فِهشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم ، نزل الرُصافة وبناها واتخذها منزلاً له ، وبقي بها ولده بعده الى أن زالت دولة بني أمية وتفرقوا •

ونزل عمر بن عبد العزيز بخُناصره واتخذها منزلاً الى أن مات •

ونزل مَسْلَمة بن عبد الملك بن مروان بالناعورة من نُقْرة بني أسد ، وبني بها قصراً بالحجر الصلد الأسود ، وآثاره باقية الى يومنا هذا ، وأدركت منه برجاً

قائماً انهدم في زماننا ، وأخذ منه حجارة كثيرة ، وبقي أولاد مَسْلَمة بعده الى دولة بني العباس ، ولما إجتاز الرشيد بهم ، برهم ووصلهم مجازاة لأبيهم لأنه كان يُحسن الى بني هاشم في أيام ولاية أخوتـه ، وكان لمَسْلَمة قرى ومزارع بأعمـال حلب إتخذها وعمرها أيام إقامته بالناحية المذكورة ، منها الحانوت وبها مات ، وتسمى في زمننـا الحانوتـه [1] .

وأما سليمان بن عبد الملك فإنه نزل دابِق غازيا وأقام بها سنين ومـات بهـا ، وبقي من أولاده بناحية حلب بعضهم ، فإنني قرأت في كتاب نسب بني العباس تأليف أبي موسى هرون بن محمد بن إسحق بن موسى بن عيسى الهاشمي قال : حدثنـي علي بن عيسى بن محمد قال : سمعت أبي يقول : خرجنا مع أمير المؤمنـين هرون رضي الله عنه ونحن نريد أن نغزو ، فمررنا بعسكرنا ونزلنا على نهر بين خُنـاف وبين حلب يقال له سَبْعين ، فتحدث أمير المؤمنين مع قوم من بني هاشم من ساكني حلب ، وجاءوا بلَغَطٍ من القول ، فقال لنا : (٢٢٢ ــ ظ) إني أريد أن أتفرد اليوم في مسيري فلا يدنو مني أحـد إلا أنت .

قال : فمضى غير بعيد فتنكب عن الطريق فبصر برجل حسن الوجه يمشي خلف فدان يحرث عليه وهو يبكي ، فقصده فإذا عليه فرو مقلوب الجلد على ظهر جسده والصوف الى خارج ، فسلم عليه أمير المؤمنين وأعجبه حسن وجهه ، فقال :إسقني يافتى ماءً ، فقال : نعم ياسيدي ، ففزع إليه وترك الفدان وقال : تصير معي الـى القرية فأسقيك ماءً بارداً ؟ فقال : نعم ، فعدا بين يديه وهرون يتلوه حتى جاء القرية، فأخرج مفتاحاً ، ففتح باباً وخرجت منه صبية ظاهرة الوَضَاءَة يبين عليهـا سـوء الحال ، وأخرج قدحاً فغسله ، ثم قال : ياسيدي تشرب ماءً على الريق ، هل لك أن

ا ــ لعلها التي تعرف الآن أحيانا بإسم تل الحواصيد وأحيانا بالحانوته ، وتبعد عن حلب مسافة ٦٠ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٨٨ .

تنزل عندي فتصيب ماحضر وتشرب على أثر طعامك ؟ فقال : نعم ، فأنزله وأخذ فرسه فربطه ، وأضجع عجلةً فذبحها واستخرج كبدها وأخرج دقيقاً من كُوز له ، فدفعه الى جارة له تُصَيِّر له منه فطيراً ، ومر الى الفدان فحَلّه وقد شُوِيَ الكبد وخرج الخبز من التنور فقدمه الى أمير المؤمنين ، وجلس يأكل معه •

قال أبي : ثم قام فجاءني من ذلك الفَطير ومن تلك الشرائح اللحم ، فقال : كُل ، وعَمَد الى ريحان كان على سطح بيته فوضعه بين يديه ، فقال أ أتنشد من الشعر شيئاً ؟ فأنشده من أشعار بني أمية ، وأنشده في زوال النعم ، فقال له : حدثني حدثيك ، فو الله ماوجهك بوجه زراع ولا بوجه من (٢٢٣ ـ و) ربي في بؤس ، فأخبره أنه من ولد سليمان بن عبد الملك وأن هذه الصبيه التي معه أخته ، وأن بعض المَسالمة خطبها ، فأبى عليه ، وأنه هرب فنزل هاهنا ، فاستأجره وكيل القرية بعشرة دراهم على أن يفرد له بيتاً يكون فيه وفَدّانه وأخته ، فبكى هرون وقال : عمل صالح قبل الغزو ، فإنما النصر والتمكين بخوف الله ، وجاءت الخيول وحَفَّت بالموضع ، وقيل أمير المؤمنين أمير المؤمنين ، فقال : لابأس عليك لن تُرع ، فكتب الى الذي خلفه بالإحسان الى بني أمية وإدرار العطاء عليهم ، ودفع الى من إشترى له القرية التي هو بها •

قال : قال أبي : فرأيت أمير المؤمنين يبكي ويقول في سجوده إلهي إرحمني بقرابتي من محمد ، ولا تجعل محمداً خصمي وموبخي ، ولا تؤاخذ الأمة بذنوبي ، ثم صلى الظهر فركب فنز لنا حلب بعد المغرب وهرون منكسر متخليا بنفسه •

قوله : وإن بعض المسالمة خطبها ، يريد بعض بني مَسْلَمة بن عبد الملك ، وكانت منازلهم بالناعورة قريباً من سَبْعين •

وقرأت في ديوان العرب تأليف محمد بن أحمد الأسديَ النسابة قال : وأما

النضر بن كِنانه ـ يعني ابن خُزيمة بن مُدْرِكه ـ فهو قريش ، وقبائل قريش كلها من ولده ، وعدّ جماعة منهم •

وقال : وبنو عَوف بن حَرب بن خُزيمة بن لؤي بن غالب فتشاءمت وتَجَزّرت ومنهم بأرض حلب خلق كثير أهل مَدَر لاوَبر وهم أهل (٢٢٣ ـ ظ) ذاذيخ وكفر بطيخ [1] وغيرها من الضياع بأرض مَعَرّة مَصْرين ، وهي تعرف بهم ضياع العوفيين الى اليوم •

قلت ونسبهم بنو عَوف بن حَرب بن خُزَيمة بن لؤي ـ وفيه يجتمعون مع النبي صلى الله عليه وسلم ـ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَضر بن كِنانة بن خُزَيمة بن مُدْركة بن الياس بن مُضر بن نِزار •

ونزل بأعمال حلب بعض العمالقة ، وقد ذكرنا فيما تقدم أن حلب إنما سميت بحلب بن المَهر من ولد جَاب بن مَكيف من العمالقة ، وقيل فيه حاب بن مهر بن حِيص بن عَمليق •

ومنهم عمرو بن ظَرْب بن حسان بن أذينة بن السَمَيْدع بن عاملة العماليق ملك العرب بأرض قِنَسْرين والمشارف ، وبنته الزباء وإسمها نائله بنت عمرو بن ظَرْب ملكت قِنَسْرين والجزيرة ، وكان لها حصون من غربي الفرات وشرقيها ، وسنذكرهما في موضعهما من كتابنا إن شاء الله تعالى •

نزول بني أسد بن خُزَيمة بن مُدْركة بن الياس بن مُضَر بن نِزار بن مَعَدّ ابن عَدْنان بن أُدّ بن أُدَد بن الهَمَيْسَع بن نبت بن حمل بن قَيذار بن إسماعيل ابن إبراهيم عليهما السلام •

---

١ ـ تعرف قرية ذاذيخ ـ بالدال المهمله ـ وهي الآن من قرى منطقة سراقب التابعة لادلب ، وتبعد عن ادلب مسافة ٣٤ كم . أما كفر بطيخ فهي أيضا من قرى منطقة سراقب وتبعد عن ادلب مسافة ٣٧ كم ، التقسيمات الادارية ٢٤٨ ـ ٢٤٩ •

قال محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد الأسدي النسابــة في كتاب ديوان العرب وجوهرة الأدب وإيضاح النسب : وأما أسَد بن خُزَيمة فهو شعب كبــير تشعبت منــه قبائــل وعشــائر وأفخــاذ الى يومنا هــذا •

قال وإنما سمي خُزَيمة لأنه خَزَم نور رسول الله (٢٢٤ ـ و) صلى اللــه عليه وسلم ، ولم ينظر من النساء إلاّ أم ولده ، فولد خُزَيمة : أسد بن خُزَيمة ، وكِنانة بن خُزَيمة ، والهون بن خُزَيمة قبيلــة لا شعب •

قال : وخص الله بالرسالة والشرف كِنانة دون أخيه أسد ، فأما أســد بــن خُزَيمة فولد خمس نفر : كاهلاً ، وهو أول ولده ، وبه كان يُكنى ، قبيلة لطيفه ، وعمراً قبيلة متوسطة ، وصَعْباً قبيلة ، وحَمَلَة قبيلة ، وذُودان قبيلــة • ومــن ذُودان تفرعت قبائل أسد بن خُزَيمة وعمائرها وأفخاذها الى يومنا هذا •

فولد ذُودان ثَعْلبة وغَنْماً قبيلتين عظاماً في العدد والمنعة ، فأما غَنْم فإنها حالفت ولد عبد مناف وأقامت بالحرم ولم تشخص مع بني أبيها ، وذلك أن بني أسد شخصت عن الحرم لحرب جرى بينها وبين اليَمن ، فنزلت بئر فيد يقال له إهالــة ، فأقاموا بتلك الأرض مدة طويلة ، ثم انتشروا في الأرض فمنهم من أخذ نحو العراق وأرضها فتديروها الى يومنا هذا ، أرض الطّيب وقُرْقُوب وبر الرَمْله وماوالى تلك الأرض وهم أهل وَبَر ومَدَر ، عالم كثير وملك عظيم ، ومنهم من أخذ نحــو بلاد الشام فقطن بلاد دمشق وهم أصحاب مَدَر لاوَبر ، ومنهم مــن نــزل أرض الكوفة الى أرض البصرة الى الأحساء وما والى تلك الأرض ، ومنهم من أخذ نحو نهر كربلاء ، ومنهم من جَزّر ، ومنهم من أخذ نحو الشــام السُفلى نحــو أرض حلب وماولاها فهم بها الى (٢٢٤ ـ ظ) اليوم أهل مدر ووبر ، وبهم تعرف تلــك الأرض فيقال نُقره بني أسد طرف البر ، وكان نزولهم سنة سبع ومائتــين للهجرة ، فهــم بهــا الــى اليــوم •

قلت : وفي زمننا لم يبق من بني أسد في بلد حلب من ينزل بيوت الوَبر بل مساكنهم المَدَر لاغير .

قال النسابة : ومن قبائل غَنْم بن دُودان بن أسد بنو دُهْمان بن عامر بن غَنْم ، وبنو صالح ، وهو قُلَيع بن عامر قبيلة ، كان منزلهم الأحص طرف البر ، وهم أهل مَدَر لاوبر ، وبنو حَبيبة بن عامر بطن لا قبيلة ، وهم أهل مدر لاوبر ، وكان منزلهم نحو بلاد الشمال بدير يقال له دير قَزَمان .

قلت : ودير قَزْمان هذا قريب من عَزاز من شماليها وشرقيها ، وهو مذكور في كتب الديارات ، وسيأتي شيء من ذكره في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى .

قال : وأما مالك بن غَنْم فولد ربيعة بطن ومنازلهم باذيذ عاربه [1] وما والاها وهم أهل مدر لاوبر ، وربيعة يعرف بالكذاب .

قال : وأما كَثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد ، فهم محالفون لبني عبد مناف ابن قصي ، وهم أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم زينب زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي زينب بنت جَحش بن رِئاب بن يَعْمُر بن صَبِرة بن مُرة بن كَثير بن غَنْم بن دُودان بن أسد .

قال : وبنو كَثير قبائل وهم آل رِئاب ومنازلهم بأرض الشام بحوران .

قال : وسَليط بن رِئاب ومنازلهم بأرض حلب (٢٢٥ ــ و) طرف البر من الأحص ، وهم أهل مريمين [2] وما والاها ، وهم أهل مَدَر لاوَبر .

قال النسابة : وقد كان منهم بأرض الشام ، أعني بني غَنْم ، بأرض الحاتميه والمَلُّوحه وما والى تلك الأرض بطن يقال له سُلَيم ، وكان سيداً جليلاً عظيماً ،

---

١ ــ لم اقف لها على ذكر فيما تيسر من كتب البلدان .

٢ ــ تبعد مريمين عن حلب مسافة ٣٩ كم ، التقسيمات الادارية ٣١٠ .

وله بطنان عبد الملك وحاتم ، وهم أهل مدر لاوبر ، منزلهم مع أخوتهم بني غَنْم بأرض الحاتميه والمَلّوحة •

قلت : الحاتمية ــ والله أعلم ــ منسوبة الى حاتم بن سُلَيم هذا والله أعلم •

قال النسابة : وقبائل ذُودان بن أسد كان العز فيه دون إخوته ، فقبائل ذُودان بنو فَقْعَس رهط طليحة بن خويلد بن نضلة بن الأشترين بن حَجَوان بن فَقْعَس الذي إدعى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان عظيم القدر في العرب ، وأخوه حَبال بن خُويلد •

وقبائل فَقْعَس بن طَريف بن حَجْوَان قبيلة كبيرة أيضاً ، وبنو دَيان قبيلة كبيرة ، وبنو نُفَيل قبيلة عظيمة ، وبنو مُنقد قبيلة كبيرة ، وبنو حَذيم قبيلة كبيرة ، وقد خرج من كل قبيلة من هذه القبائل عمائر وأفخاذ وعشائر وفصائل الى يومنا هذا ،ومنازل بني فَقْعَس بأرض الطّيب وقُرْقُوب مع أخوتهم ولد الحارث بن ثَعْلَبَة ، وهم أهل وَبَرلا مدر ، في تلك الأرض إلاّ من شذ منهم ، فتشاءم وجَزَّر فنزل أرض حلب طرف البر وهو حِيار بني فَقْعَس سميت تلك الأرض بإسمه ، فهم بها وبالنُقْرة متفرقين مع أخوتهم (٢٢٥ ــ ظ) بني أسد بن خُزيمة •

قلت : قوله مع أخوتهم ولد الحارث بن ثَعْلَبَة بن ثَعْلَبَة بن ذُودان بن أسد ، والثَّعلبية بالقرب من كارس منسوبة الى ثَعْلَبَة بن ذُودان ، وحِيار بني فَقْعَس في طرف البر من ناحية منبج ، وحَبال بن خويلد بن نضله بن الأشتر بن حَجْوان بن فَقْعَس بن ذُودان بن أسد بن خُزَيمة له فرقة تنسب إليه بضواحي حلب يقال لهم الحَبَّاليون ، وبينهم وبين فرقة أخرى بضواحي حلب يقال لهم الزَواقِلَه ، حرب وعداوة مستمرة وشحناء وينسبون الى زَوْفَل بن حُبيط بن قُدامه بن عبد الله بن عامر بن حُصين بن الحارث بن الهَصَّان ، وهو عامر الأكبر ابن كعب بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، وهم ثلاث بطون : حمزه ، وقابوس ،

وعَجَمي ، ومنهم الزَوْقَليه أم صالح بن مرداس الكلابي أمير حلب ، وكان حَبال ينزل بحِيار بني قَعْقَعَس ، وزَوْقَل بمنازل بني الهَصَّان بنواحي وادي بُطْنان . فالحَبَّاليون من بني أسد والزَواقِله من بني كلاب .

قال النسابة : فهذه قبائل دُودان بن أسد بن خُزَيمة بن مُدْركة بن الياس ابن مضر بن نزار ، وقد كنت ذكرت في ابتداء الكلام طرفا من منازلهم بعد مانزلوا بئر إهالة ثم افترقوا منهم من تشاءم ومنهم من جَزَّر ومنهم من تَعَرَّق ، ومنهم من نزل الشمال من أرض بلاد اليونانية بجبل يقال له عُوريَه من أرض الروم ، منهم فيه عالم عظيم ، وذلك أنهم هَرَبُوا من جور الملوك من ديار العرب والغلاء (٢٢٦ - و) الى تلك الأرض ، ومنهم فريق بأرض الغرب من أهل المدن قاطنين بالغرب على غربي حلب بمعرة مَصْرين وجبل السُماق بنَحليا وبتباسُون وماوالاها وهم أهل مدر لاوبر ، ومنهم بأرض الجزيرة خلق كثير ، وتعرف أرضهم بنُقرة بني أسد ، وحدها من خُناصِرَة إلى جبل الأحصّ إلى الوادي إلى طرف البر ثم غرباً إلى حد الناعورة ، والجبال محيطة بها من حَقْلى إلى القبتين إلى الجرَّاعة إلى المَلّوحة وكُسْيان الى حد البر من أرض السَّبخة ثم على الحبل سائر الى حد النهر من سَبعين وكارِس إلى حد وادي بني كلاب ، كل هذه الضياع والجبال وما يليها من البقاع لبني أسد ، وهم بها إلى اليوم ، وهذا الإقليم كبير تَدَيَّروه سنة سبع ومائتين للهجرة .

قال : وأما كاهل بن أسد فولد ثلاث قبائل عظام : بنو أُذَيْنَة ، وبنو هَرَاوة وبنو حَرموا ، هذه ثلاث قبائل ، ومن هذه القبائل تفرعت قبائل كاهل وبطونها ، وهم أهل مَدَر ووَبَر متفرقين في البلاد ، منهم بالنقرة بالجراعة وكسيان ، وكان منهم بطن بجبل السماق وبالجَزْر وغير ذلك .

قلت : وأظن الكاهلية هي منسوبة إلى كاهل بن أسد والله أعلم .

قال النسابة : في ولد مالك بن مالك ــ يعني مالك بن أسامة بن نُمير بن نصر بن قُعَيْن ، من بني أسد ، أو مالك بن نصر بن قعين ــ قال : منهم : بنو قُطْبَة بن مُحَيس بن بُرَّة بن خُزيمة بن كوز بن موله ، وقطبة بن كوز •

قلت : والقرية المعروفة بالقُطْبية منسوبة الى أحد الرجلين ، وهي من نقرة بني أسد بالقرب من البر ، ويقال لها القُطْبيات أيضاً ، فلعلها منسوبة إليهما ، وأبو عبد الله عبد الرزاق بن عبد السلام بن أبي نسير الأسدي القطبي منسوب إلى أحدهما أيضاً ، والله أعلم •

قال النسابة : وأما ضَبَّة بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مُضر بن نزار خرج منه قبائل وعمائر وبطون وأفخاذ وإلى يومنا هذا ، فولد الضبة بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر سعد بن ضبة قبيلة عظيمة ، وذكر جماعة منهم •

قال : وبنو شعاع بن عَلْقَمه كان بأرض حلب ، ثم بوادي بني كلاب في ضيعة يقال لها البِيرة ، وبنو علقمة قبيلة كبيرة[1] •

قال : وبنو السَيد بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبه قبيلة عظيمة • قال : وقد كان شخص منهم فريق ، فنزل بأرض الشام ، وكان يعرف بأبي رَمادَة فإنه نزل بأرض حلب ، بأرض النقرة ، وجاور بني أسد في دارهم ، وولد نحو من عشرة أولاد ذكور ، وولد لهم أيضاً أولاد ، فصار قبيلة تعرف بقبيلة أبي رماده ، وتأمر فيهم من تأمر وساد فيهم من ساد ، وهم من هِجان بن كعب بن بَجَاله بن ذُهْل ــ يعني ذهل ابن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة ــ قال : ونسلهم إلى اليوم وهم وبني عم لهم من ضبة (٢٢٧ ــ و) بأرض حلب وأرض الغرب والبارَه[2] وما والاها ، وهم أهل مدر لاوبر •

---

١ ــ كتب ابن العديم في الحاشية : حاشية هو ملقمة بن سعد .
٢ ــ تبعد الباره عن مدينة ادلب مسافة ٣٥ كم ، التقسيمات الادارية ، ٢٥٤ •

قلت : وبالملوحة رجل من نسل أبي رمادة في زمننا يعرف بالرَمادي •

قال النسابة : وولد عَبْس بن بَغيض بن ريث بن غَطَفان بن سعد بن قيس عَيلان واسمه الناس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان قطيعة بن عبس ، فولد قطيعة ، غالبا قبيلة عظيمة ، وشَيماء قبيلة ، والحارث بن قُطَيْعَة قبيلة ، فمن ولد الحارث بن قطيعه بن عبس مازن قبيله ، فولد مازن ربيعة قبيلة ، فولد ربيعة رواحة قبيله ، وعبيد قبيله ، ورِياحاً ، ورَواحاً ، هؤلاء بنو ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيعة بن عبس ، وهم رهط زهير بن جَذِيمة بن رواحة سيد عبس في زمانه ، وهو أبو عشرة ، وأمهم تُماضِر السُلَمية ، والحارث بن زهير ، وأهل الحِيار من ولده •

قلت : ومن ولده القَعْقَاع بن خُلَيْد بن جَزْءٍ بن الحارث بن زهير ،وعمه العباس بن جزء بن الحارث بن زهير ، وتُسب حيار بني عبس الى بني القعقاع ، لأن عبد الملك بن مروان أقطعهم به قطائع ، وكانت مواتاً فعمروها ، وتزوج عبدالملك منهم وَلاّدة بنت العباس بن جزء ، وقيل إنها بنت القعقاع ، وهي أم الوليد وسليمان •

عدنا إلى كلام النسابه قال : وقيس بن زهير صاحب حرب داحس ، وكُثَيِّر ابن زهير قتيل كلب ، وخِداش بن زهير لم يعقب ، وشَأس بن زهير (٢٢٧ ــ ظ) قتيل غني ولم يعقب ، ووَرْقاء بن زهير لم يعقب ، وأُسيد بن زهير ، وهم أهل وبر لامدر ، والحَكَم بن زهير له عقب بالبادية ، وحِذْيَم بن زهير عقبه في البادية ، وعُوير بن زهير له عقب بالبادية •

قال : وعنترة الفوارس منهم • قال : ومنهم الحُطَيئة الشاعر واسمه جَرْوَل•

فولد غالب بن قطيعة مالك قبيلة ، وعوذ قبيله ، ومَخْزوم قبيلة ، وعبد وعَوْذ قبيله ، وقيس بن غالب قبيلة •

ومن مخزوم بن مالك بن غالب بن قطيعة بن عبس خالد بن سِنان ، وهو النبي الذي بعثه الله إلى نار الحَدَثان فأطفأها ، وله حديث يطول •

ومنهم بنو هـُذ ْم قبيلة عظيمة ، ما ولدهذم أهل شَحْشَحُور وفاح وماوالاها وهم أهل مدر لاوربر ، فهذه عبس ، ومن هذه تفرعت قبائلعبس وعمائرها وأفخاذها وبطونها ، وهي قبيلة عظيمة ، وكانت من إحدى الجمرات ومنازلهم كانْ بالبرّ ثم تشاءم منهم وجَزَّر وتَعَرَّق ، وكان لهم محل يعرف بجبل صُراع وأرض زَعْرايا وهو طرف البرية تديرته عبس وتناسلت فيه أعني في ضياعه مثل القعقاعية من أرض العرب وغير ذلك •

قلت : خالد بن سنان هو خالد بن سنان بن غيث بن مُرَيط بن مخزوم بن مالك ابن غالب بن قطيعة بن عبس وستأتي ترجمته في موضعها إن شاء الله تعالى • وشحشحور خربة بقرب من فاح في الوادي الذي هو شمال المُرَتَّب والمُقْبِلـه ، وآثار (٢٢٨ ــ و) العمارة بها كثيرة ليس بها يومنا هذا ساكن •

وهذم هو ابن مخزوم بن مالك ، والقعقاعية من ناحية الفَايا من عمل منبج تنسب إلى القعقاع بن خُليد العبسي •

ونزل بحاضر قنسرين جماعة من عبس منهم عِكْرِشَه بن أرْبَد بن عُروة بن مِسْحَل بن شَيْطان بن حذيم بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث ابن قطيعة بن عبس بن بَغيض وكان في أيام هشام بن عبد الملك ، والوليد بن يزيد ؛ والغالب اليوم على أهل حاضر قنسرين عبس •

قال النسابة : وولد مالك بن أعصر بن سعد بن قيس سعيداً قبيلة ، وأمّه يقال لها باهِلَه ، وهي ابنة صَعْب بن سعد العشيرة من مَذْحِج ، ومَعْن قبيلة ، وأمه هند ابنة سنان بن عبد الله بن غطفان ، فولد معن أود وحاده قبيلتين عظاماً ، وأمهما باهله ، وكان خلف عليها معن بعد أبيه ، فولد معن شيبان ، وهو فَرّاض قبيلة كبيرة ، وهم بشط الفرات ، وزيد قبيلة وهو بِحِتّان ، وذكر غيرهم •

قال : وولد سُلَيم بن منصور بن عكرمة بن خَصَفَة بن قيس بن عيلان بن مضر ، وسليم شعب لا قبيلة ، لأنه خرج منه عدة قبائل عمائر وبطون وأفخاذ متفرقين في البلاد أهل مدر ووبر . فولد سليم بن منصور بُهْثَة بن سليم كلها ، فولد بهثه ابن سليم الحارث قبيلة كبيرة وثعلبة قبيلة كبيرة ، وامرؤ القيس قبيلة كبيرة ، وعَوْف قبيلة وكان كاهنا في العرب ، وثعلبة ومعاوية قبيلتان كبار .

فولد امرؤ القيس خُفَاف (٢٢٨ ــ ظ) وعوف وتَيْم ثلاث قبائل عِظام تفرعت عنها عمائر وبطون وأفخاذ كثيرة ، فولد خفاف مالك بن خفاف قبيلة ، وولد خفاف أيضاً عُميرة وعُصَيَّه وناضِرَة ثلاث قبائل عظام خرج من عمائر وبطون وأفخاذ كثيرة ، ومن خفاف خلق كثير كانوا بطوناً وأفخاذاً بأرض جبل ضُراع وأرض زعرايا طرف البر أهل مدر ووبر وغير ذلك من الأرض .

قال : وولد الحارث بن بهثه بن سليم جُشَي ، ورفاعة ، وكعب ، وظفر ، ووائله وعبادة وعبيد ، كل هؤلاء قبائل خرج منها بطون وأفخاذ وفصائل متفرقون في الأرض .

فولد رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم عبس وربيعة وعامر وجُشَم وذَكْوان وبُحْتُر ، كل هؤلاء قبائل ، فمن عبس بن رفاعة مرداس بن أبي عامر ، وجشم ؛ فولد مرداس بن أبي عامر العباس بن مرداس وهُبيرة وحُدَي ومعاوية وعمر وهم قبائل خرج منها بطون وأفخاذ ، وهم بأرض العراق والحجاز والشام أهل مدر ووبر .

قلت ومن ولد العباس بن مرداس جماعة بعَلَم وهي قرية من طرف النقرة والحَبْل مما يلي حلب ، وهم يحفظون أنسابهم .

وقال النسابة : فولد صَعْصَعة بن معاوية بن بكر بن هَوازن بن منصور ـ يعني منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ـ عامر شعب لا قبيلـة ، ومُرّة قبيلة ، ومازن قبيلة كبيرة ، وهم رهط بني وردان ، كان منازل هؤلاء بأرض الصنّوبران من بر حمص إلى حيار عبس خلق كثير أهل مدر لاوبر كان (٢٢٩ـو) قد شخصوا عن بر الحجاز قديماً فتديروا هذه الأرض ، ثم رحلوا عنها .

فولد عائذ ووائل وأمهم عَمْرَة بنت عامر بن الظَّرب العَدْواني يعرفون بها ، وكان رحيلهم من المصعبة والشدة ، تولوا فنزلوا بأرض النقرة نقرة بني أسد ، وذكر غيرهـم .



ذكر نزول بني كلاب بأعمال حلب

ونزل منهم بنو عامر الأكبر ، وهو عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب .

قال النسابة الأسدي : وولد عامر الأكبر ، وهو الهَصَّان جميع ولد العباس بن سعيد بن بكر بن سعيد بن المُعَاد بن المُعارك بن سعيد بن الحارث بن الهصان ، فولد المعاد سعيد قبيلة ، وعبد الله قبيلة ، وحمزة قبيلة ، ومحمد قبيلة ، وولد المعارك معاد قبيلة ، ومرشد قبيلة ، ومدرك قبيلة لطيفة ، وأبا الهَيْدَلَه بطن كبيروأمهم كريمه ابنة أشرس .

قال : وكان سعيد بن الحارث بن الهصان وولد المعارك من بطن وفخذ بأرض الشام والبو ، وكان نزول المعاد بن المعارك الشام قبل نزول الهَبير بالنُسَير ، وهم أهلَ مدر لاوبر ، وكانت الإمارة والرئاسة من ولد الهصان فيهم ، منهم الأمير العباس كان والي جند قنسرين وما والاها ، وغير ذلك ، وساد في الإسلام ، فولد له محمد الأمير وأحمد وسعيد ، وولد هؤلاء ومواليهم بوادي بُطنان .

قلت والى العباس (٢٢٩ ــ ظ) بن الوليد الكلابي تنسب الكلابية ، وتعرف بقرية الثلج ، وهي في طرف النقرة مما يلي برية خُساف ، ذكر بعض ذلك أحمد بن الطيب السَرْخَسي .

قال النسابة : ومن ولد سعيد بن قُرْط مُسْكِر بن غُليظ بن فَرْقد بن أشرس بن هَوْذَة بن نَهْشَل بن ثمامة بن سعيد بن قرط بن عبد الله بن أبي بكر ابن كلاب ، كان سيداً وشريفاً في زمانه ، وشرف قرط فيه الى اليوم بالشام .

قال : ومن هؤلاء أهل مدر لاوبر بأرض الشام بمحل سَمُوقة بنـي مسكر ، فولده بها إلى اليوم .

قلت : هذه السموقة من كورة نهر بوجبار ، وهي قرية كبيرة بين بُزاعا ومنبج، وإلى جانبها السكرية[1] ، أظنها منسوبة إلى بني مسكر فغير في نسبتها وقيل السكرية وهذه أماكن لم يبق بها من بني كلاب أحد ، وأهلها في زمننا هذا تركمان .

قال النسابة : وولد قرط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب زِنباع بطن كبير ، من قرط أهل كارس بني كلاب وهم أهل مدر لاوبر ومربع ، فوقع ولـده بـأرض العـــرب .

قلت كارس بني كلاب هي كارس الشمالية ، وكارس القبلية هي كارس بنـي أســـد .

قال النسابة : ومن ولد عبد القيس يعني ابن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ـ نُباته بن حنظلة بن ربيعة بن عبد القيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، كان سيداً وشريفاً في زمانه مع بني أمية ، فولد محمد بن نباته (٢٣٥ ـ و) بطن ، وعبيد الله بن نباته بطن ، منهم بالرقة أهل مـدر لاوبر ، ومنهم بجُرجان أيضاً من ولده ، ومنهم بأرض حلب بوادي بطنان بالسَيْعَة وأرضها منهم بطن ، والكل أهل مدر لاوبر إلا من شذ منهم ، وباسم نباته سُمي محـل ببر الوادي يقال له النباتية لأنه وقع هناك .

قلت والنُباتية من عمل بُزاعا على نهر بوجبار ، وإلى جانبها قريـة صغيرة يقال المُرّية منسوبة إلى مرة بن أبي لَطيفة بن عامر بن كعب بن عبد الله بن أبي بكـر بن كـلاب .

---

١ ـ تبعد السكرية عن حلب مسافة ٣٧ كم ، التقسيمات الادارية ، ٣٢٣ .

ومن المشهورين من بني كلاب ممن كان بناحية حلب من ولد عبد القيس الأمير صالح بن مرداس بن إدريس بن نصر بن حميد بن شداد بن عبد قيس بن ربيعة بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، وأمه الرَّباب الأوقلية من ولد زوقل بن حُبيط بن قَدامة بن عبد الله بن عامر بن حُصين ، وكان لسلفه شرف وبأس بقنسرين وانتهت إمرة العرب بناحية حلب إليه ، فقبض عليه مُرتضى الدولة بن لؤلؤ وسجنه بقلعة حلب فهرب منها وجمع بني كلاب ، وقصد ابن لؤلؤ فخرج إليه إلى تل حاصد ولقيه فأسر ابن لؤلؤ ، فاشترى نفسه منه فأعاده إلى حلب ، ثم ضعف أمر ابن لؤلؤ ، وتجددت ولاية حلب بعده لجماعة الى أن نزل على حلب وحاصرها وتسلمها في سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وسنذكر شرح ذلك مستقصى في ترجمته إن شاء الله ، وبقيت مملكة حلب في عقبه بعده الى أن ملكها أبو المكارم مُسْلم بن قُرَيْش العُقَيْلي في سنة إثنتين وسبعين (٢٣٥ ـ ظ) وأربعمائة ، وزالت دولة بني مرداس وبقيت إمرة العرب في بني كلاب الى زمن ولاية الملك الظاهر ، ثم أزاحهم عنها آل طيء فدخلوا الى بلاد الروم ، وتحضر منهم جماعة واشتغلوا بالمعايش •

ومن ولد عبد الله بن أبي بكر بن كلاب القُريطيُّون ، ويعرفون بآل جَهْيَل ، ومنهم المعروف بالدُنَين الذي أسر ناصر الدولة الحسين بن الحسن بن الحسين بن حمدان في الفُنَيدق وقد قدم إلى حلب ليأخذها من محمود بن نصر بن صالح[1] ، وهم ينتسبون إلى جهيل بن نصير بن زيد جناب بن نصير بن عمرو بن عِصْمة بن مُرَيرة بن قُرَيط بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب ، وتحضر بعضولده وصار منهم علماء وفقهاء وعدول بمدينة حلب ، وسنذكرهم في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى •

وذكر النسابة ولد عوف بن كعب بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب فقال في

---

١ ـ انظر زبدة الحلب ١ / ٢٧٨ ـ ٢٨١ •

ذكر عوف : وهو الأُفَقْهُ سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك لأنه أوفــده إلى قومه فكان كلما كلمه بشيء يقول : قد فقهت يا رسول الله •

قال : وولد عوف أهل وبر ، وأخوتهم من عامر بن كعب ببر الشام •

قال : فمن ولد حَيَّة بن عاصم بن سلمان بن ثعلبة بن يزيد ين مالك بن خصفه ابن عوف بن عبد الله بن أبي بكر بن كلاب أهل مدر لاوبر ، وهــم بأرض الوادي بضيعة تعرف بشيح أبي حَيَّة باسم أبيهم ، ومواليهم بها وبما والاها • فولد حيــة ابن عاصم إدريس بن حيه بطن كبير ، وموسى بن حية بطن والحُوَيْرث بن (٢٣٦ ــ و) حيــة درج لم يعقب ولــداً •

قلت شِيح بني حَيَّه غيروا نسبها فهو يعرف في زماننا بشيح بني مَي •

قال النسابة في ذكر جُرَي بن عمرو بن عوف بن كعب بن عبد الله، فولد جري زُرارة قبيلة ، وقيس قبيلة ، وطلحة بطن كبير ، فبنوا زرارة بن جري بطون وأفخاذ بأرض الحجاز •

وكان نزول مشارقة بني كلاب شِعِثَه وذِيبه أرض الشام سنة عشرين وثلاث مائة ، وفي سنة إثنتان وعشرين نخروا البلد من ضياع الشرق وغيره من البلاد •

ومن بني زرارة عبد العزيز بن زرارة بن جري ، وكان سيداً في زمانه ، ولــه جهاد كبير في بلاد الروم مات رحمه الله شهيداً •

وولد قيس بن جري بن عمرو بن عوف بن كعب ين أبي بكر بن كلاب ، صالحاً بطن كبير ، وأبا الصَبهاء بطن ، واسمه مُسْلم ، وعبيد الله بطن كبير وهم أهل وبر لامدر ببر الشام

اليوم ، ولهم بالحجاز فريق أهل وبرلا مدر مع أخوتهم زُرارة إلاّ من شذمنهــم

فجزر وتحضر ، ولهم بأرض الوادي بأدوبيش [1] وما والاه من الأرض فريق يسير أهل مدرلاوبر •

قال : ومن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب مطرف بن قتاده بن كعب بن عوف بن عبد بن أبي بكر بن كلاب ، وهو بطن كبير من بني كلاب •

وذكر أيضا مطرف بن اياد بن قتادة بن كعب بن عوف وهو بطن أيضا من اياد من بني كلاب ، وكانوا أهل وبر بأرض الشام لا مدر ، وهم أهل مطرف بن عوف ابن عبد بن أبي بكر بن كلاب •

قلت والمطرفيه بالقرب من بزاعا (٢٣٦ ـ ظ) في وادي بني كلاب نزلها مطرف فنسبت اليهم والله أعلم •



من نزل عمل حلب من ولد عمرو بن كلاب

ذكر النسابه ولده نُفيلا فقال : ونفيل قبيلة كبيرة ، فولد نفيل خالد بطن كبير ، وخويلد بطن كبير وأمهما غني من القين بن غني ، فولد خويلد بن نفيل ربيعة بطن كبير ، وعمرو بطن كبير ، وزفر بطن ، ومعاوية وعوف بطنان ، وعلس ومعد بطنان كبار ، فولد عمرو بن خويلد يزيد الشاعر وكان سيدا ، فمن بني يزيد بن عمرو زفر ابن الحارث بن عبد عمرو بن معان بن يزيد بن عمرو بن خويلد بن نفيل كان سيدا في زمانه وكان فارسا شجاعا ، فولد ثلاث بطون ، الهُذيل ، والكوثر ، ووكيع ،وهم أهل مدر ووبر متفرقين في البـلاد .

قلت : وكان منزل زُفر وأولاده بالقرب من خُساف وناحية بالس ، وكان ينزل كوثر ببالس .

قال النسابة : وولد خالد بن نُفيل حُصين بطن كبير ، وحصن بطن كبير وشنين بطن كبير ، وكان شنين فارسا جوادا شاعرا ، وذودان وعبد الله قبيلتان كبار ،وزهير بطن ، والصباح بطن .

فمن ولد الحصين بن خالد بنو جمهور بطن كبير ، وهم أهل مدرلاوبر ، وكانوا

١ ــ في ياقوت بيش (بفتح أوله) من مخاليف اليمن وبيش (بكسر أوله) من بلاد اليمن ، ولست متيقنا فيما اذا كانت احداهما هي المعنية بالاصل ، علما بأنها وردت في الاصل بالسين (بيس) ومن عادة ابن العديم أحيانا أن لا يعجم الشين ، هـذا ولم اقف على ذكر لأد في كتب المكتبة الجغرافية العربية المتوفرة .

ينزلون ببالس ، وكان بها بطنان من العرب لا غير هم بنو جري بن عمرو بن مالك بن عمرو بن كلاب ، وبنو صلتان ، وكانوا ينزلون الحدث وماوالاها •

ومن ولد الحصين بنو الضحاك بن فايد بطن كبير كانوا بأرض زعرايا [1] تعرف بهم كانوا يتديرونها فأسمي تلك الارض بدير عمرو وهم أهل مدر لاوبر •

قال : وولد عبد الله بن كلاب معاوية بطن (٢٣٧ــو) كبير وهو الصموت ، ونفاثه بطن كبير ، وعوف بطن كبير •

فولد الصموت عامر بطن كبير وغيره من البطون • وولد نفاثة بن عبد الله عمرة بطن كبير وغيره من البطون ، وهؤلاء أهل وبر ومدر بأرض الشام وأرض العراق ، كان منهم بوادي بني كلاب بضيعة يقال لها البيرة [2] بطن يعرف ببني عامر هم وملاءمتهم متفرقين في البلاد ، منهم بالنقرة خلق كثير أهل مدرووبر •

وولد معاوية بن كلاب ، وهم الضباب : زهير ، وحصن ، وحصين ، وحمل ، ومالك وأمهم الاحسسية ، هؤلاء الحمس ، بطون يعرفون بأمهم ، وربيعة ، وضب وضبيب ، وحيين ، وجني ، وزفر ، والاعور ، هذه السبع بطون أمهم السلولية وبها يعرفون ، وهذه الاسماء تعرف بالضباب ، منهم آل جوشن ، واسمه شرحبيل ،وانما سمي جوشن لانه أول عربي لبس الجوشن من كلاب في الجاهلية • ومنهم بنو الاشهب قبيلة ذات منعة وعدد • ومنهم بنو منة بطن لطيف •

ومن بني السلولية وبني الاحمسية تفرعت قبائل الضباب وبطونها وأفخاذها الى اليوم ، أهل وبرومدر ، ببر الشام من أرض شيزر وما والاها ، وكان منهم بنهر

---

١ ــ تبعد زعرايا عن حلب مسافة ٦٢ كم ، وهي تتبع اداريا منطقة الباب وتبعد عنها ٣٠ كم ، التقسيمات الادارية ، ٣٣٠ •

٢ ــ تبعد البيرة عن مدينة حلب مسافة ٤٠ كم ، وهي تتبع اداريا منطقة الباب وتبعد عنها ٩كم ، التقسيمات الادارية ٣٢٦ •

الساجور وبأرض منبج الى أرض عدايا كثير ، أهل مدرووبر لانهم تديروا هــذه الارض وهم بها الى اليوم •

قال : وولد جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ست قبائل ، زهير وربيعة وعبد الله (٢٣١ ــ ظ) وهو اللبوة ، والطحنــاء ، ومعاويــة ، ومرداس ، وبرقان ، فولد ربيعة بن جعدة تسع بطون ، عمرو ، وحيان ، وعبد الله ، وحرب ، وعامر ، وعوف ، وحصن ، وعدس ، وقرة ، ومن هذه البطون تشعبت بطون جعدة وأفخاذها •

فمن جعده الرفاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة بن كعب الوافد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكتب له كتابا هو عند ولده ، وأقطعه الفلج ، والعايل ، وصد ، وحراضة ، فجعدة بها الى اليوم ، وبأرض اليمامة أهل مدر ومزارع وحرث إلا مــن شــذ منهم فتشاءم وجزر وتحضر ، وكان منهم بطن بأرض منبج بأخليط والصيادة وما والاها ، أهل مدر لاوبر •



ومـــن ولـــد قشير

قال النسابة : ثم قبائل الاعور بن قشير بنو عبد الله الاعور ، وبنو حصن ،وبنو قرط ، وبنو عامر ، وبنو مسلح ، فهذه قبائل عامر بن الاعور ، وبنو بيهس ، وبنو عاصم بن عامر . فمن بني بيهس آل زياد وهم يتفخذون وأفخاذهم القاطنون بشط الفرات يعرفون بالشطيين ، وهم أهل مدر لاوبر ، ومواليهم الى اليوم بها ولهـــم بأرض خراسان خلق كثير وهم من ولد زيد بن عبد الرحمن بن عبد الله بن هبيرة ابن زفر بن عبد الله بن الاعور بن قشير ، وكان عمر بن عبد العزيز ولاه خراســـان بأسرها فولده هناك أهل مدر ووبر ، ولهم بأرض العرب خلق كثير أهل مدرلاوبر وهم ولد كلثوم بن عياض بن وحوح بن قشير بن الاعور (٢٣٨ــو) بن قشير بن كعب ولي لهشام بن عبد الملك افريقية فولـــده هناك ، ولهم خراســـان بنيسابـــور وبسرخس خلق كثير منهم ولد زرارة بن عمر بن شمس بن سلمة كان ولي خراسان للوليد بن عبد الملك وعظم بها قدره ، فولده هناك الى اليوم أهل مدرلاوبر ، ولهم بأرض الشام خلق ، بالشام بأرض حلب بحموص وعار وما والى تلك الارض أهل مدرلاوبر ، وتعرف تلك الارض بنقرة قشير ، ومنهم متفرقون في البلاد بالجزيرة وغيرها من الارض .

قلت : ومن آل زياد القشيريين الشطيين جعبر القشيري الذي تنسب اليه قلعة جعبر ، وكانت أولا تعرف بقلعة دوسر ، وكان جعبر هذا يقطع الطريق ، وجمع في قلعة جعبر أموالا جليلة كثيرة ، وقتل في سنة أربع وستين وأربعمائة بحيلة ومكيدة

تست عليه ، ويقال أنه عمي قبل أن يموت ، وصارت القلعة بعده الى ولده سابق ابن جعبر القشيري ، فسلك مسلك أبيه في الفساد وقطع الطريق ،فلما اجتاز السلطان ملك شاه بقلعة جعبر وهو متوجه الى حلب فأنهي اليه سوء سيرته وما هو عليه من الفساد فقبضه وقتله ، ولما تسلم قلعة حلب من من سالم بن مالك بن بدران العقيلي عوضه عنها بقلعة جعبر ، وسيأتي ذكر ذلك في ترجمة سالم ان شاء الله تعالى (٢٣٨ ـ ظ) ★ .

* * *

★ ـ أخر الجزء الثالث عشر ، وكتب ابن العديم في آخره السماع التالي : بلغ الولد محمد قراءة من أول الباب الى هنا لاربع خلون من محرم سنة ست وخمسين وسمع الولد عبد الرحمن وابن اختهما محمد .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـه توفيقي

من نزل من ولد نمير بن عامر بن صعصعة

قال أبو عبد الله محمد بن أحمد النسابة الاسدي في كتاب ديوان العـرب : ثم قبائل ضنة بن نمير بنو وهب ، وبنو ناضرة ، وبنو ناشرة ، وبنو عفيف ، وبنـو سعد ، وبنو عمرو ، وبنو ربيعة ، وبنو حبيب ، وبنو وديعة ، وبنو علاثة ، ومن هذه العشرة قبائل تفرعت بطون ضنة بن نمير وأفخاذه الا أنهم قليل متفرقون في البلاد قد نزل منهم فريق بمحل حلب طرف البرية وهو يعرف بتل بني ضنة وهـو اليوم خراب ، متفرقون في البلاد ، وكان قد نزل فريق كبير مـن سائر فرق بني نمـير بأرض الشمال نحو الحوارة والاخترين وما والى تلك الارض فتديروها فنسـب المحـل اليهم فيقال حبل بني نمير ، وكان القوم أهل مـدرلاوبر وكان نزول نمير بالجزيرة سنة تسع وثلاثمائة للهجرة .

قلت : وبعد زمن النسابة عمر تل بني ضنة ونزله من أهل نقرة بني أسـد من سكنة ، وصار المكان من أمهات قرى النقرة .

وممن كان بأعمال حلب من بني نمير ، بنو الحارث بن نمير ومنهم عبيد الراعي ابن الحصين قيل انهم نزلوا بشط الفرات ، وكانت قلعة نجم لبعض أولاده ، وهو منصور بن الحسن بن جوشن بن منصور بن حميد بن ثال بن وزر بـن عطاف بـن بشر بن جندل بن عبيد الراعي بن الحصين بن معاوية بن جندل بن قطن بن ربيعـة

ابن عبيد الله بن (٢٣٩ ــ و) الحارث بن نمير ، وكان له قلعة نجم • فقتل واحد واحد منهم منصورا ووقع الاختلاف بين عشيرته واختل أمرهم وتغلب الترك على ديارهم وتفرقت جماعتهم وكان ولده نصر فاضلا أديبا ، وستأتي ترجمته في موضعها ان شاء الله تعالى •

ولو لده نصر المذكور أبيات يرثي والده ويذكر ماجرى من اختلاف عشيرته •

أنشدناها ببغداد أبو الحسن المبارك بن أبي بكر محمد بن مزيد الخواص عنه •

لا تبعدنَّ حُسام دولةِ عامرٍ　　　من ليث ملحمة وغيث عطاء

أنحى على شمل العشيرةِ بعده　　　ريبُ الزمانِ بفُرقة وتنائي

وأنشدنا أيضا عنه •

ولولا الخُلف ما انصدعت عصانا　　　ولا ملكَ الزمان لنا اقتسارا

عدنا الى قول النسابة قال : : من ولد هلال بن عامر بن صعصعة أخي نُمير بنو عبد الله بن هلال منهم : روييه بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة •

قال النسابة : فقبائل روييه بن عبد الله بن هلال بنو الهزم ، وبنو عمرو ، وبنو البراق ، وبنو أهي ، وبنو زفر ، وبنو الخير ، ومن هذه السبع تفرقت بطون روييه ابن عبد الله بن هلال بن عامر ، وهم أهل وبر ومدر بالحجاز الا من شذ منهم فانه نزل بأرض الشام ، فتديروا بأرض حوران ، ونزل منهم فريق بأرض زعرايا طرف البرهم بالفا وماولاها ، ونسب المحل اليهم الى اليوم فكانوا هم ومواليهم به ، ثم تخرب البلد فتفرقوا في البلاد (٢٣٩ ــ ظ) •

قلت : ومن بني الهزم بن روييه بن عبد الله بن هلال ممن كان بالفايا عاصم ابن عبيد الله بن يزيد بن عبد الله بن الاصرم بن شعثة بن الهزم بن روييه بن عبد الله بن هلال الهلالي ، وولده زفر بن عاصم وابنه العباس بن زفر وابنه زفر بن

العباس وابنه عاصم بن زفر ، وما زالوا يقيمون بأرض حلب ، والعباس بن زفر بن عاصم هو الذي أنجد الهاشميين من أهل حلب لما حاربهم أهل حاضر حلب وأرادوا اخراجهم منها وذلك في أيام فتنة محمد بن الرشيد ، وما من أحد من هؤلاء الا سيد مذكور ، وسنذكر كل واحد منهم في موضعه من كتابنا هذا ان شاء الله تعالى •

ومن قبائل نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور •

قال النسابة : وكان من نصر بن معاوية بطن نزل بأرض حلب ونسل بها يقال لهم بنو طريف ، وهم أهل مدر ووبر بالغور وما والى تلك الارض ، كانوا بها ومواليهم •

قال النسابة : ثم قبائل ثقيف وهو منبه بن بكر بن هوازن بن منصور ، وثقيف واسمه قسي ، فقبائل قسي ثقيف بن عوف وهي : جشم ، وبنو خداش وهم في الازد ، وبنو سلامة ، ومن هذه القبائل تفرعت بطون ثقيف وأفخاذه ، وقبائل عوف ابن ثقيف بنو مغيث ، وبنو عتاب ، وبنو غسان ، وبنو منبه ، وبنو عقبة ، وبنو مالك هذه قبائل عوف ، ومنها تفرعت بطون عوف بن ثقيف ، وقبائل مغيث بن غوث ابن مسعود وبنو عامر ، وبنو وهبان ، وبنو عمر ، وبنو معاوية ، وبنو سلمة ، وبنو ربيعة (٢٤٠ـو) ومن هذه القبائل تفرعت قبائل مغيث بن عوف وأفخاذه ، ومنهم بنو خطية بن جشم بطن كبير وهم أهل مدر ووبر كان محلهم الطائف ، وهم قبيلة عظيمة خرج منها سادة في الجاهلية والاسلام ، وقد شذ منهم قبائل تشاءمت وجزرت وتعرقت ، وكان منهم بطن نزل أرض منبج وبأرض رعبان وما والى تلك الارض ، وهم أهل مدر لاوبر •

قال : ومن قبائل النمر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار فقبائل تيم الله بن النمر ، بنو الخزرج بن تيم الله ، ومن الخزرج تفرعت بطون الخزرج وأفخاذها ، فولد الخزرج بن تيم الله بن النمر

ابن قاسط سعد قبيلة كبيرة ، فولد لسعد بن الخزرج عامر الضحيان قبيلة ، وكان سيدا في زمانه وكان حاكم العرب يقعد لقومه الضحى ، فسمعته ربيعة الضحيان ، والبيت فيه وهو البيت الثالث ، فمن ولده عامر بن هلال قبيلة ، وهو هلال بن عامر ابن سعد بن الخزرج بن تيم الله •

فمن عامر بن هلال نمير بن عامر أباسلمة بن سلام بن الحارث بن هلال بن عامر فأهل كفريا من نمير بن النمر والقشعم وهذه القبيلة لغني •

قال : شذت عن محل النمر وكانوا أهل وبرلا مدربا بأرض العراق ببره •

فولد نمير لأم ، ومالك ، وحصين ، وسهيل ، وسالم ، وبهيج ، وعائش بنو دروه ابن عائش بن عيسى من ولد سالم بن نمير • وخرج من الخزرج عن المحل ، فمنهم (٢٤٠ـظ) من تشاءم ومنهم من جزر وتفرقوا في البلاد على نسبهم في ربيعة أهل مدرووبر •

قال : أما هلال بن عامر بن سعد بن الخزرج بن تيم الله بن النمر بن قاسط فنزل هو ومالك بأرض حلب ، وولده هناك وذلك المحل يعرف بالنمريات وهي كفريا وكفر زغير وتل الغبر وهم قبيلة أهل مدرووبر •

وقال : ومن ولد زهير بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو ابن غنم بن تغلب ، وذكرهم وقال : ومن هذه القبائل الثلاث تفرعت قبائل بنو زغير بن تيم وبطونها الى اليوم وهم أهل مدرووبر بديار ربيعة الا من شخص منهم فنزل الشام والجزيرة ، والذي بالشام منهم ولد الحارث بن زهير وهو هبينة ، فولده هناك بأرض بلد آمد وما والى تلك الارض الى نهر الساجور الى شبيث وبقعة منبج أهل مدر لاوبر الى حد قلعة بني الشيان ، وهذه القبيلة متفرقة في الارض خلق كثير وسادة ، فهم بذلك المحل وهو يعرف بمحل ربيعة •

قال : ثم قبائل خالد بن كعب بن زهير بنو سلمة وهو السفاح ، فولد السفاح ابن خالد هدم قبيلة ، وسفيح قبيلة ، فولد لسفيح بن السفاح قرط بطن كبير ، فولد لقرط بن سفيح قيس بطن كبير ، فهذه بطون سلمة ، وهم بديار ربيعة أهل مدر ووبر إلا من شذ منهم • فولد لقيس بن عمرو بطن وهو وبر ، فولد لوبر بن قيس حنظلة بطن ، فهذه بطون هدم بن كعب بن زهير ومنه تفرعت هذه البطون وهم أهل مدر ووبر (٢٤١ ــ و) بأرض ديار ربيعة ، ومنهم فريق بأرض الشام مع أخوتهم ببقعة منبج ، ولهم الساجور •

قال : وقبائل سعد بن كنانة بن تيم بن أسامة بن مالك بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب بنو عبد العزى بن سعد سلمة ، ويغمر قبيلتان ، ويغمر هو الشمس لقب لزمه في العرب • فولد لسلمة بن عبد العزى معاوية بطن كبير ، فولد لمعاوية بن سلمة عمرو ، وولد لعمرو بن معاوية عامر ، فهذه بطون سعد بن كنانة ، ومنها تفرعت بطون سعد،ومنهم فريق مع اخوتهم بالشام بنهر الساجور وبقعة منبج•

قال : ومن قبائل جشم بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غنم بن تغلب ، وهي القبيلة الثانية من الأراقم ، بنو زهير بن جشم وبنو سعد بن جشم وبنو زيد بن جشم وبنو عبد بن جشم ، ومن هذه القبائل الأربع تفرعت بطون جشم • ثم ولد له خمس قبائل أخر بنو عامر بن جشم ، وبنو معاوية بن جشم ، وبنو عوف بن جشم ، وبنو الحارث بن جشم وبنو مالك بن جشم •

قال : فولد للحارث بن زهير مُرّة بطن كبير فولد لمرة بن الحارث ربيعة بطن ، فولد لربيعة بن مرة وائل بطن كبير ، وهم أريقة وكليب ، وعدي ، وامرؤ القيس ، ومهلهل ، ومسلمة ، وعبد الله •

والبيت الرابع والخامس من ربيعة في كليب وآله ، وأسماء بني كليب وائل سيد تغلب في زمانه وملك ربيعة بن مرة في عصره •

فهذه ولد الحارث من زهير بجميع بطونه وأفخاذه ، وهم أهل وبر ومدر بديار ربيعة إلا من شخص منهم من (٢٤١ ــ ظ) قبائل جشم فتشاءم وجزر وذلك أنه نزل فريق كبير بأرض حلب بجبل السماق وهم فيه من حد ريحا الى النيرب الى معرة مصرين الى سرمين الى تيزين الى العمق وأوفيه الى حد حريم حلب ، فهذه من جشم بن بكر ومواليهم خلق كثير أهل مدر ووبر .

قلت : وهذا كليب وائل الذي قتله جساس بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل بن قاسط ، فوقعت الحرب بين بكر وتغلب وهي حرب البسوس ، وكان منزل جساس بالأحص ، ولما غشي كليباً الموت قال لجساس : أغثني بشربة ، فقال تجاوزت شبيثاً والأحص فأرسلها مثــلا . وسنذكر قصته إن شاء الله تعالى .

وقال بعد ذكر إياد بن نزار .

فولد لإياد بن نزار أربع قبائل : زهير ، ودعمى ، وقثم ، ونمارة ، ومن هذه الأربع تفرعت بطون إياد وأفخاذها ، فقبائل زهير بن إياد بنو حذافة وبنو الشليل فولد حذافة بن زهير أمية بطن كبير . فولد لأمية بن حذافة الدئل بطن كبير ، وقدم بطن ، فولد لقدم بن أمية عصيمة بطن ، ومن هذه البطون تفرعت بطون زهير بن إياد ، وولد للدئل الدوس بطن كبير ، فولد للدوس خمس بطون كبار ، بنو سلمان ، وبنو حدم ، وبنو زمعة ، وبنو أنمار ، وبنو سعد ، ومن هذه البطون تفرعت بطون الدئل بن أمية .

ثم قبائل دعمى بن إياد مسعود بطن كبير ، فولد مسعود وائل (٢٤٢ ــ و) والتاج بطنان كبار ، ومن هذه البطون تفرعت بطون دعمى بن إياد .

وولد نمارة بن إياد الطماح قبيلة ، ومنه تفرعت بطون نمارة .

ومن قبائل إياد المشهورة بنو يقدم بن أفصى بن دعمى بن إياد قبيلة ، وبنو ضبيعة بن ذهل بن مالك قبيلة ، وبنو الهون قبيلة ، وبنو النمر من وائلة قبيلة ، وبنو كنانة بن نباتة قبيلة ، وبنو الحارث بن ذهل قبيلة ، وغير ذلك من عدد القبائل، قبائل إياد بن نزار ، ومن هذه القبائل تفرعت بطون إياد بن نزار ، وجلهم أهل مدر ، وهم متفرقون في البلاد بأرض العراق والجزائر ، ومنهم فريق بأرض كفر طاب والمعرة ، وأرض سرمين وحلب بتل نصب ، وهؤلاء أهل مدر لا وبر •



ذكر من نزل في أعمال حلب من حمير

ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان

قال أبو عبد الله الأسدي النسابة قال : وولد عمرو بن حِمْير ، وهو الأكبر ، من ولده فمن قضاعة بن مالك بن زيد بن مرة بن عمرو بن مالك بن حمير بن سبأ ابن يشجب بن يعرب بن قحطان • ويقال : قضاعة بن معد بن عدنان •

قال : ولم أجد أهل العلم مجمعين على ذلك بل ذكروا أن مالكاً اجتاز هو وزوجته بمعد بن عدنان وكانت حاملا ، وهي معاية أم قضاعة ابنة جوشم بن جلهمة ابن عمرو بن جرهم الأصغر •

قال أهل العلم : فنزل مالك بمعد هو وزوجته فلحقه حال فأودعه زوجته ورحل فولدت على فراش (٢٤٢ ــ ظ) معد ابناً ذكرا وسمته عمرا وهو قضاعة ، وقضاعة قبيلة عظيمة تظهَّر منها عشرون قبيلة ، وتشعبت من كل قبيلة بطن وفخذ وقبيلة وعشيرة الى يومنا هذا •

فمن قبائل قضاعة : كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة •

ومن بطون كلب وجناب ، زهير ، وعدي ، وعُليم ، وحارثة ، هؤلاء ولد جناب وهم قبائل عدة •

قال : فمن كلب عامر بن عون خرج منها نيف وعشرون بطناً أولهن كلب كنانة

ابن عبدود قبيلة كبيرة تخرّج منها أفخاذ وبطون عدة ، ومنازل هؤلاء كنانة بأرض حمص والرستن الى فامية وما والاها الى حد جبل بهراء ، ومنازل عامر كلب المناظر طرف البر الى حد أرض دمشق والقرتين والغنثر وضمير وما والاها . ومنازل جناب عليم وزهير وعدي من أرض حلب من حد جبل جوشن ، وكان بها من كلب ومن كنانة وكذا كانت حاضر حلب نزل كنانة كلب ظاهرها الى حد جبل بني عليم ، وهم أهل وبر لا مدر .

قلت والى عليم بن جناب بن كلب بن وبرة ينسب جبل بني عليم ، ومنهم عمرو ابن محمد بن معاذ البريدي من معراثا البريدية ، وسيأتي ذكره وذكر أبيه في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى .

قال النسابة : وأما بهراء ، وبلي ، وخولان فهم ولد عمرو بن الحارث بن قضاعة ثلاث قبائل عظام خرج منها عدة قبائل .

وقال : وأما بهراء فتشاءمت (٢٤٣ ـ و) فأخذت جبلا من جبال الأكراد غلبت عليه وعلى جرف منه فقطنته وهو من حد جبل بلد طرابلس الى حد جبال اليونانية وما تحته من المدن ، ومنهم بحماة وأرضها الى حد الجبل بنو عبد الله بطن كبير ، وبنو أرقش بطن كبير ، وبنو مسعود أهل بيت شرف وغير ذلك من بطونهـم .

ومن قبائل قضاعة سليح ، قال النسابة : وأما سليح فتشاءم ونزل ولده طرف من أطراف الشام منهم بأرض حمص وبكفر طاب وبأرض القسطل طرف البرية وما والاها هم بها الى يومنا هذا .

قال : وأما تنوخ فهم قبائل عدة ، منها قضاعة ، ومنها نزار اجتمعت فتشاءمت وتنخت بأرض الشام ، وجمعها الاسم كما جمع لغيرها من القبائل مثل مذحج

وكلب وغير ذلك من قبائل العرب ، وإن تنوخ تجمعها فهم بن تيم اللات بن أسد ابن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة بن مالك •

قال : وكان تنوخ ولد الساطع ، كان دارهم سورية من طرف البرية وما والاها ، وبأرض معرة النعمان وأرض قنسرين وما والى تلك الأرض جبل متصل الى أرض حمص غلب عليه تنوخ وذلك في عصر ملك الروم ، وكان أقطعهم إياه ، فلما أن جاء الاسلام في عصر معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه سارت معه قضاعة الى صفين ، وقاتلت بين يديه ، فلما أن رجع الى الشام وفدت عليه وفود قضاعة (٢٤٣ ــ ظ) ممن كان بأرض الشام تطلب الإقطاع والجوائز ، فأقطعهم الولايات والمدن وذلك من حد بلد الأردن الى حد جبل حلب ، وهو جبل جوشن ، وكان مروان بن الحكم أقطع لعكار القضاعي الجبل الذي يلي الساحل الى حد أرض حمص ، فهو يسمى جبل ابن عكار •

قال النسابة : فاقتسمت تنوخ وقبائل قضاعة بن مالك بن حمير بأنسابها ، وهو قضاعة وكلب وغيرها ، الدنيا والجبال والمدن والبر ، وأقاموا بها الى اليوم •

قلت : وقال أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري في كتاب البلدان فيما حكاه عمن حدثه من أهل الشام : وكان حاضر قنسرين لتنوخ منذ أول ما تنخوا بالشام ، نزلوه وهم في خيم الشعر ، ثم ابتنوا به المنازل ، فدعاهم أبو عبيدة الى الاسلام ، فأسلم بعضهم ، وأقام على النصرانية بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف ابن قضاعة •

فحدثني بعض ولد يزيد بن حنين الطائي الأنطاكي عن أشياخهم أن جماعة من أهل ذلك الحاضر أسلموا في خلافة المهدي ، فكتب على أيديهم بالخضرة قنسرين •

قلت : وهذا يوهم أن بني سليح من تنوخ ، وليس كذلك ، بل تنوخ تجمعها

َتيم اللات بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان ، وقيلَ ولد َفهم بن تيم اللات ، وسليح تجتمع مع تنوخ في حلوان جد جدهم •

ومن سليح الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخع بن سليح بن حلوان ، وكان ملك الجزيرة وقنسرين •

وقال (٢٤٢ ــ و) البلاذري : وكان بقرب مدينة حلب حاضر يدعى حاضر حلب ، يجمع أصنافا من العرب من تنوخ وغيرهم ، فصالحهم أبو عبيدة على الجزية، ثم إنهم أسلموا بعد ذلك ، فكانوا مقيمين وأعقابهم الى بعد وفاة أمين المؤمنين الرشيد ، ثم إن أهل ذلك الحاضر حاربوا أهل مدينة حلب وأرادوا إخراجهم عنها ، فكتب الهاشميون من أهلها الى جميع من حولها من قبائل العرب يستنجدونهم ، فكان أسبقهم الى إنجادهم وإغاثتهم العباس بن ُزفر بن عاصم الهلالي بالخؤولة لأن أم عبد الله بن العباس لبابة بنت الحارث بن حزن بن ُبجير بن الهـُزم الهلالية ، فلم يكن لأهل ذلك الحاضر به وبمن معه طاقة ، فأجلوهم عن حاضرهم ، وأخربوه وذلك في أيام فتنة محمد بن الرشيد ، فانتقلوا الى قنسرين ، فتلقاهم أهلها بالأطعمة والكساء ، فلما دخلوها أرادوا التغلب عليها فأخرجوهم عنها ، فتفرقوا في البلاد ، فمنهم قوم بتكريت قد رأيتهم ، ومنهم قوم بأرمينية وفي بلدان كثيرة متباينة[١] •

قلت : وبعد خراب حاضر حلب صار قرية ، وكان بها دار تعرف بدار السليمانية ، ابتناها بنو سليمان بن صالح بن علي أو مواليه ، فنسب الحاضر إليهم ، فقيل الحاضر السليماني ، وعمر بعد أيام بني حمدان وسكنه الناس •

قلت والتنوخيون كلهم ينسبون الى َفهم بن تيم اللات ، وكان لـه أولاد َجذيمة ، وعبد الله ، وعمرو • فأما بنو جذيمة فإنهم من بني محطه بن عدي بن زيد بن حية بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن فهم بن تيم اللات ، منهم القـُصيصيون

١ ــ فتوح البلدان ، ١٥١ .

وكانوا بقنسرين وحلب (٢٤٤ ـ ظ) فيهم أمراء وكتاب ووزراء ، وسيأتي ذكر أعيانهم في هذا الكتاب إن شاء الله تعالى •

وهم ينتسبون الى الفصيص ، وهو يوسف بن يعقوب بن ابراهيم بن إسحق ابن قضاعة بن ثويب بن محطه بن ثويب بن عدي بن زيد بن تميم بن ضبيعة بن بلقن بن عدي بن زيد بن محطه بن عدي بن زيد بن محطه بن عدي بن زيد ابن حية بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن فهم بن تيم الله ، وهو تيم اللات ، والفصيص لقب ، وقيل الملقب بالفصيص هو أبوه يعقوب ، وكان لهم بلاد كثيرة من بلاد الشام، وكانت قنسرين لأخي الفصيص ، وكانت حمص واللاذقية وجبلة لابنه إبراهيم ، فحصرهم طريف السبكري واستنزل إبراهيم وأهله من حصونهم بالأمان سنة سبع عشرة وثلاثمائة ، وقد ولي اللاذقية بعد ذلك إبراهيم بن علي بن إبراهيم بن الفصيص ، ثم صاروا الى حلب ، وصار منهم كتاب ، وانقرض عقبهم ، وإليهم ينسب درب الفصيصي بحلب •

وحكى كثيّر بن أبي صابر القنسريني قال : كنت يوما عند إسحق بن قضاعة التنوخي فدعا بسيوف فجعل يقلبها ، فقال لي : يا كثير هذه سيوف آبائنا التي قاتلوا بها يوم صفين ، وهي عندنا مدخرة حتى يقوم القائم من آل أبي سفيان ، فنقاتل بها معه •

ومنهم بنو الساطع واسمه النعمان بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة بن فهم بن تيم اللات ، ونزلوا معرة النعمان وعقبهم بها الى يومنا هذا ، وكان للساطع بنون ثلاثة ، أسحم ، وعدي ، وغنم ، فأما أسحم فينتسب إليه من أهل معرة النعمان بنو سليمان ، وفيهم جماعة من العلماء والفضلاء منهم أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان ابن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحارث بن ربيعة بن أنور بن أرقم بن

أسحم ، وقيل أنور بن أسحم بن النعمان بن الساطع بن عدي بن عبد غطفان بن عمرو بن بريح بن جذيمة •

وينتسب إليه أيضا من أهل معرة النعمان بنو أبي حصين (٢٤٥ ــ و) وهو أبو حصين القاضي ، واسمه عبد الله بن المُحَسِّن بن عبد الله بن محمد بن عمرو بن سعيد بن أحمد بن داود بن المطهر ، وفي داود يجتمع بنو سليمان وبنو أبي حصين •

وأما عدي بن الساطع فينتسب إليه من أهل معرة النعمان بنو المهذّب ، وهو المهذب بن محمد بن همام بن عامر بن عامر بن محارب بن نُعيم بن عدي بن عمرو ابن عدي بن الساطع •

وينتسب إليه بنو زُريق وهو عبد اللطيف بن سعيد بن يحيى بن عبد اللطيف ابن يحيى بن عبد المنعم بن نعيم ، وفيه يجتمع بنو المهذب وبنو زريق ، ويقال لهم العَمْريون وفيهم جماعة غير هؤلاء البطنيين وينتسبون كذلك الى عمرو بن عدي ابن الساطع ، وأهل المعرة يقولون : الشعر عَمْري لأن الشعراء فيهم كثير ، وكلهم مجيدون ، وقيل إنما لقب النعمان الساطع لحسنه وجماله •

وأما بنو غَنْم بن الساطع فمنهم بمعرة النعمان بنو الحواري وهو الحواري بن حطان بن المعلى بن حطان بن سعد بن زيد بن لوذان بن غنم بن الساطع ، وما من بطن من هذه البطون إلا وقد خرج منه جماعة من العلماء والأدباء والشعراء والمحدثين وسيأتي ذكرهم في كتابنا هذا إن شاء الله تعالى •

ومن لا معرفة له من الجهال يقول : إن معرة النعمان منسوبة الى النعمان بن عدي بن الساطع لأن عامة أهلها من ولده ، وهو خطأ منه ، وإنما هي منسوبة الى النعمان بن بشير الأنصاري كما ذكرناه في الباب المختص بذكرها فيما تقدم •

فهؤلاء بنو جذيمة بن فهم (٢٤٥ ــ ظ) •

وأما بنو عمرو بن فهم من تنوخ فنزلوا أنطاكية ، ومنهم القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد بن داود أبي الفهم بن إبراهيم بن تميم بن جابر بن هانئ بن زيد ابن عبيد بن مالك بن مُريط بن تنوخ بن نزار بن عمرو بن الحارث بن صبح بن عمرو بن الحارث بن عمرو بن فهم بن تيم الله بن أسْلَم ، وانتقل أخوه أبو القاسم علي بن محمد بن داود الى بغداد من أنطاكية فسكنها ، وسنذكره وأخاه في كتابنا هذا إن شاء الله • وأولد أبو القاسم ببغداد ولده المحسن بن علي التنوخي مؤلف نشوار المحاضرة ، وكتاب الفرج بعد الشدة ، وليس هو من شرط كتابنا هذا •

وأما عبد الله بن فهم فنزل بنوه أنطاكية ، ومن ولده أبو بكر محمد بن الربيع ابن عامر المعروف بالصامت ، وكان موصوفا بالدين والورع ، وكان خال القاضي أبي الحسن سليمان بن محمد المعري جد أبي العلاء المعري •

قرأت في كتاب وقع إلي في أنساب اليمن قال فيه : ومن أشراف تنوخ الصامت واسمه محمد بن الربيع بن عامر بن الربيع بن عبد المجيب بن محمد بن العباس بن ذبيان بن كعب بن ذبيان بن الشلل بن إياد عبد الله بن فهم بن تيم الله بن أسد ابن وبرة •

وكان بعضهم في الشلل أنه ابن فهم بن تيم الله بن أسد بن وبرة ، والصحيح أنه ابن إياد بن عبد الله بن فهم ، وسنذكر ترجمة الصامت في ذكر المحمدين من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى (٢٤٦ ــ و) •

ونزل بأعمال حلب من ولد كهلان أخي حِمْير لأبيه ، بنو زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان •

قال النسابة الأسدي : والملك كان في ولد حمير والحكم في ولد كهلان ، وذكر من بنيه زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان قال : فولد زيد مالكاً ،

وفيه العدد ، وأُدد بن زيد ، فمن ولد أُدد طيء بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان •

قال النسابة : فولد قطرة بن طيء ، والغوث بن طيء ، والعدد والشرف في غوث ، وأم قطرة وغوث عدية بنت الآمري بن مهرة • وولد قطرة : سعد ، وحية ، وولد سعد بن قطرة خارجة ، فولد خارجة جندبا ، وحور ، وأمهما جديلة ابنة سبيع بن حمير ، وهذه القبيلة من طيء فتشاءمت ، ولحقت بأرض الشام ، فنزل منهم بأرض رفنية وما والاها من الأرض الى حد جبل الساحل ، ومنهم من نزل بأرض حلب ، منهم بحاضر قنسرين مع أخوتهم من طيء ، ومنهم من نزل بأرض منبج فهم مع أخوتهم الذرماويين •

قلت : وقرأت في كتاب البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري فيما حكاه عمن حدثه من أهل الشام قالوا : وكان حاضر طيء قديماً نزلوه بعد حرب الفساد التي كانت بينهم ، حتى نزل الجبلين من نزل منهم ، تفرق باقوهم في البلاد ، فلما ورد أبو عبيدة عليهم أسلم بعضهم وصالح (٢٤٦ ــ ظ) كثير منهم على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك بيسير إلا من شذ عن جماعتهم[١] •

قال النسابة : ومن سلامان بن عمرو بن ثعل بن الغوث بن طيء بنو ثعلبة بن سلامان ، فولد ثعلبة مالك بطن كبير ، وعوف بن ثعلبة بطن كبير ، وأبان بن ثعلبة بطن كبير ، ووائل بن ثعلبة بطن كبير ، فولد وائل بن ثعلبة عزمي بن وائل ، وأم وائل وأبان مرة ، يقال لها ذرماه ، وكان قد تشاءمت هذه القبيلة وفارقت طيء ، فنزلت الشام في ستمائة ، منهم آل المنتصر بن عبد العزيز وهم أهل بيت شرف ، ومنهم آل دهلاث أو دلهاث من محمد بن عوارهم بن أبان بن ثعلبة بن سلامان الذرماويون ، نزلوا بأرض الشام بمدينة يقال لها منبج ، فهم بها الى اليوم •

١ ــ فتوح البلدان ، ١٥١ .

قال : وولد بحتر ـ يعني ـ بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو ابن الغوث بن طيء تذول ، ومن تذول تشعبت قبائل بحتر ومنازلهم أرض الحجاز إلا من شذ منهم فتشاءم وجزّر •

قلت والذين تشاءموا نزلوا بمنبج والساجور ، ومنهم البحتري الوليد بن عبيد بن يحيى بن عبيد بن شملال بن جابر بن سلمة بن مسهر بن الحارث بن جشم بن أبي حارثة بن جدي بن تذول بن بحتر بن عتود بن عنين بن سلامان بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء وكان من قرية بمنبج يقال لها خزدفنة ، وهو القـــائل :

يا خليلي بالسواجير من عمرو ... بن ود وبحتر بن عتود (٢٤٧ ـ و)

ونزل من بني بحتر فرقة بأورم الكبرى من قرى حلب ، وكان بأورم مزرعة يقال لها البحترية منسوبة إليهم ، وقد دثرت وانضافت الى أورم •

رأيت كتابا من كتب أجدادنا وقد اشترى حصة في هذه البحترية من بعضهم •

قال النسابة : وولد مرة بن عمرو بن الغوث بن طيء الكهف ، فولد الكهف الكهيف بطن ، وامرؤ القيس بطن ، فولد الكهيف وزبيرة بطنين ، ونفرة بطن ، وهؤلاء هم أهل السهل والدهر ، وتيم اللات بطن ، فولد تيم اللات مالكاً ، فولد مالك قناية ومبارك ، هؤلاء بأرض الشام ، وهم بأرض يقال لها حاضر قنسرين ، ومنهم من نزل أرض العراق ومنهم من جزّر •

* * *

باب في ذكر فتح حلب وقنسرين

وما تقرر عليه أحكامهما

أخبرنا أبو علي حسن بن أحمد بن يوسف الأوقي قراءة عليه بالبيت المقدس قال : أخبرنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد السلفي قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن الشيخ قال : أخبرنا أبو إسحق إبراهيم بن سعيد الحبال قال : أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد بن الحسن بن منير الخشاب قال : أخبرنا علي بن أحمد بن إسحق البغدادي قال : حدثنا أبو العباس الوليد بن حماد الرملي قال : أخبرنا الحسين بن زياد عن أبي اسماعيل محمد بن عبد الله قال : وحدثني الحسن بن عبد الله أن الأشتر قال لأبي عبيدة : إبعث معي خليلا أتبع آثار القوم وأمضي نحو أرضهم ، فإن عندي جزاء وغناء ، فقال له أبو عبيدة : والله إنك لخليق لكل خير ، فبعثه في ثلاثمائة فارس وقال له لا تباعد في الطلب وكن مني قريباً ، فخرج الأشتر فكان يغير منه على مسيرة اليوم واليومين ونحو ذلك.

قال : ثم إن أبا عبيدة دعا ميسرة بن مسروق فسرحه (٢٤٧ ــ ظ) في ألفي فارس فمر على قنسرين فأخذ ينظر إليها في الجبل ، فقال : ما هذه ؟ فسميت له بالرومية ، فقال : إنها لكذلك ، والله لكأنها قِن نَسر ثم إنه مضى في إثر القوم حتى قطع الدروب ، وبلغ الأشتر أنه قطع الدروب ، فمضى قبله حتى لحقه ، وإذا ميسرة مواقف لجمع من الروم وهم كثير ، وكان ميسرة في ألفي فارس من المسلمين، وكان أولئك أكثر من ثلاثين ألفاً من الروم ، وكان ميسرة قد أشفق على من معه

وخاف على نفسه وعلى أصحابه الهلاك ، فإنهم لكذلك إذ طلع عليهم الأشتر في ثلاثمائة فارس من النخع ، فلما رآهم أصحاب ميسرة كبروا وكبر الأشتر وأصحابه ، وإن الأشتر حمل من مكانه ذلك عليهم ، وحمل ميسرة عليهم فهزموهم ، وركب بعضهم بعضا ، فهزموهم ، وركبوا رؤوسهم واتبعتهم خيل المسلمين فقتلوهم حتى انتهوا الى موضع مرتفع من الأرض فعلوا فوقه ، ونزلت رجالة منهم الى خيل المسلمين فرموهم ، فوقف المسلمون حين رمتهم رجالة الروم ، فقال بعض المسلمين لبعض : دعوهم فإنهم قد انهزموا ، وأخذت الروم على وجوههم ، وأقبل عظيم من عظمائهم مع رجالة كثيرة من رجالتهم فجعلوا يرمون خيل المسلمين وهم على مكان مشرف .

قال : فإن خيل المسلمين لمواقفتهم إذ نزل الى المسلمين رجل من الروم أحمر عظيم جسيم ، فتعرض للمسلمين ليخرج إليه رجل منهم ، قال : فوالله ما خرج إليه رجل منهم ، فقال لهم الأشتر (٢٤٨ ـ و) فما منكم من أحد يخرج الى هذا العلج ، فلم يتكلم أحد . قال : فنزل الأشتر ثم خرج إليه ، فمشى كل واحد منهما الى صاحبه وعلى الأشتر الدرع والمغفر ، وعلى الرومي مثل ذلك ، فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه شد عليه الأشتر فاضطربا بسيفيهما ، فوقع سيف الرومي على هامة الأشتر قطع المغفر وأسرع السيف في رأسه حتى كاد ينشب في العظم ، ووقعت ضربة الأشتر على عاتق الرومي فلم يقطع سيفه شيئا من الرومي إلا أنه قد ضربه ضربة شديدة أوجعت الرومي وأثقلت عاتقه ، ثم تحاجزا ، فلما رأى الأشتر أن سيفه لم يصنع شيئا ، انصرف يمشي على هينته حتى أتى الصف وقد سال الدم على لحيته ووجهه ، فقال : أخزى الله هذا سيفاً ، وجاءه أصحابه ، فقال : علي بشيء من حناء ، فأتوه به من ساعته ، فوضعه على جرحه ثم عصبه بالخرق ، ثم حرك لحيته وضرب أضراسه بعضها ببعض ، ثم قال : ما أشد لحمي ورأسي وأضراسي ، ثم قال لابن عم له : أمسك سيفي هذا واعطني سيفك ، فقال له :

دع سيفي رحمك الله فإني لا أدري لعلي أحتاج إليه ، فقال : أعطينيه ولك أم النعمان يعني ابنته ، قال : فأعطاه إياه ، فذهب ليعود الى الرومي ، فقال له قومه : إنا ننشدك الله أن تتعرض لهذا العلج ، فقال : والله لأخرجن إليه فليقتلني أو لأقتلنه، فتركوه فخرج إليه ، فلما دنا منه الأشتر شد عليه وهو شديد الحنق (٢٤٨ ـ ظ) فاضطربا بسيفيهما فضربه الأشتر على عاتقه فقطع ما عليه حتى خالط السيف رقبته، ووقعت ضربة الرومي على عاتق الأشتر فقطعت الدرع ثم انتهت ولم تضره شيئا ، ووقع الرومي ميتاً ، وكبر المسلمون ثم حملوا على صف رجالة الروم ، فجعلوا ينقضون ويرمون المسلمين وهم من فوق ، فما زالوا كذلك حتى أمسوا ، وحال بينهم الليل ، فلما أمسوا نادى منادي العبسي بالصلاة فلما أقام وتقدم ميسرة بن مسروق العبسي فصلى بأصحابه ، وتقدم الأشتر بأصحابه فصلى بهم ، فلما انصرف جاءه قنان بن دارم العبسي فقال : يا صاحب هذه الخيل ما منعك أن تجيء فتصلي مع الأمير ميسرة بن مسروق العبسي ؟ فقال الأشتر : ومن ميسرة بن مسروق ؟ فقال : ميسرة بن مسروق العبسي ، فقال الأشتر : وما عبس وما بنو عبس ؟ فقال : سبحان الله : وما تدري من عبس ومن بنو عبس ؟! قال الأشتر : لا والله ما أدري فقال العبسي : فمن أنت ؟ قال له : أنا مالك بن الحارث ، قال : ممن أنت ؟ قال : من النخع ، قال العبسي : فوالله إن سمعت بالنخع قط قبل الساعة ، فغضب أناس من أصحاب الأشتر ، فقال الأشتر لأصحابه : مم تغضبون ؟ أما أنا والله ما كذبت ، وما أظن هذا الرجل إلا صادقاً ، ثم قال الأشتر : منعني يا عبد الله من الصلاة معكم أني وليت هذه الخيل ولم يؤمر علي إنسان ولم أومر بطاعة أحد ، ولست مؤمراً على من لم أومر بطاعته ولا أريد الإمارة على من لم يؤمر بطاعتي وأنا إذا (٢٤٩ ـ و) صليت الغداة انصرفت إن شاء الله . فلما صلى الغداة وقد باتوا ليلتهم كلها يتحاربون ، فلما أصبحوا وصلى الغداة ارتحل الأشتر بأصحابه ، ومضى ميسرة حتى بلغ مرج القبائل وهي ناحية أنطاكية والمصيصة ، ثم انصرف راجعا ، وكان

أبو عبيدة قد أشفق عليهم حين بلغه أنهم قد أدربوا ، وجزع جزعا شديدا ، وندم على إرساله إياهم في طلب الروم •

قال : فإنه لجالس في أصحابه مستبطىء قدومهم متأسف على تسريحه إياهم إذ أتى مبشر بقدوم الأشتر ، وجاء الأشتر فحدثه بحديث ما كان من أمرهم ولقائهم ذلك الجيش وهزيمتهم إياهم وما صنع الله لهم ، ولم يذكر مبارزته الرومي وقتله إياه حتى أخبره غيره ، وسأله عن ميسرة بن مسروق وأصحابه فأخبره بالوجه الذي توجه فيه وأخبره أنه لم يمنعه من التوجه معه بأصحابه إلا الشفقة على أصحابه أن يصابوا بعدما ظفروا ، فقال : قد أحسنت ، وما أحب الآن أنك معهم ، ولوددت أنهم كانوا معك ، قال : وأقام حتى قدم عليه ميسرة بن مسروق ، وكتب كتابا أماناً للناس من أهل قنسرين ، ثم أمر مناديه فنادى الرحيل الى إيليـــاء ، وقدم خالد بن الوليد على مقدمته بين يديه ، وأقبل يسير حتى انتهى الى حمص ، فبعث على حمص حبيب بن مسلمة القرشي ، وأرض قنسرين إذ ذاك مجموعة الى حمص ، وإنما سميت حمص الجند المقدم لأنها كانت أدناها من الروم ومن (٢٤٩ ــ ظ) دمشق والأردن وفلسطين وهن كلهن وراءها •

أخبرنا أبو علي الأوقي قال : أخبرنا أبو طاهر قال : أخبرنا أبو الحسين قال أخبرنا أبو إسحق الحبال قال : أخبرنا أبو العباس منير بن أحمد قال : أخبرنا علي ابن أحمد قال : حدثنا أبو العباس الوليد بن حماد الرملي قال : أخبرنا الحسين بن زياد عن أبي اسماعيل البصري قال : وحدثني عمر بن عبد الرحمن أنه حين خرج من أنطاكية ــ يعني هرقل ــ أقبلَ حتى نزل الرُّهـــا ، ثم منهـــا كان خروجه الى القسطنطينية فأقبل خالد في طلب الروم حتى دخل أرض قنسرين ، فلما انتهى الى حلب تحصن منه أهل حلب ، وجاء أبو عبيدة حتى نزل عليهم ، فطلبوا الى المسلمين الصلح والأمان فقبلَ منهم أبو عبيدة فصالحهم ، وكتب لهم أماناً •

ووقع بيدي فتوح الشام بخط أبي عبد الله بن مُقلة ، رواه أحمد بن عبد العزيز الجوهري عن أبي زيد عمر بن شبه عن هرون بن عمر فذكر فيه قال : حدثني هرون قال : حدثني محمد بن سعيد قال : حدثني أبي قال : حدثني أبو جهضم عن عبد الرحيم بن الشلك عن عبد الله بن قُرط فذكر نحوا مما ذكر أبو اسماعيل البصري وقال : وكان مخرجه — يعني هرقل — من أنطاكية الى الرُها ثم الى القسطنطينية ، وكان أبو عبيدة لما نزل حمص قدم خالد في جنوده الى قنسرين ، فسار خالد حتى نزل على حلب ، وأقبل أبو عبيدة في أثره حتى نزل بها ، فعسكر بها فحصر أهلها منه فحاصرهم فطلبوا منه الصلح والأمان ، فقبل ذلك منهم على أن يؤدوا الجزية الى المسلمين ، وكتب لهم كتاباً وأماناً .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال : أخبرنا الحافظ أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن قال : أخبرنا أبي رحمه الله غير مرة قال : أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن قال : أخبرنا أبو الحسن السيرافي قال : أخبرنا أحمد بن اسحق قال : حدثنا أحمد بن عمران قال : حدثنا موسى قال : حدثنا خليفة بن خياط قال : حدثنا عبيد الله بن المغيرة قال حدثني أبي أن أبا عبيدة بعث عمرو بن العاص بعد فراغه من اليرموك الى قِنَّسرين فصالح أهل حلب ومَنْبج وأنطاكية وافتتح سائر أرض قِنَّسرين عنوة (١) .

وقرأت في مغازي أبي عثمان سعيد بن يحيى بن سعيد قال : حدثني أبي عن يزيد بن سنان عن أشياخ لهم قال : بعث عمرو عياض بن غَنم الفهري الى قِنَّسرين والجزيرة ، وكانت قِنَّسرين والجزيرة من حمص ، فافتتح قِنَّسرين وكتب لهم كتاباً وختمه .

قال يزيد : فأنا قرأت كتابهم ، ثم خرج حتى نزل حرّان .

---

١ — تاريخ خليفة بن خياط ١/١٢٤ .

وأنبأنا أبو العلاء أحمد بن شاكر بن عبد الله بن سليمان قال : أخبرنا الحافظ أبو القاسم علي بن الحسن الشافعي قال : أخبرنا أبو غالب (٢٥٠ ــ و) الماوردي قال : أخبرنا أبو الحسن السيرافي قال : أخبرنا أحمد بن إسحق قال : حدثنا أحمد ابن عمران قال : حدثنا موسى بن زكريا قال : حدثنا خليفة بن خيّاط قال : سنة ست عشره ، قال : وفي هذه السنة افتتحت حلب وأنطاكية ومَنْبج . وقال ابن الكلبي : صالح أبو عبيدة أهل حلب وكتب لهم كتاباً ، ثم شخص أبو عبيدة وعلى مقدمته خالد بن الوليد فحاصر إيليا [1] .

أخبرنا أبو حفص عمر بن محمد بن مَعمر المؤدب قراءة عليه بحلب قال : أخبرنا أبو القاسم إسماعيل بن أحمد بن عمر السمرقندي ، إجازة إن لم يكن سماعاً ، وقال : أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن سَلَمة قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحَمامي قال : أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن الصواف قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن عتود القطان قال : أخبرنا اسماعيل بن عيسى العطار قال : أخبرنا أبو حُذيفة إسحق بن بشر القرشي قال : حدثنا سعيد بن عبد العزيز القرشي عن قدماء أهل الشام وذكر عنهم وقعة اليرموك ، وتوجه خالد من اليرموك ، وأن أبا عُبيدة سار بالناس في أثر خالد بن الوليد حتى لحقه بحمص .

قالوا : فلما اجتمعوا بها آتاهم الله الغلبة والسرور ، واجمعوا لها ، وأمر خالد ابن الوليد بالمسير إلى أرض قِنّسرين .

ثم ذكر ورود الخبر إلى قيصر بالهزيمة ، وقال : قالوا : ثم نادى ــ يعني قيصر ــ في أصحابه فخرج إلى القسطنطينية راجعاً ، فلما خرج من الشام ، وأشرف على أرض الروم قال : سلام عليك يا سورية سلام مودع لا يرى (٢٥٠ ــ ظ) أن يرجع إليك أبداً ، فلما أشرف على أرضه قال : ويحك أرضنا ما أنفعك لعدوك لكثرة ما فيها من العشب والخصب .

---

١ ــ المصدر نفسه .

قالَ : وأقبلَ خالد في طلب الروم في وجهه هذا الذي قدّمه فيه أبو عُبيدة بين يديه من حمص حتى دخل في أهل قنسرين فانتهى الى حلب فتحصن أهلَ حلب منه فأقام حتى لحقه أبو عبيدة حتى نزل ، فتهيأ لهم أيضا ، فطلبوا الى المسلمين الصلح والأمان ، فقبل منهم أبو عُبيدة ، وكتب لهم كتاباً أمانا .

قالوا : ثم طلب إلى أبي عبيدة الأشتر مالك بن الحارث أن يبعث معه خيلاً حتى يتبع آثار الروم : فإن عندي غناء وحزماً ، فقال : والله إنك لخليق لكل خير ، فبعثه في ثلاثمائه فارس ، وقال له : لا تبعد في الطلب وكن مني قريبا ، فكان يغيب منه على مسيرة اليوم أو بعض اليوم ، ثم إن أبا عُبيدة دعا مَيسرة بن مَسروق العَبسي فبعثه في ألفي فارس ، فمر على قِنَّسرين وذكر إدرابه ، ثم قال : وأقام أبو عبيدة حتى قدم عليه ميسرة وكتب أمانا وصلحاً لأهل قنسرين ، ثم نادى في الناس للرحيل إلى إيلياء ، وقدم خالد بن الوليد بين يديه وأبو عُبيدة يسير راجعاً حتى انتهى إلى حمص .

قالوا : فبعث حَبيب بن مِسْرة القرشي إلى أرض قِنسرين ، وأرض قِنسرين إذ ذاك مجموعة لصاحب حمص ، وإنما أحدثت قنسرين وفرقت بعد ذلك في إمارة يزيد بن معاوية ليقيم بها .

وأنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي إجازه عن أبي القاسم إسماعيل ابن أحمد السمرقندي قال : أخبرنا أبو الحسين أحمد (٢٥١ ـــ و) بن محمد بن عبد الله بن النفور البزاز قال : أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحمن بن العباس المخلص قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن سيف قال : حدثنا السري بن يحيى قال : حدثنا شُعيب بن إبراهيم قال : حدثنا سيف بن عمر عن أبي عثمان قال : وكان صلح حمص على أنصاف دورهم ، وعلى أن يترك لهم المسلمون أموال الروم وبنيانهم لا ينزلون عليهم ، فتركوه لهم .

قال : فصالح بعضهم على صلح دمشق على دينار وطعام على كل جريب ، أبداً أيسروا أو أعسروا ، وصالح بعضهم على قدر طاقته من زاد ملكه زيد عليه وإن نقص نقص .

وقال : حدثنا السري قال : حدثنا شعيب قال : حدثنا سيف عن أبي حارثة وأبي عثمان عن خالد وعُبادة والربيع عن النعمان عن رجاء بن حَيْوه قالوا : لما كان ذو القعدة من سنة ست عشره أغزى هرقل أهل حمص في البحر وقد اتخذوا مسالح، ونزل علقمه بن مُحرِز وعلقمة بن حكيم الرمله وعسقلان وذواتها ، وفعل يزيد وشرحبيل نحواً من ذلك ، واستمد أهل الجزيرة واستثار أهل حمص ، فأرسلوا إليه بإنا قد عاهدناهم فنخاف ألا تنصر ، وخرج على أبي عُبيدة في جلية الروم ، فاستمد أبو عبيدة خالداً ، فأمده بمن معه جميعاً ، لم يخلف أحدا ، فكفر أهل قنسرين بعده ، وتابعوا هرقل ، فكان أكفر من هنالك تنوخ الحاضر ، وكان تمسك كل أمير بكورته من القوة وهو أنجز وأعز للمسلمين ، ودنا هرقل من حمص وعسكر وبعث (٢٥١ ـ ظ) البعوث إلى حمص ، فأجمع المسلمون على الخندقه والكتابة إلى عمر رضوان الله عليه ، إلا ما كان من خالد ، فإن المناجزة كانت برأيه ، فخندقوا على حمص ، وكتبوا إلى عمر ، واستصرخوه ، وجاء الروم ومن أمدهم حتى نزلوا عليهم، فحصروهم ، وبلغت أمداد الجزازره ثلاثين ألفا سوى أمداد قنسرين من تنوخ وغيرهم فبلغوا من المسلمين كل مبلغ ، وجاء الكتاب إلى عمر وهو متوجه إلى مكه للحج في ذي الحجة فمضي لحجه ، وكتب (الى سعد إن أبا عبيده) قد أحيط به ولزم جهته ، فانبذ المسلمين بالجزيره ، ومرهم بالجد ومرهم بالتوجه إلى حمص وأمد أبا عبيدة بالقعقاع بن عمرو فخرج القعقاع بن عمرو ممداً لأبي عُبيدة ، وخرجت الخيول نحو الرقه وحران ونصبين ، فدوخوا الجزيرة ، وبلغ قبائل القوم بحمص فارتحلوا إلى مدائنهم وبادر المشركون يجفلون عنها وسمعهم المسلمون فيها ، ولما دنا القعقاع بن عمرو من حمص أقبلت إلى هرقل كتائب من تنوخ خوفا وذلاً وأخبروه الخبر ، فأرسل إليهم إني والله لولا (أني في سلطان غيري ماباليت) أقللتم أم كثرتم أو أقمتم أو ذهبتم ، فإن كنتم (صادقين فانفشوا [1] كما أنفش) أهل الجزيرة (فساموا) سائر تنوخ ذلك (فأجابوهم ، وراسلوا خالداً إن ذلك) إليك ، فإن شئت فعلنا ، وإن شئت أن تخرج علينا فننهزم بالروم ، فقال : بل أقيموا

١ ـ أي تفرقوا . النهاية لابن الاثير .

فإذا خرجنا فانهزموا بها ، وقال المسلمون لأبي عبيدة ارتحل أهل الجزيرة ، وقد ندم أهل قنسرين ووعدوا من أنفسهم بتجنب الحرب فاخرج بنا ، وخالد ساكت (٢٥٢ ــ و) فقال : مالك يا خالد لا تتكلم ؟ فقال : قد عرفت الذي قلته ورأيي فلم تسمع من كلامي ، قال : فتكلم فإني أسمع منك وأطيعك ، قال : فاخرج بالمسلمين فإن الله قد نقص من عدتهم ، وبالعدد يقاتلون ، وإنما نقاتل منذ أسلمنا بالنصر فلا تخفك كثرتهم .

وقال السري : حدثنا شعيب قال : حدثنا سيف عن أبي عثمان .. بن أسيد الغساني عن ... عمرو ... عن الربيع بن النعمان النصري عن ... بن النضر ابن علقمة النضري (فجمع أبو عبيدة الناس) فحمد الله وأثنى عليه وقال : أيها الناس (إن هذا يوم له ما بعده ، أما من حيي منكم فإنه يصفو له ملكه وقراره، وأما من مات منكم فإنها الشهادة فأحسنوا بالله الظن ، ولا يكرهن إليكم الموت أمراً افترضه) أحدكم دون الشرك توبوا الى الله (وتعرضوا للشهادة ، فإني أشهد وليس) أوان الكذب ، إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من (مات لايشرك بالله شيئا دخل الجنة [١]) (وكانما كان الناس في عقل فنشطت) ، فخرج بهم وخالد على الميمنة (وعباس) على الميسرة ، وأبو عبيدة في القلب وعلى باب المدينة معاذ بن جبل (فاجتلدوا بها) وبينما هم كذلك إذ قدم القعقاع (متعجلاً) في مائة وانهزم أهل قنسرين بالروم ، فاجتمع القلب والميمنة على قلبهم وقد انكسر أحد (جناحيه) وأوعبوا المدد فما أفلت منهم مخبر وذهبت الميسرة على وجهها ، وكان آخر من أصيب منهم بمرج الديباج (انتهوا إليه (٢٥٢ ــ ظ) فكسروا سلاحهم وألقوا يلامقهم [٢] تخفيفاً) فأصيبوا وتغنموا .

ولما ظفر المسلمون جمعهم أبو عبيدة فخطبهم وقال : لا تتكلوا ولا (تزهدوا في) الدرجات ، فلو علمت أنه سيبقى منا أحد لم أحدثكم بذلك الحديث ، وتوافى إليه آخر أهل الكوفة في ثلاث من يوم الوقعة .

وقال : حدثنا السَّري بن يحيى قال : حدثنا شعيب بن إبراهيم قال : حدثنا

١ ــ روته كتب الصحاح ــ الجامع الصغير للسيوطي : ٩٠٣٩ .
٢ ــ اليلمق : القباء فارس معرب . القاموس .

سيف عن أبي عثمان وأبي حارثة قالا : وبعث أبو عبيدة بعد فتح حمص خالد بن الوليد إلى قنسرين فلما نزل بالحاضر ، زحف إليهم الروم وثار أهل الحاضر وأمروا عليهم ميناس وهو رأس الروم وأعظمهم فيهم بعد هرقل فالتقوا بالحاضر فقتل ميناس ومن معه مقتله لم يقتلوا مثلها فأما الروم فماتوا على دمه ، حتى لم يبق منهم أحد ، وأما أهل الحاضر فهربوا وراسلوا خالداً بأنهم عرب وأنهم إنما حشروا ولم يكن من رأيهم حربه ، فقبل عذرهم وتركهم .

فلما بلغ ذلك عمر رضي الله عنه قال : أمَّر خالد نفسه ، رحم الله أبا بكر ، لقد كان أعلم بالرجال مني ، وقد كان عزله والمثنى مع قيامه وقال : لم أعزلهما عن ريبة ، ولكن الناس أعظموهما فخشيت أن يوكلوا إليهما ، فلما كان من أمره وأمر قنسرين ماكان رجع عن رأيه ، وكذلك فعل بالمثنى لما قام بعد أبي عبيد(١) ، وقال : كان أبو بكر رضي الله عنه أعلم بالرجال مني .

وسار خالد حتى نزل على قنسرين فتحصنوا منه فقال : إنكم لو كنتم في السحاب لحملنا الله إليكم أو لأنزلكم إلينا فنظروا في أمرهم وذكروا ما (٢٥٣ـو) لقي أهل حمص ، فصالحوه على صلح حمص ، فأبى إلا على إخراب الدينة فأخربها فاتطأت حمص وقنسرين (فعند ذلك) خنس هرقل ، وإنما كان سبب خنوسه أن خالداً حين قتل ميناس وماتت الروم على دمه وترك قنسرين طلع من قبل الكوفة عمر بن مالك من قبل قَرْقيسيا ، وعبد الله بن المُعْتَم من قبل الموصل ، والوليد بن عُقْبة على بلاد بني تغلب وعرب الجزيرة ، وطووا مدائن الجزيرة من نحو هرقل ، وأهل الجزيرة في حرّان والرقة ونَصيبين وذواتها لم يغرضوا غرضهم ، حتى يرجعوا إليهم ، إلا أنهم خلفوا في الجزيرة لئلا يؤتوا من خلفهم ، فأدرب خالد وعياض مما يلي الشام ، وأدرب عمر وعبد الله مما يلي الجزيرة ، ولم يكونوا أدربوا قبله ، ثم رجعوا ، فهي أول مدربة كانت في الإسلام سنة ست عشرة ، فرجع خالد إلى قنسرين فنزلها ، وأتته امرأته ، فلما عزله وضمه الى المدينة قال : إن عمر ولاني الشام حتى إذا صارت بَثْنِية(٢) وعسلاً عزلني . الحديث .

---

١ ـ في هذا اشارة الى موقعه قس الناطف أو جسر أبي عبيد سنة ١٣ هـ .
٢ ـ في رواية أخرى « صارت رعية وعملا » .

قلت : وسيأتي ذكر عزله وقول خالد في ترجمته في مكانها من كتابنا هـذا إن شـاء اللـه تعـالى .

ونعود إلى تمام الحديث قال حدثنا السري بن يحيى قال : حدثنا شعيب قال: حدثنا سيف عن أبي عثمان عن أبيه أن خالد أتي (٢٥٣ ــ ظ) في قنسرين برجل معه زق خمر فقال : اللهم اجعله خلاً ، وأفلت منه فإذا هو خلٌ مُسْطـار [1] ، وأقبل الرجـل يعـدو .

قال زياد بن حنظلـة :

ونحـن بِقِنَّسرين كُنـا ولاتهـا   عَشـية مِينـاسْ يَكوس ويُعْتَب
يثـور وتُثنيـه جـوارح جَمَّـة   وحالفـه شَيبـان منـا وتَغْلـب
وقـد هربتْ منـا تَنـوخ وخاطـرت   بحاضِرها والسمهريـة تضـرب
فلمـا اتقونـا بالجِـزاء وهدّمـوا   مدينتهـم عدنـا هنـالك نعـجب

وقـال أيضـاً :

ومِيناس نلنـا يـوم جـاء بجمعـه   فصادفـه منـا قِـراع مـؤزر
فولت فلـولاً بالفضـاء جُموعـهُ   ونازعـه منـا سنـان مُذكَّـر
فضمنـه لمـا تـراخت خيولـه   مبـالٍ لديـه عسـكر ثـم عسـكر
وغـودر ذاكَ الجمـع يعلو وجوههم   دقاق الحصـا والسافياء [2] المُغَبَّر

أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الدمشقي قال : أخبرنا أبو الحسن علي ابن المُسْلِم إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء قال : أخبرنا أبو نصر بـن الجِنَدي قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العَقَب قال : أخبرنا أبو عبد الملك أحمد ابن إبراهيم القرشي قال : حدثنا محمد بن عائذ قال : قال الوليد : حدثني هشام بن عباد عن أبيه أن أبا عبيدة بن الجراح عقد لحَبيب بن مَسْلَمة حين هزم الله الروم على خيل الطلب ، يقتل من أدرك ويقتفي من سبقه بالهزيمة حتى (٢٥٤ ــ و) أجلاهم عن دمشق وغوطتها ، والجولان والحولة وبعلبك وكذا إلى حمص .

١ ــ في القاموس المسطار الخمرة الصارعة لشاربها أو الحامضة أو الحديثه .
٢ ــ في القاموس السافياء = الغبـار .

قال : وأخبرني عبد الرحمن بن يزيد بن جابر أن الخيول طلبت الروم حتى أجلتها عن أرض دمشق وحمص ، وبعث إليه من كان بمدائن قنسرين والجزيرة يسألونه الموادعة سنة ، فمن سار إلى أرض الروم في تلك السنة فهو حرب ، ومن أقام فيها فهو ذمة وصلح ، فأجابوهم إلى ذلك ، ولم يغزوهم سنة ، وجعلوا عموداً قائماً بين المسلمين وبينهم ، ليس للمسلمين أن يجوزوا ذلك العمود إليهم ، ولا لهم أن يجوزوا العمود إلى المسلمين وصوروا قيصر في ذلك العمود جالساً في ملكه ، فبينا رجل من المسلمين على فرسه معتقل رمحه إذ مر بذلك العمود وبتلك الصورة ، فقال برمحه ففقأ بها عين التمثال ، فاجتمعت الروم ، فقالوا : غدرتم يا معشر العرب ، وانتقض الصلح ، فقالوا ما نقضه ؟ فقالوا : فقأتم عين ملكنا ، قالوا : ما ندري من صنع هذا ، قالوا : فإنا لا نرضى دون أن نفقأ عين أميركم ، قالوا : وكيف ؟ قالوا : تصورونه لنا في عمود ونصنع مثل ما صنعتم •

قال : فصوروا لهم مثالاً ، وأقبل رجل منهم حتى فقأ عينه برمحه وتم الصلح بينهم ، فلما انقضت السنة سار من سار منهم وأقام من أقام على الصلح والجزية ، ودخل المسلمون أرض قنسرين وأمضوا صلح من أقام بالجزية •

وقال أبو عبد الملك القرشي : وحدثنا ابن عائذ قال : (٢٥٤ ــ ظ) قال الوليد قال أبو عثمان معاوية بن يحيى : إن أبا عبيدة بن الجراح ولي فتح مدائن قنسرين ، وأقبل إليه بطارقة من بطارقة الروم فيما بين قنسرين ومعرة مصرين فصافوه للقتال وتوافقهم للقتال ، فقتل المسلمون إثني عشر بطريقاً منها رميا بالنبل ، ثم إن سائر البطارقة ركبت وقالت : نحن تبع لمن بين أيدينا من بطارقة المدائن والحصون ،فمضى أبو عبيدة إلى أنطاكية •

قرأت في تاريخ سعيد بن كُثَيِّر بن عُفَير قال : ثم كانت سنة سبع‌عشرة وفيها كان إفتتاح قنسرين صلحاً على يد أبي عبيدة ، سار أبو عبيدة إلى قنسرين فافتتحها بصلح ، وأغار على حاضرها فقتل المقاتلة وسبى الذرية ، ولم يدخل مدينة حلب لأنه

لم يكن فيها أحد ، كانت قد تركت قبل الإسلام ، فبعث إلى عمر بثلث سبي الحاضر .

وقد ذكر سعيد بن البطريق النصراني في تاريخه ما حكاه ابن عائذ أتم خبرا فأوردته بما فيه من الزيادة ، ولعل الزيادة إنما أخذها من كتبهم ، قال : وكان هرقل قد تنحى من دمشق إلى حمص ، فلما سمع هرقل أن المسلمين قد أخذوا فلسطين والأردن وصاروا إلى البَثْنِية خرج من حمص إلى مدينة أنطاكية ، ففرض الفروض واستنفر المُستعربة من غسان ، وجُذام ، ولَخم ، وكل من قدر عليه من الأرمن وأقام عليهم قائداً من قواده يقال له ماهان ، ووجه بهم إلى دمشق ، وذكر أمر دمشق وفتحها وقال : وكل من أفلت من الروم من المقاتله لحق بهرقل بأنطاكية ، فلما سمع هرقل أن دمشق قد فتحت ، قال : عليك السلام يا سورية ، ثم سار حتى دخل قُسطنطينية ، وذلك في السنة الثالثة من خلافة عمر بن الخطاب .

وكتب عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص أن يصير بجنده إلى فلسطين ، وكتب إني قد استعملت يزيد بن أبي سفيان على دمشق وشُرَحْبيل بن (٢٥٥ــو) حَسنة على الأردن ، وأبا عبيدة بن الجراح على حمص ، فسار عمرو بن العاص إلى فلسطين ، وشرحبيل إلى الأردن ، وسار أبو عبيدة بن الجراح إلى بعلبك ، فقالوا : نحن على ما صالحتم عليه أهل دمشق ، فكتب لهم أمانا ، ثم سار إلى حمص ، وكتب لأهل مدينة حلب الأمان ، ودخلت المدائن كلها في الصلح ، فالمدائن كلها صلح ، ثم اتصل بالمسلمين قدوم عمر بن الخطاب إلى بيت المقدس ، فخلف أبو عبيدة بن الجراح عِياض بن غَنْم على أصحابه ، وخلف يزيد بن أبي سفيان معاوية بن أبي سفيان على أصحابه وخلف عمرو بن العاص ابنه عبد الله بن عمرو على أصحابه ، ولقوا عمر بن الخطاب عند فتح بيت المقدس .

وقال : ثم رجع عمر بن الخطاب من بيت المقدس إلى المدينة ، وخرج أبو عبيدة ابن الجراح إلى حمص ، وسار من حمص إلى قنسرين ، فكتب إليه أهل قنسرين يسألونه الموادعة سنة ، فمن سار إلى الروم فهو حرب ، ومن أقام فهو ذمة وصلح فأجابوهم ولم يغزوهم ، وجعلوا عموداً قائماً بين الروم وبين المسلمين ، ليس للمسلمين

أن يجوزوا ذلك العمود إلى الروم ، ولا للروم أن يجوزوا ذلك إلى المسلمين ، وصوروا في العمود صورة هرقل جالساً في ملكه ، فرضي بذلك أبو عبيدة ، فبينما نفر من المسلمين على خيولهم يتعاطون الفروسية إذ مر أبو جَنْدل بن سهيل بن عمرو على فرسه ملأ فروجه في يده قناه جديدة فمر بذلك العمود وتلك الصورة فنصب زج رمحه في عين (٢٥٥ ـ ظ) تلك الصورة غير متعمد لذلك ، ففقأ عين التمثال ، فأقبل بطريق قنسرين وقال لأبي عبيدة : غدرتم يا معشر العرب ونقضتم الصلح ، وقطعتم المُدد التي بيننا وبينكم ، فقال أبو عبيدة : ومن نقضه ؟ قالوا : الذي فقأ عين ملكنا ، قال أبو عبيدة : فما تريدون ؟ قالوا : لا نرضى حتى نفقأ عين ملككم ، قال أبو عبيدة : صوروني في صورتكم ، ثم افعلوا ما بدا لكم ، قالوا لا نرضى بتصوير إلاّ ملككم الأكبر ، فأجابهم أبو عبيدة إلى ذلك ، فصورت الروم مثال عمر بن الخطاب في عمود وأقبل رجل منهم حتى فقأ عينه برمحه . فقال البطريق : قد أنصفتمونا ، وبعد سنة أقاموا على الصلح والذمة[1] .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي الحافظ ، وأنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد القاضي قالا : أخبرنا أبو الحسين علي بن المُسَلَّم إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء قال : أخبرنا أبو نصر الجَنَدي قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العَقَب قال : أخبرنا أبو عبد الملك القرشي قال : حدثنا محمد بن عائذ قال : قال الوليد : قال : وقطع ـ يعني قنسرين ـ فمضى أبو عبيدة بن الجراح إلى أنطاكية فصالحه أهلها على الإقامة ... فأدركهم الثلج .... الثلج ارتحلوا فلما كان .... (٢٥٦ ـ و) [2] .

---

١ ـ تاريخ سعيد بن البطريق ٢ / ١٣ ـ ٢٠ ، هذا وقد أصاب الاصل بعض الطمس فاستدرك من ابن سعيد .

٢ ـ لقد وقعت هذه الاوراق (من ٢٥١ ظ الى ٢٥٦ ـ و) في آخر المجلدة وقد طمس ما جاء فيها الى درجة شديدة استحالت القراءة فيها ، وقد تمكنت من استدراك معظم ما طمس من مغازي ابن حبيش ، الذي طبعته مؤخرا في بيروت وبقيت أماكن لم أستطع تداركها فتركتها كما هي .

بســـم الله الرحمن الرحيـــم

وبــه توفيقي

وقال البلاذري : حدثني محمد بن سَهم الأنطاكي عن أبي صالح الفراء قال : قال مَخْلَد بن الحسين : سمعت مشايخ الثغر يقولون : كانت أنطاكية عظيمة الذكر والأمر عند عمر وعثمان رحمهما الله ، فلما فتحت كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة أن رتب بأنطاكية جماعة من المسلمين أهل نيات حسنة ، واجعلهم بها مرابطة ، ولا تحبس عنهم العطاء ، ثم لما ولي معاوية كتب إليه بمثل ذلك ، ثم إن عثمان كتب إليه يأمره أن يلزمها قوماً ويقطعهم قطائع ، ففعل .

قال ابن سهم : وكنت واقفاً على جسر أنطاكية على الأُرنط فسمعت شيخاً مسنثاً من أهل أنطاكية ، وأنا يومئذ غلام ، يقول : هذه الأرض قطيعة من عثمان لقوم كانوا في بعث أبي عبيدة ، أقطعهم إياها أيام ولاية معاوية الشام .

وقال البلاذري فيما حكاه قال : وبلغ أبا عبيدة أن جمعا للروم بين مَعَارّة مَصْرين وحلب ، فلقيهم وقتل عدة بطارقة وفض ذلك الجيش ، وسبى وغنم وفتح معارة مصرين على مثل صلح حلب ، وجالت خيوله حتى بلغت بُوقا ، وفتحت قرى الجُومَه وسِرْمين ، ومَرتحوان ، وتيزين ، وصالحوا أهل دير طَيَايا ، ودير الفَسِيلة على أن يضيفوا من مرّ بهم من المسلمين، وأتاه نصارى خُناصره فصالحهم وفتح أبو عبيدة جميع أرضي قنسرين وأنطاكية[1] . (٢٥٦ ـ ظ) .

---

١ ـ فتوح البلدان ١٥٣ ـ ١٥٤ .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن ، ح •

وأنبأناه عاليا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الأنصاري قالا : أخبرنا أبو الحسن علي بن المسلم إذناً قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العقب قال : أخبرنا أبو عبد الملك القرشي قال : حدثنا محمد بن عائذ قال : قال الوليد حدثنا أبو عمرو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي : أنه كان في كتاب أبي عبيدة الجراح لأهل دير طيايا : إني آمنتكم على دمائكم وأموالكم وكنائسكم أن تهدم أو تسكن ما لم تحدثوا أو تؤووا محدثاً فإن فعلتم فقد برئت منكم الذمة ، وأبو عبيدة بن الجراح والمسلمون براء من معرة الجيش ، شهد على ذلك •

قال لي أبو الحسن : قال لي الحافظ أبو محمد القاسم بن علي دير طيايا من أرض قنسرين ، وذكره لي مقيداً بياءين ، ونقلته من خط بَنّوسه فيما نقلته من كتاب البلاذري كذلك بياءين •

وقرأت في تاريخ سعيد بن كثير بن عفير في سنة سبعة عشرة ، في نسخة قديمة صحيحة ، قال : وافتتح أبو عبيدة في وجهه ذلك ديارات حول قنسرين بصلح منها دير طيايا بياءين •

وقال لي صديقنا بهاء الدين الحسن بن إبراهيم بن الخشاب : هو دير طباثا بالباء والثاء ، وهو الموضع المعروف بدير باثَبْوا وهو إلى جانب القرية المعروفة بباثَبَوا في مكان يشرف على الأثارب وما حولها •

وقع إلى مجموع بخط بعض الفضلاء يتضمن فقراً وقواعد وأخبارا وفوائد في نسخة عتيقة يغلب على ظني أن كاتب النسخة جمع المجموع ، فقرأت فيه : شَرَطَ عمر بن الخطاب على أهل قنسرين على الغني ثمانية وأربعين وعلى (٢٥٧ — و) الوسط أربعة وعشرين وعلى المُدْقِع إثني عشر يؤديها بصَغَار ، وعلى مشاطرة

المنازل بينهم وبين المسلمين ، وألا يُحدثوا كنيسة إلا ما كان في أيديهم ، ولا يضربوا بالناقوس إلا في جوف البيعة ، ولا يرفعوا أصواتهم بالقراءة ، ولا يرفعوا صليباً إلاّ في كنيسة ، وأن يُؤخَذَ منهم القبليّ من الكنائس للمساجد ، وأن يَقرُوا ضيف المسلمين ثلاثاً ، وعلى أن لا تكون الخنازير بين ظهراني المسلمين وعلى أن يناصحوهم فلا يغشوهم ، ولا يُمالئوا عليهم عدواً ، وأن يحملوا راجل المسلمين من رُستاق إلى رستاق وأن لا يلبسوا السلاح ولا يحملوه الى العدو ، ولا يَدُلوّا على عورات المسلمين ، فمن وفى وفى المسلمون له ومنعوه بما يمنعون به نساءهم وأبناءهم ، ومن انتهك شيئاً من ذلك حلّ دمه وماله وسِباء أهله ، وبرئت الذمة منه . وكتب بذلك كتاباً بريء فيه من معرة الجيش ، فدخل في هذا الصلح أهل الجزيرة ، وقبل ذلك ما كان أبو عبيدة فارقهم على أربعة دراهم وعباءة على كل جَلْجلَه[1] على أن يكون عمر الفارض عليهم إذا قدم بلادهم .

وذكر البلاذري فيما حكاه في كتابه قال : وحدثني أبو جعفر الدمشقي عن سعيد ابن عبد العزيز قال : لما فتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق استخلف يزيد على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين وشرحبيل على الأردن ، وأتى حمص فصالح أهلها على نحو صلح بعلبك ، ثم خلف بحمص عُبادة بن الصامت (٢٥٧ ــ ظ) الأنصاري ، فمضى نحو حماه فتلقاه أهلها مذعنين فصالحهم على الجزية في رؤوسهم ، والخراج في أرضهم ، فمضى إلى شَيْزر فخرجوا يُكَفرون ومعهم المُقلسون ورضوا بمثل ما رضي به أهل حلب ، ومر أبو عبيدة بمعرة حمص وهي التي تنسب إلى النُعمان بن بشير فخرجوا يقلسون بين يديه ، ثم أتى فامية ففعل أهلها مثل ذلك وأذعنوا بالجزية والخراج ، واستمر أمر حمص وكانت حمص وقنسرين شيئاً واحداً[2] .

---

١ ــ أي على كل رأس .
٢ ــ فتوح البلدان ، ١٣٧ .

قوله يكفرون أي يخضعون بأن يضعوا أيديهم على صدورهم ، ويتطأمنوا له كما يفعله العلوج بدهاقينهم . قال جرير .

وإذا سمعت بحرب قيس بعدها فضعوا السلاح وكفروا تكفيرا [١]

والمقلسون الذين يلعبون بين يدي الامير اذا قدم المصر ، قال أبو الجراح : التقليس استقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو . قال الكميت يصف ثورا طعن الكلاب فتبعه الذباب لما في قرنه من الدم :

ثم استمر يُغَنّيه الذباب كما غنى المقلس بطريقاً بمزمار [٢]

أنبأنا أبو القاسم عبد الصمد بن محمد الدمشقي قال : أخبرنا أبو الحسن علي ابن المسلم اجازة قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العلاء قال : أخبرنا أبو نصر بن الجندي قال : أخبرنا أبو القاسم بن أبي العقب قال : أخبرنا أبو عبد الملك أحمد ابن إبراهيم القرشي قال : حدثنا محمد بن عائذ قال : قال الوليد : حدثنا الهيثم بن حميد عن محمد بن يزيد الرحبي قال : سمعت أبا الأشعث الصنعاني قال : لما (٢٥٨ ــ و) فتح الله علينا دمشق خرجنا مع أبي الدرداء في مسلحة تبرزه ، ثم تقدمنا مع أبي عبيدة بن الجراح ففتح الله بنا حمص ، ثم تقدمنا مع شرحبيل بن السمط فأوطأ الله بنا مادون النهر يعني الفرات ، وحاصرنا عانات وأصابتنا عليها لأواء ، وقدم علينا سلمان الخير في مدد لنا فقال : ألا أحدثكم بشيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم عسى أن ييسر الله عليكم بعض ما أنتم فيه ،سمعت رسول الله صلى الله عيه وسلم يقول : رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه صائما لا يفطر ، وقائما لا يفتر ، فان مات جرى له صالح ما كان يعمل ووقي عذاب القبر .

---

١ ــ ديوانه ، ٢٩٢ ، من قصيدة يهجو بها الاخطل .
٢ ــ انظر اللسان (قلس) .

أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي قال : أخبرنا أبو محمد القاسم بن علي بن الحسن قال : أخبرنا أبي قال : أخبرنا أبو غالب محمد بن الحسن قال : حدثنا أبو الحسن السيرافي قال : أخبرنا أحمد بن اسحق قال : أخبرنا أحمد بن عمران قال : حدثنا موسى قال : حدثنا خليفة بن خياط قال : وفي هذه السنة ـ يعني سنة ست عشرة ـ افتتحت منبج .[1] .

---

١ ـ تاريخ خليفة ١ / ١٢٤ .

باب في ذكر نبذة من أخبار ثغور الشام

وما كان تجري عليه أمورها في صدر الاسلام

لم يزل الخلفاء في صدر الاسلام مهتمين بأمر الجهاد باذلين في ذلك من أنفسهم نهاية الاعتناء وغاية الاجتهاد ، وقد ذكرنا فيما سبق من أحوال البلاد التي قدمنا ذكرها وبينا حالها ، وشرحنا أمرها ما فيه كفاية صالحة ودلائل على ما قصدنا في هذا الباب واضحة وغير خاف ما كان في زمن عمر وعثمان من الاهتمام بالثغور الشامية ، وأن معاوية أغزى ابنه يزيد حتى وصل الى القسطنطينية ، وأغزى عبد الملك بن مروان (٢٥٨ ــ ظ) ابنه مسلمة الغزاة المشهورة ، وهي مسطورة في التواريخ مذكورة ، وأغزى الوليد ابنه العباس مرارا ، وأوسع الروم بغزواته ذلة وصغارا ، ورابط سليمان بدابق سنين ، وحلف أن لا يعود منها حتى يفتح الله القسطنطينية على المسلمين ، وجهز لفتحها أخاه مسلمة الى أن استدعاه عمر بن عبد العزيز اشفاقا على المسلمين ومرحمة .

واهتم بعد بني أمية بأمر الثغور أمير المؤمنين أبو جعفر المنصور فعمرها وحصنها وقواها بالجند وشحنها ، وتمم المهدي ما شرع فيه أبو جعفر ، وفعل مثله هرون الرشيد وأكثر ، وغزا المأمون فأدركته في غزاته الوفاة ، وقد عرف فعل المعتصم حين بلغه نداء المرأة ــ وقد غدر بالمسلمين طاغية الروم ــ وامعتصماه ، واهتم المتوكل في الثغر بترتيب المراكب ، وما زال مشحونا من ملوك المسلمين بالراجل والراكب الى أن قصرت الهمم وولي من تعدى وظلم ، واشتغلوا باللذات

وتعاطوا الامور المنكرات ، فضعف أمر لثغور واختل ووهى عقد نظامهـا وانحـل، فجرى ما ذكرناه في باب طرسوس ، وحل بالمسلمين من أعداء الله الشدة والبؤس .

أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد بن الحسن قال : أخبرنا عمي أبـو القاسم علي بن الحسن الحافظ قال : قرأت على الخضر بن الحسين بن عبدان عـن عبد العزيز الكتاني قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسن بـن أبي زروان قال : حدثنا (٢٥٩ ــ و) عبد الوهاب بن الحسن قال : أخبرنا أحمد بن عمير قال : حدثنا أبو عامر موسى بن عامر قال : حدثنا الوليد بن مسلم قال : وحدثني عبد الرحمـن ابن يزيد بن جابر وغيره أن الناس كانوا يجتمعون بالجابية لقبض العطاء وإقامة البعوث من أرض دمشق في زمن عمر وعثمان ، حتى نقلهم الى معسكر دابق معاوية ابـن أبي سفيـان لقربـه مـن الثغور . [١] .

وقد ذكرنا في الباب المتقدم أن أول من أدرب من المسلمين خالد بن الوليـد من جهة الشام وعمرو بن مالك وعبد الله بن المعتم من جهـة الجزيـرة ، فهي أول مدربة كانت في الاسلام سنة ست عشرة فيما رواه سيف بن عمر ، وقيل أول مـن أدرب الاشتر مالك بن الحارث في ثلاثمائة فارس ، وألحقه أبو عبيدة بميسرة بـن مسروق العبسي في ألفي فارس على ما رويناه أيضا في الباب المتقدم عن أبي اسماعيل محمد بن عبد الله البصري ومحمد بن عائذ .

وذكر البلاذري في كتاب البلدان قال : وقد اختلفوا في أول من قطع الـدرب ، وهو درب بغراس ، فقال بعضهم : قطعـه ميسرة العبسي ، وجهة أبو عبيدة بـن الجراح فلقي جمعا للروم ومعهم مستعربة من غسان وتنوخ واياد يريدون اللحـاق بهرقل ، فأوقع بهم ، وقتل منهم مقتله عظيمة ، ثم لحق به مالك الاشتر النخعي مددا من قبل أبي عبيدة وهو بأنطاكيـة .

---

١ ــ ابـن عسـاكر ٢ / ١١٩ ــ ١٢٠ .

وقال بعضهم أول من قطع الدرب عمير بن سعد (٢٥٩ ــ ظ) [1] .....

بيد الروم وبعض قد خربت وكانت طرسوس ومدنها خلف هذه الكـورة ، وبالس رأس الحد من قبل الرقة عامرة ، وقنسرين مدينة قد خف أهلها .

قال البشاري : فان قال قائل : لم جعلت قصبة الكورة حلب وهاهنا مدينـة على اسمها ؟ قيل له : قد قلنا ان مثل القصبات كالقواد والمدن كالجند ، ولايجوز أن تجعل حلب على جلالتها وحلول السلطان بها ، وجمع الدواوين اليها ، وأنطاكية ونفاستها ، وبالس وعمارتها ، أجنادا لمدينة خربة صغيرة . [2] .

وسير الي القاضي بهاء الدين أبو محمد الحسن بن ابراهيم بن الخشاب أوراقا بخطه ذكر لي أنه نقلها من خط الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله بن أبي جرادة فنقلت منها ماصورته : كانت حلب في أول الاسلام الى أخر ملك بني أمية مضافة الى قنسرين ومعدودة من أعمالها ، ولذلك قل ذكرها في الاخبار عن ذلك الزمان ، ثم تدرجت في العمارة وقنسرين في الخراب حتى صارت مضافة الى حلب في أيام بني العباس ، ووليها لهم جماعة من الهاشميين وخاصة بنو صالح بن علي بن عبد اللـه ابـن عبـاس .

فهذه المدن والثغور التي أوردنا ذكرها في هذا الفصل هي شرط كتابنا هـذا ، وقد بينا أنها من أعمال حلب ، وان وقع الاختلاف في بعضها ، فلا بد من ذكرهـا في هذا الكتاب ، وذكر ماورد فيها ، وذكر من دخلها أو اجتاز بها ، أو كان مـن أهلها ان شاء الله تعالى (٢٦٠ ــ و) .

---

١ ــ يبدو أن ورقة أو أكثر قد ضاعت من الاصل ، ويمكن للقارىء أن يجد تتمة الرواية في فتوح البلدان ، ١٦٨ ــ ١٦٩ .

٢ ــ يبدو أن قسما مما ضاع من الاصل نقلـه ابن العديم من كتاب البشـاري المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، انظر من ١٥٥ ــ ١٥٦ .